التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

الموضوع :

الثقافة في زمن العولمة بين التنوع، و النمذجة

إشكاليات:الصراع، التبادل ، و الدفاع

في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات و الاتصال

دراسة نظرية تحليلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم الإعلام والإتصال

*** إعداد الطالب :** - كعواش عبد الرحمان

*** إشراف الأستاذ :** ـ أ. د بلقاسمبومهدي

السنةالجامعية: 2014-2015م

فهـــــــرس المحتويات

شكر و تقدير

فهرس الجداول والأشكال

مقدمة

.....أ-ج

الإطار المنهجي للدراسة

- إشكالية الدراسة

:.....02

- التساؤلات الفرعية

:.....06

- تحديد المفاهيم الأساسية

:.....07

- منهج الدراسة

:.....16

- أسباب اختيار الموضوع

:.....17

- أهداف وأهمية

الدراسة:.....17

- نوع الدراسة

:.....18

- أقسام الدراسة

:.....19

الإطار النظري للدراسة

الباب الأول: الحضارة وعولمة الثقافة

الفصل الأول : الحضارة والثقافة محاولة في تحديد العلاقة .

- **المبحث الأول** : مفهوم

الحضارة:.....25

- **المبحث الثاني** : تعريف

الثقافة:.....47

- **المبحث الثالث** :الفرق بين الحضارة والثقافة

:.....59

الفصل الثاني : ظاهرة العولمة وأبعادها.

- **المبحث الأول** : العولمة نظرة في تاريخ المصطلح

:.....69

- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة :

.....77

- **المبحث الثالث** : تحديد مفهوم العولمة :

87.....

- **المبحث الرابع** : الأبعاد المختلفة للعولمة:

93.....

✓ الأبعاد الإعلامية .

✓ الأبعاد المعلوماتية .

✓ الأبعادالسياسية.

✓ الأبعادالاقتصادية.

الفصل الثالث : **العولمةالثقافية** .

- **المبحث الأول** : العولمة الثقافية نظرة في تاريخ الظاهرة

:.....119

- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية

:.....127

- **المبحث الثالث** : تعريف العولمة الثقافية:

.....131

- **المبحث الرابع** : العولمة الثقافية آليات العمل ومظاهر

التشكل:.....137

الباب الثاني: ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال وعولمة الثقافة

الفصل الأول : **تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية** .

- **المبحث الأول** : المعلومات والمعلوماتية التعريف والأهمية
:.....148
- **المبحث الثاني** : مفهوم تكنولوجيا المعلومات وعناصرها
:.....156
- **المبحث الثالث** : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا المعلومات:.....172

الفصل الثاني : العلاقة المعلوماتية – الثقافية في عصر العولمةالثقافية.

- **المبحث الأول** : الثقافة من منظور معلوماتي
:.....178
- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والمنظومة
الثقافية:.....187
- **المبحث الثالث.** مظاهر العلاقة المعلوماتية – الثقافية:.....200
  أ- الانترنيت باعتبارها مساحة ثقافية .
  ب- مجتمع المعلومات.
  ت- الصناعة الثقافية .
  ث- اقتصاد المعلومات .

الفصل الثالث : العلاقة الإعلامية – الثقافية في عصر العولمةالثقافية.

- **المبحث الأول** : مميزات الإعلام في عصر العولمة
:.....243
- **المبحث الثاني** : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا وسائل الإعلام
:.....248
  أ- تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام .

ب- الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام

- **المبحث الثالث** : انتشار ثقافة الصورة في عصر العولمة

:.....270

الفصل الرابع : الأبعاد الاقتصادية للعلاقة الثقافية – الإعلامية – المعلوماتية في زمن العولمة .

- **المبحث الأول** : طبيعة العلاقة بين الثقافة والاقتصاد في المجتمع

المعولم:.....277

- **المبحث الثاني** : نمو وتطور اقتصاد المعرفة

:.....289

- **المبحث الثالث** : تسليع الثقافة وازدهار قطاع

الخدمات:.....308

- **المبحث الرابع**: الرأسمال الرمزي ، والرأسمالية الثقافية

:.....317

الباب الثالث: إشكالية صراع وحوار الثقافات في زمن العولمة الثقافية -

الفصل الأول :النظام العالمي الجديد وجدلية صراع الثقافات

- **المبحث الأول** : الخلفيات الفكرية لخطاب صراع

الحضارات:.....329

- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد

:.....341

- **المبحث الثالث** : صراع الثقافات التعريف والأسباب:.....349
- **المبحث الرابع** : البعد الإعلامي لصراع الثقافات:.....364

الفصل الثاني : تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومحاولات الهيمنة الثقافية

- **المبحث الأول** : مفهوم الهيمنة الثقافية :.....376
- **المبحث الثاني** : محاولات النمدجة الثقافية:.....390
- **المبحث الثالث** : التعددية الثقافية في و،م،أ:.....400
- **المبحث الرابع** : تكنولوجيا الإعلام والاتصال كآلية للهيمنة الثقافية :.....408

الفصل الثالث : التنوع الثقافي وإشكالية الحوار بين الثقافات .

- **المبحث الأول** : التنوع الثقافي في عصر العولمة :.....424
- **المبحث الثاني** : حوار الثقافات في ظل التنوع والتعدد:.....443
- **المبحث الثالث** : التبادل الثقافي في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال:.....455

- **المبحث الرابع** : تأثير الصناعة الثقافية ومنطق السوق على التنوع الثقافي في العالم.....460

- الباب الرابع: إشكالية الدفاع عن الهوية الثقافية في زمن العولمة

الفصل الأول : الثقافة بين الخصوصية والكونية .

- **المبحث الأول** : مفهوم الهوية الثقافية:.....474
- **المبحث الثاني** : العلاقة بين المحلي والكوني في الثقافة العربية :.....486
-**المبحث الثالث** : نماذج من التعامل مع العولمة الثقافية:.....504
  - الصين
  - إيرلاندا

الفصل الثاني : إشكالية الدفاع عن الثقافة العربية في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام

- **المبحث الاول** : واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المجتمعات العربية:.....513
- **المبحث الثاني** : الواقع الإعلامي والمشهد الثقافي – المعلوماتي العربي :.....526

- **المبحث الثالث:** الفكر الثقافي العربي ومنطق الدفاع عن الهوية الثقافية:.....538

الخاتمة .

قائمة المراجع

ملخص الدراسة

شكر وتقدير

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى

الأستاذ المشرف البروفيسور بلقاسم بومهدي ،

الذي منحني من علمه وجهده ووقته الكثير ،

وأتقدم له بخالص التقدير على توجيهاته وجميل

صبره ، وعلى مجهوداته المتميزة التي قدمها حتى

تم إنجاز هذا البحث

أولا : فـهـرس الـجـداول

الـرقـم	الـعـنـوان	الـصـفـحـة
01	يوضح ثلاث أطروحات عن العولمة	75
02	يوضح الشركات غير المالية العابرة للقوميات الخمس عشر الكبرى في العالم 2003	113
03	يوضح الشركات العابرة للقوميات والدول القومية الثمانين الأكبر 2003	114
04	يوضح نماذج العولمة الثقافية.	129
05	يوضح تركيبة شبكة الأنترنيت.	201
06	يوضح أكبر10دول مستخدمة للأنترنيت على المستوى العالمي2002.	205
07	يوضح التزامات القمة العالمية لمجتمع المعلومات واحتمالات تحقيقها عام 2015	220
08	يوضح الاقتصاد القديم والجديد .	301
09	يوضح توزيع السوق العالمي لتكنولوجيا الاعلام والاتصال.	422
10	يوضح السوق العالمي لتكنولوجيا الاعلام والاتصال2000-	422

	2005	
11	ويوضح إسهام الدول العشرين الأوائل في الإنتاج الفكري العلمي (1990-1994)	520
12	يوضح موقع الوطن العربي في مجال الصناعة السينمائية: (مقارنة بين الدول العربية وبلدان أخرى في مجال السينما).	522
13	يوضح استيراد الأفلام في بعض الدول العربية والأوروبية.	522
14	يوضح ترتيب الدول المستعملة للأنترنات.	523
15	يوضح عدد مستخدمي الأنترنت حسب الجهات (تشرين الثاني/نوفمبر 2000)	523

ثـانـيـا : فـهـرس الأشـكـال

الـرقـم	الـعـنـوان	الـصـفـحـة
01	يوضح عولمة وترز عبر الزمن.	91
02	يوضح الاطار العام لمنظومة تكنولوجيا المعلومات.	170
03	يوضح حوار المحاور بين الثقافة وتكنولوجيا المعلومات	192
04	يوضح تغير مواقع التحالف بين القوى الاجتماعية عبر المراحل التاريخية.	196
05	يوضح عوامل التصادم الحضاري حسب أطروحة هينتغتون.	356

مقـــــــــــــــــــدمـة

مقدمة :

تعددت المحاولات المعرفية لوصف ظاهرة العولمة الثقافية "، وأخذت المسألة الثقافية في زمن العولمة موضعا هاما لدى المفكرين والباحثين في المشهد الثقافي العالمي سواء من حيث مظاهرها وأبعادها المختلفة أو من حيث المتغيرات والعوامل التي تؤثر فيها وتشكلها ، أو من حيث تطوراتها واستشراف مستقبلها .

وما تجدر الإشارة إليه ، أن الإمساك بمفهوم العولمة الثقافية وبطبيعتها أمر ليس بالسهل ، والتنظير لها محاولة صعبة أيضا ، لأنها تحيل على دراسة فضاءات رمزية ، لا مادية ، تعتبر عصية على الضبط والقياس ، لذلك نجد الدراسات المتعلقة بالعولمة الثقافية مطروحة على ضوء النظريات الأدبية أو معالجة من زاوية نظريات الاتصال ،أو موضوعة على محك النظريات السوسيوثقافية ، أو الثقافية، أو النظريات الأنثروبولوجية .

وعلى خلاف العولمة الاقتصادية ، أو العولمة السياسية ، أو المالية ، فالعولمة الثقافية تشير إلى نقل وإشاعة المعرفة والأيدلوجيات ، والفن والقيم ،والإعلام وأنماط الحياة خارج الحدود الوطنية كما تشير الى زيادة قوة التدفقات الثقافية التي تبدو في شكل حركة الأفكار ، والصور ، والمعلومات ، والبيانات ، والرموز ، وطرق العيش وحتى " البشر " على المستوى الكوني والعالمي .

وكمحاولة من قبل بعض المنظرين لوصف ظاهرة عولمة الثقافة تم تعريفها على أنها " توحيد القيم حول المرأة والأسرة ، وحول الرغبة والحاجة ، وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكل ، والملبس ، وأنها توحيد طريقة التفكير وكيفية النظر إلى الذات والآخر وإلى القيم ، وإلى كل ما يعبر عنها من سلوك " ويرى هذا الطرح بأن العولمة هي الأمركة ، والعولمة الثقافية لم تنشأ نتيجة تفاعل طبيعي بين الثقافات العالمية المتنوعة ، لكنها نشأت في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية, وطبيعة نظامها يعكس هذه الهيمنة في بنيته العميقة ، ويكرس الموقع المتميز للولايات المتحدة الأمريكية في الإنتاج الثقافي ، والدور الذي تلعبه في تعميم القيم الأمريكية على الشعوب, فالعولمة الثقافية ظاهرة تجسد الهيمنة والسيطرة والنمدجة .

على العكس ، يرى فريق آخر من الباحثين أن العولمة الثقافية بما هي تجمع للتيارات والشبكات الثقافية ، إنما هي فضاء أقل توحدا من الإمبريالية الثقافية ، والتأثيرات والتدفقات

الثقافية تذهب باتجاهات متعددة في العالم بفضل عدة عوامل، أبرزها التطورات الحاصلة في مجال وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات ، ونتائج هذه التدفقات الثقافية على الدول والمجتمعات تنحو بناحية التنوع والتعددية الثقافية أكثر منها .بناحية التوحيد والتنافس والنموذج الواحد .

وكما يقول " رولاند روبنسون " أحد المنظرين المؤيدين لهذه الأطروحة أن العولمة تشير إلى تقارب أشكال الحياة ، وهي عملية انضغاط للعالم ،واتساع الوعي ليشمل العالم كله ، على أن لا يعني ذلك إغفال الثقافات المتنوعة أمام مد العولمة الكونية ،فهناك دائما عملية مستمرة يتّحد فيها الكوني والمحلي العام والخاص بحيث يصبح المحلي نتاجا للعولمة ، أو على الأقل أحد جوانبها " فالكوني ليس في مواجهة المحلي ولا مضاد له ، وهناك دائما اختلاف وتجانس ، وتنافر وتماثل بين الثقافات .

إن العولمة الثقافية حسب هذا الاعتقاد ، لن تؤدي إلى تحقيق نمدجة ، ونجانس ثقافي ، وأن انتشار الثقافة الأمريكية ، لا يعمل على إلغاء التنوع الثقافي ، وبدلا من الثقافة الكونية أو القرية الكونية الواحدة سيكون على الأرجح عددا وافرا من القرى التي ستجاهد لتحصين فرديتها الثقافية ، وبدلا من وجود عولمة ثقافية واحدة سيكون هناك عولمات ثقافية متعددة .

إن التفكير في العلاقات بين الثقافات والحضارات، لايعتبر موضوعا جديدا على النقاش الأكاديمي والإيديولوجي العالمي ، فقد صاغت الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع الثقافي ،وعلم الإعلام الثقافي مفاهيم عديدة لفهم الآليات التي تحكمصراع الثقافات أو تفاعلها ، كما أن التفكير في تاريخ العولمة الثقافية ومظاهرها ووسائلها وآليات عملها ليس بالأمر الدخيل على البحوث والدراسات العلمية والمعرفية التي سعت الى تفسير الواقع الثقافي العالمي .

إلا أن تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والإعلام ، وإشاعة استخدام منتجاتها وتطبيقاتها وظهور الشبكات الالكترونية ، ومؤسسات الصناعية الثقافية ، وانتشار القنوات الفضائية الإعلامية واستخدامات الكومبيوتروالملتميديا والثورة التي يعرفها سوق الهواتف النقالة ، وقطاع البرمجيات والإتصالات ، وغيرها من العوامل ، أثرت على الثقافة ، سواء من حيث مكوّناتها ومضامينها أو من حيث وسائطها ومسالكها ، أو من حيث آليات تشكّلها والقوى التي تساهم في

إنتاجها و استهلاكها فأثر تكنولوجيا المعلومات و الاتصال على الثقافة يشمل جميع عناصر منظومتها بما فيها بنية الفعل الثقافي والمبادئ التي يقوم عليها وقاعدة القيم التي ينطلق منها وطبيعة المجال ، أو الفضاء الذي تتدفق فيه مجموع الثقافاتالموجودة في العالم .

إن العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والإعلام والثقافة ، والتي تتلاحم وتتشابك لحظة بعد لحظة ، أنتجت وتنتج اليوم مفاهيم جديدة ، تدعونا للتفكير في المشهد الثقافي العالمي من جديد ، وتجبرنا على اعادة التساؤل حول العولمة الثقافية ، وعن شكل العلاقات بين الثقافات والحضارات في القرية الكونية ، فانتشار ثقافة الصورة ، وتعدد الوظائف الثقافية لشبكة الأنترنيت ووسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية والالكترونية ، ونمو اقتصاد المعلومات ، وقطاع الخدمات وانتشار الثقافة الافتراضية وظهور مجتمع المعلومات وثقافة العولمة .

كلها مفاهيم انتجتها ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، التي أنتجت في الوقت نفسه علاقة على مستوى لافت للانتباهـ من التقاطع والتفاعل ــ مع طبقات الوجود الثقافي,
والاقتصادالرأسماليالعالمي تحولت معه الثقافة إلى صناعة قائمة بذاتها, وأوجدت مفاهيم وعمليات جديدة مرتبطة بهذه الصناعة الإبداعية الفريدة ،والمميزة كعملية تسليع القيم الثقافية ،وتسويق الثقافة ومفاهيم الخدمة الثقافية والإنتاج الثقافي والرأسمالية الثقافية ، أو الرمزية, والمادة الثقافية .

وتأتي هذه الدراسة لإعادة التنقيب في المسألة الثقافية في زمن العولمة ولمحاولة فهم وتفسير الإشكاليات الأساسية المتمثلة في الصراع الثقافي والتبادل بين الثقافات ومسألة الدفاع والممانعة الثقافية على ضوء ما أنتجته تكنولوجيا المعلومات والاتصال من ظواهر ومفاهيم وعمليات أثرت على العلاقات الثقافية في القرن الواحد والعشرون .

خطة الدراسة :

مقدمة .

<u>الإطار المنهجي للدراسة</u>

إشكالية الدراسة

التساؤلات الفرعية

تحديد المفاهيم الأساسية

منهج الدراسة

أسباب اختيار الموضوع

أهداف الدراسة

أهمية الدراسة

نوع الدراسة

أقسام الدراسة

<u>الإطار النظري للبحث</u>

<u>الباب الأول : الحضارة وعولمة الثقافة</u>

الفصل الأول : الحضارة والثقافة محاولة في تحديد العلاقة .

-
- **المبحث الأول** : مفهوم الحضارة .
- **المبحث الثاني** : تعريف الثقافة .

- **المبحث الثالث** : محاولات في تحديد العلاقة بين الحضارة والثقافة .

الفصل الثاني : ظاهرة العولمة وأبعادها.

-
- **المبحث الأول** : العولمة نظرة في تاريخ المصطلح .
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة .
- **المبحث الثالث** : تحديد مفهوم العولمة .
- **المبحث الرابع** : الأبعاد المختلفة للعولمة .
  - ✓ الأبعاد الإعلامية .
  - ✓ الأبعاد المعلوماتية .
  - ✓ الأبعاد السياسية .
  - ✓ الأبعاد الاقتصادية .

الفصل الثالث : العولمةالثقافية .

-
- **المبحث الأول** : العولمة الثقافية نظرة في تاريخ الظاهرة .
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية .
- **المبحث الثالث** : تعريف العولمة الثقافية .
- **المبحث الرابع** : العولمة الثقافية آليات العمل ومظاهر التشكل.

الباب الثاني : ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال وعولمة الثقافة .

الفصل الأول : تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية .

- **المبحث الأول** : المعلومات والمعلوماتية التعريف والأهمية .
- **المبحث الثاني** : مفهوم تكنولوجيا المعلومات وعناصرها .
- **المبحث الثالث** : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا المعلومات .

الفصل الثاني : العلاقة المعلوماتية – الثقافية في عصر العولمة الثقافية .

- **المبحث الأول** : الثقافة من منظور معلوماتي .

- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية .
- **المبحث الثالث**. مظاهر العلاقة المعلوماتية – الثقافية .

ج- الانترنيت باعتبارها مساحة ثقافية .
ح- مجتمع المعلومات.
خ- الصناعة الثقافية .
د- اقتصاد المعلومات .

الفصل الثالث : العلاقة الإعلامية – الثقافية في عصر العولمة .

- **المبحث الأول** : مميزات الإعلام في عصر العولمة .
- **المبحث الثاني** : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا وسائل الإعلام

ت-تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام .
ث-الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام

- **المبحث الثالث** : انتشار ثقافة الصورة في عصر العولمة .

الفصل الرابع : الأبعاد الاقتصادية للعلاقة الثقافية - الإعلامية ، المعلوماتية في زمن العولمة .

- **المبحث الأول** : طبيعة العلاقة بين الثقافة والاقتصاد في المجتمع المعولم .
- **المبحث الثاني** : نمو وتطور اقتصاد المعرفة .
- **المبحث الثالث** : تسليع الثقافة وازدهار قطاع الخدمات .
- **المبحث الرابع**: الرأسمال الرمزي ، والرأسمالية الثقافية .

<u>الباب الثالث : إشكالية صراع وحوار الثقافات في زمن العولمة الثقافية</u>

الفصل الأول : **النظام العالمي الجديد وجدلية صراع الثقافات**

- **المبحث الأول** : الخلفيات الفكرية لخطاب صراع الحضارات
- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد .
- **المبحث الثالث** : صراع الثقافات التعريف والأسباب.
- **المبحث الرابع** : البعد الإعلامي لصراع الثقافات .

الفصل الثاني : تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومحاولات الهيمنة الثقافية

- **المبحث الأول** : مفهوم الهيمنة الثقافية .
- **المبحث الثاني** : محاولات النمذجة الثقافية
- **المبحث الثالث** : التعددية الثقافية في و،م،أ .
- **المبحث الرابع** : تكنولوجيا الإعلام والاتصال كآلية للهيمنة الثقافية .

الفصل الثالث : التنوع الثقافي وإشكالية الحوار بين الثقافات .

- **المبحث الأول** : التنوع الثقافي في عصر العولمة .
- **المبحث الثاني** : حوار الثقافات في ظل التنوع والتعدد .
- **المبحث الثالث** : التبادل الثقافي في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- **المبحث الرابع** : تأثير الصناعة الثقافية ومنطق السوق على التنوع الثقافي في العالم .

<u>الباب الرابع : إشكالية الدفاع عن الهوية الثقافية في زمن العولمة</u>

الفصل الأول : الثقافة بين الخصوصية والكونية .

- **المبحث الأول** : مفهوم الهوية الثقافية .
- **المبحث الثاني** : العلاقة بين المحلي والكوني في الثقافة العربية
- **المبحث الثالث** : نماذج من التعامل مع العولمة الثقافية .
  - الصين
  - الهند
  - إيرلاندا

الفصل الثاني : إشكالية الدفاع عن الثقافة العربية في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام .

- **المبحث الاول** : واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المجتمعات العربية.
- **المبحث الثاني** : الواقع الإعلامي والمشهد الثقافي – ألمعلوماتي العربي .
- **المبحث الثالث**: الفكر الثقافي العربي ومنطق الدفاع عن الهوية الثقافية.

الخاتمة .

الاطار المنهجي للدراسة

ويتضمن:-

- إشكالية الدراسة
- التساؤلات الفرعية
- تحديد المفاهيم الأساسية
- منهج الدراسة
- أسباب اختيار الموضوع
- أهداف وأهمية الدراسة
- نوع الدراسة
- أقسام الدراسة

إشكاليةالدراسة:

يعيش العالم حاليا، وأكثر من أي وقت مضى مرحلة تتسم بالإعتماد الكبير على تكنولوجيا المعلومات والاتصال. واستخداماتها التي دخلت جميع المنظومات ،وتأثيراتها التي بلغت مختلف جوانب الحضارة والحياة ،إلا دليل على أهميتها المتزايدة . فأصبحت بالتالي محل اهتمام الباحثين، وعلماء السياسة والإعلام ، وعلماء الاجتماع ، والانثربلوجيين، وعلماء المستقبل ، بل وجميع العاملين في ميدان الفكر والمعرفة . في وقت ضاعت فيه المرجعيات وتعددت فيه النظريات والتفسيرات . وجاءت إلى الوجود مقولات وأحاديث النهايات والبدايات كما يقول علي حرب.

في عصر العولمة وثورة تكنولوجيا المعلومات والإتصالتجد المسألة الثقافية نفسها قد تغيرت بالصورة التي تغيّر معها مفهوم الثقافة نفسه . فكما كان التعريف التاريخي للثقافة الذي خلّفه عصر النهضة غير كاف في إقناع المنطق الذي جاءت به تكنولوجيا الصناعة والمجتمع الصناعي . فإن التطورات الحاصلة في زمن العولمة الثقافية ، وفي عصر التطور التكنولوجي الإعلامي والمعلوماتي السريع . لم تعد تقبل التعاريف التي جاء بها القرن التاسع عشر للثقافة .

فالعالم اليوم يصنع ،ويتوحد عبر الأقمار الصناعية، والطرقات الإعلامية، والشبكات الإلكترونية، والثورات الرمزية ، والنصوص العددية التي تجوب الأرض بسرعة الضوء،إنه أي العالم اليوم يتشكل ويتكون عن طريق المعلومات والمعارف والصور والرموز التي يتسارع مستوى إنتاجها في كل لحظة .

وهذه مؤشرات تدل على حقيقة أن العالم يتشكل بطرق مختلفة ،وتشكله قوى جديدة في واقع ألغيت فيه أبعاد المكان والزمان .

إن هذا المشهد يفضي إلى تغيير الثقافة بالذات ، فهي اليوم لم تعد كما كانت عليه سابقا . سواء من حيث أطرها ومضامينها . أو من حيث وسائطها ووسائل نشرها، أو من حيث آليات تشكلها، والقوى التي تساهم في إنتاجها وصناعتها واستهلاكها.

من جانب آخر ، كان معيار دراسة المسألة الثقافية المتعلقة بطبيعة العلاقة بين الثقافات المتنوعة في العالم ، يأخذ إحدى المعادلتين ، الثقافة بين العالمية والقومية أو الثقافة بين القومية

والخصوصية ، أما في تركيبة الواقع العالمي الجديد فقد اندكّت القواعد وانمحت الحدود ، وضاعت الأطر والمرجعيات وأصبح الإنسان في حاجة لأن يتعلم بوعي كامل ، وأحيانا بمفرده كيف يهيكلوفاءاته المختلفة في سلم عالمي بنفسه وفي حضارة كونية ، وليس داخل ثقافة واحدة ، مهّدت سبيلها ووضعت معالمها أجيال سابقة ، وعملية التغيير هاته تحمل معنى التجاوز والإنتقال من حالة قديمة إلى حالة،ومنطقة حضارية وثقافية، وحتى فكرية جديدة .

إن الدراسة للواقع الثقافي ترتبط_أكثر من أي وقت_ بالحدث ، والحدث اليوم هو ما تشهده البشرية من تحولات كبرى على غير صعيد ، وفي غير مجال خصوصا في مجال الإعلام ومنظومات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، حيث تتاح للإنسان إمكانية صناعة العالم عن طريق العدد ، والصور المفترضة ، ورأس المال الرمزي ، والمعلومات الإلكترونية ، والصور المباشرة والمعطيات الرقمية ولا شك أن هذه التطورات الهائلة تطال الثقافة بقدر ما تغير رؤيتنا إلى الفعل الثقافي نفسه .

فإذا كان ثمة عالم جديد يتشكل ويصنع بطرق مغايرة، فذلك يعني من جهة أولى أن هناك ثقافة جديدة ومختلفة يجري إنتاجها هي الأكثر فاعلية في صوغ ما يصنعه البشر بأنفسهم وبمحيطهم الكوني ، ويعني من جهة ثانية أن علاقتنا بالعالم وبالأشياء تتغير بقدر ما تتغير أنظمة الثقافة ، ووسائل إنتاجها وتسويقها وآليات صناعتها .

ولما كانت التكنولوجيا محركا أساسيا للتغيير الثقافي والحضاري وآلية محددة لمسار الانتقال التاريخي _ الاجتماعي والثقافي _ ، فتكنولوجيا المعلومات والإتصال أضافت إلى عملية التغيير هاته عامل السرعة والمرونة ، في الوقت الذي وثقت فيه الصلة بطبقات الوجود الثقافي .

فالثقافة سواء كانت تواصلا أو إبداعا ، أم حصادا ،أو توجها ، أم قيما ومعتقدات وتقاليد، أم صناعة قائمة لها وسائلها ،وخدماتها ،وسلعها ،وأسواقها ،أم باعتبارها منتوجا أو ترفيها ،أو رأسمالا جديدا ، بحاجة إلى تكنولوجيا ونظم المعلومات وتكنولوجيا وسائل الإعلام ،كونها وسيلة للتواصل وأداة للإبداع وحفظ للتراث وآلية للتوزيع والتسويق ، ومنظارا يري به الإنسان عالمه اليوم من خلال وسائل إعلامها ولوحات تحكمها، ونماذج محاكاتها ، والعلاقة الثقافية المعلوماتية

تتجلى كما يصف ذلك نبيل علي ، إذا ما أدركنا بأن الثقافة هي ما يبقى بعد زوال كل شيء ، والمعلومات هي المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقص بل ينمو مع زيادة استهلاكه .

لم يحدث أن ارتبطت الثقافة بالاقتصاد . كما هو الشأن في السنوات الأخيرة التي حقق فيها المال سيطرته وسيادته المطلقة، واخترق كل الحدود، كما لم يسبق أن احتلت المسالة الثقافية صدارة الاهتمام في عالم تحكمه عولمة اقتصادية جارفة ، وتسود فيه قيم الربح والمنفعة المادية ، لذلك لم يعد مجديا تناول موضوع الثقافة، ومستقبلها بمفاهيم متقادمة ،وبمقاربات لا تأخذ بعين الاعتبار التحولات الجذرية التي تخترق العالم .

من الإشكاليات الأساسية التي يطرحها موضوع الثقافة ،ومستقبلها في زمن العولمة ،والتي يتزايد الحديث عنها في الفترة التي يتزايد فيها خطاب نهاية عصر السيادة الثقافية للدولة ،نجد ثلاث إشكاليات نعتقد أنها محورية في فهم طبيعة العلاقات ،وشكل التفاعلات التي انتجتها ثورة تكنولوجيا المعلومات والإتصال في زمن العولمة الثقافية .

أولها : مسألة الصراع الثقافي أو كما يسمية صامويل هينثغتون " صراع الحضارات" ، والذي ينطلق فيه من فرضية رئيسية مفادها ،أن المصدر الأساسي للنزاعات في العالم لم يعد يتحدد بالعوامل الاقتصادية أو الأيدلوجية أو السياسية ، وإنما بالمعايير الثقافية، والانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المشكل للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا ، وعليه فالشعوب والدول ذات الثقافات المشتركة ستأخذ في الالتقاء ، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة ستأخذ في التباعد، والتحيزات المتحددة بالإيديولوجيا، وبعلاقات القوى العظمى ستترك طريقها لتحيزات متحددة بالثقافة ،والحضارة .

ثانيها : إشكالية التنوع الثقافي في عصر العولمة ،وما يرافقه من مفاهيم التعايش ،والتثاقف،والتبادل والحوار وما يعارض هذه الأفكار من مفاهيم السيطرة ،والنمذجة ، والتجانس والهيمنة الثقافية ، وكذا ما يتمفصل أو يتواجد بين هاتين الأطروحتين من أفكار الخصوصية الثقافية، والثقافة الكونية؛ فالتنوع طبيعي لكن التجانس ثقافي ، والحوار بين الثقافات يعد مطلب حيويا لدى كل الشعوب لتحقيق التعايش السلمي وتحويل الثقافات إلى خدمة وإحداث التنمية .

والتنوع الثقافي كما يقول" كوفي عنان" في افتتاح سنة الأمم المتحدة لحوار الثقافات في 2001 " يشكل قيمة عالمية ، وشعوب العالم هي أكثر وحدة بفعل مصيرها المشترك ، وأقل انقساما بفعل هويتها الخاصة وبجانب التنوع اللانهائي للثقافات توجد حضارة شاملة تتلاقى داخلها وتنمو بشكل سلمي ومنتج أفكار ومعتقدات إنسانية ".

وكما يرى البعض أن التنوع الثقافي مصدر من مصادر قوة الإنسانية، والمحافظة عليه يمثل ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية ،خاصة في زمن العولمة الثقافية التي ينظر إليها الكثير من المفكرين والباحثين على أنها إشاعة قيم، ومبادئ، ومعايير الثقافة الأمريكية ،والنموذج الأمريكي ،وجعله نموذجا كونيا .

وثالث هذه الإشكاليات هي مسألة الحفاظ على الهويات ،والدفاع عن الخصوصيات الثقافية للشعوب والمجتمعات في عصر يشهد التطورات المتلاحقة لتكنولوجيا الإعلام والمعلومات، وفي زمن تتداخل فيه الصور والعلامات والرموز، وتتزاحم فيه القيم والأنماط والسلوكيات، وتتشابك فيه العلاقات الإنسانية في فضاء تواصلي الكتروني لم يشهده العالم من قبل .

وهذه الإشكالية تطرح العلاقة بين الهويات الثقافية ،أو ما يصطلح عليه بالثقافة المحلية التي تدافع عنها المجتمعات الحضارية ، وبين الثقافة الكونية التي تعتبرها هذه المجتمعات اختلافا يهدد وجودها الحضاري من جهة ، ومن جهة أخرى تنظر في الأساليب والطرق والآليات التي تستخدمها الثقافات المهددة، للدفاع عن ذاتها ،و يمكن أن تحوي هذه الإشكالية دراسة مدى عقلانية ومنطقية وفعالية هذا الفعل ، _أي فعل الممانعة والدفاع_ في أساسه .

ويمكن التوضيح من باب التأصيل المنهجي والتحكم المعرفي ، على أن هذه الإشكالية الأساسية التي نحاول من خلالها فهم ،وتفسير المشهد الثقافي في عصر العولمة ، إنما تضع العامل الفاعل ،والرئيسي المتمثل في تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال ،وما تنتجه من مظاهر جديدة ، ومن تأثيرات متسارعة على الفعل الثقافي وعلى مكونات الثقافة ، وخدماتها وآليات إنتاجها وصناعتها، ووسائل نشرها وتسويقها، وكذا على أشكالها ومضامينها وحركة تفاعلاتها – تضع هذا العامل – كمتغير له التأثير البالغ في صياغة شكل العلاقات وطبيعة التفاعلات والتحديات التي تشكل اليوم الفضاء الثقافي العالمي ، في زمن يشتد فيه الترابط بين

الثقافة والاقتصاد ، وتكنولوجيات الإعلام والمعلومات ، وفي عصر يعرف واقع الصراع والمصالح، والتناقضات والتنافس.

ويمكن طرح السؤال الذي يحدد إشكالية الدراسة:

ما هي طبيعة المشهد الثقافي العالمي في ظل التأثيرات التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال على مكونات الثقافة ؟

وهل يمكن القول بوجود تنوع ثقافي في زمن العولمة ، مع وجود منطق اقتصادي تتحول معه طبقات الوجود الثقافي إلى صناعة قائمة بذاتها ؟

ولتفكيك هذه الإشكالية يمكن أن نطرح التساؤلات الفرعية التالية التي نحاول الإجابة عنها في تفاصيل هذه الدراسة:-

_الأسئلةالفرعية:

1- ما هي آليات ومظاهر العولمة الثقافية ؟

2- ما هي طبيعة العلاقة المعلوماتية_ الثقافية في زمن العولمة ؟

3- كيف يتشكل المشهد الإعلامي الثقافي في عصر العولمة ؟

4- ما طبيعة العلاقة بين الاقتصاد والثقافة ؟ وما هي الأبعاد الاقتصادية للعلاقة الثقافية_ المعلوماتية الإعلامية ؟

5- أين تقف تكنولوجيا المعلومات الاتصال من واقع صراع الثقافات ؟

6- هل تساهم تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الهيمنة الثقافية ؟ أم تساعد على زيادة التبادل والحوار بين الثقافات ؟

7- هل يسمح منطق السوق بوجود تنوع، وتعددية ثقافية في زمن ظهور الرأسمالية الثقافية والمعلوماتية ؟

8- ما هو موقع الثقافة العربية في ظل التطورات التي أحدثتها تكنولوجيات المعلومات والاتصال في عصر عولمة الثقافة ؟

9- وهل يمكن لمنطق الدفاع عن الهوية الثقافية، أن يستجيب للتحديات التي تفرضها العولمة الثقافية؟

- **تحديد المفاهيم الأساسية:**

المفاهيم الأساسية التي لها علاقة بموضوع الدراسة والتي تحدد إطار هذا البحث هي : "الثقافة "و"الحضارة " "العولمة الثقافية " " التنوع الثقافي " " الصراع الثقافي " "تكنولوجيا المعلومات والاتصال " " الصناعة الثقافية " ، والتبادل الثقافي، وتكنولوجيا وسائل الإعلام .

1/ تعريف الحضارة:

لغة : تعرف كلمة حضارة في معجم متن اللغة كما يلي : الحضارة ضد البداوة ، والإقامة في الحضر " أخص من ذلك " الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر ، والحضارة " Civilisation " والتحضر والتمدن " Urbanisation " بالغة الانكليزية .

- في معجم الوسيط : الحضارة هي الإقامة في الحضر ، وهي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر .
- ومع أن استعمال هذا اللفظ قديم، فإن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو "ابن خلدون " فقد فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود ، فالبدو أصل الحضارة، لكن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران[1].
- والحضارة كما يعرفها مالك بن نبي هي "حصيلة تفاعل الجهد الإنساني مع سنن الأفاق والأنفس والهداية من أجل الترقي المعرفي والروحي، والسلوكي والعمراني في عالم الشهادة".

---

[1] آمنة تشيكو : **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وآرنولد توينبي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 ، ص 17،18 .

ويعرّفها أيضا بأنها " مجموع العوامل المعنوية والمادية التي تسمح لمجتمع ما بأن يمنح كل فرد فيه، وفي كل نواحي الحياة ، ومن طفولته حتى شيخوخته ، المساعدة، والقدرة التي يستحقها في إحداث التقدم والتطور [2].ويعرفها " صامويل هينثغثون " الحضارة هي كيان ثقافي واسع يمثل أعلى مستويات الهوية الثقافية ، بحيث لا يوجد مستوى أعلى للتحديد والتمايز ألهوياتيمن مستوى الحضارة " [3].

2/ تعريف الثقافة:

يعرفها مالك بن نبي بأنها " فكرة ذات وجود متعددة، فهي ليست مجموعة من الأفكار ، أو مجموعة من الأفكار والأشياء ، ولا يكفي أن تكون انعكاسا للمصنع وينظر إليها على أنها علاقة متبادلة بين السلوك الاجتماعي لدى الفرد ، وأسلوب الحياة في المجتمع ، وبين أسلوب الحياة وسلوك الفرد ، والسلوك هو الشيء غير الموجود في التعريف الغربي للثقافة لأنه عنصر ضمنته الحضارة الغربية، وعنصر منحته الإيديولوجياالماركسية للتعريف الماركسي للثقافة "[3] .

لغة : في لسان العرب يقول في المجلد العاشر " يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم " ويقول ابن دريد " ثقفت الشيء حدقته ، وفي حديث الهجرة " هو غلام شاب لقن ثقف " أي ذو فطنة وذكاء .

والعلامة " فريد وجدي يقول في دائرة معارف القرن العشرون " ثقف ، يثقف ثقافة : فطن وحدق وثقف العلم في أسرع مدة ؛أي أسرع في أخذه [4].

ويكن تعريف الثقافة بأنها " منظومة رمزية من القيم والمعايير تخلع بواسطتها جماعة بشرية معينة على وجودها وتجاربها ونشاطاتها " [5].

---

[2]MalekBennabi ;**Les GrandsThems**Edition El Borhan .Alger .2005 , P 33 .

[3]صامويل هينتغتون ، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوتومصمود محمد خلف : **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي** الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا ، ط1 ، 1999 ، ص 19 .

3مالك بن نبي :**مشكلة الثقافة** ، دار الفكر ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دمشق،ط01 ، 2005 ، ص 19.

[4] المرجع نفسه ، ص 41.

[5]نبيل علي :**الثقافة العربية وعصر المعلومات** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ط01، 2001 ، ص ص 126،127.

وقد عرفت منظمة اليونسكو الثقافة بأنها "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مصنعا مجتمعا أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والأدب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"[6].

ويتقاطع هذا التعريف مع المفاهيم الانثروبولوجية، التي أعطيت للثقافة والتي نذكر منها : "الثقافة هي مجموع جوانب الفضاء التواصلي البشري ، أي إدراك البشر لواقعهم والدلالة التي يسندونها له والمشاريع التي يتبنونها لتغييره، وتحريره بالإضافة إلى أنماط العلاقات التي يقيمونها فيما بينهم [7].

ويمكن تعريف الثقافة في بعدها المعلوماتي باعتبارها نسق اجتماعي قوامه القيم والمعتقدات والمعارف والفنون والعادات والممارسات والأنماط المعيشية وهي تعتبر نسق من الرموز ، وهي أيدلوجيا أو المنظار الذي يرى الفرد من خلاله ذاته ومجتمعه ، وعالمه ولتكنولوجيا المعلومات والاتصال دور فاعل في إحداث هذه النظرة وبصفتها تواصلا من خلال أنماط العلاقات والمعني والخبرات بين الأجيال وبين المجتمعات ولتكنولوجيا الإعلام والمعلومات علاقة وطيدة في هذه العملية [8].

3-مفهوم تكنولوجيا المعلومات:

ينظر إلى تكنولوجيا المعلومات على أنها التقنيات والعمليات والنظريات ذات العلاقة بجمع المعلومات وتخزينها واسترجاعها ، وبثها ولهذا فهي التقنيات الدائرة حول الحوسبة والاتصالات السلكية واللاسلكية وحقول المعرفة الناشئة عنها كالذكاء الاصطناعي ، والتخصصات القائمة كعلم المعلومات والمكتبات .

وقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات منظومة قائمة ، تحتوي على عناصر داخلية ، ولها تأثير على العناصر المكونة للمنظومة الاجتماعية المتمثلة في الثقافة، والاقتصاد ، والسياسة ، ولها علاقة مع التكنولوجيات الأخرى كتكنولوجيا الزراعة ،والصناعة، وتكنولوجيا الطب ، والتعليم

---

[6] محمد محفوظ : **الحضور والمثاقفة ، المثقف العربي وتحديات العولمة** ، المركز الثقافي العربي . الرباط ،ط01، 2000 ص 20.

[7] السيد ولد أباه : **إتجاهات العولمة إشكالية الألفية الجديدة** ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، ص 85 .

[8] نبيل علي :**الثقافة العربية وعصر المعلومات** ، مرجع سبق ذكره، ص ص 126 ، 127 .

والإعلام وغيرها ، وتتعامل مع فئات اجتماعية مختلفة منها الإعلاميون، ومستخدمو نظم المعلومات، والتربويون وغيرهم .

وسنوضح في هذا المقام العناصر الداخلية المكونة لتكنولوجيا المعلومات التي اندمجت في شبكة الأنترنات وهي عنصر _ العتاد _ والبرمجيات _ والاتصالات.

أ- **عنصر العتاد:** وينقسم إلى فرعين أساسين الكومبيوتر ، وملحقات ويمكن تلخيص توجهات تطور شق العتاد في القائمة التالية :

التوجه الأول: نحو الأصغرو الأسرع والأرخص والأسهل استخداما .

التوجه الثاني : من المركزية والتلاحق ألى اللامركزية، والتوازي ويقصد بها مركزية الذاكرة _ ذاكرة وحيدة _ ومركزية المعالجة الحسابية والمنطقية = وحدة معالجة وحيدة = .

التوجه الثالث : حدة التنافس بين الكومبيوتر الشخصي ، والكومبيوتر الشبكي حيث تدور معركة حاليا بين فرقيين .أحدهما يتبنى فكرة أن يكون الحاسب الشخصي P.C هو أداة المستخدم للنفاد إلى شبكة الانترنيت .ويتزعم هذا الفريق شركة _ مايكروسوفت _ وفريق أخر تتزعمه شركة – صن ميكروسيستيم – تتبنى فكرة الكومبيوتر الشبكي NC:computer network يقسم بالبساطة . بلا وحدات تخزين ، أو نظم تشغيل معقدة ، كومبيوتر يتعامل مع الانترنات مباشرة باعتبارها مستودع معلوماته .

التوجه الرابع : نحو ملحقات طريقة أكثر تنوعا، وكفاءة تتجاوز ثنائية لوحة المفاتيح والفأرة ملحقات تتعامل مع النصوص ، وبرسوم والصور والموسيقى والكلام وشاشات عرض ثرية الألوان لتلبية مطالب فنون التشكيل وكذا ملحقات التعامل مع نظم الواقع الخائلي .

ب-**عنصر البرمجيات** : مصطلح الشق الذهني " Software " ويعني كل ما هو ذهني أي ليس ماديا ، فه يشمل بالإضافة غلى برامج الكومبيوتر الدراسات والمخططات والتصميمات وما شابه ، ويشمل كذلك محتوى الموسيقى والأفلام والنصوص والتسجيلات المسموعة والمرئية .

وتنقسم البرمجيات إلى ثلاثة فروع :

– برمجيات التحكم في تشغيل الكومبيوتر وشبكات الاتصال : وهي تناظر آلات التشغيل ، ووسائل الإنتاج في الصناعات التقليدية ، وتشمل أساسا _ نظام التشغيل ومثالها الشهير نظام Windows ونظم التحكم في شبكات نقل البيانات .

– أدوات برمجية وتشمل ملفات البرمجة وأدوات زيادة الإنتاج ، من نظم تنسيق الكلمات . وقواعد البيانات ، وبرمجيات العرض وأدوات تصميم الرسوم وتحرير الموسيقى وخلافه .

–البرامج التطبيقية: وتغطي من منظور الثقافة مجالات أساسية عدة هي : الوسائط المتعددة ، والنشر الالكتروني ، ونظم خدمات المعلومات ، ومعالجة اللغة آليا.

ج– عنصر الاتصالات

لقد ارتقى العنصر من كونه عنصرا مكملا ألى دور الشريك الكامل ، وقد حولته شبة الانترنيت . وطريق معلوماتها الفائق السرعة من مجرد وسيلة الاتصال إلى وسيلة لنقل منتجات صناعة . وأهم توجهات هذا العنصر :

1– رقمنة في كل اتجاه (شبكات رقمية، معدات اتصال رقمية .....) وهواتف رقية ، وهو ما أدى غلى توسيع نطاق الخدمات الهاتفية وتنوعها .

2– الانتقال من كابلات النحاس إلى الألياف الضوئية .

3– انتشار المعدات النقالة من هواتف حمولة وحواسب جيب . وكتب ومذكرات إلكترونية .

4– اندماج خدمات الهواتف مع خدمات الفاكس والبريد الالكتروني ، والبحث عن المعلومات والإبحار في الانترنت .

5– خصخصة مؤسسات الاتصال الوطنية ، وهي الظاهرة اتي انتقلت من أمريكا إلى اليابان ومعظم دول أوروبا . وقد صاحب عملية الخصخصة إطلاق المنافسة بين المؤسسات الاتصال وشركات تليفزيون الكابل . وشركات الكومبيوتر لتقديم قائمة الخدمات الهاتفية والمعلوماتية والإعلامية نفسها بعد أن تداخلت هذه الخدمات بفضل الرقمنة أساسا [9].

[9] المرجع نفسه ، ص 84 .

4- تكنولوجيا الاتصال والإعلام:

تعرف تكنولوجيا الاتصال على أنها: "مجمل المعارف والخبرات والمهارات المتراكمة والمتاحة، والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية ، والإدارية المستخدمة في جميع المعلومات ومعالجتها وتخزينها ونشرها وتبادلها . أي توصيلها إلى الأفراد والجماهير وتطبيق ذلك عمليا" .

يمكن أن نعرف تكنولوجيا الاتصال بانها :" مجموع التقنيات والأدوات التي توظف لمعالجة المضمون أو المحتوى . الذي يراد توصيله بعملية الاتصال الجماهيري أو الالكتروني أو الشخصي أو الجمعي .أو التنظيمي التي بها تجمع المعلومات والبيانات المسموعة والمكتوبة والمرئية والمطبوعة والرقمية.عن طريق الحاسبات الالكترونية، ثم عملية تخزين هذه البيانات والمعلومات، واسترجاعها في الوقت المناسب. ثم نشر هذه المواد الاعلامية والاتصالية أو المضامين المسموعة والمرئية والالكترونية من مكان إلى آخر ، وتبادلها "[10].وتتمثل تكنولوجيا الاتصال والإعلام على عدد كبير من أشكال التكنولوجيا وتتمثل في:

1- تكنولوجيا الحواسيب والانترنت .

2- تكنولوجيا الاتصال الكابلي .

3- تكنولوجيا الأقمار الصناعية.

4- تكنولوجيا الألياف الضوئية.

5- تكنولوجيا الميكروريف. وتكنولوجيا الاتصالات الرقمية [11].

خصائص تكنولوجيا الاتصال الحديثة : وتمثل مميزات تكنولوجيا الاتصال في :

-**التفاعلية** : وتطلق هذه السمة على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير عى أدوار الآخرين واستطاعتهم تبادلها ، ويطلق على ممارسته الممارسة المتبادلة أو التفاعلية ، وهي تفاعلية بمعنى أن هناك سلسلة من الأفعال الاتصالية التي يستطيع الفرد (أ) أن يأخذ غيها موقع الشخص (ب) ، ويقوم بأفعاله الاتصالية ، المرسل يستقبل ويرسل في

---

[10]شريف درويش اللبان : **تكنولوجيا الاتصال ، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية** ، المكتبة الإعلامية ، القاهرة 2000 ، ص 103 .

[11]نبيل علي :**الثقافة العربية وعصر المعلومات** . مرجع سبق ذكره ، ص 345 .

نفس الوقت وكذلك المستقبل ، ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ " المشاركين " بدلا من " المصادر " ومثال على ذلك التفاعلية في بعض أنظمة النصوص المتلفزة .

ونتج عن هذا التفاعل انحسار" تحكم الدولة في مصادر المعلومات والأخبار وأصبح الفرد مسؤولا مسؤولية كاملة في اختيار معلوماته وبرامجه وذلك وفق اتجاهاته وإمكانياته وقدراته الإدراكية ".

-**اللاتزامنية (عد الارتباط بعنصر الوقت):** وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم ، ولا تتطلب من كل المشاركين أن يستخدمون النظام في الوقت نفسه ، فمثلا في نظام البريد الالكتروني ترسل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة غلى مستقبلها في أي وقت ، دون حاجة لتواجد مستقبل الرسالة.

-**التوجه نحو التغير (قابلية التحرك أو الحركية):** تتجه رسالة الاتصال الجماهيرية في ظل هذه الثورة إلى وسائل صغيرة يكن نقلها من مكان إلى أخر ، وبالشكل الذي يتلائم وظروف مستهلك هذا العصر الذي يتميز بكثرة التنقل والتحرك ، عكس مستهلك العقود الماضية الذي اتسم بالسكون والثبات ، ومن الأمثلة عن الوسائل الجديدة : تلفزيون الجيب ، الهاتف النقال ، الحاسوب النقال المزود بطابعة الكترونية .

-**قابلية التحويل:** وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسط إلى آخر ، كالتقنيات التي يكنها تحويل الرسالة إلى المسوعة إلى رسالة مطبوعة وبالعكس وهي في طريقها لتحقيق نظام للترجمة الآلية ، وقد ظهرت مقدمات في نظام المينيثال " Minitel " الفرنسي ، فالحدود أو الفروق أو السمات التي كانت تميز وسائل الاتصال الجماهيرية عن بعضها البعض ، قد زال بعضها وبعضها الآخر في طريقه غلى الزوال ، فالأفلام السينائية يمكن عرضها في دور السينما ، شاشة التلفزيون وعلى أشرطة الفيديو كاسيت وعلى الأسطوانات المدمجة على الرغم من اختلافها في الشكل .

-**قابلية التوصيل والتركيب:** لم تعد شركات صناعة أدوات الاتصال تعمل بمعز عن بعضها البعض فقد اندمجت أنظمة الاتصال ، واتحدت الأشكال والوحدات التي تصنعها الشركات المتخصصة في صناعة أدوات الاتصال ، ومن الأمثلة الدالة عل ذلك : وحدات الهوائي المقعر الذي يمكن تجميعها من موديلات مختلفة الصنع ، لكنها تؤدي وظيفتها

في مجال استقبال الإشارات التلفزيونية على أكمل وجه ، فهناك الهوائي القائم على الوحدات التالية : الصحن من صنع " ركة إيستونEston " ، والديمو (المحلل) من صنع " شركة ناكست ويف NextWave " والرأس من صنع شركة " شارب Sharp ".

-**اللاجماهرية (الرسائل الإعلامية الشخصية):** ومعناه أن رسائل الاتصال قد توجه إلى مجموعة من الأفراد (الجماهير) أو قد توجه إلى فرد بعينه ، فقد سمحت الوسائل الجديدة للفرد أن يستقيل عن المجموع من حيث الرسائل التي يتابعها ، ومثال ذلك محطات البث التلفزي في البلدان المتقدمة التي تقدم برامج متنوعة حسب طلب المشترك ورغباته .

-**الشيوع والانتشار:** ونعني به الانتشار المنهجي لنظام وسائل الاتصال حول العالم في داخل كل طبقة من طبقات المجتمع ، وكل وسيلة تظهر تبدو في البداية على أنها ترف ثم تتحول إلى ضرورة ، نلمح ذلك في التلفزيون ثم الفاكسميل ، وكلا زاد عدد الأجهزة المستخدمة زادت قيمة النظام لكل الأطراف المعنية ، وفي رأي " ألفين توفلرA.Tophler " أن من المصلحة القوية للأثرياء هنا أن يجدوا طرقا لتوسيع النظام الجديد للاتصال ليشمل لا ليقضي من هم أقل ثراء ، حيث يدعمون بطريقة غير مباشرة الخدمة المقدمة لغير القادرين على تكاليفها .

-**الكونية:** البيئة الأساسية الجديدة لوسائل الاتصال هي بيئة عالمية دولية ، حتى تستطيع المعلومة أن تتبع المسارات المعقدة تعقد المسالك التي يتدفق عليها رأس المال إلكترونيا عبر الحدود الدولية جيئة وذهابا ، من أقصى مكان في الأرض إلى أدناه في أجزاء على الألف من الثانية ، إلى جانب تتبعها مسار الأحداث الدولية في أي مكان من العالم .

وباختصار فقد لخص أحد الخبراء سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة في قوله " الخدمات التي أتيحت نتيجة التحول من الصوتي إلى الرقمي ، ومن الالكتروني إلى الفوتون ، ونحو الرخيص المتاح دوما،ومن الخاص إلى العام ، والمتنوع إلى الكامل ، ومن السلبي أحادي الاتجاه إلى التجارب ثنائي الاتجاه ومن الثابت إلى النقال ، ومن الشفرة الإنجليزية إلى الشفرة متعددة الاتجاهات [12].

---

[12] محمود علم الدين : **ثورة المعلومات ووسائل الاتصال ، التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال** ، مجلة السياسة الدولية ديسمبر 1996 ، ص 107 .

5- مفهوم العولمة الثقافية:

تعرف العولمة الثقافية بانها " نقل وإشاعة المعرفةوالإيديولوجيا والفن والإعلام وأنماط الحياة خارج الحدود الوطنية "[13].

وهناك من يعرف العولمة الثقافية بأنها " إشاعة قيم ومبادئ ،ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونيا يتوجب تبنيه وتقليده وقد استفاد من التطور السريع في وسائل وتقنيات الإعلام والاتصال "[14].

ويمكن أن نعرف العولمة الثقافية من خلال العمليات التي تشتمل عليها المرحلة العاصرة وهي :

1. وجود بنيات تحتية ثقافية للتكنلوجيا تعمل بفعالية لم يسبق لها مثيل .
2. الارتفاع النتائج في سرعة التبادلات الثقافية عبر الحدود وبين المجتمعات.
3. ظهور لا نظير له للثقافة الغربية كعلامة مركزية للتفاعل الثقافي العالمي.
4. ظهور الشركات العابرة للقوميات في الصناعات الثقافية التي تنشىء البنية التقنية الضرورية للانتشار المتزايد وتدعيمها .
5. ظهور الصناعة الثقافية، والثقافة الصناعية بوصفها دافعا للتبادل الثقافي.
6. التحول في " جغرافية " التفاعل الثقافي مقارنة بعالم ما قبل الحرب العالمية الثانية [15].

6- التبادل الثقافي :

يقصد بالتبادل الثقافي ذلك النشاط الذي يعبر عن تفاعل الحضارات والثقافات ، بما فيها من تأثر وتأثير طبيعي ، وضروري بين الثقافات البشرية ، ويقوم هذا التبادل بين الأمم على أساس الحوار المبنى على الاعتراف بأن لدى الأخرين ما نتعلمه منهم ، وأن لدينا ما نعلمه للآخرين .

---

[13] ورويك موراي، ترجمة سعيد منتاق :**جغرافيات العولمة** ، قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافيةسلسلة عالم المعرفة ، عدد 397، فيفري 2013 ، ص 276 .

[14] يحي اليحياوي : **كونية الاتصال ، عولمة الثقافة ، شبكات الارتباط والممانقة** ، منشورات عكاظ ، المغرب 2011، ص 99 .

[15] سمير أمين ، برهان غليون : **ثقافة العولمة ، وعولمة الثقافة** ، دار الفكر ، سوريا ، ط02، 2002 ، ص 44 .

وعملية التفاعل مرهونة أساسا بفهم الذات الثقافية كمقدمة لفهم الآخرين فهي تتعلق بالمستقبل ، والتجديد والقدرة على الإفادة من الآخرين من خلال الدراسة المتأنية لنقاط القوة والضعف في الأطراف التي يتم بينها التفاعل .

7- الصراع الثقافي :

يظهر في حالة التعارض الكامل بين الثقافات المتفاعلة ، واستحالة التقاء ثقافتين أو إجراء أي تبادل بينهما ، ويعمل كل طرف على تقويم الذات في مواجهة الطرف الأخر للقضاء على ثقافة ، وحينها يكون أي نجاح لطرف خسارة مباشرة للطرف الأخر ، النظرية الصفرية . وتؤدي هذه العلاقة إلى الشعور بالكراهية والمرارة بين الطرفين ، وغالبا ما تأخذ صورة العلاقة بينها طبيعة عنيفة ، ويحاول فيها كل طرف استخدام القوة لفرض ثقافة وقيمه على الطرف الأخر[16].

8- التعددية الثقافية :

تعبير صاغه " هوراس كولين " أمريكي عام 1942 وهو تعبير عن التنوع ، والاختلاف والتعدد ، لا التمثيل ، والكلية ، والواحدية ، وأفكار التنوع صحيحة وذات جاذبية ، فالاختلاف والتنوع يميزان العوالم الطبيعية والفيزيائية والثقافية . [17]

9-الصناعةالثقافية:

هي الصناعات التي تنتج وتوزع المنتوجات والخدمات أي " التي يتبين لدى النظر عنقيمتها أو أوجه استعمالها أو غايتها المحددة . أنها تجسد أو تنقل أشكالا للتعبير الثقافي بصرف النظر عن قيمتها التجارية " حسب نص تعريفها في إتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي التي اعتمدتها اليونسكو عام 2005 ، ويدخل في الصناعات الثقافية ما يلي : النشر المطبعي ، والموسيقى ، الإنتاج السينمائي والسمعي البصري والمتعدد الوسائط ويدرج في عداد هذه الصناعات الحرف اليدوية والتصميم مجالين للنشاط ليسا من الصناعات الثقافية بالمعنى الدقيق

---

[16]نظام محمود بركات : **التبادل اللامتكافئ بين الثقافة العربية والغربية** ، الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، عدد 29 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر 2003 ، صص 158،182 .

[17]راسل جاكوبي، ترجمة فاروق عبد القادر: **نهاية اليوتوبيا السياسية والثقافة في زمن اللامبالاة**، سلسلة عالم المعرفة ، عدد269،ماي2001، الكويت، ص 46.

لكن لها أوجه شبه قوية بها من حيث الإدارة مثلا .إذ أنها تؤدي إلى نشوء شركات صغيرة ومتوسطة وقد توسع المفهوم ليشمل صناعات الإبداع التي تضم الهندسة المعمارية وشتى الفنون وتمثل هذه الصناعات حتى اليوم في شكل مطرد مستقبلا . أحد قطاعات الاقتصاد والتجارة الأقوى نشاطا في العالم . وتفتح أمام البلدان النامية آفاقا تجارية جديدة ، وتمثل هذه الصناعات حاليا أكثر من 7% من إجمالي الناتج العالمي ، ويتوقع لها حسب تقديرات حديثة أن ترتفع هذه النسبة إلى 10% في السنوات المقبلة [18].

10- مفهوم الهوية الثقافية :

تعرفها منظمة اليونسكو في وثيقة بـ 6 لغات سنة 1987 بانها " الهوية الثقافية اساسا هي التماثل التلقائي كأفراد مع مجتمعهم القومي والإقليمي والمحلي واللغوي ، وقيمه الخاصة (الأخلاقية والجمالية ....الخ) ومع السلوك الذي من خلالهيستوعبون تاريخه وتقاليده وعاداته وأنماط حياته والشعور بالاستمرارية والمشاركة ، أو صياغة مصير مشترك ، والطريقة التي تبرز بها ذواتنا في "أنا" جماعية نرى من خلالها صورنا وانعكاساتنا باستمرار ، والتي تمكننا من بناء شخصيتنا من خلال التعليم ونعبر عنها في العمل الذي يؤثر بدوره على العالم الذي نعيش فيه "[19].

منهج الدراسة :

إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعرف على أنه دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة أو موقف ما .أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع "[20] وتتضمن الدراسة الوصفية عرض لطبعة وخصائص وأوصاف وملامح طاهرة معينة ، وذلك للإجابة على السؤال ماذا ؟ ومحاولة معرفة العوال والظروف والعمليات المرتبطة بحدوث الظاهرة

---

[18] منشورات منظمة اليونسكو، ترجمة علال الادريسي:**التنوع الثقافي اللغوي في مجتمع المعلومات**,2005.

[19] هارلانكليفلان ، ترجمة جمال علي زهران ومحمود اسماعيل محمد :**ميلاد عالم جديد،فرصة متاحة لقيادة عالمية** ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط01 ، 2000 ، ص 64 .

[20] حسين عبد الحميد رشوان : **في مناهج العلوم** ، مؤسسة شبان الجامعة ،الإسكندرية ، ط01، 2003 ، ص 21 .

تتطلب الإجابة على السؤال لماذا ؟ وكيف ؟ ولهذا نستخدم التحليل لتجزئة المشكلة البحثية وتوضيح المتغيرات التي تشكل العلاقات بين أجزاء الظاهرة .

فالبحث عن المسالة الثقافية في عصر العولمة ومحاولة فهم الإشكاليات الأساسية المتعلقة بها والمتمثلة في إشكالية صراع الثقافات وحوارها والدفاع عنها تتطلب التفسير والوصف والتحليل خاصة مع تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام ، هذا المتغير المحوري الذي يضعه الباحث لمحاولة فهم واقع وأبعاد المشهد الثقافي في زمن العولمة الثقافية .

أسباب اختيار الموضوع :

تعود الأسباب التي جعلت الباحث يختار هذا الموضوع عن غيره من المواضيع العلمية والمعرفية الأخرى، إلى اهتماماته العلمية بمثل هذه المواضيع التي تستدعي إلقاء الضوء عليها ، والبحث فيها ، والدراسة المعمقة الهادفة . في محاولة جاءت لفهم الظاهرات الحاصلة على المستوى العالمي وما يتعلق بها ، بخاصة الجوانب الثقافية الحضارية يمكن أن تفسر لنا وضع يعيشه العالم في ظل العولمة ، وإنتاجاتها ، وكذا انعكاساتها ورهاناتها .

وفي ظل هاته التطورات التي يشهدها عالم ما بعد الصناعة ، وبخاصة في املياديين الاعلامية ، والتكنولوجية والمعلوماتية ، والتي انتجت تفاعلات من شكل جديد ، وفاعلين دوليين جدد نحاول ربط العلاقة أو محاوة تفسيرها بين (الثقافة) طبقت الوجود الثقافي (وبين هاته المتغيرات ، باعتماد الوصف والتحليل والتفسير الذي يؤدي بناإلى معالجة الظاهرة في شكلها المركب . ومحاولة تفسير طبيعة العلاقة بين الثقافة ، وتكنولوجيا المعلومات في زمن العولمة ، بالتركيز على العامل الاقتصادي الثقافي ، وما يمكن أن تؤدي إليه التفاعلات ،والعلاقات على الثقافات في المجتمع المعولم .

أهداف البحث، وأهمية الدراسة:

من خلال هذه الدراسة التي تطرقنا إلى موضوع الثقافة في زمن العولمة بين التنوع والنمذجة " يمكن أن نسجل الأهداف العلمية التي سعت إلى تحقيقها ، والتي تشمل في دراسة التطورات الحاصلة على المستوى العالمي وما يتعلق بالجوانب الثقافية المعلوماتية ، الاقتصادية ، وما

يمكن أن نحصله على مستوى العلاقات الدولية في ظل عولمة تختفي فيها أبعاد الزمان والمكان .

وكهدف أخر تسعى الدراسة إلى تحقيقه هو محاولة إعطاء صورة واضحة للمشهد العالمي الثقافي وطبيعة التفاعلات والتأثيرات والمتغيرات التي ترسم هاته العلاقات والتفاعلات ، من خلال التركيز على الأبعاد التي تتدخل بشكل مباشر وغير مباشر في المسألة الثقافية العالمية والتي يمكن تحديدها في البعد الاقتصادي ، والمعلوماتي التكنولوجي (الإعلامي) .

وكمحاولة لوضع الدراسة في إطارها العلمي المعرفي حاولنا معالجة إشكاليات رئيسية يمكن أن تفرضها أبعاد المسألة الثقافية في زمن عولمي ، هي مسألة الصراع الثقافي ، والحوار ، وكذا الدفاع أو المناضلة ، وهي إشكاليات يمكن أن يعبر عنها انطلاقا من مفهومي التعدد أو التنوع ، ومفهوم النمدجة أو الواحدية ، هو هدف تحاول الدراسة الوصول إليه باستخدام منهج علمي تحليلي ، يمكن أن يعطينا حقيقة المشهد العالمي .

وانطلاقا من هذه الأهداف تتضح أهمية الموضوع التي يمكن أن تؤكد على جانبين منها :

- أهمية معرفية.
- أهميةعلمية.

نوع الدراسة :

تدخل هذه الدراسة النظرية ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التي تحاول كشف الحقائق الراهنة التي تتعلق بالظاهرة موضوع البحث وتحدد أبعادها ومؤشراتها المختلفة .

وتهدف الدراسة الوصفية إلى تقرير خصائص مشكلة معين دراسة ظروفها المحيطة بها ، أي كشف الحقائق والعلاقات التي تتعلق بظاهرة أو موقف ، أو مجموعة من الأفراد ، مع تسجيل دلالاتها ، وخصائصها وتصنيفها وكشف ارتباطاتها بمتغيرات أخرى بهدف تفسير هذه الظاهرة تفسيرا دقيقا وشاملا من كافة جوانبها ، أو لفت النظر إلى أبعادها المختلفة ولهذا جاء الوصف والتحليل ملازما لمعظم فصول هذه الدراسة.

أقسام الدراسة: وقد انقسمت الدراسة الى ما يلي:

الباب الأول : الحضارة وعولمة الثقافة

الفصل الأول : الحضارة والثقافة محاولة في تحديد العلاقة

- **المبحث الأول** :تعريف الحضارة .
- **المبحث الثاني** :مفهوم الثقافة .
- **المبحث الثالث** :الفرق بين الحضارة والثقافة .

الفصل الثاني : ظاهرة العولمة وأبعادها

- **المبحث الأول** : العولمة نظرة في تاريخ المصطلح .
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة .
- **المبحث الثالث** : تحديد مفهوم العولمة .
- **المبحث الرابع** : الأبعاد المختلفة للعولمة .
  - ✓ الأبعاد الإعلامية .
  - ✓ الأبعاد المعلوماتية .
  - ✓ الأبعاد السياسية .
  - ✓ الأبعاد الاقتصادية .

الفصل الثالث : العولمة الثقافية .

- **المبحث الأول** : العولمة الثقافية نظرة في تاريخ الظاهرة .
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية .
- **المبحث الثالث** : تعريف العولمة الثقافية .
- **المبحث الرابع** : العولمة الثقافية آليات العمل ومظاهر التشكل

الباب الثاني : ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال وعولمة الثقافة .

الفصل الأول : تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية .

- **المبحث الأول** : المعلومات والمعلوماتية التعريف والأهمية .
- **المبحث الثاني** : مفهوم تكنولوجيا المعلومات وعناصرها .

- **المبحث الثالث** : الأبعاد / الوظائف الثقافية لتكنولوجيا المعلومات .

الفصل الثاني : العلاقة المعلوماتية – الثقافية في عصر العولمة الثقافية .

- **المبحث الأول** : الثقافة من منظور معلوماتي .
- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية .
- **المبحث الثالث** .مظاهر العلاقة المعلوماتية – الثقافية .

ذ- الانترنيت باعتبارها مساحة ثقافية.

ر- مجتمعالمعلومات.

ز- الصناعةالثقافية.

س- اقتصاد المعلومات .

الفصل الثالث: العلاقة الإعلامية – الثقافية في عصر العولمة .

- **المبحث الأول** : مميزات الإعلام في عصر العولمة .
- **المبحث الثاني** : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا وسائل الإعلام

ج- تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام .

ح- الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام

- **المطلب الثالث** : انتشار ثقافة الصورة في عصر العولمة .

الفصل الرابع : الأبعاد الاقتصادية ، العلاقة الثقافية ، الإعلامية ، المعلوماتية في زمن العولمة .

- **المطلب الأول** : طبيعة العلاقة بين الثقافة والاقتصاد في المجتمع المعولم .
- **المطلب الثاني** : نمو وتطور اقتصاد المعرفة .
- **المطلب الثالث** : تسليع الثقافة وازدهار قطاع الخدمات .
- **المطلب الرابع** : الرأسمال الرمزي ، والرأسمالية الثقافية .

الباب الثالث: إشكالية صراع وحوار الثقافات في زمن العولمة الثقافية

الفصلالأول: النظام العالمي الجديد وجدلية صراع الثقافات

- **المطلبالأول**: الخلفيات الفكرية لخطاب صراع الحضارات
- **المطلبالثاني**: طبيعة العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد.

- **المطلب الثالث:** صراع الثقافات التعريف والأسباب.
- **المطلبالرابع:** البعد الإعلامي للصراع الثقافات.

الفصل الثاني: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومحاولات الهيمنة الثقافية

- **المطلبالأول:** مفهوم الهيمنة الثقافية.
- **المطلب الثاني** : محاولات النمدجة الثقافية
- **المطلبالثالث:** التعددية الثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية.
- **المطلب الربع** : تكنولوجيا الإعلام والاتصال كآلية للهيمنة الثقافية .

الفصل الثالث: التنوع الثقافي وإشكالية الحوار بين الثقافات.

- **المطلب الأول** : التنوع الثقافي في عصر العولمة .
- **المطلب الثاني:** حوار الثقافات في ظل التنوع والتعدد.
- **المطلبالثالث:** التبادل الثقافي في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- **المطلبالرابع:** تأثير الصناعة الثقافية ومنطق السوق على التنوع الثقافي في العالم.

الباب الرابع : إشكالية الدفاع عن الهوية الثقافية في زمن العولمة

الفصل الأول : الثقافة بين الخصوصية والكونية .

- **المطلب الأول** : مفهوم الهوية الثقافية .
- **المطلب الثاني** : العلاقة بين المحلي والكوني في الثقافة العربية .
- **المطلب الثالث** : نماذج من التعامل مع العولمة الثقافية .
  - الصين
  - إيرلاندا

الفصل الثاني : إشكالية الدفاع عن الثقافة العربية في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام .

- **المطلب الأول** :واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المجتمعات العربية.
- **المطلب الثاني** :الواقع الإعلامي والمشهد الثقافي – المعلوماتي العربي.
- **المطلب الثالث** :الفكر الثقافي العربي ومنطق الدفاع عن الهوية الثقافية.

الخاتمة

الـبـاب الأول
الـحضـارة وعولـمـة الـثـقـافـة

الفصل الأول : الحضارة والثقافة محاولة في تحديد العلاقة .

يحوي ثلاث مباحث :

- **المبحث الأول** : مفهوم الحضارة
- **المبحث الثاني** : تعريف الثقافة
- **المبحث الثالث** :الفرق بين الحضارة والثقافة

الفصل الثاني : ظاهرة العولمة وأبعادها

يحوي أربع مباحث :

- **المبحث الأول** : العولمة نظرة في تاريخ المصطلح
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة
- **المبحث الثالث** : تحديد مفهوم العولمة
- **المبحث الرابع** : الأبعاد المختلفة للعولمة
  - ✓ الأبعاد الإعلامية .
  - ✓ الأبعاد المعلوماتية .
  - ✓ الأبعادالسياسية.
  - ✓ الأبعادالاقتصادية.

الفصل الثالث: العولمة الثقافية

يحوي أربع مباحث :

- **المبحث الأول** : العولمة الثقافية نظرة في تاريخ الظاهرة
- **المبحث الثاني** : الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية
- **المبحث الثالث** : تعريف العولمة الثقافية
- **المبحث الرابع** : العولمة الثقافية آليات العمل ومظاهر التشك

الفصل الاول

المبحث الأول

مفهوم الحضارة:

إن كلمة الحضارة (Civilisation)، كما يرد في المعاجم المختصة، أن الحضارة هي "نماذج الحياة المادية كالملبس والمأكل، والمشرب والمواصلات ونماذج العلوم التي تعالج الطبيعة، ويشير بعض الباحثين إلى تداخل الحضارة مع مفهوم الثقافة وأن الفصل بينهما مجرد زعم ناتج عن موقف غير عقلاني إلا أن البعض يرى أن "الحضارة مقولة مادية" و"الثقافة مقولة روحية".

فالحضارة هي الأشياء المادية التي يصنعها الإنسان: المدن والطرق والبيوت والمؤسسات الاجتماعية، بعبارة أخرى هي جميع الاعمال التكنولوجية، والحضارة شمولية، عالمية، وتعاونية، وإنسانية.[21]

التعريف اللغوي:

تعرف كلمة حضارة في معجم متن اللغة كما يلي: الحضارة: ضد البداوة، والإقامة في الحضر "أخص من ذلك" الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر.

والحضارة "Civilisation" والتحضير والتمدن "Urbanisation" بالإنجليزية

في المعجم الوسيط:

الحضارة: الإقامة في الحضر، وهي مظاهر الترقي العلمي والفني والدبي والاجتماعي في الحضر.

---

[21] نورية الرومي وآخرون: **التواصل الثقافي والعولمة ، مفاهيم وآليات ورؤى، التواصل والتثاقف**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص 153.

وفي دائرة معارف القرن العشرين:

الحضارة: خلاف البداوة، وهي كلمة مرادفة: "مدينة"، مع أن استعمال هذا اللفظ قديم، فإن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون، ففرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعية في الوجود، فالبداوة أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة، فالحضارة غاية البداوة، ونهاية العمران. [22]

في الغرب: قاموس الأكاديمية لم يتضمنها إلا ابتداء من 1835، هي تقابل كلمة توحش أو همجية.

الحضارة عند المفكر"Littré"هي مجموع الآراء والعادات والتقاليد التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدين، والفنون الجميلة والعلوم.

"هي ما في الحياة الاجتماعية المنظمة من مجموع العناصر التي وفرت للإنسانية تفوقها على بقية الكائنات الحيوانية وسيطرتها على الأرض.

وما تاريخ الحضارة إلا تاريخ الحياة الباطنية للإنسانية في تطورها المادي والفكري، في مقابلة التاريخ السياسي القديم الذي يعطي للأفراد الاعتبار، كما يشير "مونتسكيو" و"فولتير" و"هردر"في قرن 18.[23]

في التعريف الاصطلاحي الحديث:

المعنى الموضوعي:

هو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر النقد الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد، أو عدة مجتمعات متشابهة، ولكل حضارة نطاقها

---

[22] امنة تشيكو، مرجع سبق ذكره، ص ص17،18

[23] المرجع نفسه، ص 18.

وطبقاتها ولغاتها (حدودها الجغرافية، وآثارها المتراكمة فوق بعضها البعض هي طبقاتها، ولغتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية ،والتاريخية ،والعلمية، والفلسفية).

المعنى الذاتي المجرد:

تطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش، أو تطلق على الصورة الغائبة التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة.

والحضارة بمعنى ما مرادفة للثقافة، إلا أن هذين اللفظين لا يدلان عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق، وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية، أي على مجموع عناصر الحياة ،وأشكالها ،ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات وكذلك لفظ الحضارة، فإن بعضهم يطلقه على اكتساب الخلال الحميدة، وبعضهم يطلقه على نتيجة هذا الاكتساب، أي على حالة من الرقي والتقدم في حياة المجتمع بكاملها. [24]

) La Civilisation doit se définir d'un poit de vue fonctionnel وظيفية: (

C'est l'ensemble des conditions morales, et matérielles, qui permettent à une société, d'accorder à chacun de ses individus, dans chaque phase de son existence depuis l'enfance jusqu' à la vieillesse l'assistance qui lui est nécessaire dans cette phase de son développement …, le respeet de sa personne sont des formes, d'assistance que la société civilisée veut et peut dispenses à l'individu.[25]

Comment faire les produits d'une Civilisation ?

Il faut recourir à la méthode du laboratoire d'analyses, pour analyser une matière, on ne la transporté pas ou laboratoire, on prélève seulement ses échantillons d'une Civilisation, sont ses produits sociaux sous toutes leurs formes, et si nous analysons, sociologiquement cet échantillon, son contenu ou sa substance sociologique se réduit à trois termes :

1- Le sol. الأرض

---

[24] المرجع نفسه، ص، 20.

[25] Malek ben nabi : **les grands thèmes**, édition elborhan, Alger, 2005, p : 33.

2- Le temps. الوقت

3- L'homme. الإنسان

L'homme, le sol, et le temps n'agissent en vrac, mais dans une " synthèse, qui réalise par eux le vouloir et le pouvoir d'une société civilisée N° : c'est donc, le problème de cette synthèse qui se pose.[26]

الحضارة عند أرنولد توينبي:

تأثر "توينبي" بالمفكر الألماني "شبنغلر" وكتابه "أفول الغرب"، وعكف على دراسة الحضارات السابقة في محاولة لمعرفة عوامل تدهورها وسقوطها.

وقد اختلف مع "شبنغلر" في حتمية أفول الغرب، إلا أنه لا يستبعد تداعي الحضارة الغربية لا عن طريق الموت الطبيعي،ولكن الانتحار، ويتنبأ بأن الدول الصناعية لن تجد طوق النجاة إلا في دولة عالمية.

ان انتفاء السمة المشتركة بين المجتمعات "الواحد والعشرين" كونها ميادين دراسة تاريخية، قابلة للفهم، حتى المجتمعات البدائية تعتبر أيضا ميادين مفهومة الصلاحية للدرس، وبالتالي فإن للمجتمعات "21" طابعا مميزا هو أنها الوحيدة التي تمر في أطوار التحضر. (1)

ولا يؤمن توينبي بفكرة وحدة الحضارة ويقول أن:

نظرية وحدة الحضارة، ووجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية هي رأي خاطئ، تردى فيها المؤرخون الغربيون المحدثون تحت تأثير محيطهم الاجتماعي وأوحى به مظهر الحضارة الغربية الخداع، وما حققه من السيادة العالمية في الحقلين الاقتصادي والسياسي، وفكرة "وحدة الحضارة" لها ثلاثة جذور أساسية.

أ- وهم حب الذات.

ب-وهم الاعتقاد "بجمود الشرق".

ج-وهم الاعتقاد بأن التاريخ الحضاري يتيح في تقدمه خطا مستقيما، وأنه من الممكن تقسيم أدواره إلى ثلاثة: قديم، وسيط، حديث.

---

[26] IBID ,P 40.

ينتقد توينبي الذين لا يعترفون بإمكانية المقارنة بين الحضارات المختلفة، بحجة أنها غير معاصرة لبعضها الأأن الزمان شيء نسبي، وذلك يعني أن ننظر إلى الفترات الزمنية التي عاشتها الحضارات نفسها، ولا ننظر إلى عمر الحياة البشرية كلها، فالحضارات تعتبر نسبيا ظاهرة حديثة للغاية في التاريخ البشري، وأقدمها أنشأ 6000 سنة مضت.

وينتقد الاعتراض على منهج الدراسة المقارنة بين الحضارات فالقيمة كالوقت مسألة نسبية ،ويرد على الذين يرون بأن تواريخ الحضارات ما هي إلا تسلسل الواقع التاريخي، وأن كل واقعة تاريخية، فريدة من جوهرها وأن التاريخ لا يعيد نفسه، مما يقود إلى نقض مبدأ المقارنة وإلى نفي التشابه في التاريخ ، فالواقعة كالفرد في ذاتها، لا تقبل المقارنة بينها وبين الآخرين في ذلك الصنف بقدر الذي يشملها التصنيف.

نشوء الحضارات حسب تيونبي:

<u>التحدي والاستجابة</u>:

يرى توينبي أن الدافع الحيوي إلى نشوء الحضارات الست الأصلية المصرية، السومرية، الصينية المايانية، الأنديانية، المينووية، هو صراع السلالات البشرية المستوطنة مع عوامل التحدي الجغرافية.

أما بالنسبة لحالات الحضارة التي تنسب لغيرها فلا بد أن التحدي الذي أبرزها إلى الوجود قد جاء في الأصل لا من العوامل الجغرافية، ولكن من البيئة البشرية بالدرجة الأولى أي من الأقليات المسيطرة للمجتمعات التي تتصل بها بصلة الجنس.

والأقلية المسيطرة هي طبقة حاكمة تعطلت وظيفتها القيادية فانتقلت إلى طاغية، وتستجيب البروليتاريا الداخلية والخارجية للحضارة المنهارة، لهذا التحدي عن طريق الانفصال عنها، ومن ثم تصنع أسس حضارة أخرى. [27]

يلاحظ توينبي أن للتحديات الطبيعية والبشرية مدى معينا لا يجب أن تتعداه حتى تكون الاستجابة الخلاقة ممكنة، فالرخاء المفرط في البيئة عدو الحضارات اللدود، لذلك ظلت الشرادم

---

[27] آمنة تشيكو ،مرجع سابق ، ص 76,75,72.

البشرية في "نيوزيلاندا" والمناطق الاستوائية الدافقة بالخيرات الطبيعية بدائية في حياتها، بالمقابل فقسوة العوائق في البيئة تشل النشاط الإنساني وتسقط الأجنة الحضارية قبل تكاملها في بطون الاراضي العاقرة التي تحملها مدة ثم تلفظها عاجزة ضعيفة، ولذلك ظل سكان بعض المناطق القطبية والصحراوية (الإسكيمو، البدو) عاجزين عن اللحاق بأدنى المستويات الحضارية.

فالدافع الحيوي في عملية النشوء الحضاري، هو الاستجابة الظافرة لتحدي البيئة المناسبة ويرى "توينبي" أن ثمة خمسة دوافع تتصل بطبيعة تلك البيئة المناسبة وتستثير تفاعلها الخلاق وهي:

1- دافع الأراضي الصعبة.
2- دافع الأرض البكر، أو الإستيطان في أرض جديدة (هندية، مسيحية، إسلامية).
3- دافع النكبات.
4- دافع الضغط.
5- دافع العقوبات. [28]

نمو الحضارات:

إذا انبعثت حضارة على شرط عدم قتلها في نموها، فهل يكون من المتوقع أن يكون نموها أمرا مفروغا منه؟

هل تواصل نموها الطبيعي إلى أن توقف إلى السيطرة على أسلوب حياتها والبيئة التي تعيش فيها؟ هما سؤالان محوريان طرحهما " توينبي" عند تفسيره لظاهرة نمو الحظارات.

ويجيب توينبي على هذه الأسئلة فيشير إلى أن بعض الحضارات، لا يزول وفقا لما يبديه سجل طائفة من الحضارات التي حققت لها وجودا لكنها أخفقت في اتصال نموها، وهذه الحضارات المتعطلة تمثل المصير الذي تلقاه حضارات تواجه تحديا يقوم على الحدود، وتتراوح شدته بين درجة من الشدة تستثير إجابة ناجحة ودرجة أعظم شدة تجر إلى الهزيمة.

---

[28] المرجع نفسه، ص77.

ومثال ذلك: "البوليتريون" اللذين حققوا عملا فذا قوامه الانتقال من جزائر المحيط الهادي، إلا أن المحيط هزمهم في النهاية، فانكفأوا إلى حياتهم البدائية.

يرى توينبي أن ارتقاء الحضارات لا يتم من خلال استجابة ناجحة واحدة لتحد واحد فقط ولكن الارتقاء الحقيقي هو الذي ينجم عن استجابات عديدة ناجحة لتحديات متعددة.

فالارتقاء يحدث وقتما تصبح الاستجابة لتحد معين لا ناجحة في نفسها فحسب، لكنها تستثير تحديا إضافيا، يقابل باستجابة ناجحة، ويقاس هذا الارتقاء وفقا لـ:

1- سيطرة متزايدة على البيئة البشرية التي تتخذ عادة شكل غزو الشعوب.
2- المجاورة وسيطرة متزايدة على البيئة المادية، تعبر عن نفسها بتحسينات في الأسلوب التكنولوجي المادي.

ويرى توينبي: أن قاعدة الارتقاء الحقيقي تقع أكثر ما تقع ،في نطاق يتسم بالتغيير المتعاقب في تحول مشهد الفعل في هذا الميدان إلى ميدان آخر يجد فيه فعل التحدي والاستجابة بديلا لعملياته، ولا تنبعث التحديات في هذا الميدان الآخر من الخارج لكنها تنشأ من الداخل.

ولا تتخذ الاستجابات الظافرة شكل التغلب على عقبات خارجية ،أو قهر خصم خارجي لكنها تظهر نفسها في الترابط الذاتي –أو تقرير المصير–.

والتقدم الحقيقي –عملية يعرفها توبيني بكلمة "التسامي" التي تعمل على إطلاق طاقات المجتمع، تستجيب للتحديات التي تعد –منذ الآن وصاعدا– داخلية أكثر منها خارجية، روحانية أعظم منها مادية. [29]

يرجع توينبي أسباب ارتقاء الحضارات إلى العوامل التالية:–

[29] المرجع نفسه ،ص 80.

1- الفرد والمجتمع:

المجتمع عبارة عن نظام للعلاقات بين الأفراد ، ولا يأتي للكائنات البشرية أن تحقق وجودها الحقيقي إلا مع رفاقها، بيد أن الأفراد هم مصدر الفعل ذلك لأن جميع أسباب الارتقاء تنبعث عن أفراد مبدعين، أو أقليات صغيرة من الأفراد ويتكوّن عملهم من جزئين:

- تحقيق إلهامهم أو كشفهم، مهما يكن منأمره.
- وهداية المجتمع الذي ينتمون إليه.

2- الاعتزال والعودة:

يتصف فعل الفرد المبدع بأنه حركة مزدوجة قوامها الانسحاب والعودة:

- الانسحاب بغية الاستنارة.
- العودة رجاء إنارة رفقائه.

3- التنوع داخل الوحدة خلال دور النمو الحضاري:

الحضارة النامية وحدة متماسكة، وعملية النمو حركة منتظمة متناسبة، ولكن تجارب الفئات المتعددة التي تنهض بهذه العملية، ليست متماثلة، إنها تختلف باختلاف الكيفية التي يستجيب بها الفرد أو الأقلية الخلاقة، أو المجتمع كله على التحديات المتتابعة ،ومن هنا نجد الفروق بين أنواع المجتمعات الصغرى في كيان الحضارة الواحدة ،كما تجد الخصائص المميزة كتاريخ الحضارات المختلفة.

سقوط الحضارات:ما الذي يفسر انهيار الحضارات؟و لماذا عجزت المجتمعات عن الاستجابة الناجحة لما واجهها من تحد.

يدحض "توينبي" الحلول الحتمية، ويشرح دلك كما يأتي في النقاط التالية:-

1- المبدأ القائل بصيرورة الكون إلى الشيخوخة وانتهائه إلى العدم المحتوم، ويرى مع الطبيعيين إن هذا لن يحدث إلا في الأبد السحيق، ولذلك يستبعد تأثيره الفعلي على سقوط الحضارات.

2- الخضوع للمؤثرات السيسيولوجية ولقاموس الكائنات الحية في الولادة والموت مرورا بأدوار العمر المختلفة (شبنغلر)، ويرى أن المجتمعات ليست كائنات عضوية، ولذلك فهي لا تخضع لنواميسها.

3- التقيد بقانون أو مبدأ الحركة الدورية في التاريخ، ويرى أن التشابه ،أو التكرار ظاهرة تقع في مجرى الحوادث التاريخية، ولكن الدولاب الذي يحمل عربة التاريخ، ويدور على نفسه دورة رتيبة لا يستبقي العربة في إطاره الثابت المحدود، بل يدفعها نحو غايتها الكبرى في حركة تقدمية مستمرة.

4- فقدان السيطرة على المحيط الإنساني، والعجز عن صد الاعتداءات الخارجية على كيان الحضارات، ويرى أن الظاهرة ليست في الواقع سببا للسقوط، لكنها نتيجة انهيار سابق كان قد حدث في قلب الحضارة نفسها (الإمبراطوريةالرومانية).

5- النقص في الميادين العلمية والتقنية، ويرى أن سقوط الحضارات هو العلة وأن التأخر في الميادين التقنية ليس سوى نتيجة.

التفسير التوينبي لسقوط الحضارات:

المجتمع في حالة الانهيار يتشكل على النحو التالي في زمن الاضطراب كما يصفه توينبي

1- أقلية مسيطرة فقدت قدرتها على الإبداع وأصبحت تحكم بالقهر.

2- بروليتاريا داخلية، ولكنها عنيدة تتحين الفرصة للثورة.

3- بروليتاريا خارجية انشقت على المجتمع، وتقاوم الاندماج فيه وتتحين الفرصة للغزو

وأسباب هذا التحلل للمجتمع الموشك على الانهيار هي:

- قصور الطاقة الإبداعية على الاقلية الحاكمة.
- عزوف الأغلبية عنمحاكاة الأقلية بعد أن فقدت الأخيرة مبررات الاقتداء بها.
- فقدان التماسك الاجتماعي سواء بسبب انشقاق الخارجين أو سخط المحكومين.

وهكذا فإن المجتمع هو الذي جلب على نفسه عوامل الانهيار، قبل أن يجلبها عليه غزو خارجي، إن أقصى ما يفعله الغزو الخارجي هو توجيه ضربة قاضية إلى مجتمع يلفظ أنفاسه

الأخيرة، أما إن حدث العدوان الخارجي على مجتمع في مرحلة نموه فإنه يشكل تحدي يستثير طاقته الكامنة، وعوامل الإبداع فيه. [30]

كيف تفقد الأقلية المبدعة مقومات إبداعها حتى تستهل إلى أقلية مسيطرة؟

1- فقدان تقرير المصير هو قاعدة انهيار الحضارة بصفة نهائية.

- آلية المحاكاة + نبيد جديدة في أوعية قديمة + جمود المبدع وافتتان الجماهير إلى حد عبادة الذات.
- التوسع الجغرافي مظهر تدهور وانحلال، والحرب نزعة انتحارية.
- التقدم المادي مسلك خداع لاستجابة ناجحة.

و هكذا يحدث الانشقاق في كيان المجتمع حيث تصبح لكل فئة عمل هدًام تقوم به:-

- **الأقلية المسيطرة:** الحفاظ على مركزها بالقوة (الدولة الجامعة التي تجعل نهايتها الفاجعة).
- **البروليتاريا الداخلية:** الجماعة التي تكون في المجتمع لكنها ليست منه.
- **البروليتاريا الخارجية**

الفساد الروحي في الحضارات المنحلة:يقود هذا الفساد كله إلى ظهور أربع فئات من المخلصين:

أ- الرجعيون:

الذين يتقنون مواجهة الحاضر الأليم بالفرار إلى الماضي السعيد ،محاولين بعث ما انطوى من أمجاده الغابرة في ميادين الإبداع المختلفة.

ب-الغيبيون:

الذين يتقنون مواجهة الحاضر الأليم بالفرار إلى عالم الغد المتخيل.

ج- الانعزاليون:

---

[30] المرجع نفسه ،ص ص84، 86.

من الفلاسفة والمتصوفة الذين زهدو في الواقع الفاسد وانقطعوا عنه انقطاعا كاملا ليشطحوا على أجنحة تأملاتهم إلى أجواء من العدمية الجافة.

وليس في هؤلاء الثلاثة من يستطيع انقاد الحضارة المنهارة.

الرجعيون والغيبيون هربوا من الحاضر المقلق في اتجاهين متضادين.

الأول: هابط في الزمان،و الثاني صاعد في الزمان المقبل.

(مع أن حركة الرجعيين أكثر انسجاما مع طبيعة النفس الهاربة من الحركة الغيبية الملتزمة)، فإن هاتين الحركتين تظلان مقيدتين بأصداء الزمان والمكان، ولا تعتقان في حدودهما، وقد تلجأن إلى استعمال السيف في سبيل الخلاص.

أما الانعزاليون من الفلاسفة المقنعين بقناع الملوك أو الملوك المقنعين بقناع الفلاسفة فهيهات أن يقوموا بالمجازفة نفسها بعد انقطاعهم عن الوجود الحي.

الدول العالمية والديانات العالمية: [31]

تتجه الأقلية الحاكمة بعد أن فقدت طاقتها الإبداعية إلى تعويض قصورها بالتوسع الخارجي، وإقامة الإمبراطوريات تسكينا لنقمة الجماهير، وإذا كانت الأقلية تقدم الحرب، فالبروليتاريا الداخلية تقدم الأديان.

تنبثق على الأولى الدول العالمية، وتنبثق عن الثانية الأديان العالمية .

مفهوم الحضارة عند "هينتنغتون (صامويل)"

ينطلق هينتنغتون في تحديده ،وتعريفه لمفهوم الحضارة من منطلقين ،على المستوى الأدنى يعرف الحضارة بأنها كيان ،وهوية ثقافية قائمة على أساس التمايز الثقافي التراتبي, من أصغر الوحدات الثقافية، أي من المحلي مرورا عبر الإقليمي ،وحتى القومي الوطني وربما حتى القاري، يقول في هذا الإطار، "إن الحضارة هي كيان ثقافي فالقرى ،والأقاليم ،والمجموعات الإثنية والقوميات والمجموعات الدينية، لها جميعها ثقافات متميزة، وإن تكن على مستويات مختلفة من

---

[31] المرجع نفسه ،ص 88.

عدم التجانس الثقافي، فقد تكون ثقافة قرية ما في جنوب إيطاليا مختلفة عن قرية في شمالها، لكنهما تشتركان معا في ثقافة إيطالية مشتركة تميزها عن القرى الألمانية والمجتمعات الأوروبية بدورها تتقاسم ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية.

أما المستوى الثاني لتعريف الحضارة وهو: "الحضارة باعتبارها كيان ثقافيا واسعا يمثل أوسع مستويات الهوية الثقافية، بحيث لا يوجد مستوى أعلى للتحديد والتمايز الهوياتي من مستوى الحضارة يقول هينتنغتون" الحضارة هي الشكل الأعلى للتجمع، والمستوى الأسمى للهوية الثقافية الذي يحتاج إليه البشر للتمايز عن باقي الأنواع.[32]

وبالتالي فالحضارة هي أرفع مستوى يمكن من خلاله تصنيف البشرية إلى مجتمعات حضارية لا يمكن أن تخضع لتصنيفات أعلى، وتاريخ البشرية هو تاريخ الحضارات، ويبدو أن هينتنغتون لا يميز بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة فهو يرفض التميز بينهما، لذلك فهو ضد التقليد الفكري والفلسفي الألماني الراسخ بضرورة الفصل بين الثقافة والحضارة. [(33)]

ويعود هذا الفصل بين مفهومي الحضارة والثقافة في الأصل إلى صديق "نتشه" المفكر "إيرفين رود" في القرن 19، كما أن "أزوالدشبينغلر" ساهم بشكل قوي في تكريس هذا الفصل حيث يميز بين الثقافة كمركز للفتوة والازدهار والحضارة كمرحلة لمرحلة الانهيار والشيخوخة، وقد وظفت النخبة السياسة والفكرية الألمانية هذه الفكر في القرن 19، والنصف الأول من القرن 20، من أجل الترويج لعظمة الدولة والشعب الألماني الذي حسب رأيها يحمل ثقافة حية ديناميكية، عكس جيرانه الفرنسيين، البريطانيين والايطاليين الذين دخلوا في مرحلة الحضارة أي الشيخوخة والفناء.

ويقسم هينتنغتونالعالم إلى ثماني مجموعات حضارية هي: [(34)]

---

[32]Hintington(Samuel) **,Le choc des civilisation ,**odilejacob,Paris,1997,p :40

[(2)] محمد سعدي: **حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصامويل هنتنغتون**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 19.

[(34)]المرجع نفسه صص 20،21.

أ- الحضارة الصينية الكونفوشيوسية:

يقر معظم المتخصصين بوجود حضارة صينية متميزة تعود على الأقل إلى 1500 سنة قبل الميلاد وهي تمتد إلى الفيتنام، كوريا، وكذا الجالية الصينية الكبيرة في جنوب شرق آسيا، أما الكونفوشيوسية فهي نسبة إلى "كونفوشيوس" الفيلسوف الصيني الذي عاش ما بين 551-479 قبل الميلاد وقد تقلد عدة مناصب رسمية في الدولة كان همه الأول ،هو إرساء النظام وذلك عبر التركيز على التربية، الأخلاق، التقاليد، الاهتمام بالقيم العائلية واحترام التراثية، ولقد كانت أفكاره مصدرا لنشوء الكونفوشيوسية كفلسفة أخلاقية وسياسية منتشرة في آسيا.

ب- الحضارة اليابانية:

كثير من الباحثين يجمعون بين الثقافات الصينية واليابانية ولكن معظم المتخصصين في تاريخ الحضارات يعترفون بأن اليابان تشكل حضارة متميزة تفرعت عن الحضارة الصينية وظهرت ما بين 100 و400 قبل الميلاد.

ج- الحضارة الهندية:

ظهرت منذ 1500 قبل الميلاد في شبه القارة الهندية، وتشكل الديانة الهندوسية النواة الأساسية لهذه الحضارة.

د- الحضارة السلافية الأرثودوكسية:

نسبة إلى السلاف: "les slaves" وهم مجموعة بشرية إثنولغوية ذات أصل هندوأوروبي وتتحدث لغات ذات أصل واحد (اللغات السلافية)، وتحتل الجزء الأكبر من أوروبا الوسطى والشرقية، ويبلغ تعدادها السكاني حوالي 270 مليون ويتفرقون بين السلاف والشرقيين (الروس، الأوكرانيون، البلروسيون) والسلاف الغربيين (البوبونيون، التشيك، السلوفاك ...) والسلاف الجنوبيون (الصرب، الكروات، البلغار، السلوفينيين، المقدونيين) أما الأرثدوكسية فهي إحدى الانقسامات الكبرى للمسيحية وقد تكرس هذا الانقسام عام 1054، حيث وقع الانفصال بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الغربية وبطريركية القسطنطينية الشرقية حين قام البابا ليون التاسع بتحريم وتكفير بطريك القسطنطينية "كير ولأريوس" معلنا بذلك الانفصال النهائي بين المسيحيات

الشرقية والمسيحية الرومانية الغربية، وقد كان وراء هذا الانقسام أسباب عقيدية مذهبية متعلقة بالخلاف حول تفسير مجموعة من المبادئ الجوهرية للدين المسيحي.

وكذا**الحضارة الإسلامية، والحضارة الأمريكية اللاتينية، والحضارة الغربية وربما الإفريقية** وهو ما يميز داخل الحضارة الإسلامية بين مجموعة من الحضارات الفرعية، هي العربية، الشرقية، الفارسية، والماليزية.

ويعتقد هنتنغتون أن للحضارة طبيعة جوهرية موضوعية تتحدد ، وتتكون من مجموعة عناصر موضوعية مشتركة هي، اللغة، التاريخ المشترك، العادات، المؤسسات، والدين الذي يشكل القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، لذلك فالحضارة يمكن تعريفها إلى حد كبير من خلال الدين الذي هو العلاقة الفارقة للتمييز بين الحضارات. [35]

فالشخص يمكن أن يكون نصف عربي ونصف فرنسي، ولكن من الصعب جدا أن يكون نصف مسلم ونصف كاثوليكي.

لهذا فإنه يتصور أن كل كيان حضاري خصائصه الجوهرية الثابتة التي تجعله متميزا عن الكائنات الثقافية الأخرى، "الحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة، والثقافة والتقاليد والأهم الدين، وللناس في الحضارات المختلفة آراء مختلفة عن الله والإنسان، والفرد والمجموعة

والمواطن والدولة والآباء والزوج والزوجة، وآراء مختلفة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات والحرية والسلطة والتسلسل الهرمي، وهذه الفروق نتاج قرون ولن تختفي سريعا".

"الحضارات كيانات هادفة وعلى الرغم من أن الخطوط التي تفصل بينها نادرا ما تكون حادة فهي تبقى خطوطا حقيقية"، وبالنسبة لهنتنغتون فالحضارة الغربية مثلا هي حضارة فريدة وليست كونية، لأنها تتمركز حول مجموعة عناصر وثوابت تاريخية، تراثية، لغوية، مؤسساتية ودينية تحدد من خلالها كحضارة، وقد حدد هذه العناصر (المكونات) كما يلي:

---

[35] المرجع نفسه ،ص 22.

1- التراث التقليدي:

فالغرب كحضارة ورث واستفاد من الحضارات السابقة عليه ويشمل هذا التراث التقليدي الذي شكل رافدا للحضارة الغربية كلا من الفلسفة الإغريقية، القانون الروماني، اللاتينية والمسيحية، والفكر العقلاني وإذا كانت الحضارة الإسلامية والأرثدوكسية قد استفادت هي أيضا من الحضارات القديمة، إلا ان هذه الاستفادة لم تكن بنفس درجة استفادة الغرب منها.

2- المسيحية الغربية:

التي تشمل الكاثوليكية، والبروتستانية وهي الخاصية التاريخية الأكثر أهمية التي تنفرد بها الحضارة الغربية وتجعل منها كيانا دينيا متميزا عن باقي الحضارات.

3- اللغات الأوروبية:

حيث يعتبر هينتنغتون العنصر اللغوي المكون الثاني المميز بعد الدين لأفراد ثقافة ما عن ثقافة أخرى، فالغرب يختلف عن اغلب الحضارات الأخرى من حيث اللغة.

4- الفصل بين السلطة الروحية والزمنية:

إن العلمانية مبدأ مرجعي أساسي في بناء الحضارة الغربية، فالله والقيصر، الكنيسة والدولة السلطة الروحية والزمنية، كلها ثنائيات سائدة في الثقافة الغربية، وهذا ما يجعلها مميزة عن باقي الثقافات.

5- سيادة القانون:

إن إحدى التقاليد العريقة للحضارة الغربية هو مبدأ سيادة القانون، وهو أساس التمسك بالمبادئ الدستورية واحترام حقوق الإنسان، والملكية الخاصة والوقوف ضد طغيان، واستبداد السلطة، وهذا عكس الحضارات الأخرى التي لا تولي اهتماما كبيرا لهذا المبدأ. [36]

6- التعددية الاجتماعية والمجتمع المدني:

---

[36] المرجع نفسه، صص24,23.

إن المجتمع الغربي كان تاريخيا مجتمعا تعدديا بشكل قوي، ومنذ أكثر من ألف سنة عرف الغرب بنيات المجتمعات المدنية وذلك على خلاف الحضارات الأخرى، وهذا ما جعل التعددية الأوروبية تتناقض بشكل حاد مع فقر المجتمع المدني ،وضعف الأرستقراطيات، وقوة الإمبراطوريات البيروقراطية المركزية التي تواجدت في روسيا، الصين، الأراضي العثمانية، وفي مجتمعات غير غربية أخرى.

7- المؤسسات التمثيلية:

إن التعددية الاجتماعية سمحت منذ وقت مبكر بظهور الطبقات الاجتماعية والبرلمانات والمؤسسات الأخرى، وهذه الأجهزة وفرت أشكالا من التمثيل الذي تطور إلى مؤسسات ديمقراطية حديثة ساهمت في توسيع المشاركة السياسية، وحسب هينتنغتون ليس هناك حضارات ذات تراث مشابه للحضارة الغربية فيما يخص الأجهزة.

8- الفردانية:

إن الكثير من خصائص الحضارة الغربية الأنفة الذكر ساهمت في ظهور الوعي بالنزعة الفردية وبميزات الحقوق والحريات الفردية بالمجتمعات المتحضرة في القرن الرابع والخامس عشر، وتظل الفردانية خاصية مميزة للغرب عن باقي حضارات القرن العشرين".

ويمكن تصنيف الاستعمالات الكثيرة لكلمة حضارة في ثلاث مستويات أولها المعنى الشائع عن المتحضر من الأفراد والشعوب، في مقابل غير المتحضر أو البدائي أو المتوحش، ومن الواضح ,هذا المعنى جعل حكم قيمة، ويستند إلى مقاييس يضعها طرف واحد يعتبر نفسه الأرقى، كما فعل ليفي يرول "Lévy-Bruhl" في بحث عن العقلية البدائية، وراء حكم القيمة نظرة تبريرية للسيطرة الكولنيالية نجدها في كل فروع العلوم الاجتماعية وخاصة الإنثنولوجياوالأثنوغرافية الأوروبية وأما في أمريكا فبعد إبادة الهنود الحمر بدأ الحديث عن الحضارة المنقرضة تحت اسم أنماط كما فعلت "روث بنبدكت" في دراستها على الأنماط الثقافية.

والمعنى الثاني للحضارة يرتبط بأشكال التعبير عن الحياة الاجتماعية عند أية أمة، ويدخل في أشكال التعبير والعقيدة والعرف، وتنظيم العلاقات في المجتمع ومع الطبيعة والمحيط المادي:

وفي هذه الحالة تسمى تلك الأشكال ظواهر حضارية فإذا تجسدت في مؤسسات ومنتجات أصبحت منجزات حضارية والمعنى الثالث يطلق على الخصائص والسمات التي تشترك فيها مجموعة من الشعوب والمجتمعات في مرحلة ما من تاريخها وتميزها بشخصية يسهل التعرف عليها عند مقارنتها بشعوب أو مجتمعات أخرى، وسواء رجعنا إلى المعنى الاجتماعي، أو المعنى التطوري، فإن مدلول كلمة حضارة له معنى أوسع من الثقافة ويسمى في اللغة الألمانية Buldung وهو إن صح التعبير القناة التي تربط بين الحضارة والثقافة (Kulture) وتوحد بينهما في المنظور الاجتماعي والتاريخي. [37]

طبيعة الحضارات:

يقول هينتنغتون أن التاريخ البشري هو تاريخ الحضارات، وأنه لمن المستحيل أن نفكر في أي شكل آخر من تطور البشرية، وتمتد القصة عبر أجيال من الحضارات من السومريين والمصريين القدماء إلى الحضارات الأمريكية العتيقة (Mesoamerican)، والوسطى إلى الحضارات المسيحية والإسلامية مرورا ببروز حضارات متعاقبة صينية وهندوسية، وعبر التاريخ زودت الحضارات بأوسع نطاق للهوية للشعوب، وكنتيجة لذلك فإن أسباب انبثاق وصعود وتفاعلات وإنجازات وضعف وسقوط الحضارات كان موضوع دراسات استكشافية مستفيضة من طرف مؤرخين وعلماء اجتماع وانتربلوجياينأنتجو أدبيات كثيرة العدد، ومعقدة كرست للتحليل المقارن بين الحضارات، كما يمكن ملاحظة الاختلافات في المنهج ،وطرق البحث في هذه الأدبيات، ومع ذلك فإن هناك اتفاقا واسعا حول افتراضات رئيسية تتعلق بمفهوم وطبيعة وهوية، وديناميات الحضارات:

<u>أولا:</u>

توجد هناك تفرقة بين الحضارة في صيغة المفرد والحضارات في صيغة الجمع، إن فكرة الحضارة كانت قد طورت من قبل مفكري القرن الثامن عشر عند الفرنسيين كنقيض لفكرة "البربرية" المجتمع المتحضر كان ينظر إليه على أنه مختلف عن المجتمع البدائي لأنه كان مستقرا ومدنيا (انتصار المدن) ،ومتعلما أن يكون المجتمع متحضرا كان أمرا مستحبا، وأن يكون

---

[37] محمد العربي ولد خليفة :**النظام العالمي ماذا تغير منه**.....،مرجع سبق ذكره،ص 127.

غير متحضر كان سيئا، إن فكرة الحضارة قدمت معيارا بواسطته يتم الحكم على المجتمعات، وخلال القرن 19، بذل الأوروبيون طاقات فكرية، ودبلوماسية، وسياسية هائلة لتطوير المعايير التي من خلالها يتم الحكم على مجتمعات غير غربية بأنها متحضرة بدرجة كافية تسمح بقبولها كأعضاء في النظام الدولي الذي هيمنة عليه أوروبا، وفي الوقت نفسه بدأت الشعوب تتحدث عن الحضارات في صيغة الجمع. [38]

وكان هذا يعني "التخلي عن حضارة، وقد تم تحديدها على أنها مثال، أو على أنها المثال"، والتحول بعيدا عن الافتراض بأنه كان يوجد معيار وحيد لما هو متحضر "مقتصرا على ذاته" بتعبير "برودل"، "على شعوب محدودة ،أو جماعات محدودة، أو نخبة إنسانية محدودة"، وبدلا من ذلك كان هناك حضارات كل منها كانت متحضرة على طريقتها الخاصة الحضارة مع صيغتها المفردة، باختصار "فقدت بعضا من طابعها" والحضارة في صيغة الجمع كان بالإمكان أن تكون في الحقيقة غير متحضرة في صيغة المفرد"، لكن فكرة "حضارة" المفردة بدأت تظهر مرة أخرى في الطرح الذي يقول بوجود حضارة إنسانية "كونية".

ثانيا:

إن مفهوم الحضارة خارج ألمانيا هو كيان ثقافي، إن مفكري القرن 19 الألمان، وضعوا تفرقة صارمة بين الحضارة، والتي تضمنت الميكنة والتقنية والعوامل المادية والثقافية والتي احتوت على القيم والمثاليات وخصائص عقلية ،وفنية ،وأخلاقية عليا للمجتمع وقد سادت هذه التفرقة في الفكر الألماني ولكنها لم تحظ بالقبول في أماكن أخرى، بعض العلماء الإنتربلوجيين عكسوا العلاقة واستوعبوا الثقافات على أنها خصائص للمجتمعات البدائية، غير المتغيرة، وغير "المدنية".

(التي لا تنتشر فيها المدن) بينما المجتمعات الأكثر تعقيدا ،والمتقدمة، والديناميكية تمثل الحضارات، إن هذه الجهود للتمييز بين الثقافة والحضارة مع ذلك لم يتم إتباعها خارج ألمانيا، يوجد اتفاق عام مع "برودل" الذي يذهب إلى أنه "من المضلل أن نأمل على الطريقة الألمانية في فصل الثقافة من أساسها الحضارة".

---

[38] صامويل هيتنتغتون،مرجع سبق ذكره، ص 102.

إن كلا من الحضارة ،والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العام للبشر ، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة، كلاهما يتضمنان "القيم، المبادئ، والمؤسسات وأنماط التفكير، والتي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية أولية"، الحضارة بالنسبة "لبرودل"، هي "فضاء" "مساحة ثقافية"، إنها توليف من خصائص وظواهر ثقافية"، ويعرفها "والرشتاين" بأنها سلسلة متميزة من العادات والبناءات والثقافة ذات الذيوع الواسع (الثقافة بشقيها المادي والمعنوي) والتي تشكل نوعا من الكيان التاريخي والذي يتعايش في آن واحد (إن لم يكن دائما طبيعيا) مع مظاهر أخرى متنوعة من هذه الظاهرة، وطبقا "لداوسون" فالحضارة هي نتاج" لعملية أصيلة متميزة من الإبداع الثقافي والتي هي عمل شعب بعينه، وبالنسبة "لدوركايم" و"موس" فهي "نوع من البيئة الأخلاقية أو المعنوية تضم في جنباتها عددا معينا من الممم تشمل فيها كل ثقافة قومية فقط شكلا معينا من الحضارة ككل".

وعند "شبنجلر" "الحضارة هي المصير المحتوم للثقافة ... وهي أكثر الحالات الظاهرية والاصطناعية التي تكون أجناس من البشرية المتطورة قادرة عليها ... إنها عصارة الشيء في حالة الكينونة يتبعه الشيء في حالة الصيرورة"، الثقافة هي الموضوع المشترك فعليا في التعريف بأي حضارة".

إن العناصر الثقافية الرئيسية ، والتي تحدد حضارة ما كانت قد وضعت في شكلها التقليدي بواسطة الأثينيين،عندما أقسموا للأسبطيين بأنهم لن يقدموا على خداعهم لمصلحة الفرس.

الدم، اللغة، الديانة، نمط الحياة كانت الأشياء التي يشترك فيها الإغريق ،والتي تميزهم عن الفرس، وعن غيرهم من الإغريق، ومن بين كل المقومات الموضوعية التي تحدد الحضارة مع ذلك فإن أكثرها أهمية عادة الدين وإلى حد كبير، فإن الحضارات الكبرى في التاريخ البشري كانت قد ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظيمة وإن الشعب الذي يتقاسم الأصل العرقي واللغة ولكن يختلف في الديانات من الممكن أن يذبح بعضه البعض، كما وقع في لبنان ويوغوسلافيا السابقة. [39]

---

[39] المرجع نفسه،ص ص 104،105.

ثالثا:

إن الحضارات شاملة بمعنى أنه لا يمكن فهم أي عنصر من عناصر أو مقومات الحضارة بدون الرجوع إلى الحضارة الشاملة ككل، الحضارات كما يقول "توينبي": "تدرك بدون أن تكون قد أدركت أو فهمت من قبل حضارات أخرى"، الحضارة وحدة كاملة، الحضارات على نحو ما تحدده: "ميلكو" لها درجات معينة من التكامل، أجزاؤها تتحدد بعلاقاتها مع بعضها البعض وبالكيان الكلي، فإذا كانت الحضارة مكونة من دول فإن هذه الدول ستقيم علاقات فيما بينها أكثر مما تفعله الدول الأخرى خارج حضارتها ربما يحاربون أكثر ويدخلون أكثر في الغالب في علاقات دبلوماسية، وسيكونون أكثر استقلالا اقتصاديا، وسينشرون تيارات جمالية وفلسفية.

الحضارة –أي حضارة– هي كيان ثقافي في أوسع معانيه الجماعات القروية والإقليمية والعرقية، والقوميات والجماعات الدينية، جميعها تمتلك ثقافات متميزة عند مستويات متباينة من التنوع الثقافي، إن ثقافة قرية في جنوب إيطاليا ربما تختلف عن ثقافة قرية في شمالها، غير أن كليهما يشتركان في ثقافة إيطالية مشتركة والتي تميزهم عن القرى الألمانية، الجماعة الأوروبية بالتالي ستتقاسم مظاهر ثقافية تميزهم عن الجماعات الصينية والهندوسية.

الصينيون والهندوس، والغربيون بالرغم من ذلك ليسو جزءا في أي كيان ثقافي أوسع، إنهم يشكلون حضارات، الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر عن الأنواع الأخرى.

الحضارة يمكن التحديد بها من خلال كل من العناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة، التاريخ، الدين، العادات، المؤسسات، والتعريف بالكيان الذاتي للشعب الشعوب لديها مستويات من الهوية أو "الكيان الذاتي" فالفرد المقيم في روما يستطيع أن يعرف نفسه بدرجات متباينة من التنوع الشديد كروماني (من روما) وكإيطالي، كاثوليكي، مسيحي، أوروبي، وكغربي.

الحضارة التي ينتمي إليها هي أوسع مستوى من الهوية والتي يعرف بها بقوة، الحضارة هي أكبر "نحن" والتي نشعر بداخلها بأننا ثقافيا في موطننا وقد تميزت عن كل "الموضوعات" الأخرى خارجه.

الحضارات ليس لها حدود قاطعة، ولا بدايات ونهايات دقيقة، إن الشعوب تستطيع وفعلا تقوم بإعادة تحديد هويتها –وكنتيجة لذلك– فإن بنية الحضارة وأشكالها تتغير مع مرور الزمن، إن ثقافات الشعوب تتفاعل وتتداخل فيما بينها، إن المدى الذي يصل إليه تشابه أو اختلاف الحضارات هو الآخر يختلف إلى حد كبير ومع ذلك فإن الحضارات هي كيانات ذات معنى وبينما نادرا ما تكون الفواصل فيما بينها حادة إلا أنها حقيقية.[1]

رابعا:

الحضارات فانية ولكنها أيضا تعمر طويلا، فهي تتطور وتتكيف وهي أكثر التجمعات البشرية قدرة على الاستمرار، "حقائق كائنات طويلة العمر"، إن جوهرها المنفرد والمتميز هو استمرارها التاريخي الطويل، الحضارات هي في حقيقة الأمر أطول القصص الإمبراطوريات تنهض وتؤول إلى الأفول، الحكومات تأتي وتنتهي والحضارات تبقى وتتغلب على التقلبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى الإيديولوجية، إن التاريخ الدولي كما يخلص "بوزمان" يوثق بشكل سليم الأطروحة التي تقول بأن النظم السياسية هي آليات عابرة على وجه الحضارة، وأن مصير كل جماعة

---

(1) المرجع نفسه ،ص 106.

متوحدة أخلاقيا ولغويا يعتمد في نهاية المطاف على استمرارية أفكار بنائية هامة معينة والتي تتألف حولها الأجيال المتعاقبة والتي بالتالي تكون رمزا لاستمرارية المجتمع.

وبينما تبقى الحضارات طويلا، فهي أيضا تتطور إنها دينامية، فهي تنهض ثم تأفل، وهي تتلاقى وتنقسم كما يعلم دارسوا التاريخ، وهي أيضا تختفي وتدفن في رمال الزمن، إن مظاهر تطورها يمكن تحديدها بطرق مختلفة "كويجلي" يرى أن الحضارات تتحرك عبر سبع مراحل: التمازج، الحمل، التوسع، عصر الصراع، الإمبراطورية المتزامنة، الضعف، والغزو.

ويعمم "ميلكو" نموذجا من التغير من نظام الإقطاع المتبلور إلى نظام الإقطاع في حالة انتقال إلى نظام الدولة المتبلورة إلى نظام الدولة في حالة انتقالية، إلى النظام الإمبريالي المتبلور، "توبيني" ينظر إلى الحضارة على أنها تنهض كاستجابة لتحديات ثم تدخل في مرحلة نمو منتظمة تحكما متزايدا في بيئتها التي تنتجها نخبة خلاقة، ويتبع ذلك مرحلة من المشاكل، ثم نهوض الدولة العالمية وبعد ذلك مرحلة التحلل، وفي الوقت الذي توجد فيه فوارق هامة بين كل هذه النظريات فإنها تنظر إلى الحضارات على أنها تنمو من خلال زمن من المصاعب أو الصراع إلى دولة عالمية ثم الذبول والتحلل. [40]

خامسا:

بما أن الحضارات كيانات ثقافية وليست سياسية، فهي لا تحتفظ في ذاتها بنظام، وتبنى العدالة، وتجمع الضرائب، وتدخل الحروب، وتتفاوض للاتفاقيات أو أنها تفعل أي شيء مما تقوم به الحكومات، إن المركب السياسي في الحضارات يختلف بين الحضارات، ويختلف عبر الزمن داخل الحضارة الواحدة، الحضارة بالتالي يمكن أن تحتوي على وحدة أو أكثر من الوحدات السياسية، وتلك الوحدات يمكن أن تكون الدول المدنية City–states، إمبراطوريات، اتحاداتكونفدرالية، دول قومية، دول متعددة القوميات، والتي كل منها يمكن أن يكون لها أشكال مختلفة من الحكومة، وحالما تتطور الحضارة، فإن تغيرات تحدث عادة على عدد وطبيعة الوحدات السياسية المشكلة فيها، وفي حالات استثنائية، يتزامن تواجد حضارة مع كيان سياسي، الصين كما علق "لوشيان باي": "هي حضارة تتظاهر بأنها دولة"، اليابان هي حضارة وهي دولة، إن معظم الحضارات مع ذلك تتضمن أكثر من دولة أو كيان سياسي آخر في العالم المعاصر، معظم الحضارات تحتوي على دولتين أو أكثر. [41]

---

[40] المرجع نفسه، ص 107.

[41] المرجع نفسه، ص 108.

المبحث الثاني

مفهوم الثقافة

" هي منظومة رمزية من القيم والمعايير تخلع بواسطتها جماعة بشرية معينة معنى على وجودها وتجاربها ونشاطاتها، بهذا المعنى لكل فرد ثقافته أيا كانت مهنته آو حرفته، إلا أنه مع تطور المجتمعات، وتقسيم العمل، نشأت فئة من الناس تشتغل بإنتاج المعاني، والرموز والأفكار، هم أهل العمل الفكري، بدءا من الكهنة والعرافين القدامى، وصولا إلى المثقفين المحدثين الذين يتصرفون بوصفهم أمناء على الحقيقة، والحق والعدالة، أو أوصياء على العقيدة والهوية والأمة".

"الثقافة بالمعنى الواسع بوصفها صناعة الحياة وتنظيم الوجود المجتمعي، من خلال أنظمة المعنى، ومرجعيات الدلالة والأنساق الرمزية اللاشعورية، التي تصنع المخيال الجمعي لشعب من الشعوب، أو لطائفة من الطوائف، والتي تتخلل كل النشاطات الإنسانية، والقطاعات الإنتاجية."

"الثقافة بالمعنى الحصري والمهني: أي بوصفها ما ينتجه أهل القطاع الثقافي من كتاب، وأدباء وعلماء ومفكرين وفنانين، وكل العاملين في ميادين المعرفة ومجالات الثقافة."

الثقافة الجامدة تقاوم دوما محاولات المثقفين المبدعين لخرق الأنساق المغلقة أو انتهاك المعاني المألوفة، أو الخروج عم المرجعيات السائدة أما الثقافة الحية فإنها تتغذى من الانفتاح على الحدث وتشخيص الواقع، وتتجدد بطرح الأسئلة المركبة آو إثارة المشكلات الحقيقية وتغتني بإنتاج الأصيل، والمبتكر أو بانفتاح ما هو بكر، أو غير مسبوق من الآفاق والأمداء.

إن مستقبل الثقافة، بما هي صناعة الحياة وتشكيل العالم ،هو قدرتها الدائمة على التجدد والخلق، سواء لإغناء عالم الرمز والمعنى، أو بتجديد أنظمة المعارف، ومنظومات العقائد أو بتوسيع فضاء العقل ومساحة الفهم، أو بتحديد أدوات التفكير وأساليب التعبير، أو بتغيير سلم القيم وأنساق المعايير، هذا شأن الثقافة الحية، إنها الإمكان الدائم على التجدد والازدهار[1].

---

(1) علي حرب:**حديثالنهايات,فتوحات العولمة ومأزق الهوية**,المركز الثقافي العربي ,الرباط ، ط1 ،2000،ص23

والمثالات البارزة تقدمها لنا ثقافات ثلاثة ختمت الحياة بطابعها ،وأسهمت في صناعة التاريخ وتشكيل العالم على النحو الذي هو عليه.

- الثقافة اليونانية القديمة.
- الثقافة العربية الإسلامية.
- الثقافة الغربية الحديثة.

وهناك من يعرف كل واحدة من هذه الثقافات من خلال مبدأ أحادي، أو معتقد واحد أو نموذج جامد، كالقول بأن ثقافة اليونان هي ثقافة العقل، وأن الثقافة الإسلامية هي ثقافة النص والوحي، وأن الثقافة الغربية هي ثقافة المادة، والتقنية، ...

وهذا تبسيط لماهيةالثقافة المركبة، واختزال لسيرورة الحضارة المعقدة، فالثقافة اليونانية هي بوجه من وجوهها هذا التعدد والتنوع، والتضارب في التيارات الفكرية والنتاجات المعرفية، والمدارس الفلسفية، وكان هذا حال الثقافة العربية في عصر ازدهارها، إنها هذا التعدد والتنوع، وهذا التباين والتعارض في فروع العلم، والمعرفة، في التفاسير والتأويلات في الاجتهادات ، والمقالات في الفرق والمذاهب.

وتقدم الثقافة الغربية المعاصرة مثالا ساطعا على ثقافة مارست حيويتها وتفوقها عبر قدرتها الخارقة على تغيير ذاتها باستمرار ، ميزتها الأولى علاقتها النقدية بذاتها، الأمر الذي أتاح لها امتلاك القدرة على توليد الجديد، والمبتكر والأصيل، والخصب من الصيغ والنماذج ، أو الطرق والمناهج أو الأنظمة والأنساق، أو القوانين والتشريعات ...[42]

ويقول الدكتور محمد الطالبي "إن كل حضارة كانت تكون منظومة متناسقة ومنفردة بنوعيتها، أي بنية فوقية مكتفية عمليا بذاتها، لا تندمج فيها الاقتباسات اندماجا نهائيا ،إلا إذا ما أعيدت قولبتها على الشكل الذي يتلائم مع المقتضيات الباطنية للرحم المتقبلة، أما اليوم فبتحولنا

[42]المرجع نفسه، ص 27.

إلى عهد الحضارة الكونية فقد أصبحت المشاكل تطرح في مستوى ذي أوساعوتعقدات لا نسبة لها، ولا مناسبة بينها وبين كامل تجربة الماضي . لم يعد هم إنسان اليوم توفير الانسجام بين وفاءاته المختلفة داخل رفاهة ثقافية واحدة ، مهدت سبيلها ، ووضعت معالمها الأجيال السالفة، فقد فقدت هذه الرفاهة ومع مر الزمان والتسارع المذهل الذي يميز الحركة التي تجرفنا أصبح الإنسان في حاجة إلى أن يتعلم بوعي كامل، وأحيانا بمفرده كيف يهيكل بنفسه وفاءاته المختلفة في سلم عالمي.[43]

هناك أفكار كلاسيكية عن الثقافة بزغت مع التنوير ، تتعلق بالتعليم والحضارة والتقدم، حيث كتب موسيسماندیلسون في عام 1784: "إن كلمات التنوير والثقافة والتعليم من الوافدات حديثا إلى لغتنا ... والاستخدام اللغوي الذي يبدو أنه يميل إلى التمييز بين هذه الكلمات المترادفة، لم يأخذ الوقت الكافي بعد كي يقيم الحدود بينها ..."

ومفهوم الثقافة في عصر "التنوير"، المعنى القديم ، والضيق لكلمة ثقافة أخلى مكانه ببطئ بمعنى أكثر علمية وشمولية وشمولا بداية القرن 19، مع تيلور في كتابه "الثقافة البدائية" من حيث أن الثقافة هي "كل مركب يشمل المعرفة والعقيدة والفن والقانون والأخلاق والممارسات، وأي إمكانات، أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع ..."

وجاء العمل الأساسي الذي قضى على التعريف الكلاسيكي في كتاب "روث بندكيت" "أنماط الثقافة" الصادر عام 1934، أحد أكثر الكتب الإنتربولوجية في القرن 20 وهي ليست ضد الحتمية البيولوجية فقط، ولكنها أيضا في صف النسبية الثقافية أو نسبية الثقافة، وقد وصلت إلى انه "فيما يتعلق بالفكر الاجتماعي في الوقت الراهن، فليس هناك واجب أكثر أهمية من اعتماد التفسير الملائم للنسبية الثقافية ..." فالمفهوم الانثربولوجي قد جعل الثقافة مجرد مقولة وصفية يمكن أن تسري على أي أمة حتى يمكن القول بثقافة البدائيين ..."

---

[43] عبد السلام المسدي :**العولمة والعولمة المضادة**، شركة مطابع تونس، 1999 ،صص 281,273

ورفضت النظرة للثقافة على أنها تراتبية، فجميع الثقافات متساوية والثقافة تصبح حقيقة من حقائق الحياة.وفي هذا يقول الإنتربولوجي الأمريكي "فرانز بوس" أن الفروق بين البشر هي ثقافية وليست بيولوجية.

فمفهوم "ثقافة" ثمرة من ثمار عصر النهضة عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن،والأدب ،والفكر. [44]

لكن القرن 19 أحدث تقدما في مفهوم كلمة (ثقافة)، أي أنه أحدث خطوة في طريق تطوير معرفتها، إذ لم يعد التعريف التاريخي الذي خلفه عصر النهضة بكاف في إقناع المنطق الجديد، على أنها مجموع ثمرات الفكر في الميادين الفن والفلسفة والعلم والقانون ... إلخ ، والمنطق الجديد يتجه إلى تحليل الوقائع داخل المعمل، ومن الطبيعي أن تدخل فكرة الثقافة إلى معرفة بناءها، وأجزائها وعناصر تركيبها الأولية، باستخدام طرق التشريح والتحليل. [45]

واختلف تعريف الثقافة باختلاف الزاوية التي ينظر منها إلى الموضوع أي الطرق والمناهج

1- **المدرسة الغربية:** التي ظلت وفية إلى تقاليد عصر النهضة وهي ترى أن الثقافة ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان.

2- **المدرسة الماركسية:** ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع.

1-1- "**رالف لنتون**": الثقافة (كل) تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا، ولكن من الممكن ان نتعرف على شكل بنائي معين، أي أن نتعرف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكون الكل.

في المستوى الأول يوجد مجال العموميات باعتبارها الأرض التي تمتد فيها جذور الحياة الثقافية للمجتمع، كالدين، واللغة والتقاليد، وبالتالي يحدد النموذج الاجتماعي الذي يحدد نوع السلوك.

---

(44) مالك بن نبي, ترجمة عبد الصبور شاهين: **مشكلة الثقافـــــة**.دار الفكر,ط4,1984.القاهرة,ص 24

(45) المرجع نفسه ،ص 28.

وهو تعريف أملاه عقل كلاسيكي ورث تقاليد عصر النهضة، يحدد نصيب الفكر في الواقع الاجتماعي بنسبة هذا الواقع أولا إلى الأفكار، ويشير إلى:-

وجود مستويين للأفكار (الأفكار العامة، والأفكار الخاصة) "أفكار شعبية وأفكار علمية" يرى تطور الثقافة داخل الإطار الثقافي الذي يتم داخله كل تغيير يصيب الثقافة، وهذا الإطار هو الأفكار الجديدة" كالمخترعات والمكتشفات، والمذاهب الجديدة (مثال: فكرة الكهرباء، والنتائج التي جاءت بعدها في حقل الثقافة في القرن 19 والقرن 20).

والمستوى الثاني هو مستوى الأفكار الخاصة الناتجة عن التخصص المهني، والتي على أساسها تكون التفرقة بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

إلا أن هناك تطورا في ثقافة مجتمع معين في مجموعها، وهناك نمو في موارثه التاريخية وهي حركة ناتجة عن الأفكار الجديدة، ومن التنظيم الصناعي، وعن النظريات المستحدثة والمخترعات والمكتشفات في الميدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وهذا الإطار هو الإطار الثقافي الذي يجمع المستويين السابقين ،ويؤثر فيهما وهذا التأثير هو تأثير داخلي في المجتمع ناتج عن نمو وتطوره، ويحدث التأثير من خارجه بفعل تبادل المؤثرات بين الثقافات المختلفة بفعل الامتصاص، والامتداد الثقافي.

1-2- "وليام أوجبرن" يعرف الثقافة بأنها جملة من الأشياءوالأفكار:

يفرق بين مجالين في الثقافة: الثقافة المادية والثقافة المتكيفة.

الثقافة المادية: مجموع الأشياء ،وأدوات العمل ، والثمرات التي تخلقها.

الثقافة المتكيفة: تضم الجوانب الاجتماعية كالعقائد، والتقاليد، والعادات ،والأفكار ، واللغة ، والتعليم وهذا الجانب ينعكس في سلوك الأفراد ويرى "أوجبرن" أن تغيير الثقافة ضروري، ويبدأ في مجال الأشياء والأدوات ثم يمتد تأثيره لكي يعدل الجانب الاجتماعي.

فالقوة المغيرة عنده كامنة في الأشياء، لأنها تقبل التغير بشكل أسرع مما تتقبله الأفكار.وإذا تخلصت الأفكار من تأثير هذه التغيرات يحدث اضطراب اجتماعي، واختلال ثقافي

يؤديان إلى منازعات اجتماعية.كالتعليم مثلا يجب أن يساير تقدم الصناعة. [46]فالشيء هو الذي يخلق الفكرة، وبزوال الأشياء، تنهار الثقافة.

وظهر مع تايلور تعريف أكثر دقة "على أن الثقافة هي "كل مركب يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والممارسات، أي إمكانات، أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، وهو مفهوم انثروبولوجي.

ويرى مالك بن نبي أن تعريف الثقافة مرتبط بالمرحلة التاريخية الزمنية لمجتمع معين ،وبالواقع الاجتماعي لهذه المرحلة، فإن تطور الثقافة مرتبط ضمنيا بهذين المتغيرين، فالتعريفات النظرية الماركسية أو الغربية ساعدتها الظروف العامة التي كملت مضمونها بطريقة ضمنية.

وعند مالك بن نبي الثقافة هي "فكرة" ذات وجوه متعددة، فهي ليست مجموعة من الأفكار، أو مجموعة من الأفكار والأشياء، ولا يكفي أن تكون انعكاسا للمجتمع، وبالنظر إليها على أنها علاقة متبادلة بين السلوك الاجتماعي لدى الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع، وبين أسلوب الحياة وسلوك الفرد، و"السلوك" هو الشيء غير الموجود في التعريف الغربي لأنه عنصر ضمنته الحضارة الغربية، وعنصر منحته الإيديولوجية الماركسية للتعريف الماركسي.

الثقافة عند مالك بن نبي:

لأن تعريف الثقافة مرتبط (بالمرحلة التاريخية الزمنية لمجتمع معين، وبالواقع الاجتماعي لهذه المرحلة، فإن تطور الثقافة مرتبط ضمنيا بهذين المتغيرين).

لهذا فالتعريفات النظرية الماركسية أو الغربية صاحبها وساعدها بالضرورة الظروف العامة التي كملت مضمونها بطريقة ضمنية.

فالمنهج المستخدم في تعريف مفهوم "الثقافة" حددت (الواقع، الإيديولوجية، والتراث التاريخي في مرحلة تاريخية متغيرة).

التعريف النظري له ما يكمله:

---

[46]المرجع نفسه ،ص ص 32,31.

مضمون الثقافة الأمريكية مكمل ضمنيا بحكم الظروف العامة الناتجة عن الحضارة الغربية.

مضمون الثقافة في المذهب الماركسي مكمل ضمنيا بفضل الإيديولوجية الماركسية.

مالك بن نبي يستخدم منهج مختلف عن المنهجين السابقين لأن التعريف النظري لا يجد ما يكمله ضمنيا في البلاد العربية الإسلامية (سواء تراث تاريخي أو إيديولوجي) وهو منهج يستخدم في تعريف الشيء المعقد.

الثقافة (فكرة) ذات وجوه كثيرة، نطبق في تعريفها منهج الشيء المعقد الذي لا يمكن أن يدرك في صورة واحدة، فلا يكفي أن تكون صورتها لدينا مجموعة من الأفكار، أو مجموعة من الأفكار والأشياء على الطريقة الأمريكية كما لا يكفي أن تكون انعكاسا للمجتمع على الطريقة الماركسية.

وتعدد وجوه الثقافة لا يساعد في تعريفها على أنها "شيء" بل على أنها علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما نحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد، وأسلوب الحياة وبالتالي: السلوك، وهو الشيء غير الموجود في التعريف الأمريكي لأنه بالنسبة له عنصر ضمنته الحضارة الغربية، وهو عنصر منحته الإيديولوجية الماركسية للتعريف الماركسي. [47]

ولتعدد وجوه الثقافة لا يمكن تعريفها على أنها "شيء" بل على أنها علاقة متبادلة بين السلوك الاجتماعي لدى الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع، وبين أسلوب الحياة وسلوك الفرد.

وحتى نحدد العلاقة ننظر إلى "مشكلة الثقافة" في ثلاثة اتجاهات تضم العناصر النفسية والعناصر الاجتماعية، ثم العلاقة الضرورية بين هذه العناصر جميعا، (عملية تثقيف: عضويها الفرد والمجتمع).

والتعاريف السابقة للثقافة على أنها علاقة متبادلة بين الفرد والمجتمع، توضح الاختلاف بين المدارس، وبين الأساتذة في المدرسة الواحدة هذا الاختلاف يرجع في جوهره إلى هذا

---

[47] المرجع نفسه ،صص 42,41.

التبادل، بمعنى تفسير العلاقة المتبادلة، سواء تقدم في تحديد العلاقة (الثقافة) جانب الفرد أم جانب المجتمع، جانب الفكرة أم جانب الشيء، وتقديم واحد من هذه الأمور على ما سواه ينتج نظريات غير مكتملة أو يؤدي إلى صراع بين المدارس الفكرية.

من الصعب الوصول إلى تمييز موضوع بين دور الفكرة ودور الشيء في ظاهرة التثقيف بمعنى تقديم دور عنصر على آخر، لأن دراسة الظاهرة تكون في مرحلتها الحركية، أي في الحالة التي تكون فيها عناصرها الداخلية مندمجة في حركة متواصلة فيصبح من الصعب تحديد أيا من العناصر كان سبب الحركة.

فالثقافة (عملية التثقيف) تكون في مرحلتين: الحركية (الديناميكية) والساكتة / الإستاتيكية فالفكرة والشيء مرتبطان ومتعاونان تعاون الذراع والعجلة في الآلات التي تغير حركة أفقية إلى حركة دائرية، فالذراع هو الفكرة، والعجلة هي الشيء.

الذراع هو العضو المحرك (الفكرة) وهو لا يستطيع تجاوز ما يطلق عليه (النقطة الميتة) في حركته، إذا لم تساعده العجلة (الشيء). [48]

الجانب النفسي والاجتماعي للثقافة :

في هذه المرحلة الديناميكية وبحكم ظروف خاصة قد يقر التاريخ أسبقية معينة، نلاحظ مجتمع يفقد "عالم أشياءه" ويحتفظ بالقدرة على إنشاءه من جديد بفضل عالم أفكاره، كما حدث لألمانيا عام 1945 فالأسبقية لقوة الأفكار، (المجتمع في بدايته لا يكون قد بنى عالم أشياءه، بل هناك عالم أفكاره بدأ في التكوين)، لكن دور الأفكار مرتبط بالظروف التاريخية والاجتماعية التي تؤدي دورها بمعنى أن النشاط الاجتماعي والثقافي لفكرة ما مرتبط في الواقع ببعض الشروط النفسية الاجتماعية التي بدونها تفقد الفكرة فاعليتها، هذه الشروط تتنوع بتنوع الزمان والمكان (فكرة التقدم مثلا).

---

[48] المرجع نفسه ،ص 44.

وتاريخ مجتمع معين (عبر التاريخ) له مقبرة موتاه، كما لديه مقبرة لأفكاره الميتة، بمعنى الأفكار التي لم يعد لها دور اجتماعي، فالفكرة من حيث كونها فكرة ليست مصدرا للثقافة، بمعنى عنصر صالح لتحديد سلوك ونمط معين من أنماط الحياة.

فإن فاعليتها ذات علاقة وظيفية بطبيعة علاقتها بمجموع الشروط النفسية الزمنية، التي ينطبع بها مستوى الحضارة في المجتمع.

وهو مستوى قد يتغير بطريقتين:

يرتفع← الأفكار تتقادم ثم تختفي، وتأتي مكانها أفكار جديدة، لأن القديمة لم تعد من بين القوى الجوهرية التي نتجت عنها الحركة التاريخية.

يهبط← تنقطع الصلة بعض الأفكار بالوسط الاجتماعي، فتكسب هذه الأفكار وجودا صناعيا غير تاريخي، فتفقد معناها الاجتماعي، بمعنى تفقد القدرة على إبداع الأشياء، والشيء أيضا يفقد مقدرته على إنتاج الأفكار.

مثال: تفاحة "نيوتن"، ما كان أن تؤديه لو وقعت على "جده" في عصور قبله لكان ← أكلها.

فالفكرة والشيء يكسبان قيمة ثقافية في ظل بعض الشروط، ولا يخلقان الثقافة إلا من خلال الاهتمام الأسمى، هذا الخير مرتبط بالفرد وهو علاقة عضوية تربطه بعالم الأفكار وعالم الأشياء. [49]

بشكل عام تعني ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأية قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع وهي بالتالي تتكون من ثلاث دوائر مترابطة ومتماسكة: أولها القيم والمبادئ والمعتقدات، وثانيها أنماط سلوكية، وثالثهما جزاءات جماعية للممارسة والتعامل.

---

[49] المرجع نفسه،ص 48.

وتأخذ الثقافة مجموعة من الأبعاد منها: بعد إدراكي عن الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه: من نحن؟ وما العلاقة مع الآخرين وبعد معياري يقوم على تحديد هرمي للقيم والتمييز بين الخير والشر، وبعد إدراكي يتمحور حول الخطوات الواجب إتباعها.

في إعلان مكسيكو بشأن الثقافة يوليو 1982 في إطار اليونسكو عرفت الثقافة " بأنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كاتبا يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي وعن طريقها (الثقافة) تهتدي

إلى القيم ونمارس الاختيار وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع وأعمال يتفوق فيها على نفسه."

والثقافة هي "العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغير تحويل عطاءاتها وإغنائها وتنميتها،وتدل أيضا على انكباب الإنسان بصورة منهجية على تنمية ملكاته الفطرية بدراسة الآداب والعلوم والفنون، وكذلك بالملاحظة والتفكير، وعلى الصعيد الاجتماعي تذل كلمة ثقافة اليوم على حملة الوجوه الفكرية والأخلاقية والمادية والمذاهب القيمة، وأساليب الحياة التي تميز حضارة من الحضارات.فهي وفق هذه المعاني: كل ما يضيفه الإنسان وينتجه في الحياة:

البعد المعلوماتي للثقافة:

وفي تعريف الثقافة بمغزاه –بعده– المعلوماتي يمكن أن نحدد التصنيفات التالية:

1- **الثقافة كشف اجتماعي:**قوامه القيم والمعتقدات والمعارف والفنون والعادات والممارسات الاجتماعية والأنماط المعيشية، وصلة هذه المقومات بالمعلومات لا تحتاج إلى دليل فكل منها في جوهره هو نوع من انساق الرموز.

2- **الثقافة كإيديولوجية:** تعرف الثقافة في إطاره بصفتها المنظار الذي يرى الفرد من خلاله ذاته ومجتمعه، وبصفتها أيضا معيار الحكم على الأمور أيضا وتتضح صلة هذا التعريف بالمعلومات حين ندرك كيف أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي الأخرى منظارا نرى العالم من عبر شاشات التلفزيون وشاشات الكومبيوتر ولوحات التحكم ونماذج المحاكاة وما شابه، وذلك علاوة على كون تكنولوجيا المعلومات أداة فعالة للحكم على الأمور بفضل وسائلها الكمية وإحصائيات قياس الرأي وخلافه.

3- **الثقافة بوصفها انتماء:** تعبر عن التراث والهوية والحمية القومية وطابع الحياة اليومية للجماعة الثقافية وتكنولوجيا المعلومات هي الوسيلة الفعالة للمحافظة على هذا التراث ورصد حصاد تلك الحياة اليومية علاوة على ما تقدمه من خدمات في مجال اللغة، ركيزة الهوية ورمز الحمية القومية.

4- **الثقافة بوصفها تواصلا:** من خلال نقل أنماط العلاقات والمعاني والخبرات بين الأجيال، وهذا التعريف بلا شك أقرب تعاريف الثقافة إلى تكنولوجيا المعلومات، حيث اللقاء المباشر بين اتصالات المعلومات ونظمها والتواصل الثقافي، وأنساق الرموز التي يتم من خلالها انتقال المعاني والخبرات من جيل إلى جيل.

5- **الثقافة بوصفها دافعا:** على الابتكار والإبداع والنضال ضد القهر والظلم، وهنا يبرز دور تكنولوجيا المعلومات كأداة للمبدعين من جانب ودور الانترنت كسلاح في يد المناضلين والمناهضين للظلم من جانب آخر يمكن من خلالها ان تسمع أصوات المهمشين والضعفاء.

6- **الثقافة بوصفها حصادا متجددا:** يتم استهلاكه وإعادة إنتاجه والتفاعل معه وإدماجه في مسار الحياة اليومية، ومفهوم "إعادة الإنتاج" يقصد به ثقافيا إعادة النشر والتسجيل ونسخ البرامج وتجديد استخدام التراث وما شابه، وهذا المفهوم أصبح المحور الرئيسي الذي يدور حوله اقتصاد عصر المعلومات والعامل الأساسي في إعادة تشكيل العلاقات بين المنتج والمستهلك والمبدع والمتلقي والناشر والمؤلف. [50]

---

[50] نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سبق ذكره ، صص 126،127.

المبحث الثالث

الفرق بين الثقافة والحضارة

ذهب المؤرخ "لوسيان فيغر" Lucien Febore، (1888-1956) الذي تخصص في دراسة التاريخ والجغرافيا، وبعد الحرب العالمية الأولى تم توظيفه في جامعة سترازبورغ الذي أعيد تأسيسها كجامعة فرنسية في العام 1919 عندما عادت منطقة الألزاس إلى فرنسا، وأسس مع المؤرخ مارك بلوك سنة 1929 دورية الحوليات Annales.

ذهب إلى أنه "لكي نعيد بناء تاريخ اللفظة الفرنسية Civilisation (حضارة)، سيكون من الضروري إعادة تركيب مراحل أعمق الثورات تأثيرا، والتي مرت خلالها الروح الفرنسية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا".

وكان موضوع محاضرته التي ألقاها في ندوة سنة 1929 موسومة بعنوان "الحضارة اللفظة والفكرة"، La civilisation : la mot et l'idée، ويقول في مداخلته "من الواضح أن اللفظة قد تطورت بحيث تشير إلى مفهومين مختلفين تماما، فأحد هاذين المفهومين هو الاستخدام الإثنوغرافي الذي يشير إلى مجموعة من السمات التي قد تسجل عند دراسة الحياة الجمعية لمجموعة من البشر مجموعة تحتضن الجوانب المادية، والفكرية، والأخلاقية، والسياسية للحياة الاجتماعية ولا ينطوي هذا الاستخدام على أي حكم على القيمة، وفي المعنى الثاني تعني الكلمة ضمنيا، حضارتنا نحن، المقيمة على درجة عالية والتي يتمتع بعض الأفراد بالانتماء إليها، كيف تأتي للغة عرف عنها الوضوح والمنطقية أن نصل إلى استخدامين متناقضين لكلمة واحدة كهذه؟

لم يتمكن "لوسيان فيغر" من العثور على مصدر استخدام لفضة "حضارة" Civilisation بأي من المعنيين الحديثين قبيل العام 1766 وفي ما سبق ذلك كانت لفضة Civilisation تستخدم فقط بوصفها مصطلحا تقنيا قانونيا يشير إلى تحويل المحاكمة الجنائية لمجرم إلى قضية

مدنية، ومع ذلك فإن ألفاظ مثل Civilisation، و politesse (مهذب)، و "polic" بمعنى إطاعة القانون. [51]

تعود إلى القرن السادس عشر، وعلى مدى القرن السابع عشر، شاع استخدام لفظة savage (وحشي) و barbarion (بربري) بالنسبة إلى الناس الأكثر تحضرا في اللغة الفرنسية لوصف أولئك الذين يفتقرون إلى التحضر والكياسة والحكمة الإدارية، ومع حلول القرن الثامن عشر يقترح "فيغر" أنه كانت هناك حاجة إلى مصطلح مستقل جديد لوصف مفهوم جديد وقد تمكنت لفظة Civilisation الجديدة المولودة في أوانها من أن تدخل "قاموس الأكاديمية الفرنسية"، ولقد كان هذا العصر، عصرا عظيما من حيث النشاط العلمي، وحفزت الأبحاث واسعة المدى عن الثقافات الغربية والماضي السحيق المنصبة في الموسوعة الفرنسية Encyclopédie المزيد من التفكير في النسق العام للتاريخ، وفي بداية الأمر عززت أدبيات الاستكشافات المتزايدة الاعتقاد بتفوق الحضارة، وبدأ المفكرون الفرنسيون في وضع الخطوط العامة للتاريخ الكوني الذي تمر فيه الوحشية إلى البربرية، والبربرية إلى الحضارة، مؤمنين بفكرة الحضارة التقدمية، وتفوق الحضارة.

في بحث مكمل ألقاه في الندوة ذاتها تحت ذاتها تحت عنوان "الحضارة: عناصر وأشكال" حدد عالم الاجتماع "مارسيل موسس" مفهوم الحضارة الذي طرحه بالاشتراك مع "إميل دوركايم" في دورية الحوليات الاجتماعية، واستعرض بإيجاز ما أسماه الاستخدام التسوقي، في تعبيرات مثل الحضارة الفرنسية أو الحضارة البوذية أو الحضارة الإسلامية، الموضوع في هذه الأمثلة هو أنماط تفكير محددة مجالات ذهنية معينة والتي يفضل أن يطلق عليها "ذهنيات" "Mentatité"، ويجب عدم حصر الحضارة لتعني فقط الفنون أو معادلتها بالمصطلح الألماني Kultur الذي يعني الثقافة، فكلاهما يعد تفسيرا شعبيا ليس ذا قيمة علمية.

ومن وجهة نظر علم الاجتماع، فإن الحضارة هي في المقام الأول جمعية ومميزة، ولكنها ليست معادلة لما يطلق عليه "دوركايم" "الوعي الجمعي" للمجتمع لأنها ليست مقصورة على شعب

---

[51] آدم كوبر ,ترجمة تراجي فتحي:**الثقافة التفسير الانثروبـــولوجي**, سلسلة عالم المعرفة, مارس 2008 ،ص ص 38,37

بعينه، وعلاوة على ذلك وعلى النقيض من التراث الثقافي المحلي الخالص، تتسم الحضارة بالمنطقية والعمومية، وهي قبل أي شيء تتسم بالتقدمية.

وبعد مرور عدة سنوات على عقد ندوة "فيغر" عمد "نوربرت إلياس" –اليهودي الألماني المنفي في لندن– والذي درس علم الاجتماع في هايدلبرغ على يد "كارل مانهايم"، الذي استدعاه فيها بعد ليكون مساعدا أكاديميا له في فرانكفورت، سنة 1929– عمد إلى مقارنة تطور المفهوم الألماني للثقافة Kultur، والمفهوم الفرنسي للحضارة Civilisation، واستكشف "نوربرت إلياس" في الجزء الأول من كتابه "عملية التحضر" العلاقات بين المفهوم الألماني للثقافة والمفهوم الفرنسي عن الحضارة في التقليد الفرنسي كان ينظر إلى الحضارة ككل معقد ومتعدد الزوايا يتضمن حقائق سياسية واقتصادية ودينية وتقنية وأخلاقية واجتماعية وهذا المفهوم الواسع للحضارة تعبر عن الوعي الذاتي للغرب ... فهو يلخص كل ما يعتقد المجتمع الغربي أنه تفوق فيه خلال القرون الثلاثة الأخيرة على المجتمعات السابقة أو المجتمعات المعاصرة الأكثر بدائية، لكن الألمان ينظرون إلى الحضارة على أنها أمر خارج ونفعي ذو عدة أوجه، غريب عن قيمهم الوطنية، وتمضي الحضارة قدما مع مرور الزمن وتتجاوز الحدود الوطنية، على العكس من الثقافة Kultur المحدودة في الزمان والمكان والمتداخلة مع القيم الوطنية. [52]

عندما كان الألمان يعبرون عن فخرهم بإنجازاتهم لم يكونوا يتحدثون عن حضارتهم بل عن ثقافتهم ويشير هذا المصطلح بشكل جوهري إلى الحقائق الفكرية والفنية والدينية".

وقد رسم الألمان "خطا فاصلا حادا بين الحقائق من هذا النوع من جهة وبين الحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى"، ولم تكن الثقافة أمرا وطنيا فقط بل كانت أيضا أمرا شخصيا.

أدخل مصطلح الثقافة في البحث الحديث على يد "هردر"، ونقله عن "سيسرو" الذي كتب عن التثقيف الروحي موسعا فكرة استصلاح الأرض بهدف الزراعة ليطبقها على العقل، لذلك تضمنت لفظة Kultur (الثقافة) الزراعة والبنية Bildung الشخصي تجاه الكمال الروحي، وقد يدعي الشخص الفرنسي أو الإنجليزي أنه متحضر من دون أن يحقق أو ينجز أي شيء بذاته،

---

[52] المرجع نفسه، ص 41.

لكن من وجهة النظر الألمانية يتعين على كل فرد أن يحقق منزلة ثقافية من خلال عملية التعليم أو التطور الروحي.

تطور مفهوم الثقافة الألماني من خلال الجدل مع مفهوم الحضارة الكونية الذي ارتبط بفرنسا، فما نظر إليه الفرنسيون على أنه حضارة أممية اعتبره الألمان مصدرا للخطر على الثقافات المحلية المميزة ... وفي ألمانيا ذاتها كان الخطر عاجلا جدا، فقد غرست الحضارة نفسها في مراكز النفوذ السياسي في البلاط الألماني الناطق بالفرنسية والمحب للثقافة الفرنسية، وعلى العكس من المفكرين الفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا يعرفون بطموحات الطبقة الحاكمة، عرف المفكرون الألمان أنفسهم من خلال معارضة الأمراء والأرستقراطيين.

ففي نظرهم افتقرت الطبقة العليا إلى الثقافة الأصلية، ولقد كانت حضارة الصفوة المتحدثة بالفرنسية حضارة مستعارة، واشتقت المبادئ الأخلاقية للطبقة الأرستقراطية من قواعد شرق مصطنعة، دعوى التكامل الفردي والإنجاز العلمي والفني ووضع الإنجاز الفردي في النمو الروحي في منزلة تفوق المكانة الموروثة وزخرف البلاط المصطنع، وكانت الجامعات هي قاعدة المفكرين "الطبقة المتوسطة في مواجهة البلاط"، وهنا عززت الثقافة الأدبية الفلسفية الألمانية المحققة داخليا.

وفي أعقاب الثورة الفرنسية برز التناقض بين الحضارة الأرستقراطية المزيفة والثقافة القومية الأصلية كموقف نقيض بين فرنسا وألمانيا وتحدد هذا التناقض بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العظمى، وهي الحرب التي شنت ضدهم باسم الحضارة الكونية، وفعلت فكرة الثقافة خلال الكفاح الذي نتج عن ذلك من أجل إعادة تحديد هوية ومصير ألمانيا، ولخصت الثقافة والحضارة القيم المتنافسة التي (من وجهة نظر بعض الألمان)، فصلت بين ألمانيا وفرنسا: القيم الروحية، القيم المادية، الصدق والاصطناع، الأخلاق الأصلية والأدب الظاهري. [53]

يعتبر "فرويد" أيضا من المفكرين الذين حاولوا الكشف عن طبيعة العلاقة بين المفهومين "الحضارة" و "الثقافة"، ونشر كتابين بهذا الشأن، الأول سنة 1927 في ألمانيا بعنوان "مستقبل وهم" The futur ofan illusion، والثاني عنوانه "الحضارة وقلتها" Civilisation and

[53] المرجع نفسه، صص 45,44.

itsdiscontents، سنة 1930 وتحدث فيه عن أن "حضارة الإنسان التي أعني بها كل الوجه التي رفعت الحياة البشرية ذاتها لتصبح أعلى من الحالة الحيوانية، ومختلفة عن حياة الوحوش، واستنكف أزدري أن أميز بين الثقافة والحضارة"، والتعارض الذي رآه فرويد" كان بين الإنسان المثقف والحيوان الغريزي.

وقد عرف "ماكس فيبر" الثقافة –بعد ظهور التخصصات الأكاديمية التي تطورت في ألمانيا لدراسة منتجات الثقافة والروح الإنسانية كعلم الثقافة وعلم الروح– العقل – عرفها بأنها "إسباغ المعنى والأهمية من وجهة نظر البشر على جزء محدود من الأحداث اللامتناهية وغير ذات المعنى في العالم وأن أفضل تعبير عن الثقافة نراه في الحياة الدينية، وعلى الرغم من أن الثقافة هي أفكار في الغالب ضمنية، لا يمكن إدراكها إلا من خلال إهمال عاطفي للمخيلة، فإن "فيبر" أصر على أن "المعتقدات والقيم أشياء واقعية مثلها مثل القوى المادية، ومن الممكن أن تغير من طبيعة الواقع الاجتماعي. [54]

لكن الثقافة غير حصينة، إذا كانت أساساتها عرضة للتفويض على يد الحضارة وقوى العلم الهدامة التي لا تقاوم، والمنطقية والبيروقراطية والمادية، وفي دفاعها عن نفسها تستطيع الثقافة أن تحشد فقط الفرص الفوضوية لتجديد جاذبيتها والأعمال الدفاعية للمفكرين.

وفي بريطانيا، كما في فرنسا وألمانيا حفزت الأزمة السياسية في الثلاثينيات من القرن العشرين الجدل القلق المتحدد بشأن الثقافة والحضارة، لكن حينها كان المفكرون أكثر تأثرا بالتراث الانجليزي المتأمل لوضع الثقافة الرفيعة في حياة الأمة والذي كان مرجعه نظرية "ماثيو أرنولد" المتمثلة أشهر ما يكون في كتابه "الثقافة والفوضى" في العام 1869، هؤلاء المفكرون اعتقدوا أن الثقافة تتعرض للخطر من جانبين: الحضارة المادية من ناحية والثقافة الجماهيرية من ناحية أخرى.

فعندما كتب تي.ا.س. إليوت عن المادية أو المال والصناعة فإنه فضل استخدام لفظة "حضارة" على لفظة "ثقافة" الذي نشر سنة 1948 ذكر:

---

[54] المرجع نفسه، ص 49.

"تشمل الثقافة كل الأنشطة والاهتمامات المميزة لشعب ما" وقدم قائمة من الصفات الثقافية المميزة للشخصية الإنجليزية: "سباق دربي السنوي للخيل سباق هنليريغاتا، الثاني عشر من أغسطس ومباريات بطولة نهائية مسابقات الكلاب، لعبة الكرة والدبابيس، لوحة السهام، الملفوف الأبيض المسلوق، البنجر المخلل، الكنائس القوطية من القرن التاسع عشر وموسيقى الجاز وعلى العكس من "أرنولد ماتيو" لم يكن "إليوت" يسعى إلى التقليل من أهمية المنح الحسية التي يتمتع بها الهمج بل كان يصور المقومات المتنوعة (وهو تنوع ضروري بالنسبة له) التي تصنع الثقافة القومية. [55]

وفي أعقاب الحرب العالمية تبنى إليوت النسبية الشرطية فمن الصحيح كما أورد أن الحضارة أصبحت أكثر تعقيدا وأن المجموعات الاجتماعية غدت أكثر تخصصا، وأن الفنون صارت أكثر صقلا، ولكن لم يكن هناك أي تقدم أخلاقي واضح كما أصر على وجوب التعامل مع الثقافات الأخرى وفق شروطها الخاصة بها: "يمكننا أيضا أن نتعلم احترام كل ثقافة أخرى ككل متكامل، مهما بدت أدنى من ثقافتنا أو مهما كنا محقين في أن تستهجن بعض سماتها: إن الهدم المعتمد لثقافة أخرى ككل لهو خطأ، لا يمكن إصلاحه وتقريبا على الدرجة نفسها من شرور معاملة البشر كحيوانات، إن التنوع في الحضارات هو الأمر الذي يستحق التقدير، لذا فإن الحديث عن ثقافة عالمية عامة لهو مفهوم رهيب: "إن الثقافة العالمية هي ببساطة ثقافة موحدة لن تكون ثقافة على الإطلاق، بل ستنتج عنها إنسانية منزوعة الإنسانية، بل يجب علينا أن نطمح إلى ثقافة عالمية عامة لا تقلل من خصوصية الجزاء المشكلة لها، كما أنه حذر من أن التنوع الثقافي سيحرض على الصراع: "إن الأديان المتنازعة تعني ثقافات متنازعة،وفي النهاية لا يمكن التوفيق بين الأديان"، وهو رأي "أليوت" بالنظر إلى العلاقة المتكاملة بين الدين والثقافة: "إن أي دين ما دام مستمرا وعلى مستواه الخاص يعطي معنى واضحا للحياة ويقدم إطارا للثقافة ويحمي جميع البشرية من السأم واليأس، ولكن من مهمات الثقافة أيضا أن تمنح الحياة الهدف والمعنى بل ويمكن وصف الثقافة بأنها تجعل الحياة تستحق أن تعاش".[56]

---

[55] المرجع نفسه، ص ص50،51.

[56]المرجع نفسه، ص 52.

وفي العام 1983، وفي مقدمة طبعة جديدة من كتابه ذكر المفكر الإنجليزي "ريموند ويليامز" وهو باحث في علم الأنساب (1921–1988) وأخذ على عاتقه دراسة الثقافة، ذكر أن جدله اعتمد على اكتشاف أن فكرة الثقافة واللفظة ذاتها في استخداماتها الحديثة العامة، دخلت التفكير الإنجليزي في مرحلة نصفها عموما بالثورة الصناعية، ودخل المصطلح الخطاب الانجليزي مع كلمات جديدة أخرى مثل "الصناعة" والديمقراطية، و"الطبقة" و"الفن" وتشكل مفهوم الثقافة من خلالعلاقته بتلك الأفكار وعلى وجه الخصوص، تطورت فكرة الثقافة بالجدل مع ما أطلق عليه "النظام الصناعي.

"الثقافة هي التغيير المستمر للذات، والحضارة هي التعبير المستمر للعالم الحضارة هي النزول إلى الأرض لتعميرها، والثقافة هي ارتقاء روحي نحو السماء ،حامل الثقافة هو الفرد، وحامل الحضارة هو المجتمع".[57]

في الحقيقة هناك قضية تقليدية تواجه الباحث عند معالجته لموضوع الثقافة وهي مسألة الفرق بين الثقافة والحضارة، ويمكن تسجيل رأيين مختلفين.

I– الرأي الذي لا يرى أن هناك فرقا بين المفهومية، وهو رأي ينقسم إلى ثلاثة اتجاهات:

أ– الثقافة مرادفة للحضارة.

ب–الحضارة هي ثقافة ولكن بدرجة عالية من التعقيد، وعليه فإن الثقافة تشمل في نطاقها سائر الفنون والعادات والقيم والتقاليد، وكل الأشياء التي لا تورث بيولوجيا، أي كل ما صنعه الإنسان في مجتمع ما، وبهذا تعد كل من الحضارة والمدينة أسلوبين أو نمطين من أنماط الثقافة شأنها في ذلك شأن البداوة والقبيلة والقروية، وبهذا يمكن القول بأن كل حضارة أو مدينة هي ثقافة، وليست كل ثقافة هي حضارة أو مدينة، وهذا الرأي نجده أكثر عند علماء الأنثروبولوجيا الذين ينظرون إلى الحضارة كنوع خاص من الثقافة أو كشكل من أشكالها المعقدة.

---

[57] علي عزت بيقوفيتش: ترجمة محمد يوسف عدس:**الإسلام بين الشرق والغرب**، ميونخ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ط1، 1994، ص 13.

ج– الثقافة كجانب من جوانب الحضارة وهو رأي وإن كان شادا إلا انه من الآراء المطروحة، وفي هذا الإطار يقول "حامد عمار": "لكل مجتمع حضارة، وأحد جوانب الحضارة هو الجانب الثقافي الذي يمثل كل ما يتصل بالأفكار والمعارف والمشاعر، وإذا كان لفظ الحضارة هو المصطلح العام فإن حضارة المدن هي المدينة.[58]

II – الرأي الذي يفرق بين الثقافة والحضارة حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الثقافة تشمل كل ما يتعلق بالجوانب اللامادية من الحياة الاجتماعية كالأفكار والأساطير والمعتقدات والصور والفن والأدب والقيم والأخلاق والمعايير، أما الحضارة فتشمل الجوانب المادية من الحياة الاجتماعية في مجال الإبداع الإنساني في العلوم والصنائع وكل التطبيقات العملية، وهي تفرقة في الحقيقة غير كافية إذ أننا لا نستطيع التمييز بين هذين الجانبين الذين يتداخلان كثيرا في واقع الحياة.

ولعل أهم تفرقة نجدها عند علماء الغرب بين الثقافة والحضارة، تلك التفرقة التي يعتمدها علماء الاجتماع والقائمة على أساس الوسائل والغايات.

فهم يتميزون بين الحضارة بوصفها المجموع الإجمالي للرسائل البشرية، وبين الثقافة باعتبارها المجموع الإجمالي للغايات البشرية على حد تعبير "رالف لينتون".

ومن أنصار هذا الرأي أيضا نجد "ألفريد فيبر" الذي ينظر إلى الثقافة باعتبارها ظاهرة روحية بينما ينظر إلى الحضارة باعتبارها ظاهرة عقلية، الأولى ذات قيمة معيارية والثانية نتاج الإنسان في محاولته السيطرة على الوسط الطبيعي والاجتماعي باستخدام العلم والصناعة، وحاول "ألفريد فيبر" أن يميز بين الثقافة والحضارة إذ قال "بأن الحضارة تشمل على المعرفة الوضعية والعلم والتكنولوجيا، أما الثقافة قد تتعلق بدراسة الأشكال الروحية للإنسان وما تتضمنه من قيم ومقاييس وعادات وانطباعات لا يمكن القول عنها بأنها صحيحة أو غير صحيحة، وذلك لمرونتها ونسبيتها واختلافها من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى".[(59)]

---

[58] مراد زعيمي :**علم الاجتماع رؤية نقدية**, مخبر علم إجتماع الاتصال, جامعة منتوري ,قسنطينة ,2004 صص 251,250

[(59)] المرجع نفسه، ص 252.

في هذا الموضوع دائما يقول علي عزت بيجوفيتش: "موضوع الثقافة موضوع ثابت هو لماذا نحيا؟ أما الحضارة فهي تقدم متصل يتعلق بسؤال آخر هو: كيف نحيا؟ السؤال الأول عن معنى الحياة والسؤال الثاني عن كيفية هذه الحياة، يمكن تمثيل الحضارة بخط صاعد على الدوام، من اكتشاف النار إلى الرحلات الفضائية أما الثقافة في بحث دائم يعود إلى الوراء ثم يبدأ من جديد".[60]

[60] علي عزت بيقوفيش: مرجع سابق، ص 40.

الفصل الثانـي

الفصل الثاني :ظاهرة العولمة وأبعادها

يتضمن أربع مباحث

المبحث الاول :العولمة نظرة في تاريخ المصطلح

المبحث الثاني :الدراسات المعرفية للعولمة

المبحث الثالث :مفهوم العولمة

المبحث الرابع :الابعاد المختلفة الظاهرة العولمة

الابعاد الاعلامية

الابعاد المعلوماتية

الابعاد السياسية

الابعاد الاقتصادية

المبحث الأول:

العولمة نظرة في تاريخ المفهوم

استعمل مصطلح "العولمة" بداية منتصف الستينيات ودرج في الاستعمال الشعبي منتصف التسعينات، لا تنكر سوى فئة قليلة أن شيئا ما يجري "هناك" يعيد بناء العالم تدريجيا، وهناك خلاف يدفع هذا الشيء، وكيف يجب التنظير له؟ وما هي تأثيراته، وقد أنتج هذا البحث النظري والتجريبي مادة ضخمة ومتنامية في العلوم الاجتماعية.

تسجل "الببيوغرافيا العالمية للعلوم الاجتماعية IBSS.مقالات نشرت في مجلات أكاديمية مرموقة جدا، وظهر المقال الأول بمصطلح العولمة globalization أو glubalisation في العام 1983، وانتقل العدد عام 1990 إلى 15 خمسة عشر مقالا ضمن المصطلح، وبحلول العام 1998 ارتفع هذا الرقم إلى ما يزيد على 100، وفي العام 2003 وصل إلى 2909، وفي السنوات العشرين بداية من العام 1983 أدرج 12859 مقالا تناول قضايا العولمة بشكل كبير في البيلوغرافيا العالمية للعلوم الاجتماعية.[61]

ولتوضيح الإرث الطويل للفكرة ذكرنا "موترز" أنه بشكل غريب أعلنت العولمة، آو مفهوم يشبهها كثيرا، ظهورا في تطور العلوم الاجتماعيةمبكرا وتتبع الروابط بين بعض الروايات القديمة المبكرة لـ "عالمية" سان سيمون وكونت ودور كايهم، الذي تكلم مثلا عن آثار التصيع من حيث إضعافه لبنيات الدولة وثقافة الدولة القومية، مؤديا إلى تفكيك الحدود بين المجتمعات، وفي مثال آخر تكلم "فيبر" عن انتشار مذهب الكالفينية والتفكير العقلاني في أوروبا وهيمنة الثقافة الغربية في نهاية المطاف، وكان عند ماركس نوع من نظرية العولمة، فصلها لينين بشكل أكثر منهجية، حيث حاول ماركس أن يبرهن بأن"البورجوازية" (الطبقة الصناعية) في بحثها عن الأرباح واستخلاص الفائض من البروليتارية (الطبقة العاملة)، ستوسع آفاقها الجغرافية جاذبة بلدان الهامش نحو نظامها باعتبارها مزودا لليد العاملة الرخيصة والمواد الخام، استنتج أن هذا سيؤدي في النهاية إلى الثورة وأوضح ماركس في تفسيره نقطتين مهمتين:

---

[61] وروبك موراي، ترجمة سعيد منتاق، مرجع سبق ذكره، ص ص26،27.

أولاأوضح أن المنطق الكامن وراء توسع الرأسمالية ثقافي واقتصادي أيضا، وثانيا اعتبر أن هذه العملية واحدة من عمليات "اعتماد القوميات بعضها على بعض واعترف بالوجود المستمر للدولة القومية.

كما اقترح "وولرستاين" من خلال كتاباته في السبعينات نظرية أنظمة العالم، محاولا البرهنة أن نموذج الإنتاج الرأسمالي سيخلف آخرين مع انتشاره عبر الكوكب، وبالنسبة إلى "وولرستاين" ومنظري التبعية الذين يستخدمون وجهات نظر متشابهة لن يؤدي هذا بالضرورة إلى نتيجة مثالية في النهاية، وتكمن أهم أفكار "وولرستاين" في مركزية الدولة القومية وتعايش أنظمة العالم المختلفة وثقافاته التي تعبر الرأسمالية المهيمنة فيها.

في رأي "ووترز" كانت مفاهيم ونظريات العولمة إلى حدود منتصف الثمانينات "ذات بعد واحد" مركزة على مجال واحد من التجربة الإنسانية غالبا المجال الاقتصادي وطورت في سنوات السبعينات والثمانينات من خلال أعمال "بورتن" 1972 "وروسنو" 1980 وخاصة الجوانب السياسية، واحتج بشكل متزايد على أن الحكامة العابرة للقوميات برزت إلى جانب الأنظمة القومية الحاكمة مما أدى إلى ثنائية سياسية جديدة، قرية عالمية.

ومن بين الأفكار الأكثر تأثيرا في النصف الثاني من القرن العشرين فيما يخص مصطلح العولمة ،كانت فكرة الناقد الأدبي "مارشال ماكلوهان" أي فكرة القرية العالمية، حيث دخل هذا المفهوم الخيال الشعبي بطريقة مختلفة لم تكن ربما مقصودة من قبل المؤلف، وكانت مركزية في تطور الوعي العالمي الشعبي.[62]

فبعد الحرب العالمية الثانية لاحظ النقاد، أن العلاقات الاجتماعية كانت تمتد إلى حد كبير على الفضاء، بسبب تطور تكنولوجيا الاتصالات،التي تحسن بعضها خلال الحرب، وفي الستينات أمسك "ماكلوهان" بجوهر ذلك وصاغ المصطلح محاولا البرهنة على أن العالم قد أصبح مضغوطا، ومتقلصا كهربائيا إلى حد أن الكوكب ليس أكثر من قرية واحدة، وأشار أيضا إلى تطور العلاقات الاجتماعية والبنيات التقنية الثقافية المستعملة لتبليغها مع مرور الوقت وانقسم

---

[62] المرجع نفسه ،صص 42،43.

التاريخ إلى ثلاث مراحل مرتكزة على شكل التواصل المهيمن (شفاهي، كتابي، تصويري، الكتروني)، وفي رأي "ماكلوهان" مع مرور

الوقت قيد التواصل الشفافي بالضرورة التفاعل الاجتماعي في مسافات قصيرة نسبيا، (داخل القرى مثلا) وجعلظهور الكتابة, نقل الأفكار والعلامات الثقافية عبر الفضاء أسهل بكثير مؤديا إلى تزايد في "تمدد" العلاقات الإنسانية، وكان لمجيء العصر الالكتروني والتوسع الأكبر للعلاقات الاجتماعية التأثير المتناقض في جعل التواصل الشفاهي مرة أخرى أكثر شعبية، ولكن هذه المرة توسعت القرية عالميا.

ويقول في مقدمة "كتابه" في فهم وسائل الإعلام" اليوم بعد أكثر من قرن من التكنولوجيا الكهربائية، وسعنا جهازنا العصبي المركزي في عناق عالمي ملغيا كلا من الفضاء والزمن فيما يتعلق بكوكبنا. [63]

أطروحات معاصرة

ومند نحو منتصف الثمانينات ، برز التنظير الواضح للعولمة ، بعد دخول المصطلح في الاستعمال الأكاديمي ، وأخيرا في الاستعمال الشعبي، وذكر" ووترا " شخصيات مثل "بيك" 1992، روسنو 1990، والاش وأوري 1994 والجغرافي هارفي 1989 بصفتهم مساهمين مهمين في هذا المسعى، ومع ذلك فإن "روبرتسون" 1992 و"آنتونيغيدنر" هما اللذان تنسب إليهما الإسهامات الرئيسية، بأفكارهما حول "الفرد في علاقته بالمقاييس العليا من التحليل" ووضع مسافة زمنية– فضائية على التوالي ،والخصائص المهمة لكل من اقتراحيهما" روبرتسون و "غيذنر" ،هي أن مقاربتها متعددة الأبعاد، كما أنهما يركزان على الذاتية ، والثقافة باعتبارهما مركزين في التسريع الحالي لعملية العولمة.

كما يقدم "هيلد وآخرون " 1999 طريقة مفيدة لمراجعة تنوع الأفكار في الأطروحات الثلاث لمخطط العولمة ، ولا يرى هؤلاء المفكرون إجماعا متطورا ,ولا حتى نموذجا واحدا للمسك بمصطلح وظاهرة العولمة: ويقول هيلد في هذا الصدد: "ما وراء الاعتراف العام بتكثيف واقعي، أو مدرك للترابط العالمي هناك خلاف جوهري فيما يتعلق بكيفية تصور العولمة بشكل أفضل،

---

[63] المرجع نفسه،ص 43.

كيف يجب على المرء أن يفكر في قواها السببية المحركة، وكيف يمكن أن يميز نتائجها البنيوية، إن وجدت".[64]

فبحسب **المتحمسين** للعولمة هناك عصر جديد من التاريخ يطل علينا، عصر لم يسبق له مثيل إطلاقا: ويرى" أوهمي" مثلا أن الدولة القومية التقليدية أصبحت وحدات غير طبيعية، بل مستحيلة في الاقتصاد العالمي ,في هذا النقاش يعد الاقتصاد العالمي دون حدود ، ويتميز بسوق عالمية واحدة تعمل من خلال شبكات الإنتاج ،والتجارة ، والتمويل العابرة للقوميات، لذلك أصبحت أشكال الحكامة الناشئة، التي تحتل أعلى قياس الدولة القومية وأسفله مهمة بشكل متزايد.

واختلاف الإيديولوجيات، داخل هذه المجموعة (المتحمسون للعولمة) بارز من خلال الليبراليون الجدد وبعض الماركسيين الجدد على حد سواء يكونون جزء من المدرسة، حيث يعتبر الليبراليون الجدد ومثلهم "أوهمي 1995" أن تأكل السلطة التنظيمية للدول عامل إيجابي يعلن انتصار الرأسمالية على الاشتراكية، وترى المجموعة الثانية أيضا أن الرأسمالية العالمية انتصرت وفي المقابل ,يعتبرون الرأسمالية العالمية جائرة ورجعية في آن واحد كما يقول "بيت وواش، 1993 وبيتراس 1999)، ويفترض المنظوران أن القوة الاقتصادية مهيمنة.

ويوجد في الحقيقة اقتصاد عالمي متكامل بالفعل، وأن الحكومات منحصرة بشكل غير مريح بين المحلي والإقليمي، وهيئات الحكامة المتجاوزة للقومية، فهي بذلك وإلى حد كبير لا صلة لها بهذا التوجه العام ،وترى أطروحة المتحمسين للعولمة، أن ولاءات الطبقة الجديدة العابرة للقوميات قد تطورت، محدثة نخبة عالمية جديدة تتشارك في الارتباط الإيديولوجي بالليبرالية الجديدة ,والنزعة الاستهلاكية، ويرى البعض أن هذا دليل على أول "حضارة عالمية" حقيقة، مسهلة انتشار – ليس فقط – النزعة الاستهلاكية الليبرالية الجديدة، بل أيضا الديمقراطية الليبرالية ،وأشكال جديدة من الحكامة العالمية.

المشككون:

في الطرف الآخر من السلسلة يوجد المشككون الذين يطرحون تساؤلات عن وجود العولمة ذاتها، ومع أنهم أقل صخبا. فإنهم يرددون مرارا الروايات التي تدعي أن العولمة حتميةوالأنصار

---

[64]المرجع نفسه، ص 45.

الرواد لهذا الرأي هما: "هورست" و"كومبسون 1999" اللذان يستعملان مجموعة واسعةمن الحائق التجريبية للبرهنة على أن اقتصاد العالم ليس مترابطا اليوم أكثر مما كان عليه في الماضي.

(حقبة معيار الذهب في نهاية في نهاية القرن 19 كان اقتصاد العالم أكثر تعاملا)، وبالنسبة لهم (المشككون في العولمة) ستبقى الحكومات القومية هي الفاعل المركزي في بناء الاقتصاد العالمي وتنظيمه، وما بقي لدينا هو اقتصاد سياسي ثم تدويله، ينقسم إلى كتل اقتصادية قوية، وأقوى الكتل هي أوروبا ،وشرق آسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية، وتجري عملية الأقلمة في رأيهم ضد العولمة ويتهمون المتحمسين للعولمة بوصف رواياتهم عن العولمة ستارا من دخان، وضع لتقييم الأهداف الحقيقية للنخبة الرأسمالية القوية، فالحكومات القومية الرأسمالية ، وفي المقام الأول الدول الثماني الكبرى هي المصممة للاقتصاد العالمي الجديد.

تؤكد هذه المجموعة المختارة من البلدان المركزية إصلاح السوق الحرة، في البلدان الفقيرة – مدعية أن هذا ضروري للبقاء في سياق العولمة المحتومة، ويطرح المشككون في العولمة تساؤلات حول ظهور"حضارة" عالمية أو مجتمع مدني عالمي، بالأحرى يضاعف تعميق التفاوت من التوترات الاستعمارية الجديدة بين الكتل الحضارية والجماعات الأخلاقية كما يقول هيتنغتون، ويعتبر خطاب تجانس الثقافة العالمية، جزءا من المشروع التاريخي لهيمنة الغرب مهد له الاستعمار وتوجد روابط، بدأت دراستها مع ثقافة ما بعد الاستعمار التي تميل نحو اعتبار خطاب العولمة جدول أعمال صمم لتوسيع تبعية ضحايا ما بعد الاستعمار، ويرى "تشومسكي" ، الحرب على الإرهاب الحالية جزءا من المشروع نفسه ،متمما خطابات التنمية ، والعولمة باعتبارها إستراتيجية للهيمنة المستمرة من قبل الغرب والحصيلة الرئيسية للأطروحة المشككة ،هي انفجار أسطورة تآكل سلطة الدولية.[65]

المؤمنون بالتحول:

في نقاط مختلفة على سلسلة متصلة بين حدين متطرفين ،تقع أطروحة المؤمنون بالتحول، حيث يرى العلماء هذه المجوعة بطرق مختلفة في أحوال كثيرة أن العولمة حقيقة ، وأنها تعيد بناء المجتمع بعمق (كاستيلز 1996،)غيدنز" ،ويمتد هذا التغيير من التحولات التاريخية، مما

---

[65]المرجع نفسه ،ص 48.

يتباين مع ادعاء المتسمين للعولمة بأنها – العولمة – حالة جديدة تماما، ويرى المؤمنون بالتحول بأن العولمة طارئة تاريخيا ، وجغرافيا بناها العمل الإنساني، فهي بذلك لا تحتوي على نتائج حتمية، ويتغير دور الدولة القومية، وإن لم يتآكل بالضرورة، بل يتطلب ردودا سياسية جديدة مطلوبة نظرا إلى أن الثنائيات التقليدية مثل دولي/ قومي، داخلي/ خارجي، علمي/ محلي قد انهارت .

إن العولمة المعاصرة مختلفة عن عولمة الماضي، على الرغم من اعتمادها بوضوح على عمليات تغيير تاريخية، في المجال الاقتصادي مثلا، نرى منظمات إنتاجية ،ومالية ،وتجارية تتجاوز الحدود القومية إلى حد أن قدر المجموعات البعيدة مرتبط بطرق مختلفة نوعية عن الماضي، والتبادل الثقافي أكثر انتشارا ، ويؤدي إلى تكوين أشكال هجينة جديدة ,وفي المجال السياسي عطلت الروابط بين السلطة المطلقة للدول القومية وحدود تلك الدول الإقليمية ,حيث لم تعد الدول القومية منظمة فقط بالحكومات القومية ولكن أيضا بمؤسسات عالمية تتخطى الحدود القومية، كما أن تكوين الحركات الاجتماعية العابرة للقوميات، معتمدة على هويات جديدة تربط بين مجموعات قومية فرعية عبر الحدود، يتحدى الدولة من الأسفل وفي هذا الصدد فالسلطة المطلقة اليوم هي حاجز أقل تحديدا إقليميا من كونها موردا مساوما من أجل سياسة تتميز بشبكات معقدة عابرة للقوميات.[66]

[66] المرجع نفسه ،ص 49.

الجدول رقم (01)يوضح ثلاث أطروحات عن العولمة

	متحمس للعولمة	مشكك	مؤمن بالتحول
ماذا يحدث؟	العصر العالمي	إقليمية متزايدة	ترابط غير مسبوق
خصائص مركزية	حضارة عالمية مرتكزة على رأسمالية وحكامة عالميتين	إقليمية موجهة مركزيا تجعل الكوكب أقل ارتباطا مما كان عليه في القرن 19	"عولمة كثيفة" كثافة عليا للعولمة، وامتدادية وسرعة.
عمليات قيادية	تكنولوجيا،رأسمالية وبراعة إنسانية	الدول القومية والسوق	قوات "حديثة" في انسجام
أنماط التمييز	انهيار الرفاه التفاضلي مع مرور الوقت بتوازن السوق	بنية المركز – الهامش معززة، مؤدية إلى تفاوت عالمي أكبر	شبكات جديدة من التضمين/ الإقصاء أكثر تعقيدا من الأنماط القديمة
وضع مفاهيم للعولمة	عالم بلا حدود وأسواق ممتازة	تحديد الإقليم، تذويل وأسواق ناقصة	تقليص الزمن – الفضاء ووضع مسافة تعيد قياس التفاعل
الآثار بالنسبة إلى الدولة القومية	متآكلة أو غير ذات صلة بالموضوع	معززة ولها صلة بالموضوع	أنماط حكامه محولة وضرورات جديدة للدولة
المسار التاريخي	حضارة عالمية ترتكز على نخبة جديدة عابرة للقوميات والمجموعات الطبقية	إمبريالية جديدة وصراع حضاري من ردود جبهات إقليمية وجدول أعمال الليبرالية الجديدة	غير محددة – تعتمد على بناء وعمل الدول القومية والمجتمع المدني
الموقف المركزي	انتصار الرأسمالية والسوق على الدول القومية	الدول القومية تخلق جدول أعمال العولمة لتديم وضعيتها المهيمنة	تحول الحكامة بكل المقاييس وشبكات قوية جديدة

المصدر :ووريك موراي ترجمة سعيد منتاق جغرافيات العولمة مرجع سبق ذكره ص 52,51

المبحث الثاني:

الدراسات المعرفية للعولمة

نحاول هنا تقديم تحليل ابستيملوجي للعولمة، يركز على تعريفاتها المختلفة وأطروحاتها المتعارضة، وسياساتها المعلنة.

إن الاقترابات المختلفة من هدا الموضوع المهم سادتها مختلف أنواع التحيزات الفكرية، ذلك أننا نجابه في الواقع بتيارين يسيطر عليهما الانحياز المسبق.

التيار الأول يتحيز للعولمة، ويعتبرها قدرا حتميا لا مفر من قبوله بغير تحفظ بناءا على زعم مبناه ,أن العولمة هي تطور من أجل صلاح الإنسانية جمعاء، **والتيار الثاني** على عكس الأول يرفضها بإطلاق ,على أساس أنها ليست في حقيقتها سوى إعادة إنتاج النظام الهينهة الرأسمالي القديم أو هو في عبارة ساخرة تحقيق الأهداف الخالدة للرأسمالية ،والتي ترتكز في الاستغلال، وتحقيق أعلى معدلات الربح ولو على حساب الفقراء وشعوب العالم الثالث، وإن كان ذلك بوسائل أخرى وإلى جانب ذلك نجد **تيارا ثالثا**, من الكتابات الوصفية التي تقنع بوصف الظاهرة، سواء في جانبها الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي وبدون إصدار أحكام قيمية عليها.

وقد نجد **تيارا رابعا**, بازغا يمارس النقد الموضوعي للظاهرة، متسلحا في ذلك بالأدوات النظرية والمنهجية المتطورة للعلم الاجتماعي المعاصر، ليقدم لنا بأمانة علمية سلبيات وإيجابيات العولمة.

غير أنه لم يسبق أن نشرت دراسات معرفية تحدد تضاريس خريطة العولمة، وتعني بذلك تطبيق المناهج الإبستمولوجية بشكل خلاق، للتمييز بين المستويات المختلفة للتحليل ونقد المفاهيم السائدة، وتحليل النظريات المستخدمة.

"والأبستمولوجيا هي دراسة نقدية موضوعها المعرفة العلمية من حيث المبادئ التي ترتكز عليها والفرضيات التي تنطلق منها، والنتائج التي تنتهي إليها".

ولو أردنا القيام بدراسة معرفية للعولمة، فنحن لن نخوض في تشريح الظاهرة ذاتها ولا في تحليل مختلف تحدياتها، ولا في تعقب آثارها، ولكن سنركز على المعرفة العلمية الخاصة بالعولمة من ناحية التعريفات والمفاهيم والأطروحات والمجالات.[67]

وابتداءا يمكن القول إنه لابد من تصنيف المنظرين الذين يتناولون العولمة بالدراسة والتحليل ..فالعولمة بالنسبة للبعض تمثل تقدما طبيعيا تجاه "عالم بلا حدود" وهي بالنسبة للبعض الآخر مفهوم يتم التركيز عليه تركيزا مبالغا فيه، كما تتم المبالغة أيضا في تحديد آثاره في التطبيق، وإذا أضفنا إلى ذلك المخاوف التي تثيرها العولمة باعتبارها أحد أسباب تخفيض العمالة، وتقليص برامج الرعاية الاجتماعية، لإدراكنا لأنه لا بد من التمييز المبدئي بين الخطابات المتصارعة حول العولمة.

ويمكن القول بشكل عام أن الصراع يدور أساسا بين أنصار العولمة الذين يصفون العالم بأنه سائر حتما في طريقها، وبين هؤلاء اللذين يرفضون هذه الحتمية، ويقررون أن طابع النظام الدولي الذي يتكون من الدول، والتي هي الوحدات الأساسية له، ستبقى ولن يتغير كثيرا. أنصار الاتجاه الأول يرون أنه ستظهر "مراكز سلطة" بديلة وخصوصا في عالم الشركات وعلى الأخص تلك التي يطلق عليها "دولية النشاط" والتي ستنافس غالبا بنجاح مع الدول في تحديد اتجاهات الاقتصاد السياسي الكوني.

والاتجاه الثاني ، يرى أنصاره أن الدول ستظل هي الأطراف الرئيسية الفاعلة في الأنظمة السياسة والاقتصادية، ويعتقد أن موضوعات الأمن القومي مازالت لها الأهمية العليا ,الفريق الأول يطلق على أصحابه "المتعولمون" globalisers والفريق الثاني يطلق على أصحابه "الدولتيون" (من الدولة) internationalists.

والواقع أنه في كلا الاتجاهين نزعة لتشوية الواقع، ذلك أن الدولة كفاعل رئيسي تتفاعل مع باقي الفاعلين الذين ليسوا دولا (كالشركات دولية النشاط، والمنظمات غير الحكومية بطريقة تفاعلية وديناميكية، وذلك لأن الشركات ، والقوى الاجتماعية ،والنظم الدولية ،والمؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية ، لا تعمل دائما في سياق يتم فيه تجاهل الدولة أو إخضاعها

---

[67] السيدياسين: **الحوار الحضاري في عصر العولمة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، مصر 2002، صص 235، 236.

للتحدي، كما أن الدولة – بشكل عام – مازالت مؤسسة قوية وليست بالغة الضعف حتى تدخل في حرب مع أنشطة لا تحبها ولا تميل إليها.

على أن ظاهرة العولمة تحتاج إلى صياغة نموذج متعدد الأبعاد حتى نصل إلى جوهرها الحقيقي وهذا النموذج من وجهة النظر المعرفية – لا بد له أن يربط ربطا عضويا وثيقا بين تعريفات العولمة المختلفة ,والمسلمات التي تقوم عليها، والأطروحات التي تتضمنها، ومجالات السياسات التي تصاغ بناءا على هذه المسلمات، وصور المقاومة لها، وذلك من خلال منظور معرفي متكامل.

والنموذج المعرفي المتكامل ثلاثي الأبعاد، فهو في بعده الأول: دراسة دقيقة لتعريفات العولمة التي يشيع استخدامها لدى الباحثين العلميين ولدى الساسة في الوقت نفسه: وهي تنقسم إلى أربع فئات:

أ – العولمة باعتبارها مرحلة تاريخية .

ب – العولمة باعتبارها تجليات لظواهر اقتصادية .

ج – العولمة باعتبارها انتصارا للقيم (الثقافة) الأمريكية.

د – العولمة باعتبارها ثورة اجتماعية وتكنولوجية .[68]

ولنشرح هذه المتغيرات على الشكل التالي:

أ – العولمة باعتبارها مرحلة (حقبة) تاريخية:

ينزع هذا التعريف إلى اعتبار العولمة حقبة محددة من التاريخ، أكثر منها ظاهرة اجتماعية أو إطارا نظريا، وهي في نظر البعض تبدأ بشكل عام منذ بداية ما عرف بسياسة الوفاقdetente التي سادت في الستينات بين القطبين المتصارعين في النظام الدولي آنذاك أي و. م. أ. والإتحاد السوفياتي إلى أن انتهى الصراع ,والذي يرمز له انهيار جدار برلين ونهاية الحرب الباردة، وهذا التعريف يقوم على الزمن باعتباره العنصر الحاسم بغض النظر عن موضوع السببية (أي الأسباب التي أدت إلى نشأة ظاهرة العولمة)، وهي في نظر أصحاب هذا الرأي هي المرحلة التي تعقب الحرب الباردة من الناحية التاريخية ، ومصطلح الحرب الباردة الذي سبقها يؤدي دوره كحد زمني، لوصف سياق تحدث فيه الأحداث، وبتطبيق هذا المنهج الزمني، يمكن

---

[68] المرجع نفسه صص 238,237.

القول أن العولمة بدأت بإدخال سياسة "الوفاق" بين و.م.أ. والتحاد السوفياتي، وبانهيار الحل الوسط الليبرالي في الوقت نفسه بين رأس المال والعمل في كثير من دول أوروبا الغربية، وقد شهدت هذه الحقبة صعود نهج لسوق ليبرالي جديد للإدارة الاقتصادية على حساب السياسات الكينزية التي اتسمت بالجمود.

ب – العولمة باعتبارها تجليات لظواهر اقتصادية

يركز هذا التعريف على الدولة وظيفيا ,باعتبارها سلسلة مترابطة من الظواهر الاقتصادية وتتضمن هذه الظواهر: تحرير الأسواق ,وخصخصة الأصول ,وانسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها، ونشر التكنولوجيا والتوزيع العابر للقارات، والتكامل بين الأسواق الرأسمالية ,والعولمة في تعريفها الضيق تشير كظاهرة إلى الانتشار واسع المدى في كل أنحاء العالم للمبيعات، والإنتاج وعمليات التصنيع، مما يشكل إعادة صياغة للتقسيم الدولي للعمل، وهذا التعريف يمكن أن نطلق عليه تعريفا اقتصاديا للعولمة، ولكن في الوقت الذي يركز فيه على التحويل والانتاج والتكنولوجيا والتنظيم والسلطة ،كعوامل للتغير ،فإنه يشير إلى أن إلى أن عديدا من الأنشطة ليست "جديدة" تماما بالمعنى التاريخي للكلمة. [69]

ج – العولمة باعتبارها هيمنة للقيم الأمريكية:

لعل خير ما يعبر عن اتجاه هذا التعريف كتاب المفكر الأمريكي، الياباني الأصل "فوكو ياما" نهاية التاريخ الذي اعتبر فيه سقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار الكتلة الاشتراكية انتصارا حاسما للرأسمالية على الشيوعية، وهو يرى أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الولايات المتحدة الأمريكية أو الإتحاد السوفياتي ووفق هذا المنظور، فالعولمة بالمعنى المعياري للكلمة ظاهرة جديدة، وتمثل تقدما في التاريخ، لأنها ترمز في الواقع إلى انتصار ظواهر التحديث وسيادة الديمقراطية كنظام سياسي والمنادون بهذا الرأي يشبهون إلى حد كبير أنصار نظرية التحديث في الفكر السياسي الأمريكي.

---

[69] المرجع نفسه ،ص 242.

د – العولمة باعتبارها ثورة تكنولوجية واجتماعية:

يرى هذا التعريف أن العولمة هي شكل جديد من أشكال النشاط، يتم فيها الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى مفهوم "ما بعد الصناعي" للعلاقات الصناعية، وهذا التحول تقوده نخبة تكنولوجية صناعية تسعى إلى تدعيم السوق الكونية الواحدة بتطبيق سياسات مالية وإئتمانية وتكنولوجية واقتصادية شتى، وعلى عكس التعريف الأول الذي يركز على عنصر الزمن، وينظر إلى العولمة باعتبارها حقبة تاريخية، فإن هذا التعريف يرى أن الزمن لا معنى له، وأن الفضاء نتيجة للثورة التكنولوجية والاتصالية قد تم بالفعل ضغطه، مما أدى إلى ظهور الاقتصاد الذي يقوم على تلاحم الشبكات المختلفة.

أما البعد الثاني في هذا النموذج المعرفي، فهو يتعلق بالدراسة النقدية للأطروحات الأساسية التي صيغت بناءا على التعريفات التي قدمت للعولمة، وبدون تحديد هذه الأطروحات ومناقشتها لا يمكن فهم ميدان البحث الخاص بدراسات العولمة في مجال بحوث العلاقات الدولية وهذه الأطروحات هي:

أ – أطروحة إعادة التوزيع.

ب – أطروحة الإقليمية.

ج – أطروحة التحديث.

د – أطروحة الثورة الاتصالية ورمزها البارز شبكة الإنترناث .[70]

ويمكن أن نشرح هذه المتغيرات على الشكل التالي:

أ – أطروحة إعادة التوزيع:

يتبناها أنصار الاشتراكية الذين يرون أن التنمية الاقتصادية ،والسياسية ،والاجتماعية لا تتحدد فقط بالهياكل والبنى السياسية والاجتماعية، ولكن بالإضافة إلى ذلك هناك دور حاسم للعامل الإنساني، يتمثل في الفاعلين الذين يقودون أو يقاومون التغيير.

ويمكن القول أن الاشتراكيين الديمقراطيين، والماركسيين يركزون الآن جهودهم على أهمية عدالة التوزيع في سياق العولمة، والعولمة بالنسبة لهم ليست مجرد مجموعة من الظواهر

---

[70] المرجع نفسه ، ص 243.

الاقتصادية، ولكنها أيضا وفي المقام الأول مجموعة ظواهر سياسية أيديولوجية تقدم كمبرر لاتجاهات بازغة في مجال الحكم المعاصر، وإذا كانت العولمة قد ركزت على بعد حرية السوق فيها، فإنه لم يتم تحليلها بالقدر الكافي من زاوية السياق الدولي الذي تعمل فيه، ولا من ناحية قوى المقاومة لها سواء داخل البلاد المتقدمة ذاتها ،أو البلاد النامية ،والنقطة الجوهرية التي يثيرها الاشتراكيون الديمقراطيون هي "رأسمالية الرعاية الاجتماعية" ،أو "دولة الرفاهية الاجتماعية" ، هي ضجة العولمة لأن الدولة الرأسمالية في استجابتها للعولمة قضت على الصيغة الهشة للحل الوسط الليبرالي الذي ضيع لتحديد العلاقة بين الدولة والمجتمع لأجل تفادي الصراع الطبقي بين الرأسماليين والعمال المنتجين بشكل عام من خلال برامج الرعاية الاجتماعية المتعددة.

ب – أطروحة الإقليمية:

تقوم هذه الأطروحة على فكرة بسيطة وإن كانت تستحق التأمل، وهي أن الرأسمالية ليست واحدة في كل مكان، وأن الأنظمة الرأسمالية متعددة، وليس من الضروري أن تقترب من بعضها البعض لدرجة تختلط فيها سماتها، وإذا كانت الرأسمالية أو الديمقراطية يمكن تعريف كل منهما بطريقة مجردة، إلا أن هذا التجريد لا ينفي الاختلافات الواضحة بين كل نظام رأسمالي وآخر، سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية السياسية، ويكفي أن نقارن النظام الرأسمالي الأمريكي بالنظام الرأسمالي الياباني لكي ندرك صدق ما تقول على ضوء هذه الأطروحة نصل إلى نتيجة مفادها أنه "في التطبيق ستختلف صور الاستجابة للعولمة بحسب النماذج التي قد تكون متباينة للرأسمالية".

وفي ظل هذه الأطروحة هناك سؤال عن دور الإقليمية في إطار للعولمة، وهل هو دور مكمل أو مناقض لها؟.

والواقع أن الإقليمية مفهوم مختلف بشأنه، فبعض الباحثين يعتبر الإقليمية نشاطا بين الدول، بتدرج من مجرد التنسيق بين السياسات إلى التكامل الكامل في سوق مشتركة مثل حالة الاتحاد الأوروبي، وهو في نظر البعض الآخر تفاعل بين المحلي والإقليمي في المجال الاقتصادي والسياسي، ونظرة شائعة الآن تقول بأن الإقليمية هي وسيلة تتبعها نماذج النظم

الرأسمالية المختلفة للمناورة مع مشكلات التكامل الكوني الذي تدفع إليه العولمة، كما أن هناك من يرى أن الإقليمية هي فعل من أفعال المقاومة ضد العولمة.

ج – أطروحة التحديث:

يقع في القلب من هذه الأطروحة هيمنة القيم الأمريكية، سواء بصورة صريحة أو ضمنية، وهي تعيد صياغة عديد من الأفكار التي وردت من قبل النظرية الليبرالية، وعلى الأخص التراث العلمي المبكر الخاص بنظرية التحديث، وهذه الأفكار ترتكز على انتشار رأس المال والتكنولوجيا والثقافة، مع توقع تأثر النظم ببعضها البعض حيث تصبح في النهاية متشابهة.

د – أطروحة الثورة التكنولوجية:

الفكرة الجوهرية هنا تكمن في تعريف العولمة بكونها ثورة علمية تكنولوجية واجتماعية، والنموذج البازغ الآن في ظل العولمة هو نموذج مجتمع الأعمال والشركات، ومن المنظور النظري الأشمل فالأطروحة تتضمن فكرة الانتقال الحاسم من الرأسمالية الصناعية ،إلى الفهم ما بعد صناعي للعلاقات الاقتصادية ،والتحول في النموذج السائد يتمثل في إعادة النظر في مكونات المشروع التقليدية وهي الأرض، العمل ،رأس المال، وذلك في ضوء الصناعات التي تقوم على المعرفة، بحيث أصبحت هي أهم مكون أهم مكون من مكونات المشروع الصناعي المعاصر.[71]

– سياسات العولمة:

ونصل في النهاية إلى البعد الثالث من النموذج المعرفي الذي يتعلق بمجالات السياسة المختلفة، والتي تظهر فيها قوى متصارعة متعددة، يقوم بعضها على أساس الاعتراض على بعض سياسات العولمة، وفي بعض الأحيان رسم خطط لمقاومتها.

وهذا النموذج يلمس مباشرة الإشكاليات الكبرى التي تواجه مختلف الدول في الوقت الراهن، ولا فرق في ذلك بين الدول الغنية والنامية، ويعني ذلك على وجه التحديد العلاقات المتغيرة بين الدول والأسواق والمجتمع المدني.

---

[71] المرجع نفسه ، ص ص 248,247

ونقصد بسياسات العولمة تحديدا المجالات التي يتصارع فيها مختلف الفاعلين، سواء في ذلك الدولة ،أو الشركات دولية النشاط ،أو المؤسسات الدولية ،أو مؤسسات المجتمع المدني، وفقا للتعريفات التي يتبنونها للعولمة في ضوئها يصوغون استراتيجيا تهم سواء لتعميق العولمة أو لمواجهتها.

ولا شك أن الدولة القومية صيغة سياسية رئيسية استقرت مند عشرات السنين باعتبارها الوحدة الرئيسية التي تكون النظام الدولي، وهذه الدولة قامت أساسا على تقديس حدودها، حتى إن حروبا متعددة قامت حين اخترقت هذه الحدود من قبل دول أخرى، ولهذا يمكن القول أن النظام الدولي حكمته طوال القرن العشرين اعتبارات الجيوبوليتيك (الجغرافيا السياسية)، غير أن المتغيرات العالمية والتي عمقت من آثارها العولمة بكل تجلياتها السياسية، والاقتصادية والثقافية، قد أدت إلى تواري اعتبارات "الجيوبوليتيك" لتصعد على أساسها اعتبارات" الجيواِكونوميك "الجغرافيا الاقتصادية بمعنى التفاعلات الاقتصادية بين الدول وبغض النظر عن مشكلة الحدود أصبحت لها اليد العليا في رسم السياسات الخارجية للدول وفي تحديد مصالحها القومية وفي صياغة برامج الأمن القومي. [72]

وسنحاول تحديد بعض الاتجاهات العامة التي تميز الحقبة الراهنة التي يمر بها العالم.

أول هذه الاتجاهات أن معظم الحكومات اليوم تقاوم محاولات الأسواق للسيطرة عليها وخصوصا أنها لم تفقد كل أوراقها الإستراتيجيةالتي يمكن أن ستخدمها ومن الخطأ في الواقع تصوير العلاقة بين الدول والأسواق باعتبارها علاقة صراعية، ذلك أن هناك علاقة تبادلية إيجابية بينها، فالدول تحتاج إلى توسيع إطار الأسواق لأغراض التنمية الشاملة كما أن الأسواق تحتاج إلى دعم الدول في كثير من الجوانب.

ولأن ظاهرة تقلص سيادة الدولة في عصر العولمة، نظرا لتعدد الفاعلين خارج نطاق الدولة بالغة الأهمية، فمن الضروري كما يقرر بعض الباحثين إجراء تصنيف لهؤلاء الفاعلين على مستوى اهتماماتهم الموضوعية أو الوظائف التي يقومون بها، ويمكن تصنيف الفاعلين خارج نطاق الدولة في فئتين عريضتين:

---

[72] المرجع نفسه ،ص 239.

الفئة الأولى: الفاعلون من دوائر القطاع الخاص، والذين يتمثلون أساسا في الشركات دولية النشاط والشركات العابرة للقوميات.

الفئة الثانية: هي المنظمات التي لا تهدف إلى ربح ،والتي تمتد من المنظمات الأهلية أو التطوعية إلى ما يطلق عليه الجماعات العابرة للقوميات أو العابرة للمناطق الجغرافية ،ومن الواضح أن كلتا هاتين الفئتين العريضتين تغطيان مجموعة غير متجانسة من الفاعلين يتسم كل منهم بسمات محددة، لا يمكن تحديدها تحت العنوان الفضفاض بكونها تعمل خارج نطاق الدولة، وإذا ربطنا بين الفاعلين وبين المؤسسات في ضوء أطروحات العولمة الأربع التي سبق عرضها (أطروحة إعادة التوزيع، الإقليمية، الرأسمالية، التحديث، الثورة التكنولوجية) لا كتشفنا أن الأطروحتين الأخيرتين هما اللتان تدفعان لمزيد من العولمة في حين أن الأطروحتين الأوليين هما اللتان تقومان بوظيفة مقاومة العولمة.[73]

وموضوع مقاومة العولمة يستحق دراسة وافية، لأنه ينبغي التمييز بين مقاومة عمليات العولمة ذاتها وفعالية هذه المقاومة، ومقاومة مذهب العولمة، والذي ينطوي في الوقت الراهن على قيم وأفكار تحاول إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم الذي مارسته من قبل الدول الكبرى.

---

[73] المرجع نفسه، صص252،253.

المبحث الثالث.

مفهوم العولمة:

العولمة ترجمة لكلمة mondialisation() الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية، وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك: تنقل البضائع والسلع إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر ،أو تدخل خارجي سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو السياسة أو بالثقافة.

أما اللامحدود فالمقصود به "العالم" أي الكرة الأرضية، فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي (المالي والتجاري) ،على أن الكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة لكلمة "globalization" الإنجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية تفيد معنى تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل الكل وبهذا المعنى يمكن أن نحدس، أو على الأقل نفترض أن الدعوة إلى العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد، أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع: العالم كله.[74]

وينظر "توماس فريدمان " نظرة نظامية إلى العولمة ويعرفها على أنها: العولمة هي نظام عالمي جديد يعيد تشكيل الدول والمجتمعات، والأفراد والصناعات على جميع المستويات، هذا النظام برز على إثر سقوط الإتحاد السوفيتي ، وانحصار النظام الشيوعي، وتراجع الفكر الاشتراكي،وانتهاءابانقسام العالم إلى شرق وغرب.

لقد حل هذا النظام الاقتصادي والسياسي الجديد محل النظام العالمي القديم، هذا النظام العالمي له عدة خصائص من أهمها أنه يميل لدمج العالم بدلا من تقسيمه، ويعطي الأولوية للحجم الصغير والأصغر والأمور السريعة والأسرع، السرعة المقاسة باللحظة ، بدلا من السرعة المقاسة بالساعة، هي السلعة الرابحة في ظل العولمة القائمة أيضا على المنافسة الشديدة، التي

---

[74] محمد عابد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، الطبعة02 ، 2003، ص ص 136، 137.

لم تكن في أي وقت من الأوقات بهذه الحدة والضرورة للنجاح في كل مجال من المجالات الحياتية.[75]

بينما "رولاند روبروتسون": المفكر البريطاني لا يرى العولمة كنظام وإنما مجرد مجال اقتصادي واجتماعي وسياسي جديد يجمع بين المحلي والعالمي، والفردي والإنساني، حيث يصبح حضور وتأثير العالمي والإنساني مثل حضور المحلي والفردي.

المهم في هذا المجال الجديد هو البعد العالمي الذي يزداد حضورا في الوعي وفي الوقائع الحياتية والفكرية حضورا يتعايش مع المجال الفردي والمحلي والوطني، ولا يحل بالضرورة محلها، المجال الجديد الذي يتكون هو مزيج من العالمي والمحلي والفردي، بيد أن المكون العالمي هو الجديد وهو الذي أخذ يزداد حضورا في الوعي وفي الوقائع الحياتية المختلفة، السياسية والاقتصادية والثقافية.[76]

والكاتب والمفكر البريطاني الاجتماعي "أنطوني غيدنز" يقول أن العولمة هي في الأساس حالة حضارية جديدة، هي "حالة ما بعد الحداثة" القائمة فعلا في المجتمعات بعد الصناعية، إن من خصائص هذه الحالة أنها آخذة في الانتشار كما انتشرت في السابق موجة الحداثة إلى كل أرجاء العالم باستثناء أن انتشار العولمة ، يتم بأسرع من انتشار موجة الحداثة، في عصر العولمة تنتقل الحداثة من إطارها المحلي المنعزل إلى طورها العالمي المندمج، إن العولمة هي انتقال الحداثة من المحلية إلى العالمية، ووصول الحداثة إلى أعلى مستوياتها وبلوغها آخر مراحلها، ويتبع ذلك أن المجتمع الإنساني يصبح عالميا والاقتصاد الوطني يتحول إلى الاقتصاد العالمي، وعلى الإنسان الذي اقتصرت علاقته بالمؤسسات المحلية التواصل مع المؤسسات العالمية، والتعامل مع القوى، والرموز، والاتجاهات الاقتصادية والفكرية والسلوكية على الصعيد العالمي ويضيف غيدنز أن هذه الحالة المتقدمة من الحداثة تختلف عن الحداثة الأولى في كونها خارجة عن السيطرة، الحداثة عززت سيطرة الإنسان على بيئته الطبيعية، وجعلته متحكما في واقعه السياسي والاجتماعي، أما العولمة فإنها تخلق عالما لا يخضع لسيطرة كائن من كان، ولا

---

[75] عبد الخالق عبد الله: **عولمة السياسة والعولمة السياسية**، مجلة المستقبل العربي عدد 278،أفريل 2002، ص 26.

[76] المرجع نفسه، صص 27، 28.

يعرف من يوجه مساراته، ويتحكم في اتجاهاته، وهو مفتوح على كل الاحتمالات بما فيها أكثر الاحتمالات خطورة على التاريخ.[77]

فنحن إزاء ظاهرة كونية جديدة على مسرح التاريخ العالمي، ذلك أنه مع الحواسيب وشبكة الإلكترون، تمتة عالم جديد أخد في التشكل سواء من حيث فضائه ومجاله، أو من حيث بنيته ونظامه أو من حيث آليات اشتغاله، ومنظومات تواصله، كان العالم من قبل يصنع ويتشكل عبر الاقتصاد الصناعي والمعدات التقليدية، ووسائل النقل الميكانيكية كالباخرة والسيارة، والطائرة، يتوحد أو ينقسم، عبر الأفكار والعقائد المبثوثة في الكتب كالمادية والمثالية أو الليبرالية والاشتراكية أو القومية والماركسية، أما اليوم فالعالم يصنع ويتوحد عبر الأقمار الصناعية، والطرقات الإعلامية، والثروات الرمزية والنصوص العددية، التي تجوب الأرض بسرعة الضوء، من هنا تغير الممثلون واللاعبون على المسرح، فالعالم يصنعه اليوم أناس ، أو رجال الاقتصاد الناعم ومالكي شركات الإعلام.

هذا التغير في مشهد العالم يفضي إلى تغير الثقافة بالذات، فالثقافة لم تعد كما كانت عليه، سواء في أطرها ومضامينها، أو من حيث وسائطها ومسالكها أو من حيث آليات تشكلها والقوة المنتجة لها.

إن الثقافة الأكثر فاعلية اليوم لم تعد ثقافة الكتاب والصحيفة أو الفكرة والعقيدة بقدر ما أصبحت ثقافة الصورة والمعلومة أو الحاسوب وبنوك المعلومات ذلك أن بنية المعرفة هي التي تخضع الآن للتغير بقدر ما تتغير وسائطها وآليات إنتاجها. [78]

تعريف العولمة:

تظهر العولمة كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغير في مجالات مختلفة، ولكن العولمة ليست مفهوم مجرد، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة ،والاقتصاد ،والثقافة ،والاتصال وهناك إجماع بين المراقبين للحياة الدولية على أن العمليات السياسية، والأحداث، والأنشطة في عالم اليوم لها بعد كوني دولي متزايد، في الوقت الذي يرى بعض الباحثين أن هناك أربع عمليات

---

[77] المرجع نفسه ،ص 26.

[78] علي حرب: **حديث النهايات, فتوحات العولمة ومازق الهوية**, مرجع سبق ذكره، صص 120،121.

أساسية للعولمة هي: المنافسة بين القوى العظمى، والابتكار التكنولوجي، وانتشار عولمة الإنتاج و التبادل، والتحديث.

هناك في البداية أوصاف عامة للعولمة، قد لا تغني في التحليل الدقيق لمكوناتها، وإن كانت تعطي فكرة مبدئية عن هذه العملية التاريخية، من ذلك مثلا ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن العولمة تصف وتعرف: مجموعة من العمليات التي تغطي أغلب الكوكب أو التي تشيع على مستوى العالم، ومن هنا فالعولمة لها بعد مكاني، لأن السياسة والأنشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسط رواقها على كل أنحاء المعمورة، والعولمة من ناحية أخرى تتضمن تعميما في مستويات التفاعل والاعتماد المتبادل بين الدول والمجتمعات والتي تشكل المجتمع العالمي.

ونستطيع في مجال تعريف العولمة بطريقة تحليلية أن نتأمل محاولة نظرة لافتة قام بها "جيمس روزناو" أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين، حيث يقول: "وإن كان يبدو مبكرا وضع تعريف كامل، وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة فعلى سبيل المثال، يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل، الاقتصاد، السياسة، الثقافة الإيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة".[79]

وإذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة – يقول السيد ياسين – فلا بد من أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها: العملية الأولى: تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، والعملية الثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول بين والعملية الثالثة: هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات وأيا كان الأمر، فيمكن القول أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني.[80]

---

[79] السيدياسين وآخرون: **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، 2000، صص 26،25.

[80] المرجع نفسه ،ص 27.

الشكل(01): يوضح عولمة ووترز عبر الزمن

القرن الواحد والعشرين	من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين	من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر	
الشمولية	التدويل	التجارة، الاستثمار والحرب الإقليمية	الاتجاه
نمط الحياة الاستهلاكية (الفصل 3)	الفوردية متعددة القوميات والفوردية الجديدة (الفصل 2)	رأسمالية المدير المالك	التسويق الاقتصادي
تفويض وسياسة القيمة (الفصل 5)	نظام العلاقات الدولية (الفصل 4)	الدور الطلقة/ذات السياد البرجوازية	الديمقراطية والليبرالية السياسية
التمجيد العالمي والفردانية الانعكاسية (الفصل 7)	التقاليد الديانات القومية (الفصل 6)	الثقافات الفردية الإثنية/الطبقية	العالمية الثقافية

أزمة الرأسمالية

أزمة الدولة

مسار العولمة الرئيس .....▶

المصدر:ووترز (2001)

المبحث الرابع: الأبعاد المختلفة لظاهرة العولمة

1-البعد الإعلامي للعولمة

مما لاشك فيه أن العولمة ومختلف مظاهرها السياسية ,والاقتصادية ,والاجتماعية قد لاقت الكثير من البحث والدراسة سواء في مؤلفات أكاديمية ,أو دراسات بحثة ,وعلى الرغم مما كتب ودرس عن العولمة كمفهوم ومصطلح ,أو كمضمون ,ومحتوى وعلاقته بالإعلام والاتصال ومؤسساتها، ودور الصور والمضامين والرموز العابرة للقوميات والحدود عن طريق وسائل الإعلام والمعلومات، فإن لم تظهر سوى محاولات قليلة لتحديد مفهوم عولمة الإعلام والاتصال ,والتابع لهذه المحاولات يلاحظ أنها اتسمت بالاستقطاب الحاد بين تيارين.

الأول: يؤيد بحماس ,ودون تحفظ عولمة الإعلام ,ويبرز إيجابياتها باعتبارها تدعم من التدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال، وتوفر للجمهور فرصا غير محدودة كحرية الاختيار بين وسائل الإعلام والمعلومات ,وفي إطار هذا التيار ظهرت أصوات متعددة توجد بينها اختلافات في الداخل والرؤى العامة، فهناك أصحاب المدخل التكنولوجي، الذين يركزون على أن التقدم التكنولوجي المتسارع في مجال الإعلام يحدث نقلات ثورية في بعدي الزمان والمكان وما يرتبط بها من خبرات اجتماعية، فضلا عن التمهيد إلى وعي جديد، وكدا الفصل بين الجغرافيا والثقافة، وهناك أصحاب مدخل ما بعد الحداثة وأشهرهم "أنتوني غيدنر" الذي يرى أن ما بعد الحداثة هي نسخة راديكالية من الحداثة، ويرى أن العولمة هي توسيع للحداثة من نطاق المجتمع إلى نطاق العالم، ويقول أن عولمة الإعلام " mediaglobalization" هي ضغط للزمان والمكان، وهي سمية رئيسية في العالم المعاصر، وأشار إلى أن عولمة الإعلام هي الامتداد ,أو التوسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي ,وأكد غيدنر أن وسائل الإعلام والتكنولوجيا الجديدة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية والتقليل من مشاعر الانتساب.[81] أو الانتماء إلى مكان محدد.

---

[81] رولاند روبرتسون ، ترجمة أحمد محمود ونوار أمين: **العولمة، النظرية الاجتماعية، والثقافة الكونية**،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،1998، ص 289.

الثاني: هو الرأي الذي يعارض عولمة الإعلام ,ويرفض ما يقال عن ايجابياتها وينظر إليها باعتبارها نفيا للتعددية الثقافية، وتشيدا لقيم الربح ,والخسارة ,وآليات السوق في مجالات الإعلام والاتصال و المعلومات وتفويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات ويمثل هذا التيار اتجاهات عديدة أّبرزها

ممثلو النموذج النقدي يتقدمهم "هربرتشيلر "الذي عرف عولمة الإعلام بأنها "تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية " العابرة للجنسيات التي تستخدم كحافز للاستهلاك على النطاق العالمي.

ويرى "نعوم شتومسكي" أن عولمة الإعلام هي "الزيادة الضخمة في الإعلان خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية ,والتركيز في ملكية وسائل الإعلام الدولية، وبالتالي انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة في التوجه للمعلن، وأنها التوسع في التعدي على القوميات من خلال شركات عملاقة شاملة ,ومستبدة يحركها الاهتمام بالربح ,وتشكيل الجمهور وقف نمط خاص، حيث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائما على حاجات مصطنعة مع تجزئة الجمهور، وفصل كل فرد عن الآخر حيث لا يدخل الجمهور الساحة السياسية، ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة في المجتمع.[82]

وتبقى محاولة الدكتور "محمد شومان" رائدة في مجال تحديد مفهوم واضح لعولمة الإعلام والاتصال حيث قال بأنها "عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال وذلك لدعم عملية توصيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى، وينطوي مفهوم عولمة الإعلام على مجموعة من المكونات والأبعاد الأساسية وهي:

1- الترابط والتكامل بين مجالات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال ومجتمع المعلومات، بحيث أصبح من الصعب تعريف الإعلام والاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية، فالثورة العلمية في

---

[82] محمد شومان: **عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي**، سلسلة عالم الفكر مجلة (28) عدد 2، أكتوبر- ديسمبر 1999، ص 160.

تكنولوجيا الإعلام والاتصال أوجدت وسائل جديدة، كالبث التلفزيوني الفضائي، والتكنولوجيا الرقمية التيوفرت إمكانياتهائلة الاستقبال الصوت والصورة بدقة ونقاء غير مسبوقين، وكذلك وسائل الإعلام المرئية التفاعلية، والفيديو والصحافة الإلكترونية عبر شبكة الإنترناث، وقد ارتبطت هذه الوسائل والتطبيقات بالمعلوماتية وبداية الدخول في مجتمع المعلوماتية.

2- النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام ، والاتصال، والمعلومات ، وقد أفضى هذا النمو إلى مزيد من التداخل بين عولمة الإعلام، وعولمة الاقتصاد، فأصبحت الأولى جزءا أصيلا من عولمة الاقتصاد، وذلك بالنظر إلى الدور الكبير الذي يلعبه قطاع الاتصالات والإعلام ، في اقتصاديات الدول الكبرى، والأسواق العالمية، ومن هذا فإن أحد أبعاد عولمة الإعلام والاتصال هو تعظيم الأرباح للشركات متعددة الجنسيات التي تعمل في مجالات إنتاج وسائل الإعلام والمعلومات، وإنتاج المضامين الإعلامية المختلفة، فضلا عن صناعة الإعلام والترويج وبيع الخدمات.

3- توسيع الخيارات ،والبدائل الإعلامية أمام الجمهور، فقد وفرت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وبصورة غير مسبوقة مئات القنوات التلفزيونية ومئات المحطات الإذاعية وعشرات الصحف والمجلات الوطنية والدولية، فضلا عما توفره من وسائل الاتصال الحديثة ،والمرتبطة بالمعلوماتية.

4- تقليص دور الحكومات ،والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام ،والاتصالات المحلية والدولية لصالح الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات ،وفي هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مشكلة خصخصة وسائل الإعلام والاتصال ،وإنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام.

تعتبر عولمة الإعلام عملية متسارعة التغير، وبالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد، فهي تمر بمرحلة انتقالية، وذلك لسببين هما:

الأول: أن عولمة الإعلام تعتبر أحد أبعاد عملية أوسع ،هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة، ونظرا لعدم الاستقرار ،أو تبلور عملية العولمة، فإن هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية ،والسياسية، والثقافية التي تحدد مسار تطور بل ومستقبل عملية عولمة الإعلام والاتصال.

الثاني: إن عولمة الإعلام تعتمد في بعد مهم منها على نتائج الثورة في مجال الاتصالات، والتي بدأت لتوها وسوف تستغرق تطوراتها عدة عقود قادمة وستدفعها إلى الأمام (التطبيقات) الجديدة أي الأدوات الجديدة التي ستلبي حاجات غير متنبأ بها حاليا.[83]

2- البعد المعلوماتي للعولمة

لا مراء أن ظاهرة العولمة قد ارتبطت عضويا بالثورة الصناعية الثانية القائمة على المعلومة إنتاجا وتبادلا وتكتيفا، ومن أبرز هذه التقنيات الاتصالية الشبكات المعلوماتية السريعة، والتقدم المذهل في الصناعات الإلكترونية والالتحام بين الوسائل السمعية والبصرية، مما لا يتسع المقام للحديث المفصل عنه، بيد أن ما يميز خطاب العولمة السائدة هو بناء حكم معياري على هذه الحقيقة القائمة يتمثل في استنتاج مضمون ثقافي تنموي من الآلية التقنية ذاتها.

فحسب الأدبيات المستقبلية الرائجة، من شأن الثورة الاتصالية السائدة أن تحقق أبعد أحلام البشرية منالا مثل العدالة الاجتماعية، والديمقراطية والمساواة الاقتصادية، وتسود هذه النزعة لدى التيار المحافظ في و.م.أ.الذييسعى إلى استخدام الطفرة المعلوماتية معبرا لبناء"قرن أمريكي" جديد.

ودون الدخول في هذه الأبعاد المباشرة، نكتفي بالتذكير أنها ترجع في العمق إلى خلفية النموذج العلمي – التكنولوجي المتأسس على أربع مرتكزات أساسية:

أ- التطور التجريبي – الرياضي للطبيعة، أي اعتبارها مدى قابلا للقياس والترويض والانطلاق من إمكانية استكناهها بالقوانين الرياضية القابلة للتحقق الاختباري، أي الإيمان بمصادرة التطابق بين التجريدات الرياضية، ونواميس الطبيعية، وليست المصادرة في حد ذاتها من الحقائق العلمية القابلة للبرهنة وإن كانت شرطا أوليا في الممارسة العلمية.

ب- بلورة نموذج جديد للحقيقة يتمثل في معيار "اليقين" التجريبي، أي القابلية للتحقق داخل حدود المجال الموضوعي للظاهرة.

---

[83] المرجع نفسه، ص 165.

ج- إعطاء الأولوية لبعد النجاعة العملية في مقابل الصلة الحميمة بالظاهرة، أي اختزال الوجود وثرائه إلى حجم الفوائد التي توفرها المقاربة التجريبية للظاهرة الطبيعية.

د- بناء المعارف المتصلة بالمجتمع والإنسان على نموذج علوم الطبيعة، من منطلق النجاعة العلمية والحاجة إليها في حل الإشكالات البشرية المطروحة من تنظيم اقتصادي وسياسي وتقنين للعلاقات الإنسانية، ومن هنا الارتباط الوثيق بين النظرة التكنولوجية (التقنية) والاقتصاد القائم على أدوات الإنتاج الحديثة، ومع إقرارنا بالعلاقة العضوية بين العلم والثقافة، إلا أنه من الأصوب اعتبار العلم تجسيدا للنظرة التقنية للوجود، بحكم أن التقنية هي الأفق الميتافيزيقي للعصور الحديثة كما بين الفيلسوف الألماني هايدغر.

ويطرح هذا التصور التقني عدة إشكالات نظرية ومعيارية ذات صلة بنمط تسيير الطبيعية وبأثر الاكتشافات العلمية على واقع البشر في وقت توطدت فيه العلاقة بين عناصر المركب التقني – المالي العسكري – الثقافي.

وحاصل الأمر أن التقنيات الاتصالية لا توفر في حد ذاتها مضمونا معياريا، وإنما تكرس الأنماط الثقافية والتنموية المهيمنة من خلال فاعليتها ونجاعتها العملية، ومن ثم توجب التمييز المنهجي بين الظاهرة التقنية ذاتها والنظرة التقنوية بأسسها الوضعية (فلسفيا) وغائيتها الإيديولوجية.[84]

وقد أصبحت العولمة شاغلا أساسيا للتنظير الثقافي من الإعلام إلى الإبداع، ومن تربية الأطفال إلى إعداد الدعاة الدينيين، ويقود عولمة أيامنا أباطرة المال، وكهنة تكنولوجيا المعلومات، ومن ورائهم أهل السياسة.

هناك من لا يرى في العولمة أي جديد، وهناك من يراها ظاهرة إنسانية جديدة تماما، لم تعهد البشرية مثلها من قبل، ويتفق مع ذلك الرأي الجابري، الذي يراها أيديولوجيا تطرح "حدودا أخرى" غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية بقصد الهينة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك، ومن يراها ظاهرة جديدة يصفها بعدة أوصاف: رأسمالية تكنولوجية ,رأسمالية معلوماتية

---

[84] السيد ولد أباه,مرجع سبق ذكره ,صص117,116.

,رأسمالية ما بعد صناعية ,ورأسمالية ما بعد الفردية وعلى النقيض من ذلك هناك من يرى أن العولمة ظاهرة قديمة قدم الإمبراطوريات من إمبراطورية إغريق الإسكندر إلى إمبراطورية الرومان و الأتراك. [85]

وينظر نبيل علي إلى العولمة من منظور معلوماتي – ثقافي، أكثر صلة بالثقافة والمعلومات معا وهو منظور ثنائية الوجود: الزمن، والمكان، في البداية كانت "عولمة الزمن" بإتباع توقيت غرينتش الشهير بعد أن كان لكل مدينة توقيتها الخاص بها ،وجاءت تكنولوجيا الموصلات والاتصالات متمثلة في النقل الجوي والاتصالات السلكية ، وللاسلكية لتدخل المكان في دائرة العولمة. ولم يبقى إلا الأحداث التي تجرى في إطار هذا الزمن وفي نطاق ذلك المكان، وهو ما تسعى إليه العولمة اليوم، أن تشمل كل أنشطة الإنسان وممارسته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتجارية والثقافية عامة كانت أو خاصة فهي تشمل مما تشمل حاليا عولمة المعاملات المالية والتجارية والأزياء وموضات قص الشعر، ورياضة الجري ووجبات الطعام، بل وعولمة الأجساد حيث تسعى صناعة الرشاقة وأدوية التخسيس إلى أن تجعل من مقاييس جسد المرأة الكاليفورنية نمطا معولما تحلم به الفتيات والنساء.[86]

ويلخص رئيس وزراء هولندا السابق "رون لوبز" العولمة من المنظور الثقافي – المعلوماتي في القول بأن ظاهرة العولمة أحدثها محركان أولبان أديا بدورهما إلى متحركين، أو ناتجين، أو تأثيرين ويمكن شرح المحركين الأولى كما يلي:

أ – المحرك الأول: الابتكار التكنولوجي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أساسا.

ب – المحرك الثاني: سيطرة الليبرالية الجديدة ويقصد بها انتصار إيديولوجيا اقتصاد السوق الحر ونمط الاستهلاك، وإعلام الترفيه والخصخصة وما إلى ذلك، وتقدم الديمقراطية النموذج الغربي للرأسمالية في صناعته الأمريكية.

---

[85] نبيل على: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**،مرجع سبق ذكره ، ص.36.

[86] المرجع نفسه، ص 37.

وهو النموذج الذي حظي بدفعة قوية على أثر الانهيار المدوي للمعسكر الاشتراكي ويؤكد مؤيد العولمة أنها ستعود بالخير على الجميع، سواء من حيث النمو الاقتصادي والتقدم التكنولوجي أو إشاعة الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وكما يقول "لوبرز" أنه لا يكفي لفهم ،أو وصف عملية ظاهرة العولمة أن يتم التركيز على محركاتها الأولية، فعلى الدرجة نفسها من الأهمية، ومن أجل استيعاب ديناميكيتها، يجب دراسة نتائجها وردود أفعالها والتي تتلخص في النتيجتين الرئيسيتين التاليتين:

أ- **النتيجة الأولى:** تقلص سيادة الدولة وتهميش دورها، ففي ظل العولمة تصبح أمور إدارة الدولة شأنا تتقاسمه الحكومة مع المنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية ،والمؤسسات المتعددة الجنسيات التي تعمل عادة وراء الستار، وأحيانا أخرى تضطر إلى أن تسفر عن دورها بصورة مباشرة.

ب- **النتيجة الثانية:** ردود الفعل أو العولمة المضادة من قبل الجماعات والمؤسسات، سواء تحت دوافع عرقية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية.[87]

3-البعد السياسي للعولمة:

تعددت وتنوعت مظاهر العولمة في المجال السياسي، وأبرز هذه المظاهر هي:

1 – انهيار النظام الدولي القديم وبروز ملامح نظام عالمي جديد:

حيث استند النظام الدولي القديم إلى قطبية ثنائية، مثلتها و.م.أ.متزعمة المعسكر الرأسمالي الغربي، والإتحاد السوفياتي (سابقا) متزعمها المعسكر الاشتراكي ، وقد شكلت مناطق العالم الثالث في ظل الحرب الباردة ساعات للتنافس والمواجهة بين القطبين ،لكن التحولات التي شهدها الاتحاد السوفياتي وبقية بلدان أوروبا الشرقية منتصف الثمانينات، والتي انتهت بتفكك الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى، وانهيار الأحزاب الشيوعية في تلك الدول، وقيامها بتبني التعددية السياسية، وأشكال من الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الحر على الصعيد الداخلي، واتجاهها نحو الانفتاح على المعسكر الغربي، والانخراط في الاقتصاد العالمي على الصعيد الخارجي هذه

---

[87] المرجع نفسه، صص39,38.

التحولات وضعت النهاية للنظام الدولي القديم، وأسهمت ضمن عوامل ومتغيرات أخرى الأساس لبروز نظام عالمي حديد، أفرز تطورات عدة من منظور عملية العولمة:

أولها: تمدد دورو.م.أ على الصعيد العالمي، مما حد بالبعض إلى اعتباره لعولمة مرادفا للأمركة، بمعنى سعي و.م.أإلى إعادة صياغة النظام العالمي طبقا لمصالحها وتوجهاتها، وأنماط القيم السائدة فيها.

ثانيها: حدوث موجة ذات طابع عالمي من التحول الديمقراطي، والاتجاه نحو الاقتصاد الحر، ورغم أن بدايات هذه الموجة بدأت في منتصف السبعينات للتحول الحاصل في البرتغال، واليونان، واسبانيا، إلا أنها اتسعت خلال الثمانينات والتسعينات لتشمل العديد من بلدان أمريكا اللاتينية، وإفريقيا، وآسيا ووسط أوروبا ،وشرقها خلال الفترة من العام 1974 إلى العام 1994 تحولت 60 دولة شمولية إلى دول ذات أنظمة ديمقراطية.

ثالثها: ثورة المعلومات والاتصالات التي خلقت واقعا جديدا لم يعد في ظله أي نظام سياسي مهما كانت درجة سلطة أن يخفي ممارسة أو يحجب الحقائق عن العالم الخارجي، كما خلقت ما يمكن تسميته العدوى في التحول نحو الديمقراطية. [88]

2 – تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول:

إن الانتقال الحر للأفراد والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات الذي تم خلال التسعينات أدى إلى انحسار نسبي للسيادة المطلقة، وخلق الانطباع بأن الدولة لم تعد ضرورية وأنها فقدت دورها وأهميتها، إلا أن هناك من يرى هذه المتغيرات لم تسقط كل مظاهر (السيادة)، ولم تضع نهاية للدولة، فالعولمة سياسيا لا تعني القضاء على الدولة أو بروز الحكامة العالمية، وإنما تتضمن دخول البشرية إلى مرحلة سياسية جديدة يتم خلالها الانتقال الحر للقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات والخيارات عبر المجتمعات والدول، بأقل قدر من القيود والضوابط متجاوزة بذلك الحدود الجغرافية للدول، وتزداد بذلك الروابط السياسية بين دول العالم على نسق غير مسبوق من قبل وتمثله الملامح التالية:

---

[88] نايف علي عبيد: **العولمة والعرب**، مجلة المستقبل العربي، عدد 221، جوان 1997 ، صص35،37.

– التوسع المتزايد في إبرام الاتفاقيات الدولية الشارعة، والنظم الدولية التي تتضمن قواعد وأحكام ملزمة لعموم الدول ويمكن أن تتمثل هذه القواعد والأحكام في النقاط التالية:

أ- وجود قواعد قانونية دولية آمرة حاليا تخص بتنظيم محالات عديدة، وقد أصبحت لهذه القواعد حجية في مواجهة كافة الدول فلا يجوز بحال الاتفاق على ما يخالفها، ولو كان تحت ما يخالفها، ولو كانت تحت ما يسمى السيادة الوطنية.

ب- أصبحت وفي نطاق المجتمعات الدولية نظم للرقابة والإشراف الدولي تقوم بمهام التحقيق والتفتيش، كاتفاقيات حقوق الإنسان والتسلح النووي واتفاقيات العمل.

ج- استقرار الفقه والقضاء الدولي على عدم إمكانية احتجاج الدول بدساتيرها أو بتشريعاتها الداخلية – وهي من مظاهر السيادة الوطنية – للتنصل من الالتزامات الدولية سواء أكانت ذات طبيعة تعاقدية، أو ناشئة عن أحكام القانون الدولي العام والنظم الدولية ذات الصفة التشريعية حتى وإن لم تصادق عليها الدول أو تنظم إليها.

د- الاتجاه المتنامي نحو احترام حقوق الإنسان، وحرياته الأساسية ،ونحو كفالة الضمانات الدولية التي تمكن لاحترام هذه الحقوق، وتكفل عدم انتهاكها من جانب الحكومة الوطنية.

هـ- الاتجاهات الحديثة في مجال تقنيين قواعد المسؤولية الدولية، والتي تجيز للأشخاص المتضررين إمكانية تحريك دعوى المسؤولية حال وقوع الضرر بغض النظر عن مدى مشروعية الفعل الذي تسبب في وقوعه.

و- الاتجاه المزايد نحو إقامة الكيانات الدولية عابرة للقوميات أو فوق قومية.

ز- بروز نوع من المشكلات الدولية التي تستلزم تكاثف الجهود الدولية وتضافر الإرادات السياسية للدول في سبيل الوصول إلى حلول ناجحة وفعالة مثل مشكلة الطاقة، التلوث، ندرة المياه، التصحر، البطالة، الجريمة المنظمة، الإيدز ....[89]

ويرى بعض الباحثين أن العولمة عملية ليست أمرا يسهل قياسه وإنما يمكن تحسسسها على عدة مستويات واحد منها سياسي وهو تآكل قوة الدولة في ثلاث مناطق تقود رئيسية هي:

---

[89] ممدوح محمود منصور: **العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية 2003، ص45.

1 – الدفاع: فلقد قلت الحروب بين الدول مقارنة مع الفترة الماضية عدا الحروب حول المصادر الطبيعية الثمينة كالنفط والماء، وما نلاحظه اليوم هو زيادة في الصراعات الاثنية والأهلية، وقد أدرك معظم السياسيين اليوم أن القوة ليست بابتلاع أرض جديدة وإنما الحصول على أكبر عدد ممكن من حصص الأسواق العالمية وبدأ دور الدفاع يظهر في الحفاظ على الأمن في المجتمع من العنف الداخلي أو الخارجي وعدم إعطاء أولوية لموضوع الخدمة الإلزامية العسكرية.

2 – عدم قدرة الدولة القومية على الحفاظ على قيمة عملتها الوطنية: أو مقاومتها لأسواق التحويل الخارجية، وهذا الأمر ليس نابغا من قوة التكهنات المالية في الأسواق الخارجية وإنما سبب سرعة حركة رأس المال من داخل البلدان المحلية وتأثيرها البالغ غلى قيمة العملة الوطنية وتغير معدل التحول نتيجة تجاوب السوق مع الوضع الجديد، وهذا ما حدث للعملة المكسيكية (البيزوس) عام 1994 وحمايتها التامة من الانهيار نتيجة تدخل مجموعة من المصارف الأجنبية الكبيرة.

3 – تضاؤل دور الضمان الاجتماعي: وتوفير الدولة الخدمات للفقراء والمحتاجين، واعتبارها شبكة أمان في إعادة توزيع موارد المجتمع، وكانت ظاهرة الضمان الاجتماعي الحديثة العهد عنصرا مبررا لسلطة الدولة في المجتمع وتمثل الوقت نفسه عبئا على الحكومة وعلى الاقتصاد الوطني، أما اليوم فإن النشاط الاقتصادي لا يتم دون التنافس الدولي وقوة الدولة في استخدام الحماية التجارية كسلاح اقتصادي ضد التنافس الوطني في الأسواق الوطنية بدأ يختفي تدريجيا ويفقد مفعوله محليا.[90]

4 – بروز منافسين جدد للدولة الوطنية: حيث كان لتراجع دور الدولة الوطنية سياسيا أثره في بروز مجوعة من القوى العالمية والإقليمية والمحلية الجديدة حلال عقد التسعينات والتي أخذت تنافس الدولة في المجال السياسي وخاصة في مجال صناعة القرارات وصياغة الخيارات، ومن أبرزها:

- **التكتلات التجارية الإقليمية:**– كالسوق الأوروبية المشتركة، التي تطورت خلال الأربعين سنة الماضية لتشكل وحدة نقدية تعمل من خلال المصرف المركزي الأوروبي الذي أنشأ

---

[90] نجاح كاظم: **العرب وعصر العولمة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، صص 148،147.

عام 1999، وذلك بعد أن تنازلت الدول الأوروبية طوعا عن سيادتها في مجال السياسات النقدية، فإن النموذج الاندماجي الأوروبي يقوم أساسا على تخلي الدول الأوروبية الطوعي عن بعض مظاهر سيادتها لصالح الكيان المتجه نحو التوحد اقتصاديا وسياسيا ولما لا عسكريا واجتماعيا وثقافيا.

- **المؤسسات المالية التجارية والاقتصادية العالمية**، وأبرزها منظمة التجارة العالمية التي تشرف إشرافا كاملا على النشاط التجاري العالمي لتصبح من فرط الضخامة، والقوة قادرة على فرض قراراتها وتوصياتها على كل دول العالم دون استثناء.
- **بروز المنظمات غير الحكومية** على الساحة السياسية العالمية كقوة فاعلة ومؤثرة في المؤتمرات العالمية كمؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو، ومؤتمر السكان في القاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين، ومؤتمر حقوق الإنسان قي فيينا وأبرز هذه المنضمات غير الحكومية: منظمات البيئة،كمنظمة السلام الأخضر، ومنظمات حقوق الإنسان كمنظمة العفو الدولية ...وقد تزايد عدد المنظمات غير الحكومية بشكل كبير خلال السبعينات وأخذت تعمل باستقلال تام عن الدول التي لم تعد قادرة على التحكم في نشاط وعمل هذه المنظمات.[91]

5-البعد الاقتصادي للعولمة:

لا مما شك فيه، أن عولمة الاقتصاد هي الظاهرة الأكثر جلاء في مسار التطورات الجذرية التي غيرت شكل العالم في العقد الأخير، وتبدو هذه الظاهرة في مستويات عديدة من بينها نشاط ووزن المؤسسات والشركات متعددة الجنسيات، وتقلص منزلة الدولة ونمو التجارة الخارجية، وانبثاق تجمعات إقليمية في مناطق مختلفة من العالم، وانهيار الحواجز بين اقتصاديات بلدان العالم في إطار اتفاقيات دولية ملزمة.

ولنبادر بالإشارة إلى أن توحد السوق الاقتصادية الدولية يشكل محددا رئيسيا من محددات الديناميكية الرأسمالية التي ارتبطت بها التحولات الاقتصادية التي صاغت شكل العالم الحديث، وكما بين "بروديل" فإن الرأسمالية تقتضي بذاتها اختراق الحدود القطرية، والانتشار حسب فضاء

---

[91] عبد الخالق عبد الله: **العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، سلسلة عالم الفكر، المجلد(28) ،عدد2، 1999، صص84،83.

اقتصادي واسع دعاه بـ "اقتصاد عالم" فالاقتصاد العالم يتميز بثلاث سمات مترابطة هي احتلال فضاء جغرافي واحد، والانتظام حول قطب أو محور غالبا ما يتمثل في مدينة ذات طاقة استقطابيةواسعة (لندن وامستردام في القرن 18م، ونيويورك مند سنة 1992، والتوزع إلى قلب ومناطق وسطية وهوامش فالعولمة من هذا المنظور تشكل تجسيدا لاتجاه التوسع الرأسمالي يتلائم والتطورات التقنية الجديدة التي حررت أدوات الإنتاج وبدلت توازنات الفضاء الاقتصادي.

ومن المهم الإشارة مع الحديث عن سمات ومظاهر عولمة الاقتصاد إلى تزامن هذه الطاهرة مع انتشار الإيديولوجية الليبرالية الجديدة التي تعززت هيمنتها بعد اندثار الماركسية وسقوط تجارب التخطيط الاقتصادي وملكية الدولة لوسائل الإنتاج.[92]

وهكذا شهدت أطروحات مدرسة "الليبرالية الجديدة" رواجا جديدا، والمعروف أن هذه المدرسة الأمريكية التي ظهرت في الأربعينيات تركز على القيم الفردية وتدعو إلى التحرر من قبضة الدولة وتدخلها في المجال الاقتصادي، بحيث تنحصر مهمتها في وضع الإطار الذي يسمح بحرية السوق والتبادل.

فالسوق وحده يمكن أن يوزع بالطريقة المثلى العادلة الموارد والاستثمارات والشغل ويسمح بامتلاك الفرد لمصيره كما يقول "ميلتون فريدمان" ولهذه المدرسة شبكة هائلة من المؤسسات ومراكز البحث والدراسة التي تمولها كبريات الشركات الرأسمالية، كما أنها تمكنت من توجيه القرار السياسي في الولايات م.أ.وأوروبا (التجربتان الريغانيةوالتاتشرية) نسبة إلى ريغنومارغريتاتشر ولا شك أن الأساس "العلمي" الذي تستند إليه المقاييس الليبرالية الجديدة هو نموذج "التوازن" المستمد من الفيزياء الحديثة، أي الاعتقاد الخاطئ أن حركة الأسواق المالية تقود بذاتها إلى الاستقرار والتوازن، ولا تتطلب أي تدخل خارجي كما لا تقوم على أي قيم أو مرجعية عقدية. [93]

فهذا الوهم هو الذي تأسس عليه إحدى أخطر النزعات أصولية وانغلاقا دعاها أسطورة عالم المال "سوروس" بـ أصولية الأسواق التي تنطلق من مقاربة ابستمولوجية زائفة مفادها تماثل قوانين الطبيعة وقوانين الأداء الاقتصادي والتسيير الاجتماعي.

---

[92] السيد ولد أباه: **اتجاهات العولمة، إشكالية الألفية الثالثة**، مرجع سبق ذكره, ص 119.

[93] المرجع نفسه، صص121,120.

فإذا كان مفهوم التوازن الموروث عن فيزياء نيوتن مفيد في فهم بعض اتجاهات الاقتصاد الرأسمالي، إلا أنه لأنه يتقمص هالة امبريقية بيد أنه ليس كذلك، فالتوازن نادر في الحياة، إنه نتاج نسق تجريدي – منطقي وليس مستمدا من الواقع الحي، وذلك عل الخصوص هو شأن الأسواق المالية التي لا يمكن فصلها عن أوجه التبادل الاجتماعي والسلوك البشري في اتجاهاته المختلفة المترابطة.[94]

وهكذا تسعى اليوتوبيا الليبرالية، كما يوضح بورديو إلى التجسد في نمط من السوق العالمية المتوحشة، يحكمها قانون الانتخاب والانتقاء الدار ويني أو حرب الكل ضد الكل التي تحدث عنها الفيلسوف الإنكليزي هوبز في القرن 19 .وإذا كان هذا السعي له مقوماته ومبادئه التي تعرف في أيامنا رواجا متزايدا: الإيمان المطلق بحرية التبادل وتقديس سلطة السوق والبحث عن أقصى حد من المنفعة الفردية والحد من نفوذ السلطة والخصخصة الشاملة للمصالح العمومية.[95]

لقد أصبحت الطريق ممهدة أمام المخططات التوسعية للرأسمالية صوب المزيد من السيطرة، وفي ضوء وضوح هذه المخططات خلال العقود الثلاثة الماضية تتكشف الطبيعة المتوحشة للرأسمالية العولمة اليوم على حقيقتها عبر ممارستها البشعة ضد شعوب العالم الفقيرة، وضد القيم الإنسانية الكبرى في العدالة الاجتماعية والمساواة، كما في الثقافة والفكر والحضارة وذلك بالاستناد إلى المؤسسات الدولية التي تكرست لخدمة نظام العولمة الرأسمالي الراهن وهي: [96]

أ – البنك الدولي:

أمسك تقرير الإدارة الخزانة الأمريكية في بداية الثمانينات بواقع الهيمنة التي مارستها و.م.أفي البنك الدولي على النحو التالي:

---

[96]غازي الصوراني وآخرون:**العولمة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، لبنان،ص 32.

"كانت و.م.أ فاعلا أساسيا في تشكيل هيكل ورؤية البنك الدولي وفقا لخطوط غربية يوجهها السوق .... وكنا أيضا مسؤولين عن وجود شركات ذات وزن تصويتي يديرها مجلس مدراء ترأسه إدارة ذات مستوى رفيع من موظفين أمريكيين مؤهلين تأهلا مهنيا عاليا، وحصلت و.م.أ باعتبارها طرفا رئيسيا في عقد تأسس البنك وصاحبه نصيب كبير في ميزانيته على الحق في مقعد دائم في مجلس المدراء."[97]

وتتبع قوة اتخاذ القرار الرسمي من حجم رأس المال المدفوع كاشتراك، ولدى تأسس البنك فقط، وهو ما يزيد على 15% ولكن الآن تحظى و.م.أ.بـ 17.6%من ميزانية البنك فقط، وهو ما يزيد على 15% الضرورية لكي يكون لها حق الفيتو على قرارات الإقراض الرئيسية وحافظة و.م.أ بحماس على وضعها المتفوق الذي وفرته لها أنصبتها في رأسمال البنك، ورغم أن اليابان كانت تضغط من أجل نصيب أكبر في رأسمال البنك نجحت و.م.أ في وضع حد لمساهمتها وقوتها التصويتية عند حدود 8% فقط.

وحصلت القوة الرسمية الأمريكية على دعم من آليات غير رسمية فتقليديا كان رئيس البنك مواطنا أمريكيا تعينه الإدارة الأمريكية بينما يقع مقر البنك في واشنطن وهو ما يجعل وصول إدارة الخزانة الأمريكية له سهلا، ويوفر للمواطنين الأمريكيين ربع عدد كبار موظفي الإدارة ومن المستوى الوظيفي الأعلى.

وتوفر الآليات الرسمية وغير الرسمية وضعا يدرك فيع فاعلون آخرون سواء من الإدارة أو المانحين الرئيسيين، ومتلقي المنح أن و.م.أأصوت رئيسي في بنوك التنمية الجماعية المتعددة الأطراف، فهم يعرفون كما تقول إدارة الحزينة الأمريكية أننا قادرون وراغبون في إتباع سياسة الأهداف المهمة في البنوك باستخدام القوة المالية السياسة التي نتوفر عليها.

وفي دراسة دول أهم أربعة عشرة قضية أثارت نقاشا في البنك بدءا من إعاقة منح منظمة التحرير الفلسطينية موقع مراقب إلى وقف مساعدات البنك لفيتنام وأفغانستان، كان بمقدور و. م. أن تفرض وجهة نظرها على سياسات البنك عشر حالة.

---

[97] والدن بيلو، ترجمة فريدة النقاش: **من أجل عولمة بديلة، أفكار حول اقتصاد عالمي جديد**,المركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، 2010، صص 93، 94.

وأصبح البنك الدولي سلاحا مهما في السياسة العالمية الأمريكية من وجهة نظر إدارة الخزانة وفي واقع الأمر لم تكن كل المساعدات الثنائية ولا التدفقات على القطاع الخاص – إذا كان ذلك ممكنا – ذات فعالية وتأثير في الدول الأقل نموا مثلما كانت فعالية وتأثير البنوك التنموية المتعددة الجنسيات وكما وضح الأمر تحليل أجرته إدارة البحوث في الكونغرس، فإن ميزة البنك الدولي وبنوك التنمية المتعددة الجنسيات من وجهة النظر الأمريكية هي أنها تنجح عادة في تحقيق المهمات الصعبة حين تطالب بوضع معايير للأداء يلتزم بها المقترضون، وهي مهمة تتردد و. م. أ والمقرضون الآخرون في فرضها في حالة العلاقات الثنائية.[98]

ب – صندوق النقد الدولي:

الذي يشرف على إدارة النظام النقدي العالمي، ويقوم بوضع سياساته وقواعده الأساسية، وذلك بالتنسيق الكامل مع البنك الدولي، سواء في تطبيق برامج الخصخصة والتكيف الهيكلي أو في إدارة القروض والفوائد والإشراف على فتح أسواق البلدان النامية أمام حركة بضائع ورؤوس أموال بلدان المراكز الصناعية.[99]

ومثلما هو الحال مع البنك الدولي تسيطر الاقتصادات المتقدمة على صندوق النقد الدولي حيث تحظى هذه الدول بنسبة 45.47%من الأصوات في مجلس حكام البنك، وتأتي و. م. أ في المقدمة بنسبة 19% من هذه الأصوات، ولما كانت الدول الغنية الأخرى تحظى بـ 21.42% من الأصوات فإن الدول المتقدمة كمجموعة تحظى بالقوة التصويتية التي تمكنها من وقف كل القرارات التي تحتاج لأغلبية، وحين طالبت الدول النامية بأن يكون لها قول أكبر في اتخاذ القرار دفعت الدول المتقدمة في اتجاه الوصول إلى التعديل الثاني في مواد الاتفاقية هو تعديل دخل في تفصيلات ثلاثة وخمسين قرار تحتاج لإقرارها إلى أغلبيات سوبر ما بين 70% و85% وترجمة ذلك هو أن المجموعات الفرعية للدول المتقدمة تمتلك القدرة على وقف القرارات التي تحتاج إلى 70% و85% من الأغلبية.

كذلك جرى حماية الوزن الخاص للولايات المتحدة الأمريكيةبخلق قواعد جديدة وهي العملية التي فصلتها مقالة مهمة كتبها "ريتشارد ليفر" وليونارسيبروك" ففي بداية السبعينات تراجعت القوة

---

[98]المرجع نفسه، ص 95.

[99]غازي الصوراني وآخرون :المجتمع والاقتصاد امام العولمة, مرجع سبق ذكره, ص 32.

التصويتية للولايات المتحدة الأمريكيةمن 30% وأخذت تتجه بسرعة نحو 20% لحماية القرارات الخاصة، وكانت اليابان ودول أخرى تبحث وتتطلع إلى تغيير في القوة التصويتية حتى تعكس وزنها المتعاظم في الاقتصاد العالمي، وهو الشيء الذي لم تكن واشنطن تطيقه.

ويقول المقال: أنها أي الولايات المتحدة الأمريكية وضعت جدارا من الحجر أمام أي إعادة نظر في الحصص وقادت العملية على هذا الأساس ولكن في النهاية كانت هناك صفقة مع اليابانيين والأوروبيين وكانت القوة التصويتية لأمريكا قد انخفضت فعلا إلى 19% ولكن متطلبات الأغلبية السوبر من أجل القرارات الخاصة قفزت بها إلى 85% وكانت هذه الحركة المزدوجة الاستثنائية مقدمة لتعامل مشابه داخل البنك الدولي بعد عقد من الزمان، وهكذا جرى وضع معيار بالغ الأهمية لتوزيع القوة السياسية التي تحكم الصندوق أثناء أزمة الديون الأمريكية اللاتينية والآسيوية ولأنه لم توجد شفافية أبدا في صندوق النقد الدولي فإنه لم يؤد خدمة للديمقراطية بل على العكس أساء إليها، فرغم أن للأعضاء حقوقا تصويتية، كان من النادر أن يحدث تصويت رسمي سواء في مجلس المدراء التنفيذي أو في مجلس الحكام، وفي ظل إدارة الرئيس كلينتون وطيلة حكم هذه الإدارة تقريبا وحيث جرى اتخاذ ألفي 2000 قرار لم يجر التصويت إلا على إثنى عشر 12 قرارا تقريبا وبدلا من ذلك كان يجري اتخاذ القرارات بالتوافق. (100)

ولاحظ "نيجيروود" أن التوافق الذي مارسه الصندوق لم تكن له أية دلالات ديمقراطية وقد أصبح هذا التوافق غطاء للخلل في علاقات القوة غير المتساوية وهو انعدام المساواة الذي يظهر في شكل تصويت رسمي، ذلك أن هناك محرك لهذه القوى الرسمية تعرفه وتدرك أبعاده كل الأطراف المشاركة في اللقاءات، وهناك سبب آخر يتمثل في أن الحكومات والمنظمات غير الحكومية التي لم تكن حاضرة في مثل هذه الاجتماعات تجد صعوبات بالغة في تحديد ما الذي ظهر وما لم يظهر ويمس الشفافية والمسؤولية.

ورغم أن رئيس الصندوق هو تقليديا أوروبي فإنه خاضع خضوعا نسبه مطلق لوزارة الخزانة الأمريكية وبينما كان الصندوق منخرطا في عملية انقاد المكسيك 1994 – 1995

---

(100) والدن بيلو، ترجمة فريدة النقاش، مرجع سبق ذكره، صص 97،96.

ودول جنوب شرق آسيا 1997 اعتبر الكثيرون المدير التنفيذي للصندوق "مايكل كامديسوس" وكيلا صغيرا للو. م. أ ولكل من وزير الخزانة الأمريكي "روبرت روبن" ومساعده "لاربسومرز".

وكانت المهمات والوظائف الخاصة التي يقوم بها الصندوق لصالح و. م. أ هي التي دفعت الأخيرة للوقوف ضد إنشاء صندوق النقد الأسيوي الذي كانت اليابان قد اقترحته أثناء اجتماع للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في "هونج كونج" في سبتمبر 1997.[101]

ج – منظمة التجارة العالمية:

وهي أهم وأخطر مؤسسة من مؤسسات العولمة الاقتصادية، تقوم الآن بالإشراف على إدارة النظام التجاري العالمي الهادف إلى تحرير التجارة الدولية وإزالة العوائق الجمركية، وتأمين حرية السوق وتنقل البضائع في مدى زمني لا يتجاوز عام 2005. بالتنسيق المباشر وعبر دور مركزي للشركات المتعددة الجنسيات. [102]

فالمؤسسة الدولية الأساسية التي تقود جدول أعمال الليبرالية الجديدة هي منظمة التجارةالعالمية، تشكلت منظمة التجارة العالمية في العام 1995 بعد إتمام جولة أوروغواي في محادثات الاتفاقية العامة للتعريفية اجمركيةالتجارة في السلع المصنعة والمواد الخام، والخدمات الزراعية، وحقوق الملكية الفكرية وتضم أكثر من 150 بلد عضو، وأهم إضافة حديثة كانت الصين التي اعتبر انضمامها في ديسمبر 2001 لحظة مهمة في تاريخ الرأسمالية العالمية نظرا لالتزام الحكومة المستمر بشيوعية الدولة، وتعتبر المنظمة ظاهريا ديمقراطية وتستقبل كل دولة صوتا واحدا في الأمور الأساسية على الرغم من أنه معروف جيدا أن الاقتصادات الكبرى لها الصوت الأقوى عمليا. [103]

لقد صور أنصار منظمة التجارة العالمية أثناء التصديق على عملية إنشائها الأمر باعتبارها منظمة صوت لكل بلد حيث تكون و. م. أ مثلها مثل رواندا لها صوت واحد، لكن واقع الأمر هو أن منظمة التجارة العالمية لا تدار ديمقراطيا حيث لكل بلد صوت واحد شأن الجمعية

---

[101] المرجع نفسه، ص97.

[102] غازي الصواني: **العولمة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة**، مرجع سبق ذكره،ص 32.

[103] وريك موراي، ترجمة سعيد منتاق، مرجع سبق ذكره, ص 162.

العامة للأمم المتحدة على سبيل المثال ولا هي تدار بنظام النقل التصويتي مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، بل أنها طبقا لدستورها هي صوت لكل بلد، ومع ذلك فالتوافق هو العملية التي تحكم منظمة التجارة العالمية، وهو نظام استعارته المنظمة الجديدة من "اللغات" القديمة التي كان آخر تصويت فيها قد جرى عام 1959. [104]

جوهريا، تراقب منظمة التجارة العالمية ما إذا كانت الدول الأعضاء تتبع قواعد التجارة الحرة أم لا، وإذا لم تفعل فإن للمنظمة سلطة فرض سلطة غرامات وعقوبات، وللمنظمة الحق في عقد اتفاقات ملزمة قانونا مما يجعلها مختلفة عن نظام الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة، إن منظمة التجارة العالمية قوية جدا ومؤيدة لليبرالية الجديدة، وقد أصبحت مصدر اختلاف أساسي، وهناك نقد متزايد في الحياة الأكاديمية.

والمجتمع المدني بصفة أعم، بأنها قطعية جدا ومنحرفة جدا نحو مصالح الشركات العابرة للقوميات، على هذا النحو كانت هدفا لاحتجاجات عديدة من قبل المجموعات المناهضة للعولمة، بل لقد انتقدت حتى من طرف المقربين مثل "جوزيف ستيفليز" كبير الاقتصاديين سابقا بالبنك الدولي الذي ادعى أنها قد أصبحت غير ديمقراطية و بيروقراطية، و تفوض حقوق سيادة الحكومات القومية.

وفي هذا السياق اعترفت الممثلة التجارية لو. م. أ "شاولينبارشفسكي" أن منظمة التجارة العالمية تجاوزت الأساليب التي كانت مناسبة لمرحلة سابقة ويتشارك الأعضاء في وجهة نظر ترى أن المنظمة باتت تحتاج إلى إجراءات جديدة تتسم بشفافية داخلية أعظم وإدماج لعدد اكبر وأكثر تنوعا من الأعضاء الجدد، وقد أيد وزير خارجية بريطانيا"ستيفنبابرز" هذا المنحنى قائلا أن منظمة التجارة العالمية لن تكون قادرة على الاستمرار بالطريقة القائمة ولا بد من تغيرات جذرية وأساسية حتى تصبح المنظمة قادرة على تلبية احتياجات وتطلعات عضويتها المكونة من 150 دولة ... [105]

يضاف إلى هذه المؤسسات الدولية المشكلة لظاهرة عولمة الاقتصاد، الشركات المتعددة الجنسيات أو الشركات العابرة للقوميات التي تعرف بأنها شركات لها قوة التنسيق والتحكم في

---

[104] والدن بيلو، مرجع سابق، ص 99.

[105] ورويك مواري، ترجمة سعيد منتاف مرجع سابق ،ص 163.

العمليات في أكثر من بلد،حتى وإن كانت لا تملكها وعادة ما تشارك في شبكة عنكبوتية من العلاقات التعاونية مع شركات أخرى مستقلة قانونيا عبر الكوكب، والشركات العابرة للقوميات لا يمكن تقليصها فقط إلى الاستثمار الأجنبي، وما هو حاسم هو القدرة على القيادة والحكم في سلاسل ومركبات الإنتاج، قد يحقق هذا من خلال الملكية المباشرة للأجزاء المختلفة من مركبات الإنتاج، وقد يشمل أيضا التعاقد الفرعي بالإضافة إلى وسائل أخرى من التأثير رسمية بدرجة أقل، تعمل هذه الشركات على مستوى عالمي وتتحمل مسؤولية نسبة مرتفعة من تدفقات العالم فيما يخص التجارة والاستثمار والمعرفة ونقل المهارات والتكنولوجيا.بين خمس وربع كل الإنتاج في الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة تتحملها الشركات العابرة للقوميات، ونسبة كبيرة من تجارة العالم هي تبادل داخل الشركات (أكثر 50 في حالة التجارة بين و. م. أ أو اليابان مثلا)، ولهذه الشركات عدة خصائص أهمها: [106]

أ – إندماج وظيفي:

من حيث البحث والتنمية، والإنتاج والاستثمار والتسويق والمبيعات بقياس عالمي، تجد داخل شركة عابرة للقوميات موقع أجزاء عديدة من الشبكة أو مركب الإنتاج في مواقع عالمية مختلفة، في الماضي كان لهذا التقسيم الفضائي للعمل أن يحدث على مستوى قومي فقط.

– مصادر عالمية:

قدرة على الاستفادة من الاختلافات الجغرافية في توزيع عوامل الإنتاج (العمل، والرأسمال والموارد، والمعرفة)، وسياسات الدولة (التنظيمات، والروم الجمركية، والضرائب).[107]

– مرونة جغرافية:

قدرة على تحويل مواردها وسهيلاتها المهمة التي لها علاقة بالعمل إلى مواقع مختلفة، وعلى العموم تتطور الشركات العابرة للقوميات إما من خلال الاندماج العمودي أو الأفقي، وبعضها قد يتطور من خلالها معا.

---

[106] والدن بيلو، ترجمة فريدة النقاش ، مرجع سابق ، ص 100.

[107] وروبك موراي، ترجمة، سعيد منتاق، مرجع سابق، ص 149.

ب-الاندماج الأفقي:

يحدث عندما تحاول شركة ما أن تكسب تحكما أكبر في السوق لأجل منتوجها بتولي الإنتاج أو توسيعه في المرحلة نفسها من الإنتاج التي تضم أعمالها المركزية، وقد يحدث هذا من خلال شراء الشركات في تلك المرحلة نفسها أو الارتباط بها من خلال وسائل رسمية أقل وغالبا ستفضل الشركات التجارة في الخارج بدل الاستثمار مباشرة، وستقوم بالاستثمار المباشر إلا إذا تجاوزت فوائد موقع أساس في الخارج فوائد التصدير هناك، والاندماج الأفقي أو التوسع من هذا النوع مسؤول عن نمو "النزعة الاستهلاكية العالمية" من خلال توسيع شركات الخدمات العابرة للقوميات كشركات المشروبات الوجبات السريعة مثل "كنتاكي" وماكدونالذر و"بيبسي" مع ذلك قاد الإدماج الأفقي أيضا التوسوع العالمي للقطاعات الآتية: صناعة السيارات (نسيان، جنرال موتورز، وفورد)، وخدمات الحاسبات الدولية، ووكالات الأخبار وبائعي الكتب، ومنافذ البيع بالتجزئة والصناعات البنكية.

ج-الاندماج العمودي:

يحدث عندما تحاول الشركات كسب التحكم في المراحل المختلفة في عملية الإنتاج إما من المنبع (التمويل) أو من من المنصب (التوزيع أو السوق)، بقاء الإدماج العمودي من قبل محاولات الشركات العابرة للقوميات تقليص المخاطرة، ويأخذ بعض الاندماج العمودي شكل الملكية المباشرة للمراحل المختلفة من الإنتاج بما أن هذا يمكنه تقليص "كلفة صفقات" العقود.

ويمكن القول أن عاملان رئيسيان سهلا ظهور وانتشار الشركات العابرة للقوميات خلال المرحلة الليبرالية الجديدة للعولمة، أولا دعم التنقل المتزايد للرأسمال في الأسواق الحرة لهذه المؤسسات، وثانيا جعل التقدم في تكنولوجيا الاتصالات والنقل أخد القرار ممكنا على مسافة بعيدة جدا، لقد أصبحت البيانات والتحكم ممركزة، بينما أصبحت العمليات لا مركزية بشكل كبير، بهده الطريقة كانت الشركات قادرة على تخفيض مغامراتها بينما رفعت من المرونة.[108]

---

[108] المرجع نفسه ،ص ص150، 151.

الجدول (02): يوضح الشركات غير المالية العابرة للقوميات الخمس عشرة الكبرى في العالم مرتبة بمجموع القيمة (ملايين الدولارات الأمريكية)، 2003

الشركة	البلد	الصناعة	القيمة		مؤشر عبور القومية	
			أجنبي	المجموع		الرتبة
جنرال إلكتريك	الولايات المتحدة	تجهيزات كهربائية وإلكترونية	180.031	495.210	39	83
			75.379	323.969	29.8	87
جنرال موتورز	الولايات المتحدة	السيارات	81.169	276.543	38.4	85
شركة فورد موتر	الولايات المتحدة	السيارات	187.792	207.458	83.2	13
فودافون	المملكة المتحدة	الاتصالات السلكية واللاسلكية	25.795	183.765	221	97
دايملركريزلرآي دجي	الولايات المتحدة/ ألمانيا	السيارات	10.159	145.802	4.6	100
اتصالات فيريزون	الولايات المتحدة	الاتصالات السلكية واللاسلكية	90.657	144.793	40	82
دانتش تيليكم أي دجي	ألمانيا	الاتصالات السلكية واللاسلكية	68.400	143.174	59.3	47
شركة تويوتا موتر	اليابان	السيارات	68.400	144.793	59.3	47
شركة إكسون موبيل	الولايات المتحدة	البترول/ استكشاف/تصفية توزيع	89.426	143.174	64.8	39
بريتشنبيتروليوم	المملكةالمتحدة	البترول/استكشاف تصفية/توزيع	111.207	141.158	80.5	15
دتش بوست آي دجي	ألمانيا	النقل والتخزين	20.840	138.837	22.3	96

فيفانديونيفورسل	فرنسا	متنوع	91.120	123.156	66.3	36
كهرباء فرنسا	فرنسا	الكهرباء والغاز والماء	28.141	120.124	27	91
رويلداتش/مجمعة شل	المملكة المتحدة/هولندا	البترول استكشاف/تصفية/توزيع	73.492	111.543	59.3	48
مجموعة فولكسفاغن	ألمانيا	السيارات	47.480	92.520	57.4	51

ملاحظة:مؤشر عبور القومية هو متوسط النسب الثلاث الآتية:

القيمة الأجنبية مقابل مجموع القيمة، المبيعات الأجنبية مقابل مجموع المبيعات، والتوظيف الأجنبي مقابل مجموع التوظيف.

المصدر:مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية (2003)، تقرير الاستثمار العالمي، نيويورك.

الجدول (03):يوضح الشركات العابرة للقوميانوالدول القومية الثمانون الاكبر بحسب النتائج المحلي الإجمالي أو المبيعات، 2003.

	الدولة/ الشركة	**المبيعات السنوية الناتج المحلي الإجمالي مليار دولار أمريكي**		**الاسم**	**المبيعات السنوية الناتج المحلي الإجمالي مليار دولار أمريكي**
1	الولايات المتحدة	10881.61	41	تويوتا موتر	135.82
2	اليابان	4326.44	42	جنرال إلكتريك	134.82
3	ألمانيا	2400.66	43	رويلداتش مجموعة شل	133.50
4	المملكة المتحدة	1794.87	44	توتال	131.64
5	فرنسا	1747.97	45	الأرجنتين	129.74
6	إيطاليا	1465.90	46	شيفرون تيكساكو	112.94
7	الصين	1409.85	47	ميتسوبيشي	112.76
8	إسبانيا	836.10	48	ميتسوي	111.98

				وشركاؤها	
9	كندا	834.39	49	إسرائيل	103.69
10	المكسيك	626.08	50	ماليزيا	103.16
11	جمهورية كوريا	605.33	51	مجموعة كارفور	96.94
12	الهند	598.97	52	آليانز العالمية	96.88
13	استراليا	518.38	53	مجموعة آي إن دجي	94.72
14	هولندا	511.56	54	مجموعة سيتي	94.71
15	البرازيل	492.34	55	نيبون تيل وتيل	92.41
16	الاتحاد الروسي	433.50	56	سنغافورة	91.34
17	سويسرا	309.47	57	مجموعة فولكسفاغن	91.33
18	بلجيكا	302.22	58	كونوكو فيليبس	90.49
19	السويد	300.80	59	مجموعة أسكا	90.10
20	مخازن وول مارت	256.33	60	أي بي إم	89.13
21	النمسا	251.46	61	إيتوتشو	88.51
22	تركيا	237.97	62	مجموعة سيمنس	86.62
23	بي بي	232.57	63	جمهورية التشيك	85.44
24	إكسون موبيل	222.88	64	فينزويلا	84.79
25	النرويج	221.58	65	هنغاريا	82.81
26	الدنمارك	212.40	66	جمهورية مصر العربية	82.43
27	بولندا	209.56	67	الفلبين	80.57
28	إندونيسيا	208.31	68	سوميتومو	78.08

29	السعودية	188.48	69	كولومبيا	77.56
30	جنرلموترز	185.52	70	مجموعة إنتل الأمريكية	76.66
31	اليونان	173.05	71	نيوزيلندا	76.26
32	فورد موتر	164.20	72	مارويني	74.39
33	فلندا	161.55	73	هيولتباكارد	73.06
34	جنوب إفريقيا	159.89	74	تشيلي	72.42
35	هونغ كونغ	158.60	75	الإمارات العربية المتحدة	70.96
36	دايملر كري زلز	157.13	76	أهولد	70.57
37	البرتغال	149.454	77	هيتاتشي	69.30
38	إيرلندا	148.55	78	باكستان	68.86
39	تايلاند	143.16	79	مجموعة بيجو	68.23
40	إيران	136.83	80	بويرتوريكو	67.90

المصدر :أرقام المبيعات من لائحة فوربي2000

الفصل الثالث

الفصل الثالث :العولمة الثقافية

يتضمن أربع مباحث :

المبحث الاول :العولمة الثقافية نظرة في تاريخ الظاهرة

المبحث الثاني :الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية

المبحث الثالث :تعريف العولمة الثقافية

المبحث الرابع :العولمة الثقافية المعاصرة آليات العمال ومظاهر التشكل

المبحث الاول

العولمة الثقافية: نظرة في تاريخ الظاهرة..

عند تتبع أصول وتطورات العولمة الثقافية من المفيد أن نفكر فيها باعتبارها مرت بعدد من المراحل المختلفة، هذه المراحل يمكن أن نصنفها بشكل عام بالمرحلة ما قبل الحديثة (الفترة السابقة على سنة 1500)، والمرحلة الحديثة (1500-1945)، والمرحلة المعاصرة (1945 وما بعدها).

1- المرحلة الأولى:

إذا فكرنا بالثقافة بشكل أساسي ، باعتبارها تتضمن الناس، والأفكار، والسلع و، المنتجات الفنية، فيمكن القول أن العولمة الثقافية لها تاريخ طويل لأن مثل هذه المجالات كانت موجودة ومنتشرة في الكرة الأرضية منذ آلاف السنين كما أن هناك أعمالا كثيرة وآراء لدى مؤرخين ومنظرين ترصد أشكال العولمة الثقافية في تطورها التاريخي، ويمكن أن نذكر أهم العمليات الأولية أو التحولات التي ينظر إليها باعتبارها تجليات للعولمة الثقافية أو إسهامات فيها في المرحلة ما قبل الحديثة.

أ- الهجرات الإنسانية الباكرة.

ب-ظهور الأديان العالمية.

ج- الأنظمة الإمبريالية الأولى.

والملمح العام لهذه الأنشطة الإنسانية هو أنها أمنت المواجهات الثقافية لكي يتم تبادل واستيعاب الأفكار والمعتقدات والتطورات التكنولوجية، وبالتالي لابد من اعتبارها جزءا من تقصينا تاريخ العولمة الثقافية.[109]

2-المرحلة الحديثة من العولمة الثقافية1500-1945:

هناك خلاف حول بداية ونهاية المرحلة لحديثة من العولمة كما أن بعض الكتاب يقسمونها إلى مرحلة حديثة باكرة، ومرحلة حديثة متأخرة، ويختلفون في الوقت نفسه حول زمن كلتيهما.

---

[109] بول هوبر ،ترجمة طلعة الشايب:**نحو فهم للعولمة الثقافية**، المركز القومي للترجمة، عدد 1811,القاهرة,2011 ص 27.

ومن بين العناصر الأساسية التي أسهمت في العولمة الحديثة وبخاصة في بعدها الثقافي:

أ- الاستعمار الأوروبي.

ب-اقتصاد عالمي بازغ.

ت-الهجرات والتطورات العالمية خارج الغرب.

ث-انتشار الحداثة.

ج- نشأة الدولة الأمة.

ح- التصنيع.

أ.الاستعمار الأوروبي:

كان ظهور أشكال من التوسعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية على هيئة استعمار أوروبي أحد الملامح الأساسية للمرحلة الحديثة، وهناك بالفعل بعض الكتاب الذين يعتبرون صعود الغرب الملح المحدد للعصر الحديث.

النزعة التوسعية الأوروبية أخذت دفعة سنة 1492 مع مرحلة كولمبوس إلى أمريكا، التي مهدت الطريق للقاء أوروبا بالعالم الجديد وهي مرحلة بالغة الأهمية أدت إلى تدفقات في البضائع والبشر عبر الأطلسي، وإن كانت على مستوى محدود نسبيا، لم تكن تلك التدفقات مجرد تدفقات اقتصادية، بل تضمنت كذلك ظواهر أخرى أهمها المظاهر الثقافية.[110]

وكان هناك دافع ابعد لبعض الأوروبيين لكي يذهبوا إلى العالم الجديد وهو الدافع الديني، وبالتحديد الرغبة في كسب متحولين للمسيحية، وكان أحد التجليات الثقافية لهذه الرغبة في نشر الرسالة المسيحية، تلك الأسماء التي أطلقت على كثير من الأماكن في أمريكا اللاتينية.

كان يعوق التدفقات الاقتصادية والثقافية قبل القرن التاسع عشر وعدم وجود شحن بحري ممكن وسكك حديدية، وأنظمة اتصال عالمية ودول أممية قوية ذات اقتصادات رأسمالية صناعية قادرة وكل ذلك حدث فيما بعد أي في المرحلة الحديثة، عدم وجود هذه التسهيلات جعل التدفقات والروابط الثقافية العالمية تستمر ضعيفة وغير منتظمة، بيد أنه كانت هناك مؤشرات في المرحلة الحديثة الباكرة مع تطور الطباعة وبناء الطرق وإنشاء النظام البريدي في أوروبا ...

---

[110] المرجع نفسه ،ص39,38.

واستمرت الإمبراطوريات الأوروبية في الاتساع في النصف الثاني من القرن 19، وبخاصة عبر إفريقيا آسيا واستمر نشر وتدفق الثقافة عبر العالم.

ب- اقتصاد عالمي بازغ:

هذه التطورات التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر كانت جزءا من عملية تدويل مهمة للعلاقات الاقتصادية، منعكسة في اندماج إفريقيا وأجزاء كبيرة من آسيا في الاقتصاد العالمي مع قاعدة الذهب كعملة لها، وبالفعل كان هناك ارتفاع كبير في مستوى التجارة والاستثمار العالمين لدرجة أن بعض الاقتصاديين يعتبرون أن الاقتصاد العالمي كان أكثر انفتاحا وتكاملا في الفترة 1780-1914.

ج- الهجرات والتطورات العالمية خارج الغرب:

كانت الفترة من 1870-1914 مرحلة مهمة في تاريخ الهجرة العالمية، فكثيرة من الأوروبيين استغلوا التدافع نحو أفريقيا وبدؤوا يقتلعون جذورهم للاستقرار في المستعمرات الجديدة وهو أسلوب استمر في القرن العشرين، ولكن الهجرة لم تكن مجرد ما يحرص الأوروبيون عليه، هذه الفترة شهدت كذلك نشأة مجتمعات الشتات الآسيوية العالمية التي كان دافعها الرغبة في العمل والارتحال إلى إفريقيا وأمريكا الشمالية على سبيل المثال.

وبالإضافة إلى الهجرة الآسيوية نجد التطورات غير الغربية التي أسهمت في المرحلة الحديثة من العولمة، حيث كان الإسلام يعتبر قوة عولمية قوية مع وجود الإمبراطورية العثمانية التي كانت تضم وهي في ذروتها أراضي شاسعة ممتدة من فارس إلى حدود النمسا وفي المرحلة الحديثة كانت هناك أسرتان مسلمتان مهمتان هما المغول والصفوريون فرضتا سيطرتهما على الهند وفارس على التوالي، فما بعد كان لهما إمبراطورياتهما الإسلامية والنفوذ الثقافي في أفريقيا واندونيسيا والمحيط الهندي المستعمرة أثارها حتى اليوم.[111]

---

[1])المرجع نفسه، ص ص 40،41.

هـ- انتشار الحداثة:

لم يكن الاستعمار الأوروبي مجرد قوة عولمة اقتصادية فحسب، إنما كانت له كذلك أبعاد ثقافية وسياسية مهمة، وبخاصة إسهامه في نشر الحضارة في أرجاء العالم، أساليب التفكير الغربية مثل العلم والعلمانية وإيديولوجيات مثل الاشتراكية والماركسية، والحرية والديمقراطية، انتشرت عبر الكرة الأرضية خلال العصر الحديث كنتيجة لدعواها العامة، والقوة الأوروبية وثقة الأوروبيين في تقاليدهم الفكرية وهذا يعني أن تأثير التدفقات الثقافية العالمية مقارنة بالمراحل السابقة كان أكثر عمقا ودواما في الفترة الحديثة.

يضاف إلى ذلك أن تلك الفترة كانت بداية تحول نحو وسائل أكثر تاريخية ومقارنة في المعرفة بأوروبا، وكان ذلك واضحا على نحو خاص بين كثير من الفلاسفة الفرنسيين مثل فولتير الذي استخدم نموذج الصين الكونفوشيوسية جزءا من نقده للنظام القديم في القرن التاسع عشر بالمثل، ونتيجة للقاء أوروبا بالثقافات الشرق أوسطية والآسيوية، أصبح لما يعرف بالاستشراق تأثير معتبر على الفكر الأوروبي والفن والعمارة، والتصميم، والموسيقى السينما والمسرح، وكذلك على الأذواق والمشاعر بشكل عام حتى في القرن العشرين كان يمكن رؤية هذا التأثير في أفلام هوليود وكذلك في الثقافة المضادة في الستينيات من القرن نفسه، هذه الأشكال من الاختلاط والتمازج تتحدى مفهوم العولمة كمشروع غربي، وهناك الآن اعتراف متنام بأصولها الغربية وغير الغربية، هذا التحول نابع في جزء منه من التفحص النقدي لفكرة "الغرب" والاعتراف بطبيعتها المركبة، وبأنها مكونة من (جمعيته) مصادر عدة ومؤثرات إسلامية وإثيوبية ومصرية وهندية ...الخ.[112]

و- نشأة الدولة الأمة:

يعتبر قيام الدولة، الأمة أحد ملامح العصر الحديث الجديرة بالملاحظة والدولة، الأمة هي المؤسسة التي يرى كثير من المعلقين أنها قد أسهمت إلى حد كبير في عملية العولمة وإن كانت قد مرت بعلاقة معقدة معها خلال تلك الفترة، فمن ناحية مهد تكوين الدول، الأمة القوية في أوروبا الغربية الطريق أمام التوسع الإمبريالي في أواخر القرن العشرين، ومن هنا أسهم في المرحلة الحديثة من العولمة.

---

[112] المرجع نفسه ،ص 44.

رغم ذلك على نحو أكثر عمومية، فإن ظهور الدولة الأمة في المشهد العالمي صحبه ذلك تأكيد أكبر على الحفاظ على الحدود الوطنية، وهو التطور الذي قيد حرية الحركة والانتشار الثقافي، وبينما كانت المناطق محددة في المرحلة ما قبل الحديثة، فإن تقوية الثقافات الوطنية، كان يعني غالبا اقصاءالذين كان من المتصور أنهم غير منتمين وكذلك اعتبار الثقافات الأخرى أقل شأنا وقيمة، وإلى جانب الأشكال الرومانسية والحصرية من القومية، ظهرت إيديولوجيات أخرى تعارض كل صور التمازج الثقافي واختلاط الأجناس مثل العرقية والداروينية الاجتماعية التي مهدت بدورها الطريق إلى الفاشية والنازية، إقامة الحدود والتخوم والمحافظة عليها كان إذن ملمحا خاصا بالفترة الأخيرة من الحقبة الحديثة، الأمر الذي أسهم في تقييد الاختلاط الثقافي والتهميش المؤقت للكوزموبوليتانية التي كانت موجودة على الأقل بين بعض المثقفين الأوروبيين في القرن الثامن عشر.

3- التصنيع:

كان التصنيع تطورا مهما آخر سهل العولمة الحديثة، بينما كانت بريطانيا تعيش نورتها الصناعية منذ القرن الثامن عشر، لم تقم بقية أوروبا والولايات المتحدة بالتصنيع إلا في القرن التالي، وهو ما خلق الحاجة للمواد الخام وإلى أسواق جديدة لتصريف ناتج صناعاتهم وبذلك كان التصنيع حافزا على التوسع الاستعماري، وكان الاستحواذ على مستعمرات هو وسيلة مواجهة هذه المطالب التنافسية، إلى جانب ذلك كانت هناك تطورات أخرى مرتبطة بالتصنيع عموما، وبالعلم خصوصا مثل النقل البحري والسكك الحديدية والتلغراف، وكذلك الانجازات التكنولوجية الإعلامية مثل الراديو والتلفون والتلفزيون وكلها أمور أسهمت في العولمة الثقافية في الفترة المؤدية إلى 1945.

4-العولمة الثقافية المعاصرة (من 1954 إلى الآن):

تختلف العولمة الثقافية في الخمسين سنة الماضية نوعيا وكميا عن العولمة الثقافية في الماضي، في رأي "هيلد وآخرون" تعتبر حركة الصور والرموز التكثيفية والتمدد الهائل لطرق التفكير وطرق التواصل وحيدة وليس لها مثيل على الرغم من تعقيد التفاعلات الثقافية بين المجتمعات خلال الثلاث آلاف سنة الأخيرة .. ليس هناك ما يعادل تاريخيا الامتداد العالمي وحجم الحركة الثقافية من خلال بيانات الاتصال التحتية والبث الإذاعي والنقل.

وتنطلق العولمة الثقافية الحالية من عولمة الماضي من حيث ستة اتجاهات وعمليات:

1- بيانات تحتية ثقافية جديدة للتكنولوجيا تعمل بفاعلية وبقياس لم يسبق له مثيل.

2- الارتفاع الناتج في سرعة التبادلات الثقافية عبر الحدود وبين المجتمعات.

3- ظهور لا نظير له للثقافة الغربية كعلامة مركزية للتفاعل الثقافي العالمي.

4- ظهور الشركات العابرة للقوميات في الصناعة الثقافية التي تنشئ البنية التحتية الضرورية للانتشار المتزايد وتديمها.

5- ظهور الثقافة بوصفها دافعا رئيسيا للتبادل الثقافي المرتبط بالنقطة الرابعة .

6- التحول في جغرافيا التفاعل الثقافي مقارنة بعالم ما قبل الحرب العالمية الثانية، وفي حالة النقطة الأخيرة، يرى هيلد وآخرون أنه على الرغم من أن التدفقات من الغرب إلى باقي العالم أكبر بمعنى مطلق، فإننا نشاهد انعكاسا جزئيا لهذا من خلال أنماط معقدة جدا من الهجرة، وتحول السياحة الجماعية وظهور قطاعات جديدة مثل الصناعة الموسيقية العالمية، ولكن البعض يرى أن العولمة تقود لا محالة إلى التجانس الثقافي، ويدعي جايمسبيتراس مثلا أن الثقافة العالمية ناشئة ومرتبطة مباشرة بالو.م.أ ولها أهداف سياسية واقتصادية معا، وهو جزء من جغرافيا الرأسمالية السياسية.[113]

تتميز المرحلة المعاصرة من العولمة، ليس فقط بإتباع وقوة التدفقات الثقافية التي تبدو في شكل حركة البشر، والأفكار، والسلع والرموز والصور فحسب، وإنما في السهولة الكبرى التي تنتقل بها من مكان إلى آخر ،ومن ثم تعمل على تعميق أشكال التواصل الثقافي الكوني، هذا النموذج يأتي نتيجة لعدد من التطورات، وبخاصة التحسن الكبير الذي يطرأ على وسائل النقل وبنيتها الأساسية والجدير بالذكر أن الطائرات النفاثة وإنشاء الطرق، والشبكات السكك الحديدية عبر الكرة الأرضية، والشحن بالحاويات والزيادة الكبيرة في امتلاك السيارات ،وغيرها من وسائل النقل.

كذلك جعل الاتصال أكثر سرعة وسهولة التحسن الذي طرأ في مجال الطيران أسهم في تطور السياحة وأشكال الهجرة بينما التقدم الذي حدث في تكنولوجيا المعلومات والاتصال وبخاصة التلفزيون والحاسب الآلي والرقمنة يؤكد أن الاتصالات العالمية أصبحت أرخص وفورية

---

[113] ووربرك مواري، ترجمة، سعيد منتاق, مرجع سبق ذكره, صص 275،276.

في الوقت نفسه وبالمثل فإن الثقافات الفردية، والتدفقات الثقافية أصبحت تصل إلى أبعاد كونية عن طريق حزمة من الأقمار الصناعية، والكابلات والإمكانيات الواسعة للراديو والتلفزيون والإنترناث، وقد ساعد في ذلك كله أيضا ظهور مؤسسات إعلامية قوية، وربما يكون أساس ذلك كله موجودا في التوسع المستمر للرأسمالية العالمية، وهو ما يتجلى في اتساع السوق العالمية، واستيعاب دول جديدة فيها مثل الصين، وظهور المؤسسات متعددة الجنسيات والمؤسسات العابرة للحدود القومية، والدور المتناهي للأعمال التجارية، وتأثيرها بشكل عام في المرحلة المعاصرة، الثر التراكمي للتطورات التي نصفها منا هو أن التفاعل الثقافي والاستهلاك، مقارنة بالفترات السابقة، والذي كان بين نخب المجمعات المختلفة، يحدثان على المستوى الشعبي في ظل العولمة المعاصرة، يضاف إلى ذلك أن بعض التوجهات العولمية تكتسب أهمية جديدة في عصرنا مقارنة بالفترات السابقة، وبخاصة حالة البيئة العالمية، واحتمالات أشكال مختلفة من السياسة العالمية مع التكوين والتطور المستمرين لمؤسسات دولية.[114]

[114] المرجع نفسه،ص 47.

المبحث الثاني.

الدراسات المعرفية للعولمة الثقافية:

على النقيض من العولمة الاقتصادية أو المالية أو التكنولوجية أو الجيوسياسية، فإن العولمة الثقافية تحيل على نقل وإشاعة المعرفة والإيديولوجيا والفن والإعلام وأنماط الحياة خارج الحدود الوطنية، لكن الثابت القائم هو ملاحظة أنه لو تسنى للمرء الإمساك بطبيعة "العولمة الاقتصادية"، على اعتبار طابعها المادي البارز والتنظير لها بناءا على ما يتوفر من بيانات ومعطيات وتوجيهات، فإنه من المعتذر نسبيا تحقيق ذلك مع العولمة الثقافية، ليس فقط لأنها تحيل على فضاءات رمزية عصيبة على الضبط والقياس، ولكن أيضا لأنها لا تخضع بسهولة للتنظير أو للنمذجة أو لغيرها.

وعلى الرغم من وجود العديد من الدراسات والنظريات (المفاهيم) التي تحاول تفكيك عناصر العولمة الثقافية، وصياغة أطراف معادلاتها، فإن المحصلة تبقى في الغالب "ماكرو تحليلية" وعامة، وليست إلا في القليل النادر "ميكرو تحليلية" مبنية على معطيات إمبريقية وإحصائية مضبوطة، تتعلق بالدين أو بالفن أو بالأخلاق أو بمنظومات القيم أو بغيرها.

ولهذا السبب ولغيره، ترى دراسات العولمة الثقافية إما موضوعة على محك نظريات الثقافة أو مطروحة على ضوء النظريات الأدبية أو معالجة من زاوية نظريات الاتصال والتاريخ والانثربولوجيا لكنها نادرا ما تعمل على صهر كل هذه الحقول بلملمتها وبناء نظرية كبرى على أساسها مجتمعة.

ويبدو –على الأقل انطلاقا من هذا الاعتبار– أن نظريات سوسيولوجيا الثقافة تبقى أقرب من غيرها إلى ملامسة كل هذه الأبعاد حتى وإن لم تخل مقاربتها هي الأخرى من بعض جوانب الاختزال وضروب التعميم.

وتنطلق أطروحة العولمة الثقافية على خلفية من سوسيولوجيا الثقافة من أربعة نماذج كبرى.[115]

---

[115] يحي اليحياوي: **كونية الاتصال، عولمة الثقافة**، منشورات عكاظ، الرباط، 2011، ص 100.

النموذج الأول: للعولمة الثقافية الأكثر ذيوعا يتمثل في نظرية الإمبريالية الثقافية التي برزت أواسط ستينات القرن الماضي، وهو نموذج يهتم أساسا بدور الحكومات والشركات متعددة الجنيات في تشتيت مختلف أشكال الثقافة العالمية، إذ ينطلق من فرضية أن الثقافة العالمية تنتشر انطلاق من الدول الغنية والقوية المتواجدة بمركز النظام الثقافي العالمي باتجاه الدول الفقيرة والأقل تقدما الموجودة بهوامش هذا النظام.

ولما كانت هذه النظرية تجد مرجعيتها في النقد الماركسي للثقافات الرأسمالية المقدمة وانبناءها على الاستهلاك والاتصال الجماهيري، فإن بذلك في جوهرها إنما تمثل انعكاسا للنقد الموجه بنظام الاقتصادي العالمي حيث الهيمنة الاقتصادية لدول المركز على دول المحيط (دول العالم الثالث)، ومن الطبيعي وفق هذه النظرية أن تعمد دول المركز (وشركاتها الكبرى) على ابتداع تقنيات للهيمنة على الأسواق وتنتج ثقافة جماهيرية إلى حد ما متجانسة ، تفرضها على الجمهور المتلقي بهذه الوسيلة أو تلك أو بها معا.

تتبني إذن نظرية العولمة الثقافية المرتكزة على أطروحة الامبريالية الثقافية على فكرة أن الدول المتقدمة (و.م.أ) وشركاتها الكبرى إنما تدفع إلى فرض تمثيلاتها ومعارفها ونموذج سلوكها ونمط حياتها على باقي دول العالم، وهي إلى حد بعيد هيمنة ثقافية مقصودة تهدف إلى توحيد (وتنميط) الثقافة العالمية على خلفية سيادة الأقوى ضمنها أي الثقافة الأنجلو سكسونية ... وهو ما نلاحظه منذ نصف القرن من الزمن ..

النموذج الثاني: ويرتكز على نظرية التيارات الثقافية أو النموذج الشبكي حيث التأثيرات الثقافية ليس لها بالضرورة نفس المصدر ولا نفس التوجه إذ يمكن أن تكون في الآن ذاته مرسلين ،وتلقين، وبالتالي فالعولمة بما هي تجمع للتيارات والشبكات الثقافية إنما هي مسلسل أقل توحدا من الإمبريالية الثقافية، مسلسل تذهب التأثيرات الثقافية بصلبه باتجاهات متعددة (من هنا)، فأثار هذه التيارات الثقافية (الإعلام، التكنولوجيا، الإمبريالية والمصادر الإثنية ...) على الدول المستقبلة إنما تنحوا بناحية تعددية ثقافية أكثر منها بناحية التوحيد والنمدجة.[116]

أما النموذج الثالث (نموذج نظرية التلقي): فيقف عند رد فعل الجماهير الدول المختلفة في وجه عولمة الثقافة، ومفاد هذا النموذج أن المجموعات المقصودة إنما تتجاوب بطريقة إيجابية مع

---

1 المرجع نفسه، ص 102.

الثقافة الجماهيرية وأن مختلف المجموعات العرقية أو الإثنية، أو الوطنية، لا تتعامل بالضرورة مع الرسالة (الثقافية) المتلقاة بنفس الطريقة ولا بنفس الأسلوب، ومعنى هذه النظرية أن ذيوع الثقافة على المستوى العالمي يهدد بالضرورة الهوية الوطنية أو المحلية، ومعناها كذلك أن التعدد الثقافي هو السمة المهيمنة على المستوى إياه عوض أن يكون ذلك من قبيل الامبريالية الثقافية أو غيرها.

أما النموذج الرابع: فيسأل الاستراتيجيات المتعددة من قبل الدول والمدن والمنظمات الثقافية لتشجيع العولمة الثقافية أو لمواجهتها والإستراتيجيات المقصودة هنا إنما هي تلك التي تستهدف الحفاظ على الثقافات الموروثة من الماضي وتشبيب الثقافات التقليدية والصمود في وجه العولمة الثقافية وإعادة صياغة الثقافات الوطنية والمحلية الموجهة للاستهلاك العالمي.

وعلى هذا الأساس فعولمة الثقافة إنما هي المسلسل الذي من شأنه أن يفرز المنافسة والحوار على اعتبار أن المنظمات والدول لا تتوخى إلا الحفاظ على ثقافتها أو العمل على موقعها كي تنخرط في المجال العالمي.

جدول رقم(04) يوضح نماذج (نظريات) عولمة الثقافية

النموذج	مسلسل التداخل	الفاعلين الأساسين	النتائج المحتملة
الإمبريالية الثقافية الإمبريالية الإعلامية	المركز الهامش	المجموعات الإعلامية	واحدية الثقافة
التيارات الثقافية الشبكية	تيارات في الاتجاهين	شركات ومجموعات إقليمية ووطنية	تشتت الثقافة
نظرية التلقي	المركز –المحيط اتجاهات متعددة	جمهور المتلقين مقاولين في الثقافة ملاحظين	حوار صمود
استراتيجيات السياسة الثقافية المحافظة الصمود	تقليد الثقافات الوطنية	مدن دولية متاحف مواقع ثقافية	منافسة حوار

المبحث الثالث

مفهوم العولمة الثقافية وطبيعتها:

يرى "برهان غليون" العولمة بأنها "الدخول في طور من التطور الحضاري، بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية، يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا للتوحد"، ويرى معنى "الوحدة" بأنها درجة عالية من التفاعل بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة، وبالتالي ازدياد درجة التأثير والتبادل، وهناك من ينظر إلى العولمة الثقافية بأنها "إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونيا، يتوجب تبنيه وتقليده، وقد استفادت من التطور الهائل والسريع الحاصل في وسائل الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية، وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى".

ويقول الباحث عبد الإله بلقيز "إن السيطرة الثقافية الغربية تنطوي على علاقة أخرى من السيطرة، تجعل ثقافات غربية عديدة في موقع تبعي لثقافة تتحدد أحكامها على امتداد سائر العالم، أما هذه السيطرة التي نعني فهي التي يمكننا التعبير عنها بالأمركة، والعولمة هي الاسم الحركي لها".

إحدى المجادلات الرئيسية المحيطة بالعولمة الثقافية، هي ما إذا كنا نشهد ظهور عولمة كونية، فهذه قضية تشغل الاهتمام الأكاديمي والجماهيري، على الرغم من إن الأكاديميين يبدون مشكلين في هذه الفكرة، ويرى بعض المعلقين أن هناك جوانب من العولمة –وخاصة في مجالات الاتصال والميديا والاقتصاد تعتبر ذات تأثير على– المجانسة الثقافية– (النمذجة الثقافية).

كما يقال أن تكنولوجيا المعلومات والإعلام الحديثة، والنقل المتقدم، وظهور الميديا الجديدة ومؤسسات متعددة الجنسية قوية، يعني أن العالم يغدو مكانا أصغر ،وأن الثقافات المحلية تجاهد من اجل البقاء، وأن الفوارق الثقافية تتلاشى.

تجد ذلك كله منعكسا في التعليقات التي نسمعها كثيرا بأن مراكز المدن في الكرة الأرضية كلها تبدو متشابهة على نحو متزايد، الموزعون الرئيسيون للمنتجات، والبنوك ومطاعم الوجبات السريعة، والإعلانات، كل ذلك يمكن أن تجذه فيها كلها.[117]

في السياق ذاته يمكن أن نجد سلعا استهلاكية، وماركات مسجلة بعينها في دور السينما، كما يمكن مشاهدة الكثير من البرامج التلفزيونية المتماثلة.

"أولريش بيك" يصف هذا التقارب "في قرى بافاريا كما هو الحال في كالكاتا وسنغافورة أو في ضواحي ريو دي جانيرو، يشاهد الناس مسلسل "دالاس" في التلفزيون ويرتدون الجينز، ويدخنون المارلبورو ..".

ما يشغل النقاد هو أن ذلك يؤدي إلى تآكل الأصالة الثقافية، كما يشجع الطموحات المشابهة، وعلى المزيد من الرغبة في الاتساق العام مع أساليب الحياة المماثلة.

نتيجة لهذه التطورات هناك زعم ،بأن الثقافات ،والمجتمعات تواجه ضغوطا مجانسة (نمذجة)، قوية بدرجة تجعل بالإمكان الحديث عن وجود ثقافة كونية على أن الشكل الذي تتخذه هذه الثقافة الكونية والقوى الدافعة لها تقع محل جدال كبير، وقد تم صياغة هذا الشكل على أنحاء مختلفة، كان يقال "أمركة" أو نمذجة، أو غربية، مع تأكيد بعض المنظرين أن ما يحركها هو الرأسمالية، أو قوى الحداثة مجتمعه.

يعتبر كثير من الكتاب وخاصة من المسار السياسي الرأسمالية القوة الرئيسية المحركة للعولمة الثقافية، وبالتحديد من اجل ثقافة عالمية استهلاكية، وهو توجه يشجع عليه الإعلام الجماهيري وصناعة الإعلان، الاستهلاك الثقافي الكوني يتخذ عدة أشكال ولكنه واضح على نحو خاص في ثقافة الشباب والثقافة الشعبية وأساليب الحياة، وأنماط الاستهلاك الرمزي.

هذا الوضع له تاريخ أكاديمي طويل، فقد ظهر في أربعينيات القرن العشرين وفي أعمال منظري مدرسة فرانكفورت، "نيودورأدورنو" و"ماكس هوركهايم" اللذين أكدا كيف كان يتم تسليح الثقافة في ظل ظروف الرأسمالية المعاصرة، حيث أن القيمة السوقية للسلع الثقافية هي التي تحدد حجم إنتاجها وطبيعتها.

---

[117] بول هوبر، ترجمة طلعت الشايب، مرجع سبق ذكره، ص ص120،119.

ويؤكد "إمانويلفالرنشتاين" أن النظام العالمي، هو اقتصاد رأسمالي عالمي، وهو يقوم على منطق خاص هو "التراكم المستمر لرأس المال" ومن هنا فإن الرأسمالية في رأيه، هي المحرك الذي يقود العولمة رغم أنه يرفض هذا المصطلح ويفضل عليه مصطلح "النظام العالمي"، أما بالنسبة للثقافة فهو يراها (الفكرة–النظام) لهذا الاقتصاد العالمي، على أنه لا يبلور مفهوما للثقافة الرأسمالية باعتبارها كيانا مهيمنا، وإنما يرى أنها تؤدي دورا خاصا داخل النظام العالمي وهو الحفاظ عليه، تحديدا من خلال احتواء التوترات المتعارضة التي يثيرها.

أما الإيديولوجيات الثقافية المختلفة في جوهرها (والتي تتراوح بين العرقية والجنسانية (النمدجة، والعالمية) والمعارك التي تنجم عنها فهي تحول الاهتمام عن الانقسامات الاقتصادية الموجودة في الرأسمالية، ومن هنا فإنها تلعب دورا في اخفاء الاستغلال ، واللامساواة الموجودين في النظام العالمي.

العالمية تؤسس أسطورة أن النظام يعمل من أجل مصلحة عامة، بينما العرقية والجنسانية، تصنعان تراتبية تمكن الرأسمالية من أن تفرق لكي تسود.

عند "فالرشتاين" الإيديولوجيات المزدوجة للعالمية والعرقية، الجنسانية (وهي مضادة للعالمية)، تعمل لكي تضعف المقاومة المضادة للنظام، ولهذا السبب يصف الثقافة بأنها ساحة القتال الإيديولوجي للنظام العالمي الحديث، والحقيقة أن الرأسمالية هي المستفيد الرئيسي من ذلك الارتباط المحيط بكل مفهوم الثقافة.[118]

وفي السياق نفسه توضح "ليزليسكيلر" أن الرأسمالية العالمية تشكل وتعرف كلا من العالم والعولمة، وهي مهتمة على نحو خاص بالنظام العالمي وكيف يعمل، وترى أنه يقوم على ممارسات عابرة للقوميات تعمل في مجالات ثلاثة هي: الاقتصادي، والسياسي، والثقافي/الإيديولوجي، يضاف إلى ذلك أن كلا من هذه الممارسات يتميز بمؤسسة رئيسية: المؤسسة العابرة للحدود القومية والنزعة الاستهلاكية هكذا على التوالي، ومن هذه المجالات نستطيع أن نرى أن الثقافة –مرة أخرى– مرتبطة بالإيديولوجيا، كما هي مرتبطة بالطبع بالجوانب الاقتصادية، وعليه لا يمكن القول إن لها وجودا مستقلا بذاته، في هذا السياق، فإن إحدى الدعاوى الأساسية عند "سكيلر"، فيما يتعلق بالممارسات الثقافية الإيديولوجية العابرة للحدود

---

[118] المرجع نفسه,ص 127.

القومية، هي أن النزعة الاستهلاكية تسهم في بناء الرأسمالية على قيد الحياة لأنها تحاول إقناع أغلبية الناس بأن مثل هذا الأسلوب في الحياة يحقق لهم مطالبهم، بعبارة أخرى "سكيلر" ترى أن الإيديولوجية الثقافية للنزعة الاستهلاكية تقدم الكثير الذي يؤدي الى تماسك النظام العالمي ،بدون النزعة الاستهلاكية فإن منطق التراكم المستمر لرأس المال يتلاشى كذلك فإن الوظيفة التي تقوم بها النزعة الاستهلاكية تكشف عن أن النظام الرأسمالي العالمي متورط في عملية مستمرة للإبقاء على نفسه، وإعادة إنتاج ذاته، وهو ما يتضح على نحو خاص في محاولة مد العلاقات الرأسمالية إلى دول العالم النامي.[119]

ويؤكد "رولاند روبرستون" ، وهو أحد الكتاب البارزين في علم اجتماع العولمة، أهمية المواجهة بين الكوني والمحلي بوصفها جزءا من محاولة أوسع لتنمية عالم الثقافة داخل دراسات العولمة، وهو مجال يؤكد أهمية الجوانب الاقتصادية والسياسية، ونتيجة لذلك، فإن أسلوب تناوله أكثر من تأكيده البنية والنظام يركز على العامل الإنساني ويحدد ما هو حالة اجتماعية وظاهراتية، أو حالة إنسانية كونية، هذه الحالة هي نتاج عملية تاريخية طويلة وتمثلها أربعة أشكال من الحياة (الذوات، المجتمعات القومية، النظام العالمي للمجتمعات، الجنس البشري) هي في حالة تفاعل مستمر فيما بينها وتتغير أثناء ذلك ولكنها تثري أسلوب رؤيتنا للعالم.

العولمة عند "روبرستون" تشير إلى تقارب أشكال الحياة على انه يعتبر الاستعارة أو نموذج "الميدان العالمي" مفهوما أكثر دقة للكوني من النظر إليه باعتباره نظاما كونيا متحدا، أو ثقافة كونية متكاملة، من نقطة البداية هذه يعتقد "روبرستون" أن هناك أوجه نقص معينة في مفهوم "العولمة" الذي يعتقد انه يصف "انضغاط العالم واتساع الوعي بالعالم ككل ،على أنذلك لا يعني انه يغفل المحلي في تصوره للعولمة، العولمة عنده تتضمن "خلق واحتواء ما هو محلي، كما تتضمن عمليات تشكل هي بدورها انضغاط العالم كله".

بعبارة أخرى: هناك دائما عملية مستمرة يتحد فيها الكوني والمحلي العام الخاص، بحيث يصبح المحلي نتاجا للعولمة أو على الأقل أحد جوانبها، ويذهب "روبرستون" إلى أبعد من ذلك، حيث يرى الكوني والمحلي يتبادلان الاختراق والتغلغل ببعضهما، لدرجة أن يصبح المفهوم الأكثر ملائمة لوصف هذه الحالة هو "Glocalization" أي إضفاء الطابع الكوني على ما هو

---

[119] المرجع نفسه ,ص ص 128 ،129.

محلي، وهذا التغلغل بين الكوني والمحلي يؤكد أنهما ليس كيانين ثقافيين منفصلين أو متمايزين، وإنما مزيج اندماجي توفيقي يحتوي عناصر من كليهما.

هناك إذن تماثل واختلاف، تجانس وتنافر في حالة عمل، والنتيجة في نظر "روبرتسون" هي أننا لا بد من أن نتحرك إلى ما هو أبعد من الجدل حول المجانسة أو التنافرية العالمية، وبينهما هذه التوجهات التي تحدث في الوقت نفسه، يمكن أن تتصادم في مواقف محددة، وهي تتصادم بالفعل.

لا ينكر "روبرتسون" وجود خطابات معولمة أو وجهات نظر كونية عامة، كما لا ينكر أننا نتأثر بما هو كوني، والحقيقة أن الحياة الاجتماعية تثرى بالخطابات العالمية عن طبيعة العالم، ومكاننا فيه، ويعترف بوجود ثقافة كونية على الرغم من أن ذلك ليس بالتنوع المتكامل، وأنها تنبثق من التفاعل المتبادل بين الخاص والعام، والمحلي والعالمي على نحو أكثر تحديدا، هناك عمليات تجري تشجع على خلق الكوني للمحلي وذلك واضح في شكل حركة بيوت الشباب الموجهة محليا، وانتشار سكن الضواحي في العالم، والتوجه نحو تنمية حقوق ومصالح الشعوب الأصلية عالميا.

في شكل حركات ، وحملات سياسية عالمية، كذلك فإن الطبيعة الجمعية للثقافة الكونية منعكسة في تبني أساليب العمل والإنتاج اليابانية وتعميمها في دول أخرى، وكذلك فإن القومية والمجتمع القومي اللذين انبثقا من هذه الإيديولوجية قد تطور بالترادف مع العالمية، عند "روبرتسون" الالتزام بفكرة المجتمع القومي مكون حاسم في الشكل المعاصر للدولة، في رأيه أن الثقافة الكونية يتم خلقها جزئيا من التفاعلات بين المجتمعات القومية، ومن هنا فإن فكرة وجود "ثقافة كونية" فكرة معقولة بالضبط مثل فكرة وجود المجتمع القومي أو الثقافة المحلية.[120]

فوق ذلك كله، ينبغي ألا نتصور الثقافة الكونية باعتبارها فوق أو أبعد من كل المحليات أو أن لها مواصفات تتسامى إلى ما هو ابعد من أي شيء يمكن أن نجذه في وحدات نظام كوني، والحقيقة أن الكوني لي في مواجهة المحلي ولا مضاد له، المحلي عند "روبرتسون" جزء من الكوني، هناك عملية ماضية في اتجاهين تتضمن "اختراق العام للخاص"، أو "تخصيص العام".

---

[120] المرجع نفسه، ص ص129,128.

المبحث الرابع

العولمة الثقافية المعاصرة.اليات العمل و مظاهر التشكل

لقد باتت عبارة العولمة مشحونة عاطفيا في الخطاب العام، تنطوي بنظر البعض على الوعد بمجتمع مدني دولي موشك على دخول حقبة جديدة تنعم بالسلام والديمقراطية، غير أنها تعني برأي آخرين التهديد المتمثل بهيمنة اقتصادية وسياسية أمريكية مع عاقبتها الثقافية المتمثلة بالتقول إلى عالم خاضع للهيمنة شبيه بنوع من "الديزنيلاند" المعمم –أجاد موظف فرنسي حين أطلق عليه اسم "نشير نوبل ثقافي".

ومن الواضح بنظر بيتر إل –بيرغر– أن كلا من الوعد والتهديد تعرضا لقدر كبير من المبالغة، وهذه الدراسة التي قام بها مجموعة من الباحثين تحت العنوان الكبير "عولمات كثيرة" "التنوع الثقافي في العالم المعاصر" مدينة بأشياء مثيرة للصورة المعقدة الاقتصادية والتكنولوجية التي تحرك ظاهرة العولمة ما لبثت أن أثارت سلسلة من المشكلات الاجتماعية والسياسية الكبرى مثل التمزق بين رابحين وخاسرين داخل المجتمعات وبينها على سواء، وتحدي مفاهيم السيادة القومية التقليدية.

ليس ما يفترضه الجميع خطأ على الدوام، ثمة في الحقيقة ثقافة كوكبية ناشئة، وهي بالفعل أمريكية إلى حد كبير من حيث الأصل والمحتوى، صحيح أنها ليست البديل الوحيد لكنها البضاعة الأكثر رواجا ويبدو أنها سوف تستمر على هذه الحالة حتى المستقبل المنظور، لقد أطلق عليها المؤرخ التشيلي "كلوديوفليز" الحقبة الهلينستيية للحضارة الأنجلو أمريكية"، وهي عبارة تم استخدامها بغية فك ارتباطها بالتفسيرات ذات العلاقة بالإمبريالية.[121]

فالعالم الذي كان ذا شأن في ذلك الوقت أصبح إغريقيا في وقت لم تكن فيه اليونان متمتعة بأي سطوة ملكية أو إمبراطورية حقيقية، أما اليوم فإن ثقافة و.م.أ لا يجري فرضها على الآخر بوسائل القهر على الرغم من أنها تمتلك قدرا هائلا من الجبروت أنداك، كما الآن تشكل اللغة عاملا حاسما من عوامل هذا الانتشار الثقافي، كانت لهجة الكونيا، تلك اللغة الإغريقية

---

[121] بيترالبيرغروساموبل بي هنتغتون، ترجمة، فاضل جتكر، **عولمات كثيرة: التنوع الثقافي في العالم المعاصر**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2004، صص 14،15.

الأساسية وشبه المبتذلة التي استبعدت حتى من كتابة العهد الجديد، هي الأداة الرئيسية للحضارة الهلنستية، واليوم نرى أن اللغة الإنجليزية، بلهجتها الأمريكية لا البريطانية هي الكونيا، اللغة العالمية الدارجة للثقافة الكوكبية الناشئة، فبصرف النظر عن مستقبل القوة الإمبراطورية الأمريكية ليس ثمة أي منافس في الأفق، وملايين البشر في سائر أرجاء العالم ممن يزيدون من استخدامهم الإنجليزية بوصفها لغتهم العالمية إنما يفعلون ذلك لأسباب عملية في المقام الأول.(غير أن الناس لا يستخدمون اللغة ببراءة، فكل لغة تحمل معها شحنة ثقافية من المعاني المعرفية المعمارية وحتى العاطفية).[122]

و يمكن رصد آليات العولمة الثقافية المعاصرة على عدة عمليات أهمها:-

الآلية الأولى:

يتم بث الثقافة الكوكبية الناشئة عبر القنوات النخبوية والشعبية على حد سواء، ويمكن القول إن القناة النخبوية الأهم هي تلك التي احتفل بها "صامويل هينتغتون" مطلقا عليها اسم "ثقافة دافوس" (نسبة إلى اجتماع القمة الاقتصادية العالمية في ذلك المنتجع الجبلي السويسري المعروف)، ثقافة دولية تخص قادة الأعمال والسياسة محركها الأساسي هو مجال الأعمال الدولي، وهو المحرك نفسه الذي يحرك عمليات العولمة الاقتصادية والتكنولوجية، غير أن من شأن التفكير بهذه الثقافة من منطلق تلك القلة المرشحة لأن تدعى إلى "دافوس" وحدها أن يكون مضللا ثمة ملايين ممن سيكونون سعداء إذا ما دعوا وممن يحرصون على الانخراط فيما تلطف السوسيولوجيون بإعطائه اسم "التدجين الاستباقي" –القائم على التوقع–.

هناك مثلا شبكة كوكبية من الشبيبة المفعمة بالطموح في عالم الأعمال والمهن ممن برزوا في بعض البلدان (نوع من أنواع جماعة اليوبي الأممية)، التي يتحدث أعضائها بلغة انجليزية طليقة ويرتدون ألبسة متشابهة، ويتصرفون تصرفات متشابهة في العمل واللهو بل ويفكرون بصورة متماثلة إلى حدود معينة –آملين في الوصول إلى مواقع القمم النخبوية– غير أن على المرء أن يبقى حذرا إزاء افتراض احتمال احتضان مثل هذا التجانس لوجودهم الكلي، من الواضح أنه يفعل بالنسبة إلى البعض، فهم "كوزموبوليتيون" إلى النهاية، أخيرا كان ذلك أم شرا، إلا أن

---

[122] المرجع نفسه، ص 17.

آخرين ينجحون في إتقان فن التقطع الخلاق ساعين إلى الجمع بين المشاركة في ثقافة الأعمال الكوكبية والحياة الشخصية الخاضعة لسيطرة أطروحات ثقافية شديدة الاختلاف.

الآلية الثانية:

هناك قطاع نخبوي آخر في الثقافة الكوكبية الناشئة، يكون أحيانا مندمجا بثقافة الأعمال، وفي حال توتر معها في أوقات أخرى، إنها عولمة الأنتلجنسيا (فئة المثقفين) الغربية، وقد أطلق عليها "بيتر إل – بيرغر" اسم "ثقافة نادي الكلية"، وهي تنتقل عبر قنوات مختلفة مثل الشبكات الأكاديمية المؤسسات البحثية، المنظمات غير الحكومية وبعض الأجهزة والوكالات الحكومية والحكومية البيئية، هي الأخرى تسعى إلى وتقوم بخلق أسواق في أرجاء العالم، غير أن المنتجات التي تروج لها ليست تلك العائدة للشركات متعددة الجنسيات، بل هي الأفكار وأنماط السلوك التي ابتكرها المثقفون الغربيون (بأكثريتهم الأمريكية)، مثل إيديولوجيا حقوق الإنسان، الحركة النسوية، حركة البيئة، والتعددية الثقافية، جنبا إلى جنب مع السياسات وأنماط الحياة المجسدة لهذه الإيديولوجيات.

تنوي مقاربة الثقافتين النخبويتين على ضوء نظرية التبعية الماركسية –الجديدة القديمة– على قدر غير قليل من المراوغة والخداع، فثقافتا "دافوس" ونادي الكلية تمتلكان مركز لهما "المتروبوليين" مع اثنين من الأطراف التابعة لهما، غير أن مراكز الثقافة الأولى لم تعد غربية حصرا، ثمة أيضا مراكز قوية في كل من طوكيو، هونغ كونغ، وسنغافورة مع بقاء شانغهاي وبومباي مرشحتين للالتحاق بالركب ف"متروبول".

الأنتلجنياالمتعولمة أكثر غربية –أمريكية في الحقيقة– بصورة حصرية ، بما لا يقاس وبالتالي فإن استخدام عبارة "الإمبريالية الثقافية"، ربما سيكون أنسب بكثير بالنسبة إلى الشارع الشرقي رقم 43 حيث المقر المهيب لمؤسسة "فورد".

مهما يكن من أمر، يبقى الموقع المهيمن للو.م.أ في النخبتين لكلتيهما محسوما دون نقاش، وبالتالي فإن "عناصر العولمة الثقافية" الأهم أمريكيون، وقد قدم "جيمس هنتر" صورة عن هذه الجماعة التي يطلق عليها اسم جماعة "الكوزموبوليتيين المحدودين" الناس الذين ينتقلون بأكبر قدر من السهولة من بلد إلى آخر مع بقائهم في "قوقعة" أو "فقاعة" وقائية تحصنهم ضد

أي احتكاك جدي مع الثقافات الأصلية التي يتصادمون معها،لذلك تقوم الفقاعة بتحصينهم إزاء أي شكوك حول ما يقومون به من عمل.

الآلية الثالثة:

لعل التجلي الشد صراعا للثقافة الكوكبية الناشئة هو ذلك الحاصل في قناة الثقافة الشعبية، تقوم مشروعات الأعمال بأنواعها المختلفة (مثل أديداس، ماكدونالد، إم تي في ...) بالترويج لهذه الثقافة، وعلى الرغم من أن النخب هي التي تتحكم بهذه المشروعات فإن الثقافة الشعبية تخترق الجماهير الشعبية الواسعة في سائر أرجاء العالم، ومن الصعب المبالغة لمدى اتساع هذا الاختراق والتوغل، يكفي النظر إلى مؤشر إحصائي واحد، في سنة 1970 كانت نسبة الأسر التشيلية المالكة لأجهزة التلفزيون 10.3%أما في سنة 1999 فقد قفز الرقم إلى 91.4% وعلى الرغم من أن بعض البرامج التي يبثها التلفزيون الشيلي ذات منشأ محلي، فإن أعدادا كبيرة من المضامين مستوردة من الخارج، من وسائل الإعلام الأمريكية في المقام الأول.[123]

يمكن القول أن جزءا كبيرا من استهلاك هذه الثقافة الشعبية سطحي، بمعنى أنه لا يترك أثرا عميقا في عقائد الناس، وفي قيمهم أو سلوكهم، من حيث المبدأ يستطيع أي شخص أن يرتدي سروال جينز، ينتعل حداء رياضة، يتناول "ساندويش هامبورغر" بل وحتى يشاهد فيلم كرتون من ديزني، ويبقى متجذرا في الوقت نفسه وبعمق في تربة هذه الثقافة التقليدية أو تلك، غير من شأن قيام احد أهالي ضاحية في تشيلي بارتداء قميص يحمل عبارة "مارس الحب بدلا من الحرب" أن يكون معبرا عن حصول تغيير لافت، كما ليس محتملا أن يكون انغماس عدد من الشباب التشيليين في حمأة الرقص على أنغام الروك الملتهبة، انخراطا في عملية استهلاك بضاعة ثقافية مستوردة غير ذات عواقب ملحوظة بالنسبة إلى كل من المظهر والسلوك.

ويميل "بترإل بيرغر" إلى اقتراح نوع من التمييز بين استهلاك "مقدس – طقسي" من جهة، وآخر "غير مقدس" ،يبقى –بعض– استهلاك الثقافة الشعبية المعولمة "غير مقدس" تماما، وأي "هامبرغر" ليس أحيانا إلى هامبرغر، دونما زيادة أو نقصان، حسب تعبير فرويد، غير أن من شأن استهلاك الهامبرغر في حالات أخرى، خصوصا حين يتم الأيقونة الذهبية لأحد مطاعم ماكدونالد أن يشكل دليلا واضحا على المشاركة الفعلية في الحداثة الكوكبية.

---

[123] المرجع نفسه، ص ص18،21.

الآلية الرابعة:

أخيرا يتم حمل الثقافة الكوكبية الناشئة من قبل هذا النوع أو ذاك من أنواع الحركات الشعبية (الحركات الاجتماعية)، تكون بعضها مرتبطة بثقافة نادي الكلية مثل الحركات النسوية أو حركات البيئة، أو ما يطلق عليه السوسيولوجي الفرنسي دانييل هيرفيوليجيه اسم "مسكونية حقوق الإنسان".

وحسب قناعة "بيرغر" فإن البروتستانية الإنجليزية هي الحركة الشعبية الهم التي تضطلع (دونما قصد في الغالب كما يقول) بدور إشاعة العولمة الثقافية، إنها حركة ذات مدى مدهش منتشرة في مساحات شاسعة في شرق وجنوب شرق آسيا، في الجزر المبعثرة في المحيط الهادي، في إفريقيا جنوب الصحراء وفي أمريكا اللاتينية بصورة بالغة الإثارة، يقدر السوسيولوجي البريطاني "دافيد مارش" الذي كرس عددا كبيرا من السنوات لدراسة هذه الظاهرة أنها تحتضن ما لا يقل عن 250 مليون من كان الأرض، وهي تحدث كما أثبت مارتن، ثورة ثقافية كبرى فالبيانات التشيلية والجنوب افريقية مثلا تبين كيف يؤدي الاهتداء إلى اعتناق هذا النمط من العقيدة الدينية إلى قلب مواقف الناس من الأسرة، السلوك الجنسي تربية الأطفال، كما من العمل وهو الأكثر أهمية، فضلا عن المواقف الاقتصادية العامة.

ويمكن القول أن ثمة توترات وحالات اندماج بين القطاعات (الآليات) المختلفة للعولمة الثقافية على المستويين النخبوي والشعبي، وإذا كان هناك قاسم مشترك بين الجميع، فإنه التأكيد على الفرد، وعلى إضفاء الصيغة الفردية، فسائر قطاعات الثقافة الكوكبية الناشئة تعكف على تعزيز استقلال الفرد عن كل الموروث والجماعة وإضفاء الصفة الفردية يجب النظر إليه بوصفه عملية بسيكولوجية، متجلية تجريبا في سلوك الناس ووعيهم بصرف النظر عن الآراء التي يحملونها عن المسألة.

بعبارة أخرى لا بد من تمييز عملية إضفاء الصفة الفردية كظاهرة تجريبية عن النزعة الفردية كإيديولوجيا.

ومن شأن مثل هذه البصيرة النافذة أن تكون مفيدة لأنها تساهم في إلقاء الضوء على الأسباب التي تجعل الثقافة الكوكبية الجديدة ممتعة بهذا القدر الواسع من الجاذبية.[124]

المظاهر الثقافية للعولمة:

إن العولمة في جوانبها الثقافية ظاهرة جديدة تمر بمرحلتها التأسيسية الأولى، ولم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينات، ولم تتمكن بعد أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها أرض الواقع التجليات الحياتية والسلوكية والتطبيقات المادية والمؤسساتية للعولمة الاقتصادية، والعالم الآن ليس موحدا ثقافيا كما هو موحد تجاريا وماليا، كما انه لا يوجد لنظام ثقافي عالمي كما يوجد لنظام اقتصادي عالمي، لذلك ونتيجة للغموض الذي يحيط بالعولمة في جوانبها ومظاهرها الثقافية في المرحلة الراهنة فإن دول العالم التي تتدافع وتتنافس للأخذ بسلع وخدمات ومنتجات العولمة الاقتصادية، تبدو اقل اندفاعا وإقبالا، وحتما أكثر ترددا وتمهلا في اندفاعها نحو مفاهيم وقيم وأفكار العولمة الثقافية، بل أكثر حزما في مجابهة الوافد الثقافي عبر الفضائيات وشبكات الاتصالات والمعلومات تستمد العولمة الثقافية خصوصيتها من عدة تطورات فكرية وقيمة وسلوكية برزت بشكل واضح في عقد التسعينيات وهي:

1- انفتاح الثقافات العالمية المختلفة:

وتأثرها ببعضها البعض، فلم يحدث في التاريخ أن أصبحت المناطق الثقافية والحضارية بما في ذلك أكثر المناطق الثقافية انعزالا ورغبة في الانعزال منفتحة ومنكمشة بقدر ما هي منفتحة حاليا ويظهر ذلك جليا في:

أ- الحرية الكاملة لانتقال المعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والذواق على الصعيد العالمي، وبقدر أقل من العراقيل والقيود والضوابط ويمثل هذا التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر الثقافات أثره في بروز اهتمامات وعادات وأذواق وآمال وأهداف، وعقليات مشتركة لا تعبر عن ثقافة محددة بل عن مجموع الثقافات الحية في العالم.

ب- بروز المساعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وتعزيز الهوية العالمية الذي من شانه أن يخلق عالما بلا حدود ثقافية وانتقال تركيز اهتمام ووعي الإنسان من

---

[124] المرجع نفسه،ص 24.

المجال المحلي إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، وبروز الهوية والمواطنة العالمية، مع بقاء الهوية الوطنية للفرد، وربما تعزيزها وترسيخها لدى البعض.

ج- فقدان الدول للقدرة على التحكم في تدفق القيم والأفكار والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال، وفقدانها السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات عبر وسائل ووسائط وتقنيات جديدة، فقد أصبح ملايين من البشر موحدين تلفزيونيا وتلفونيا ومن خلال البريد الإلكتروني وشبكات الانترنت.[125]

ويثار جدل كبير حول الطبيعة التي سوف تكون عليها العلاقات بين الثقافات والحضارات المتقاربة في ضوء العولمة، فالسعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وانفتاحها على بعضها البعض ومحاولة تعزيز الهوية الوطنية، وربما محاولة خلق عالم بلا حدود ثقافية هو مجرد وجه واحد من الوجوه العديدة للعولمة الثقافية، ذلك انه بقدر ما يسعى التوجه العام نحو تقارب الثقافات وانفتاحها، فإن العولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو الصراع، ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات، وكذلك نحو نشر الثقافة الاستهلاكية، وجعلها الثقافة الأكثر رواجا على الصعيد العالمي، فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حاليا لترابط المناطق الثقافية بإمكانها أن ترسخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وتزداد انغلاقا وتستعد لمواجهة بعضها البعض.[126]

2- انتشار الثقافة الاستهلاكية:

ورغم أن الثقافة الاستهلاكية ليست جديدة، إلا أنها أصبحت في التسعينات الأكثر رواجا، فلم يحدث أن أصبح العالم مقبلا على رموز ومعطيات وسلع الثقافة الاستهلاكية، كما هو مقبل عليها الآن، كما أنه لم يحدث في السابق أن تمكنت الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب من كل المستويات الاجتماعية، وفي كل القارات ورغم رواجها بين كل الشرائح الاجتماعية إلا أنها تتوجه بشكل خاص للشباب ويظهر ذلك جليا في:

---

[125] عبد الخالق عبد الله: **العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، مرجع سبق ذكره، ص ص75،76.

[126] صمويلهنتنغتون، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ، و مصمود محمد خلق، مرجع سبق ذكره ،ص 26.

أ- تحول كل شيء إلى سلعة تباع وتشترى وهو ما يعكس غلبة النزعة الاستهلاكية بشكل مفرط،وتشابه وتجانس السلع أكثر فأكثر وفقا لما تليه الهيئات الدولية من مواصفات موحدة عالميا باعتبارها سلعا موجهة إلى سوق عالمية ومن هذا المنطلق فقد استهدفت العولمة في جوانبها الثقافية تنميط الذواق وأنماط الاستهلاك وأساليب المعيشة ذاتها.

ب- اكتساب السلع إلى جانب قيمتها المادية أو قدرتها الإشباعية قيمة رمزية، بحيث لم يعد الطلب على أية سلعة يتحدد على أساس جودة السلعة أو على خصائصها الذاتية فحسب، وإنما متوقفا –وفي المقام الأول- على مجرد الاختلاف في العلامات التجارية.

ج-تزايد الإنفاق العالمي على الدعاية والإعلان للترويج الاستهلاكي فقد أشارت الإحصائيات إلى أن هذا الإنفاق قد ارتفع من 7.4 بيليون دولار سنويا عام 1950 إلى 312.3 بليون دولار عام 1993، وقد أدى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى التركيز على الدعاية التجارية من خلال الوسائط الإلكترونية، إذ ارتفع الإنفاق على هذا النوع من الدعاية فقط –خلال النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي من 270 بليون دولار إلى 358 بليون دولار سنويا.[127]

د- انتشار ظاهرة الماكدونالدMcdonaldzation، إذا صح استخدام الكلمة، إذ يرى Ritzer أن المجتمعات الحديثة والعالم ككل قد ابتلي بما أماه Mcdonaldzation ويقصد بها العملية التي سيطرت من خلالها المبادئ التي تحكم خدمة العملاء في سلسلة محلات "ماكدونالدز" الأمريكية الشهيرة لتقديم الوجبات السريعة، وامتدادها إلى قطاعات أخرى من المجتمع الأمريكي، وكذا العديد من المجتمعات الأخرى التي انتقلت إليها هذه المحلات على نحو جاز معه القول بأنها باتت تمثل ظاهرة عالمية.

---

[127] ممدوح محمود منصور: **العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد**، مرجع سبق ذكره، ص 82.

الباب الثاني

ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال وعولمة الثقافة

الفصل الأول: تكنولوجيا المعلومات والاتصال والمنظومة الثقافية

يحوي ثلاث مباحث :

المبحث الأول : المعلومات والمعلوماتية :التعريف والأهمية

المبحث الثاني : مفهوم تكنولوجيا المعلومات وعناصرها

المبحث الثالث : الابعاد الثقافية التكنولوجيا المعلومات

الفصل الثاني : العلاقة المعلوماتية الثقافية في عصر العولمة الثقافية

يحوي ثلاث مباحث :

المبحث الأول : الثقافة من منظور معلوماتي .

المبحث الثاني : طبيعة العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والمنظومة الثقافية

المبحث الثالث : مظاهر العلاقة المعلوماتية الثقافية .

أ. الإنترنيت باعتبارها مساحة ثقافية .

ب. مجتمع المعلومات .

ت. الصناعة الثقافية .

ث. إقتصاد المعلومات .

الفصل الثالث : العلاقة الإعلامية الثقافية في عصر العولمة الثقافية .

يحوي ثلاث مباحث :

المبحث الأول : مميزات إعلام في عصر العولمة .

المبحث الثاني : الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا وسائل الإعلام .

أ – تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام .

ب – الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام .

المبحث الثالث :إنتشار ثقافة الصورة في عصر العولمة .

الفصل الرابع : الأبعاد الإقتصادية للعلاقة الثقافية ـ الإعلامية المعلوماتية في زمن العولمة .

يحوي اربع مباحث :

المبحث الأول : العلاقة بين الثقافة والإقتصاد في المجتمع المعولم .

المبحث الثاني: نمو وتطور اقتصاد المعرفة

المبحث الثالث : تسليع الثقافة وازدهار قطاع الخدمات .

المبحث الرابع : الرأسمال الرمزي والرأسمالية الثقافية.

الفصل الاول

المبحث الأول

المعلومات،والمعلوماتية : التعريف والأهمية

الإعلام – المعلومات في اللغة العربية كلمة تقابل في اللغة الفرنسية information ، وفي الإنكليزية كلمة information، وفي الروسية informacio وهي مأخوذة من كلمة information باللغة اللاتينية، وتعني أساسا الإنباء ، أو الإخبار كما ينبغي التوضيح ، والشرح ،والاستفسار، إضافة إلى أنها تشمل معاني المفهوم، والتصور والتعرف ، وتعني أيضا: أحد المفاهيم الأساسية في علم السيبرنتيك"، علم التحكم الآلي" ، ولا تقتصر دلالة هذا المفهوم على المعلومات التي يتناقلها الناس خلال عشرتهم واختلاطهم، بل يدل على خاصية مرتبطة بوجود نوع متميز من العمليات في هذا الواقع الموضوعي ،"تدعى العمليات المعلومية" وتشمل موضوعات واسعة منها:

الاحتكاك بين الناس.

- عمل منظومة معينة من منظومات التحكم الآلي.
- تكيف الكائن الحي مع ظروف وجوده المتغيرة.
- الانتقال الوراثي لسمات الآباء إلى الأبناء.
- معرفة العالم بواسطة الذهن البشري.

وهذا المفهوم يشمل مزيجا من العمليات المتنوعة: إجتماعية، آلية، تقنية، بيولوجية، وراثية،تعرفية (معرفية).

والبعد الوجودي الكوني للمعلومات يتمثل في :

- إخبار عن أحوال معينة، ومعطيات يتناقلها الناس عن شيء ما (المعنى الاجتماعي).
- إخبار مرتبط بالإدارة رابطة لا تنفصم (الإدارة هنا مفهومة على مستويات عديدة أي في النظم الاجتماعية، والنظم الحية، والنظم التقنية..)

- عدم تعيين أو عدم تحديد يتناقص، وعدم التعيين المنزوع كمعنى من معاني مفهوم الإعلام والمعلومات يشمل مجالات واسعة، كما في ذلك مجال الطبيعة الميتة، والكون ككل.
- تطويرا لفهم المعلومات كعدم تعيين متناقص– تطبيقا على العالم ككل من حولنا– يوجد فهم للمعلومات،باعتبارها نقلا، وانعكاسا للتنوع في أي موضوعات وعمليات طبيعية.

والمعنى الوجودي الكوني في هذا الفهم الأخير للمعلومات، لا يقتصر عل جانب " عدم التعيين المتناقص" بل يشمل أي انعكاس من أي نوع، في الطبيعة وانتقال إشارات عن أي تنوع في هذه الطبيعة.

وقد طور بعضهم هذا الفهم الأخير للمعلومات بصياغة ما يسمى " قانون انخفاض المعلومات" المعلومات غير قابلة للفناء، ولا تخلق من عدم (المادة والطاقة لا يفنيان ولا تخلقان من عدم). الطاقة = الكتلة × سرعة الضوء(مربع).

إن إقرار مصونية المعلومات،وانخفاضها يفتح الباب واسعا للبحث عن إيجاد صيغ ومعادلات رياضية واضحة، وأكيدة تعبر عن ذلك، وستنشأ الحاجة إلى مكاملة، وتنسيق قوانين انخفاض المعلومات، مع قوانين انخفاض مجموع الكتلة والطاقة، وإذا تثبت مستقبلا إمكان صياغة معادلات وقوانين انخفاض شمولية موحدة لمجموع الكتلة،والطاقة، ومعها المعلومات أيضا، فإن ذلك سيؤثر تأثيرا مبدئيا كبيرا على تصوراتنا الحالية عن قوانين الانخفاض في الطبيعة إجمالا – إذ ستكون مصونية المادة والطاقة – مرتبطة بمصونية المعلومات.

على النطاق الاجتماعي بتنا نحسّونكتشف من الآن أن المعلومات قابلة للاستثمار والتوظيف باتجاه الإخلال من هذر الطاقة،والمادة، ولترشيد استخدامها حتى على مستوى الإنتاج والتطبيق. [128]

وعلى الرغم من عدم وضوح الحدود الفاصلة من المصطلحينوالمفهومين " المعلومات" و"المعرفة"، إلا أنهما ليس وجهين لعملة واحدة:

---

[128]معن النقري: **المعلوماتية والمجتمع، مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2001، ط01، ص ص 9، 10، 11.

فالمعلومات هي ما ينتج من معالجة البيانات التي تتزايد في البيئة، وهي تزيد مستوى المعرفة لمن يحصل عليها، وهذا يعني أن المعرفة، هي أعلى شأن من المعلومات فنحن نسعى للحصول على المعلومات لكي نعرف – أو نزيد معارفنا–

وتتواجد المعرفة في العديد من الأماكن مثل قواعد المعرفة، وقواعد البيانات، وخزانات الملفات وأدمغة الأفراد، وتنتشر عبر المجتمع ومنظماته.

وعادة ما تتوافر المعرفة بهيئتين: معرفة واضحة ومعرفة ضمنية.

- **المعرفة الواضحة:** يسهل نقلها والمشاركة فيها ومن أمثلتها – بالنسبة للمنظمات مواصفات منتوج معين أو صيغة علمية، أو برنامج حاسوب.
- بالنسبة للمجتمعات: تتمثل في القوانين والتشريعات والتعليمات وما إلى ذلك...
- **المعرفة الضمنية:** فهي شخصية إلى حد بعيد وهناك صعوبات بالغة في تحديد معالمها والتعرف عليها، لذلك فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل تناقلها والمشاركة فيها.[129]

والتعريف العلمي للمعلومات يتمثل في أنها "خاصية البيانات النابعة،والناتجة بواسطة عمليات أجريت عليها من قبل، وقد تتمثل في نقل البيانات، أو في اختيارها، أو تنظيمها، أو تحليلها، أي أن المعلومات تعتمد على العملية المنتجة لها" .

وإذا استعرضنا المفهوم بطريقة أكثر تعمقا نجد أن كلمة " معلومات" مشتقة من كلمة " علم" وترجع إلى كلمة " معلم"، أي الأثر الذي يستدل به عن الطريق، كما أنها تعني، شرح أو توضيح شيء ما، كما تحدده اللغة اللاتينية المستمدة منها، وتستخدم هذه الكلمة في اللغة الفرنسية، للدلالة على فحوى عملية الاتصال، ولتوصيل رسالة أو إشارة، وبذلك فإنها تمثل عملية التخزين والإرسال والتحويل للرسالة أو الإشارة.

وهناك اختلاف بين كلمة معلومات و بيانات.

فكلمة بيانات مشتقة من كلمة " بيّن"، وهي "البيان" أي ما يتبين به الشيء من الدلالة، وبذلك تمثل الحقائق، أو البراهين، أو الآراء، أو الرموز، أو الإحصاءات التي لا علاقة بين

---

[129] عماد عبد الوهاب الصباغ: **المجلة العربية للمعلومات**، ،مجلد 23، عدد 2، تونس 2002 ،ص 41،42.

بعضها ببعض كما أنها لم تفسر أو تستخدم، أي ليس لها معنى حقيقي، ولا تؤثر في رد الفعل، أو السلوك لدى من يستقبلها.[130]

وعندما ترتبط هذه البيانات معا وتنظم، وتفسر بغية الاستخدام، أي يصبح لها مضمونا ذا معنى محدد يؤثر على سلوك، أو رد فعل من يستلمها، فإن هذه البيانات تصبح معلومات، وينظر إلى المعلومات كقيم توصل إلى اليقين عن طريق:

1- توضيح حدود ما يحصل عليه الفرد بالأخبار عن مضمون شيء ما كان غامضا، أو غير معرف.

2- تحديد قيمة لها معنى معين مؤثر في عملية اتخاذ القرار.

3- مساندة عملية حل المشاكل المحتاجة إلى كم كبير من المعلومات.

وتعتبر المعلومات مرحلة وسط بين البيانات،والمعرفة،والمفهوم الذي يحول الأفكار أو الآراء إلى أفعال وتصرفات تتعدى مفهوم المعلومات هو ما يطلق عليه المعرفة وتشتق من كلمة (عرف) وهي الوضع الذي يثبت فيه العرف، فهي معلومات مجمعة، ومنظمة ومستخدمة تؤدي إلى الحل أو الخبرة أو السلوك المتخذ بالفعل.

وتتمثل هذه التعارف لكل من البيانات والمعلومات والمعرفة في المعادلة التالية:

الملاحظة + التمعن والتفكير فيها← الحقائق والبيانات.

البيانات + التجميع + التنظيم← المعلومات.

المعلومات + التجمع + التنظيم ← المعرفة.

المعرفة + الفعل← الحل، القرار، التقدم.[131]

أما المعلومات، أو مفهوم المعلومات، الذي كثير ما يرتبط بمفهوم المعرفة فيعرفه المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات " هي البيانات التي تمت معالجتها لتحقيق هدف معين أو لاستعمال محدد للأغراض اتخاذ القرارات، أي البيانات التي أصبح لها قيمة بعد تحليلها

---

[130] محمدمحمد الهادي: **التطورات الحديثة لنظم المعلومات المبنية على الكمبيوتر**، دار الشروق. القاهرة. ط01، 1993، ص 54.

[131] المرجع نفسه، ص 56.

أو تفسيرها أو تجميعها في شكل ذي معنى، والتي يمكن تداولها وتسجيلها ونشرها وتوزيعها في صورة رسمية، أو غير رسمية وفي أي شكل.[132]

وللمعلومات عدة خصائص ومميزات: منها السيولة،والتميع والوفرة، لدى يسعى منتوجها إلى وضع القيود على انسيابها، لخلق نوع من الندرة المصطنعة، حتى تصبح المعلومة سلعة تخضع لقانون العرض والطلب، كما أنها لا تتأثر بالاستهلاك، فهي عادة ما تتمومع زيادة استهلاكها، لهذا السبب هناك ارتباط وثيق بين معدل استهلاك المجتمعات للمعلومات، وقدرتها على توليد المعارف الجديدة.

ويختلف النظر إلى المعلومات مع اختلاف منظور من يتعامل معها فهي بالنسبة إلى:

السياسي: مصدر القوة، وأداة السيطرة.

المدير: أداة لدعم اتخاذ القرار.

العالم: وسيلة حل المشاكل، ومادة لتوليد المعارف الجديدة.

الإعلامي: مضمون الرسالة الإعلامية.[133]

وشتان هو الفرق بين المعلوماتوالمعارف، – أي المعارف– تسمو فوق المعلومات باشتمالها بجانب المعلومات على الخبرات، والقدرة على الاستنتاج، واستخلاص الحكمة من قلب ضوضاء تلك المعلومات.

وتراكم المعلومات لا يعني زيادة المعرفة، فكما يمكن للحكمة كما يقول " سي اس اليوت" أن تضيع في خضم المعرفة، يمكن أن نقول أن المعرفة بدورها تضيع في خضم المعلومات بل أن المعلومات ذاتها يمكن أن تضيع هي الأخرى تحت وابل البيانات المتدفقة.

ومن جانب آخر لا تتوقف عملية اكتساب المعرفة عند حدود الإلمام بها بل يجب أن تكتمل باستيعابها وتعميقها وتوظيفها. [134]

---

[132] **المجلة العربية للمعلومات**: قسم المكتبات والوثائق كلية الآداب، جامعة السلطان، قابوس، مجلة 16، عدد 2، تونس، 1995، ص 5.

[133] نبيل علي: **العرب وعصر المعلومات**، مرجع سبقذكره، ص 51.

[134] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سبقذكره، ص 309.

- وعلى الرغم من أن المعرفة مصطلح قديم إلا أنه بدأ يأخذ معنى جديد في السنوات الأخيرة، ويتمحور هذا المعنى الجديد حول كون المعرفة سلاحا فعالا يمكن لأي منظمة من المنظمات، وأي مجتمع من المجتمعات فيما لو أداة بشكل جيد، أن يستخدمه لتحقيق تقدم تنافس على المجتمعات الأخرى والمعرفة قد تخص الأساليب، أو الإجراءات أو الأحداث أو الأدوار أو البحث في المجتمع أو المنظمة نفسها. [135]

والتعريف الشائع للمعرفة بأنها " معلومات مخزنة عن حقائق ومفاهيم يمكن تطبيقها والمعرفة يمكن أن تكون معرفة موضوع، أو معرفة كيف تقوم بعمل ما أو معرفة كيف تجد معلومات، وهي تتكون من حقائق ومعتقدات ومفاهيم أو أحكام أو توقعات، وتطبيق المعرفة لمعالجة معلومات متوافرة حول حالات ومشكلات معينة وبالنتيجة يجب النظر إلى المعرفة الفطرية كمصدر رئيسي للفوائد الكامنة، ويجب أن تكون جزءا هاما من تقييم تأثير هذه المعرفة على التنمية". [136]

مفهوم المعلوماتية:

لو أخذنا نماذج تعريف المعلوماتية وجدنا أنها تعني – بالمعنى الواسع للكلمة– منظومة المعارف المنتمية إلى سائر أنواع المعلومات في الطبيعة والمجتمع وفي التجهيزات التقنية سواء من حيث إنتاج وتحويل هذه المعلومات، أو من حيث تخزينها وتوزيعها.

وبالمعنى الضيق للكلمة تعني المعلوماتية (informatique) علما متناميا بسرعة مذهلة، أو تخصصا، أو مادة علمية. هي جميعا العلم أو التخصص الذي تتخذ فيه علوم متنوعة عديدة كالرياضيات والفيزياء والتكتيك والسيرنتيك، وغيرها من العلوم اللازمة لصنع الحواسيب أو نظم الإدارة وبهذا تكون المعلوماتية علما تطبيقيا مركبا "متعدد الاختصاص" أو "بين اختصاصي" وتكون المعلومات فيه موضوعا ووسيلة وهدفا. [137]

ويقول "بيل غيتس" في كتابه " المعلوماتية بعد الأنترنيت". والآن وبعد أن أصبح استخدام الكمبيوتر رخيص التكلفة بصورة مدهشة وسكن الكمبيوتر كل ركن من أركان حياتنا، فإننا نقف

---

[135] عماد عبد الوهاب الصباغ: المجلة العربية للمعلومات، مرجع سابق، ص 38.

[136] المجلة العربية ،عدد3، 2001، ص 64.

[137] معن النقري، مرجع سابق ، ص 15.

على أعتاب ثورة جديدة وستتمخض هذه الثورة عن اتصال رخيص التكلفة على نحو غير مسبوق، فأجهزة الكمبيوتر ستشترك كلها في منظومة واحدة للاتصال بنا، والاتصال من اجلنا، وباتصالها ببعضها البعض على المستوىالكوني ستكون شبكة أصبحنا نسميها الطريق السريع للمعلومات، والسلف المباشر لهذه الشبكة هو الأنترناث، تلك المجموعة الكبيرة من الكومبيوترات المرتبطة ببعضها البعض والتي تتبادل المعلومات باستخدام التكنولوجيا الحديثة.[138]

لقد تحقق أغلب التقدم الإنساني نتيجة، لأن شخص ما اخترع أداة أفضل وأعلى كفاءة وفعالية، فالأدوات المادية تسرع العمل، وتنقد الناس من الجهد البدني الشاق، وتمثل الأدوات المعلوماتية وسائط رمزية تضخم ذكاء مستخدميها بدلا من أضلاعهم، إن ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الوسائل والأساليب الجديدة التي يمكن بها تغيير المعلومات ومعالجتها والسرعات المتزايدة التي يتم بها التعامل معها واستخدامها، وسوف تحدث قدرات الكمبيوتر فيما يتعلق بتوفير معالجة ونقل رخيصي التكلفة عاليي السرعة للبيانات الرقمية تغيرات جذرية في أدوات الاتصال التقليدية في المنازل والمكاتب.[139]

إن الكمبيوترات من الأجيال الجديدة تتمتع بكافة وسائط نقل المعلومات عملياتيا، عن طريق الراديو، أو التلفزيون أو منظومة الاتصال، بواسطة الأقمار الصناعية التي ارتبطت وتشابكت مع شبكة المعلومات العالمية، وسمحت لكل إنسان أن يحصّل معلوماته التي تلزمه وأن يحول المعطيات الجديدة التي تحصل عليها أثناء عمله إلى الاستخدام العام، ومعنى هذا أن منظومة التعليم ومبادئ اكتساب المعرفة سيَتغير كليا. [140]

---

[138] بيل غيتس، ترجمةعبد السلام رضوان : **المعلوماتية بعد الانترناث**،سلسلة عالم المعرفة،1998،ص 13.

[139] المرجعنفسه، ص 37.

[140] معن النقري، مرجع سابق، ص 16.

المبحث الثاني

تعريف تكنلوجيا المعلومات و الاتصال

أ-تكنولوجيا الاتصال:

تعرف على أنها: " أي أداة أو وسيلة تساعد على إنتاج، أو توزيع، أو تخزين،أو استقبال أو عرض البيانات (المعلومات)".

"هي مجموع التقنيات،أو الأدوات،أو الوسائل،أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون، أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري، أو الشخصي أو التنظيمي، أو الجمعي، والتي يتم من خلالها جمع المعلومات، والبيانات المسموعة، أو المكتوبة أو المصورة أو الرقمية من خلال الحاسبات الإلكترونية، وغيرها من الوسائل، ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات، واستخراجها في الوقت المناسب، ونشرها فيما بعد ونقلها من مكان لآخر، وتبادلها.

وعرفت تكنولوجيا المعلومات على أنها:

"مجمل المعارف والخبرات المتراكمة، والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية، والإدارية المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخزينها، واسترجاعها ونشرها، وتبادلها (أي توصيلها إلى الأفراد والمجتمعات، أو تجربة تطبيق ذلك علميا".

ويمكن القوا بأن لتكنولوجيا الاتصال جانبان:

الأول: فكري،أو معرفي ويتمثل في علم الاتصال، وهو العلم الذي يعنى بدراسة وسائل الاتصال، ومعالجتها، ومستوياتها ودراسة العملية الاتصالية والجوانب المحيطة بالموقف الاتصالي.

الثاني: مادي، أو تقني ويتمثل في التطبيق العلمي للاكتشافات، أو الاقتراحات والتجارب في مجال العلوم ونقلها وتبادلها كالطباعة، وأساليب معالجة النصوص والتصوير الفوتوغرافي،والاتصالات السلكية واللاسلكية[141].

---

[141] محمد محمدالهادي ، مرجع سابق ، ص 60 .

ب-تكنولوجيا المعلومات:

ينظر إلى تكنولوجيا المعلومات، على أنها "التقنيات، والعمليات، والنظريات ذات العلاقة بجمع المعلومات، وتخزينها واسترجاعها وبثها، ولهذا فهي تضم التقنيات الدائرة حول الحوسبة والاتصالات السلكية واللاسلكية، وحقول المعرفة الناشئة عنها، كالذكاء الاصطناعي، والتخصصات القائمة كعلم المعلومات والمكتبات. [142]

وهي ليست أداة استهلاكية أو وسيلة تسلية، وإنما هي الوسيلة الوحيدة للبقاء في مجتمع القرن الواحد والعشرين، وهي تتكون من العرض والطلب والمقصود بالعرض، التجهيزات مثل أجهزة الكمبيوتر ومكوناتها، وأجهزة الاتصالات وصناعة الإلكترونات، أما الجانب الثاني فهو الطلب على تطبيقات المعلومات في قطاع الاقتصاد، وصناعة خدمات المعلومات والمطبوعات الإلكترونية أو النشر الإلكتروني، وفي البث الإذاعي، والتلفزيوني، وإدارة أنظمة المعلومات. [143]

وقد أحدث تطبيق تكنولوجيا المعلومات ثورة في القيم، والاتجاهات، وأنماط الحياة وبخاصة الجوانب السوسيوثقافية والاقتصادية.

وقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات منظومة قائمة، تحتوي على عناصر داخلية ولها تأثيرها على العناصر المكونة للمنظومة الاجتماعية المتمثلة في، الثقافة، والاقتصاد والسياسة، ولها علاقة مع التكنولوجيا الأخرى كالتكنولوجيا الزراعية، والصناعية وتكنولوجيا الطب، والتعليم، والإعلام وغيرها وتتعامل مع فئات اجتماعية مختلفة منها الإعلاميون، ومستخدمو نظم المعلومات والتربويون وغيرهم.

وسنوضح في هذا المقام العناصر الداخلية المكونة لتكنولوجيا المعلومات التي اندمجت في شبكة الأنترنات، وهي عنصر "العتاد"، و"البرمجيات" و"الاتصالات".

أ- **عنصر العتاد:** وينقسم إلى فرعين أساسيين الكمبيوتر، وملحقاته ويمكن تلخيص توجهات تطور شق العتاد في القائمة التالية:

- **التوجه الأول:** نحو الأصغر والأسرع والأرخص والأسهل استخداما.

---

[142] أرجي هارتلي، مايكل كين، ترجمة عبد الرزاق مصطفى يونس، مرجع سابق، ص 236.

[143] أحمد محمد الصالح: **الأنترنات والمعلومات بين الأغنياء والفقراء**، دار الأمين للنشر والتوزيع، 2001، ص 25.

- **التوجه الثاني:** من المركزية والتلاحق، إلى اللامركزية والتوازي، ويقصد بها مركزية الذاكرة (ذاكرة وحيدة) ومركزية المعالجة الحسابية والمنطقية (وحدة معالجة وحيدة).

- **التوجه الثالث:** حدة التنافس بين الكمبيوتر الشخصي، والكمبيوتر الشبكي، حيث تدور معركة حاليا بين فريقين: أحدهما يتبنى فكرة أن يكون الحاسب الشخصي pcهو أداة المستخدم للنفاد إلى شبكة الأنترناث، ويتزعم هذا الفريق شركة "مايكروسوفت"، وفريق آخر تتزعمه شركة "صن ميكروسيسيم" تتبنى فكرة الكمبيوتر الشبكي computer NC NETWORK يتسم بالبساطة، بلا وحدات تخزين أو نظم تشغيل معقدة، كمبيوتر يتعامل مع الأنترناث مباشرة باعتبارها مستودع معلوماته.

- **التوجه الرابع:** نحو ملحقات ظرفية أكثر تنوعا، وكفاءة تتجاوز ثنائية لوحة المفاتيح والفأرة، ملحقات تتعامل مع النصوص والرسوم والصور والموسيقى والكلام، وشاشات عرض ثرية الألوان لتلبية فنون التشكيل، وكذا ملحقات التعامل مع نظم الواقع الخائلي.

ب- عنصر البرمجيات: مصطلح الشق الذهني "Software"، ويعني كل ما هو ذهني أي ليس ماديا، فهو يشمل بالإضافة إلى برامج الكمبيوتر الدراسات والمخططات والتصميمات وما شابه، ويشمل كذلك محتوى الموسيقى والأفلام والنصوص والتسجيلات المسموعة والمرئية.[144]

وتنقسم البرمجيات إلى ثلاثة فروع رئيسية:

***برمجيات التحكم في تشغيل الكمبيوتر والاتصالات:** وهي تناظر آلات التشغيل، وسائل الإنتاج في الصناعات التقليدية، وتشمل أساسا نظم التشغيل ومثالها الشهير نظام"Windows"ونظم التحكم في شبكات نقل البيانات.

* **أدوات برمجية:** وتشمل لغات البرمجة وأدوات زيادة الإنتاجية من نظم تنسيق الكلمات، وقواعد البيانات، وبرمجيات العرض وأدوات تصميم الرسوم وتحرير الموسيقى وخلافه.

* **البرامج التطبيقية:** وتغطي من منظور الثقافة مجالات أساسية عدة هي الوسائط المتعددة، والنشر الإلكتروني، ونظم خدمات المعلومات ومعالجة اللغة آليا.

---

[144] نبيل علي :**الثقافة العربية وعصر المعلومات** ، مرجع سبق ذكره ، ص 62 .

ج- عنصر الاتصالات:

لقد ارتقى هذا العنصر من كونه عنصرا مكملا إلى دور الشريك الكامل، وقد حولته شبكة الأنترنيت وطريق معلوماتها الفائق السرعة من مجرد وسيلة للاتصال إلى وسيلة لنقل منتجات صناعة الثقافة، وأهم توجهات هذا العنصر:

1- رقمنة في كل اتجاه (شبكات رقمية، معدات اتصال رقمية.....) وهواتف رقمية.

2- الانتقال من كابلات النحاس إلى الألياف الضوئية.

3- انتشار المعدات النقالة من هواتف محمولة وحواسيب جيب، وكتب ومذكرات إلكترونية.

4- اندماج خدمات الهواتف مع خدمات الفاكس والبريد الإلكتروني والبحث عن المعلومات والإبحار في الأنترناث.

5- خصخصة مؤسسات الاتصالات الوطنية وهي الظاهرة التي انتقلت من أمريكا إلى اليابان ومعظم دول أوروبا، وقد صاحب عملية الخصخصة إطلاق المنافسة بين مؤسسات الاتصالات وشركات تيليفزيون الكابل وشركات الكمبيوتر لتقديم قائمة الخدمات الهاتفية والمعلوماتية والإعلامية نفسها بعد أن تداخلت هذه الخدمات بفضل الرقمنة أساسا. [145]

وقد انتشرت تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في شتى المجالات، وعلى جميع المستويات والحديث على تطبيقاتها يدفعنا إلى الحديث عن الدوافع التي كانت وراء هذا الانتشار الهائل لتطبيقات هذه التكنولوجيا والتي نحددها أي الدوافع فيمايلي:

1- زيادة الإنتاجية: ويقصد بها تنمية إنتاجية الموارد البشرية والكمادية والطبيعية كما وكيفا ومن أمثلتها:

- زيادة إنتاجية عمال المصانع.
- زيادة إنتاجية عمال المكاتب.
- زيادة إنتاجية نظم التعليم.
- زيادة إنتاجية الموارد الطبيعية كالأراضي الزراعية وموارد المياه، والثروة الحيوانية.

---

[145] المرجع نفسه،ص 84.

لقد أثبتت تكنولوجيا المعلومات قدرة فائقة على تقليل تكلفة الإنتاج والخدمات من خلال تقليل العمالة وتوفير المواد الخاصة الوسيطة، وتقليل استغلال الطاقة ومع تزايد الشق الذهني والمكتبي في مؤسسات الإنتاج والخدمات أصبحت إنتاجية عمالة "الياقات البيضاء" عاملا هاما يتوقف عليه أداء المؤسسة ككل.

وظهرت نظم أتمتة"office automation" وذلك بهدف زيادة فاعلية التواصل بين موظفي المكاتب، وبين مراكز الإدارة والفروع وكذلك سرعة إنتاج الوثائق وتبادلها وتسهيل عمليات حفظ التسجيلات واسترجاعها.

ولا يقتصر دور تكنولوجيا المعلومات على زيادة إنتاجية الموارد البشرية والمادية، بل امتدت أيضا لتشمل إنتاجية الموارد الطبيعية بترشيد استغلال الموارد الصناعية والزراعية والإسهام في تطبيق أساليب الهندسة الوراثية، وأساليب بحوث العمليات لزيادة إنتاج البيض واللحوم.

2- تحسين الخدمات:

لعبت تكنولوجيا المعلومات دورا حاسما في تحسين الخدمات القائمة، واستحداث خدمات جديدة لم تكن متوافرة من قبل، وذلك في مجالات عديدة من أبرزها خدمات المصارف والمواصلات، والاتصالات والصحة، ولم يكن الدافع وراء ذلك زيادة رفاهية طالب الخدمات، وتسهيل عمل مقدمها بقدر ما هو قصور الوسائل التقليدية في الوفاء بالمطالب المتزايدة كنتيجة لتسارع إيقاع الحياة وتشابك علاقاتها.

3- السيطرة على التعقد:[146]

لا يوجد سح أفضل من تكنولوجيا المعلومات تشهره البشرية في وجه ظاهرة التعقد الذي بات يعتري جميع مظاهر الحياة الحديثة، ويتجلى هذا التعقد في صور على جميع المستويات، ومن أمثلة ذلك أداء النظم الاقتصادية التي تتعامل مع العديد من المحددات والقيود والمتغيرات الديناميكية، والمشاكل البيئية، كالمتغيرات المناخية التي تحتاج إلى التعامل مع كم هائل من المعلومات السريعة التغير، وأمام هذه الظواهر المعقدة على المخطط والمحلل، والمقيم والمصمم،

[146]نبيل علي: **العرب و عصر المعلومات** ، مرجع سبق ذكره، ص ص182، 183.

أن ينبعث على الأمثل والأصلح والأصدق في ظل العديد من القيود والمحددات، المحاكات ووسائل تحليل النظم والبيانات وغيرها[147].

4- دراسة ما ليس متاحا:

هناك كثير من الظواهر والمشاكل يتعذر دراستها على أساس المتاح من شواهد الواقع فكيف يتسنى لنا بناءا على ما هو متاح دراسة نشأة المجرات، وبداية الكون، والمتغيرات الجيولوجية التي تحدث عبر ملايين السنين؟ وكيف لنا أن نتعرف على الآثار الممكنة للكوارث الطبيعية؟ أو الظروف والأسباب التي يمكن أن تؤدي إليها؟.

تكنولوجيا المعلومات والاتصال: (الشق المادي/ الشق الذهني):

نحدّد في هذا الجزء المادة الخام التي تتعامل معها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتي هي وسائل الإنتاج التي تعالج البيانات والمعلومات والمعارف وتحولها إلى سلع وخدمات معلوماتية وثقافية، أو مواد وسيطة يتناولها خبراء أو تستهلكها نظم معلوماتية أخرى تعززها بمزيد من القيمة المضافة ومن الطبيعي أن يتبع الاختلاف الشاسع في طبيعة المادة الخام التي تتعامل معها تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن تلك التي سبقتها (تكنولوجيا الصناعة)، اختلاف مماثل في وسائل إنتاجها، لهذا فإننا نتحدث عن الأفكار والبرامج والبنى المعرفية لا عن الهياكل المعدنية، وعن آلات الاستنساخ لا عن آلات البخار والكهرباء.

ولتكنولوجيا المعلومات والاتصالات روافد ستة نلخصها كالتالي:

1- تكنولوجيا عتاد الكمبيوتر.

2- التحكمالأوتوماتيكي.

3- تكنولوجيا الاتصالات.

4-هندسة المعرفة.

5- البرمجيات.

6- هندسة البرمجيات.

---

[147]نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سابق،ص ص 82، 88.

وبصورة عامة يمكن القول أن الروافد الثلاثة الأولى تمثل الشق المادي " Hard ware"في حين تمثل الثلاثة الأخيرة الشق الذهني"soft ware".

1- تكنولوجيا عتاد الكمبيوتر:

لاشك أن مسار ارتقاء عتاد الكمبيوتر تكنولوجيا، ومراحله المتعاقبة يحتاج منا إلى وقفة قصيرة، فالمنظور التاريخي (التاريخ القريب) هو مدخلنا في تحديد التوجهات الرئيسية لتكنولوجيا العتاد في الأربعين سنة التي انقضت، مند ظهور الكمبيوتر عام 1948، اتخذ تطوره مسارا من عدة نقلات نوعية يرمز إليها بالأجيال الأربعة، والتي كان الفيصل فيها هو التغير الذي طرأ على العنصر المادي الأساسي المستخدم في بناء وحدة المعالجة المركزية والذاكرة.

الجيل الأول: (1984): استخدم فيه الصمام الإلكتروني كوحدة البناء الرئيسية لتطوير حاسبات ضخمة يقدر وزنها بالأطنان، وتشغل الصالات الكبيرة وتستهلك طاقة كهربائية عالية.

الجيل الثاني: (1958): حيث حل "الترانزستور" محل الصمام الإلكتروني، ليصبح الكمبيوتر أصغر وأكفأ وأسرع ويقلل إلى حد كبير معدل استهلاك الطاقة الكهربائية.

الجيل الثالث:(1964): وقد جاءت نتيجة استخدام شرائح الدارات المتكاملة، حيث حلت شريحة سيلكون واحدة chip، مقام العديد من وحدات الترانزستور، والعناصر الإلكترونية الدقيقة الأخرى من المقاومات، والمكثفات، وغيرها التي اندمجت بصورة مكثفة، ومتكاملة داخل البنية البلورية للشريحة المذكورة، ومع زيادة رفاهية المكونات الإلكترونية، انخفض معدل استهلاكها للطاقة الكهربائية بصورة كبيرة.

الجيل الرابع: (1982): لا يختلف هذا الجيل عن سابقيه، إلا في كثافة العناصر الإلكترونية التي أمكن دمجها في رقيقة السليكون، والتي بلغت عام 1984 خمسين ألف وحدة أولية في الكسرة الواحدة (chip) وقد اصطلح على تسميتها الدارات المتكاملة الكبيرة جدا.
vevy- large- scale- integrated cirquit VLSI)(

وقد تحقق ذلك بفضل استخدام مواد جديدة ووسائل مبتكرة في تصميم وتصنيع هذه العناصر وضبط جودة إنتاجها.

لقد ساد القطب الأمريكي صناعة الكمبيوتر عبر هذه الأجيال الأربعة من عتاد، والتي وفرت طاقة حسابية هائلة لم تتمكن البرامج من استغلالها ظلت الهوة تتسع بين الدقيق وتفتقر

إلى الأسس العلمية الدقيقة، وتلك هي الفجوة التي حاول القطب الياباني النفاذ منها لغرض هيمنته على تكنولوجيا المعلومات، وجاء الاعتداء الياباني – كما وصفه البعض ممن أصابهم الفزع في و.م.أ. وأوروبا– في صورة مشروع طموح مدته عشر سنوات (1982– 1992) أطلقوا عليه مشروع "الجيل الخامس" الذي تبوأت فيه البرمجيات موضع الصدارة ليتوارى العتاد خلفها.

لقد سعى مصممو الجيل الخامس إلى تطوير حاسب ذكي قادر على التحليل والتركيب، والاستنتاج المنطقي وحل المسائل وبرهنة النظريات وفهم النصوص، وتأليف المقالات، لقد راهنت اليابان بمصيرها في تكنولوجيا المعلومات على هندسة المعرفة وأساليب الذكاء الاصطناعي، وهكذا برزت ملامح الخريطة "الجيومعلوماتية" في صورة قطبين أمريكي، وآسيوي يسعى كل منهما لاحتواء الآخر، وكيان أوروبي يعتبر الأمن المعلوماتي أحد الأهداف الرئيسية لتكتله الاقتصادي والسياسي، وانعكس هذا الوضع في صورة ثلاثة مشاريع أساسية تلت مرحلة الجيل الخامس.

- المشروع الياباني لحوسبة العالم الواقعي.
- المشروع الأمريكي لتطوير نظم كومبيوتر واتصالات عالية الأداء.
- المشروع الأوروبي وتمثله المرحلة الثانية لبرنامج البحوث الإستراتيجي في مجال تكنولوجيا المعلومات[148].

2– تكنولوجيا الاتصالات:

لقد صارت أركان المعمورة تقترب، بل تندمج مع بعضها البعض عبر الكابلات الأرضية والبحرية والألياف الضوئية وأشعة الميكروويف، ودوائر الأقمار الصناعية حتى وصل الأمر إلى الحدّ الذي توقع معه البعض حدوث أزمة مرور للأقمار الصناعية، التي تزاحمت في ارتفاعها الثابت بالنسبة للأرض بصورة يخشى معها تداخل موجات إرسالها، وفقد المكان سؤدده القديم، وأصبح البعيد، وشاسع البعد متاحا في متناول أيدينا، نشاهده، ونحاوره،ونتجسمهنؤثر فيه ونتأثر به، وهكذا لحقت صفة "عن بعد" بالعديد من الأنشطة والأعمال – التسوق عن بعد، الاستشعار عن بعد، عقد المؤتمرات عن بعد، التعلم عن بعد، تشخيص الأمراض عن بعد، الإنتاج عن بعد،

---

[148] المرجع نفسه ،صص 70، 72 .

الدردشة عن بعد، ويتجاوز دور تكنولوجيا الاتصالات كونها عنصرا مكملا لتكنولوجيا الكمبيوتر،إلى دور الشريك الكامل، ووصل الأمر إلى حد التساؤل: هل نحن نواجه حاسبا إلكترونيا يرتبط بالعالم الخارجي من خلال شبكة بيانات، أو شبكة بيانات ترتبط بها حاسبات إلكترونية ضمن معدات إلكترونية أخرى مثل أجهزة الهاتف ومعدات الفاكس وآلات تصوير المستندات وخلافه؟ ومن زاوية أخرى من هو صاحب الكلمة العليا، هل هو منتج المعلومة أو موزعها؟.[149]

إن تكنولوجيا المعلومات، هي التي توصل المراكز بالفروع، وتقيم حلقات الوصل بين كومبيوتر وآخر، وبين مستخدم وآخر، إنها وسيلة كسر لحواجز الزمان والمكان،والأداة العملية للمشاركة في الموارد وتنمية الرغبة في التواصل إنها أكثر الوسائل فاعلية لكسر مركزية المعلومات وجعلها أكثر ديمقراطية وجماهيرية.

ويمكن إرجاع الدور المهم الذي تلعبه تكنولوجيا الاتصالات في المجتمع الحديث إلى عدة أسباب رئيسية يمكن تلخيصها كالتالي:

أ- تحول الاقتصاد إلى العالمية: وهو أمر يصعب الفصل فيه، فهل العالمية نتاج لانتشار شبكات المعلومات؟ أم أن انتشار شبكات المعلومات كانت أحد المظاهر التي أدت إليها ظاهرة العالمية.

ب-مع ازدياد سرعة إيقاع حركة الأعمال، وتعقدها نمت الحاجة لسرعة تبادل المعلومات بين مواقع العمل المختلفة داخل المؤسسة الواحدة، وبين المؤسسات بعضها مع بعض.

ج-الاتجاه لتفتيت الإعلام الجماهيري: ليصبح أكثر تصويتا وذلك من أجل تنويع الخدمة الإعلامية والإعلانية وبثها لفئات الجماهير المستهدفة بها، وذلك بدلا من أسلوب البث المشاع الذي تلتقطه كافة الجماهير ويتطلب هذا ربط فئات الجماهير بمراكز الإعلام.

د- لم تعد عملية اتخاذ القرارات معتمدة على المعلومات المتوافرة من داخل المنظمة الواحدة فقط بل أصبحت تعتمد في كثير من الأحيان على معلومات من خارجها، وذلك بسبب

---

[149] المرجعنفسه، صص 92، 93.

تشابك العالم وترابط أحداثه، فالإدارة الفندقية على سبيل المثال تحتاج إلى معلومات من حركة السياحة والنقل الجوي ونشاط وكالات السفر.

هـ- الاتجاه المتزايد لمؤسسات الأعمال حاليا نحو تقليل حركة الأفراد، والاستعاضة عنها بالاتصالات الهاتفية والفاكس، وعقد المؤتمرات عن بعد، بهدف توفير الطاقة، وتخفيض كلفة الإقامة والوقت الضائع في سفر الأفراد لأغراض العمل.

و- إنتشار نظم الأتمتة "Qutomation" وما ترتب عليها من ضرورة اتصال مواقع الإنتاج المختلفة بعضها مع بعض، وربط هذه المواقع بمركز معلومات السيطرة التابع للإدارة المركزية عادة، بل وتسعى بعض مؤسسات الأعمال حاليا نحو مزيد من الأتمتة من خلال ربط مواقع الإنتاج بشبكة توزيعه ضمانا لسرعة تجاوب الإنتاج مع تقلبات السوق وتوجهاته.

ز- الاتجاه المتزايد لكسر احتكار المدينة للخدمات التعليمية، والإعلامية، والثقافية، والصحية مما تطلب معه نظم إتصالات لمد الخدمات للمناطق الريفية والنائية.

ح- تحول تصميم نظم الحاسبات من المركزية إلى اللامركزية، فمعظم نظم المعلوماتية الحديثة قد تخلصت من المخطط "الأخطوبوطي" للكمبيوتر المركزي الضخم الذي تصب فيه جميع بيانات المؤسسة، وتنبثق منه جميع مستخرجاتها، لقدإستبدلذلك بمجموعة من الحاسبات الصغيرة، أو المتوسطة الموزعة على مواقع العمل المختلفة، والتي يتم ربطها من خلال شبكات محلية لنقل البيانات LAN Local area Network أو غير موجهة "WAN" wide area Network.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسباب التوجهات الكبرى لتكنولوجيا الاتصالات متمثلة في النقاط التالية:

- من الصوتي إلى الرقمي.
- من الإلكترون إلى الفوتون.
- نحو الرخيص المتاح دوما.
- من الخاص إلى العام ومن المتنوع إلى المتكامل.
- من الثابت إلى النقال.

- من السلبي أحادي الاتجاه إلى الإيجابي ثنائي الاتجاه. [150]

3 – التحكم الأتوماتيكي :

لقد مضى وقت غير قصير، قبل أن يتضح للجميع أن التحكم في جوهره هو ضروب معالجة المعلومات، فتيار المعلومات الذي يسري داخل دائرة التحكم، هو المقابل للتيار الكهربائي الذي يسري داخل الدوائر الكهربية، فمن خلال المعلومات تحدد الأهداف التي يجب على النظام التحكم التلقائي تحقيقها كمعدلات الإنتاج، أو الحدود المسموح بها للانحراف عن مسار الطيران في نظام الطيار الآلي على سبيل المثال، وعن طريق وسائل معينة يتم تحويل هذه الأهداف إلى معلومات تغذي إلى عناصر التحكم التي تقوم بدورها بضبط آليات النظام المتحكم فيه بالقدر المناسب للأهداف الموضوعة ونحن نحتاج إلى المعلومات أيضا لقياس الأداء الفعلي للعنصر المراد التحكم فيه، وذلك من خلال وسائل التقدير المرتدة، ونحتاج علاوة على ذلك إلى نوع من معالجة المعلومات لحساب مدى الحيود بين الأداء المستهدف للنظام أدائه الفعلي، وتحويل هذا الحيود إلى إشارات ترسل إلى عناصر التحكم لتعديل أوضاع آلياتها إلى بعد أن يصبح هذا الحيود في نطاق الحدود المسموح بها.

وعليه فقد كان التقاء هندسة التحكم مع الكمبيوتر وسيلتها الفدة لمعالجة المعلومات قدرا محتوما لقد لجأت هندسة التحكم إلى نظم المعلومات، كوسيلة لإشاعة سيطرتها على النظم المعقدة ودفع الأثمنة إلى حدودها القصوى، في حين كان الكمبيوتر، وسيظل في حاجة إلى عناصر التحكم الأتوماتي، فهندسة التحكم هي خط التقاء تكنولوجيا المعلومات مع الواقع، فآليات ومغناطيسية لتحركة الروافع والمكاسب والصمامات والمؤشرات، وتفعل وتفتح البوابات والإشارات وآليات التحكم هي التي تعدل من أوضاع عناصر النظار الواقع تحت سيطرتها، بحيث يتكيف ديناميا مع المتغيرات التي تطرأ على ظروف التشغيل.

4- البرمجيات:

البرمجيات هي التي تبعث الحياة في أوصال هذه الآلة الصماء، هي التي تجعل ذاكرة الكمبيوتر، ووسائل تخزينه، ووحدات إدخاله تبدو، وكأنها كائن حي قادر على أن ينتج، ويتجاوب

---

[150] نبيل علي: العرب وعصر المعلومات ، مرجع سبق ذكره ، ص 95 .

ويتكيف، إن البرمجيات التي تحيل عملية حل المشاكل إلى منهجية من الخطوات المرتبة، أو التعليمات الواضحة المتسلسلة، أو النماذج الذهنية ذات العناصر المرتبطة، وهي بهذا ولهذا، وسيلة توجيه طاقة الإنجاز الخام الكامنة في عتاد الكمبيوتر نحو تنفيذ غايات محددة.

فالبرمجيات هي التي تجعل من الكمبيوتر أداة لعب أو وسيلة لدعم القرار السياسي، أو نظاما للدفاع الإستراتيجي...

علاوة على ذلك فإن البرمجيات تلعب دور المترجم بين الإنسان والآلة فهي التي تعيد صياغة تعليمات الإنسان في صورة يمكن للآلة أن تتعامل معها، وتحول ناتج هذه الآلة إلى الشكل الذي يستطيع الإنسان أن يستوعبه بسهولة، وإذا كانت الكتب قد اختزنت فكر البشر في صورة سكونية، فإن البرمجيات تختزن هذا الفكر، وهو يعمل بشكل دينامي.

عبر الأجيالالأربعةالأولى لتطور الكمبيوتر، كانت سيادة النظم في قبضة العتاد وكل ماعداه بما في ذلك البرمجيات هي عناصر مكملة له، مع الانخفاض المستمر في كلفة العتاد، والصعود المستمر لكلفة تطوير البرامج من جهة ومع زيادة تعقد التطبيقات من جهة أخرى رجعت كفة البرمجيات بصورة كبيرة ،حتى بلغت حصتها من ميزانية إنشاء نظم المعلومات 85% مقارنة بالمعدات (15%)، وبعد المعارك بين صانع العتاد، وصاحب شبكة الاتصالات وبينه وبين موردي المكونات الرئيسية الداخلة في بناء عتاد تشهد الساحة حاليا ما يمكن أن نطلق عليه بحق " أم المعارك" ونقصد بها تلك التي تدور بين صانعي العتاد ومطوري البرمجيات، ومن ابرز شواهدها ذلك الصراع في مجال الحاسبات الشخصية بين شركة(IBM) رائدة صناعة العتاد، وشركة "ميكروسوفت" "Microsoft" رائدة صناعة البرمجيات ومطورة برنامج نظام التشغيل المعروف باسم"ms- Dos".

إن تكنولوجيا المعلومات تعيش حاليا عصر "ديكتاتورية البرمجيات" البرمجيات التي تطورت من كونها عنصرا تابعا ومكملا للعتاد، إلى العنصر ذي السؤدد الذي يدين له الجميع بالولاء والطاعة، إنه رمز سيطرة الفكر على المادة، وحدوث تغير جذري في صلب علاقات

الإنتاج، يعني على المستوى الاقتصادي تفوق رأس المال الذهبي على رأس المال المادي، وسيطرة أباطرة البرمجيات على أباطرة الصناعة التقليديين.[151]

ونظرا لأن البرمجيات تقوم بمهام عديدة ومتنوعة فقد جرى على تقسيمها في أربعة مستويات رئيسية:

1- برمجيات السيطرة على نظام الكمبيوتر وشبكات نقل البيانات.

2- برمجيات أدائية.

3- برمجيات تطبيقية.

4- لغات البرمجة.

وعن التوجهات الكبرى للبرمجيات يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أ- من صناع العتاد إلى مطوري البرمجيات.

ب- من مغامرات الهواة إلى المؤسسات العملاقة.

ج- من قواعد البيانات البيلوغرافية إلى قواعد النصوص الكاملة.

د- من لغات البرمجة الاصطناعية إلى اللغات الطبيعية.

هـ- من الانغلاق إلى الانفتاح.

و- من صلابة العتاد إلى ليونة البرمجيات والعكس. [152]

5- هندسة المعرفة:

إن مهندسي المعرفة والذكاء الاصطناعي يعتقدون أن كل شيء مهما زادت درجة تعقده يمكن أن يصاغ في صورة منضبطة وصورية (رسمية)، وقد قال " مارفينميسكي" أحد الرواد الأوائل للذكاء الاصطناعي "ما الذكاء إلا أن تظل تفتت إلى القدر الذي لا يصبح هناك ذكاء" وفي تصوره أن المخ مكون من عمليات، أو عناصر صغيرة عديدة كل منها يقوم بمهمة معينة محددة لا تحتاج إلى ذهن أو تفكير على الإطلاق، ولكن ما أن تتواصل هذه العناصر مع بعضها البعض بصورة متميزة للغاية في مجتمع الذهن كما أطلق عليه حتى يتولد الذكاء

---

[151] المرجع نفسه،ص ص 116، 117.

[152] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص 84.

الحقيقي. خلاصة ذلك أن المعرفة وملكة اكتسابها وتوليدها يمكن أن تفتت وتسحق في صورة عدد محدود من العناصر "الذرية"،أو البدائيات التي يمكن أن تبنى منها كل الأشكال المعقدة للبنى المعرفية وآلياتها، لقد حقق الذكاء الاصطناعي عدة نجاحات في بعض المجالات أضفت عليه نوعا من الجدارة العلمية والعملية وهي الجدارة التي كان قد فقدها بعد سلسلة من البدايات المتعثرة تزامنت مع بداية ظهور الكمبيوتر، فقد شرع البعض عندئذ في وعودهم المسرفة كما يمكن أن يحققه الكمبيوتر مخدوعين بسرعة الآلة الهائلة حتى تشابهت عليهم إلكترونيا، وقد كانت في حقيقة الأمر أبعد ما تكون عن محاكاة هذه المعجزة البيولوجية المتغيرة.

ومن التوجهات الكبرى لهندسة المعرفة يمكن أن نوجزها كالتالي:

1- نحو مزيد من التوسع في تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

2- من المواجهة بين الطبيعي والاصطناعي إلى التكامل بينهما.

3- من محاكاة الوظيفة إلى محاكاة الوظيفة والبنية معا.

4- من القواعد إلى المنطق ومن القاطع إلى المتميع.

5- من اكتساب المعرفة إلى التعلم ذاتيا.

6- هندسة البرمجيات:

بعد سليلة من التجارب الفاشلة في تطوير البرمجيات على اختلاف مجالاتها، ودرجة تعقدها ومع تعاظم دور البرمجيات في نظم المعلوماتية إلى أن أصبحت أضخم بنود ميزانية تطويرها، أيقن الجميع أن عملية تطوير البرمجيات أعقد من أن نترك لمحاولات الهواة من مخططي البرامج، ومحللي النظم خاصة، وهي فئة من العاملين يصعب مراقبة معدلات إنتاجهم والإمساك بأخطائهم، أو اكتشاف جوانب القصور في آدائهم، لقد أصبح الأمر يمثل درجة من الفوضى لا يمكن التغاضي عنها، مع زيادة اعتماد المؤسسات على نظم المعلومات، مما لزم معه ضرورة إخضاع عملية تطوير البرمجيات للمنهجية الهندسية، والمحاسبية الإدارية الدقيقة، وخرجت إلى الوجود هندسة البرمجيات بهدف وضع أسس ومعايير دقيقة لمهام التنفيذ والإشراف الخاصة بجميع مراحل تطوير البرمجيات، لقد كان التركيز في الماضي منصبا على أعمال التصميم والبرمجة، في حين أهملت المهام الحيوية الأخرى مثل تحديد الاحتياجات، وهي المهمة التي كانت تترك في الغالب للفنيين، وغالبا ما تتم بصورة مسرعة غير دقيقة لتظهر أوجه

القصور في مراحل متأخرة من تنفيذ المشروع، وتتوالى التعديلات، وإعادة مراجعة المواصفات، وإعادة كتابة الأجزاء كبيرة من البرامج، ويمكن باختصار تحديد الدوافع التي آدت إلى تعقد عملية تطور البرمجيات مما أدى إلى ظهور الحاجة لهندستها إلى العوامل الرئيسية التالية:

– تتعامل نظم المعلوماتية في معظم الأوقات مع نوعيات من البشر متفاوتة سواء من حيث دورها أو مستوى مهارتها، فهي تتعامل مع مستويات الإدارة العليا ومع أدنى مستويات الإدارة العليا ومع أدنى مستويات التشغيل.

– تعقد التطبيقات مع زيادة رغبة المستخدمين في توسيع وتعميق خدمات النظم الآلية.

– لقد أصبح التغيير أحد ثوابت المجتمع الحديث، وكان لابد أن ينعكس ذلك على طبيعة البرمجيات التي تتعامل مع هذا الواقع سريع التغير، لقد أصبحت قابلية البرمجيات للصيانة أي سهولة إدخال التعديلات والتحسينات عليها واحدا من أهم شروطها الأساسية.

ومع تسارع إيقاع الأعمال أصبحت السرعة في إدخال نظم المعلومات الجديدة وتسميتها عاملا مهما يتوقف عليه الأداء الكلي لمؤسسات الأعمال، وقد تطلب ذلك إدارة حازمة لمشاريع تطوير البرمجيات نظرا لكلفة التأخير العالية.

– دخول تطبيقات المعلومات في مجالات جديدة، كالإنسانيات وتصديها لمشاكل معقدة ومستحدثة لم تعهدها من قبل، كمشاكل التلوث مثلا، وهي بلا شك تختلف عن المشاكل الروتينية مثل حسابات الأجور، وبالتالي فهي بحاجة إلى تخطيط أكثر تفصيلا ومتابعة أكثر دقة حتى يمكن محاصرة المجهول وغير المتوقع بأكبر قدر ممكن.

ويمكن حصر التوجهات الكبرى لهندسة البرمجيات في النقاط التالية:

أ– من الأسلوب العشوائي إلى الضبط الهندسي.

ب– من المستخدم المتلقي إلى المستخدم المشترك.

ج– من الإحلال إلى التغيير الشامل. [153]

---

[153] المرجع نفسه ،ص ص 156 ، 157 .

الإطار العام لمنظومة تكنولوجيا المعلومات:

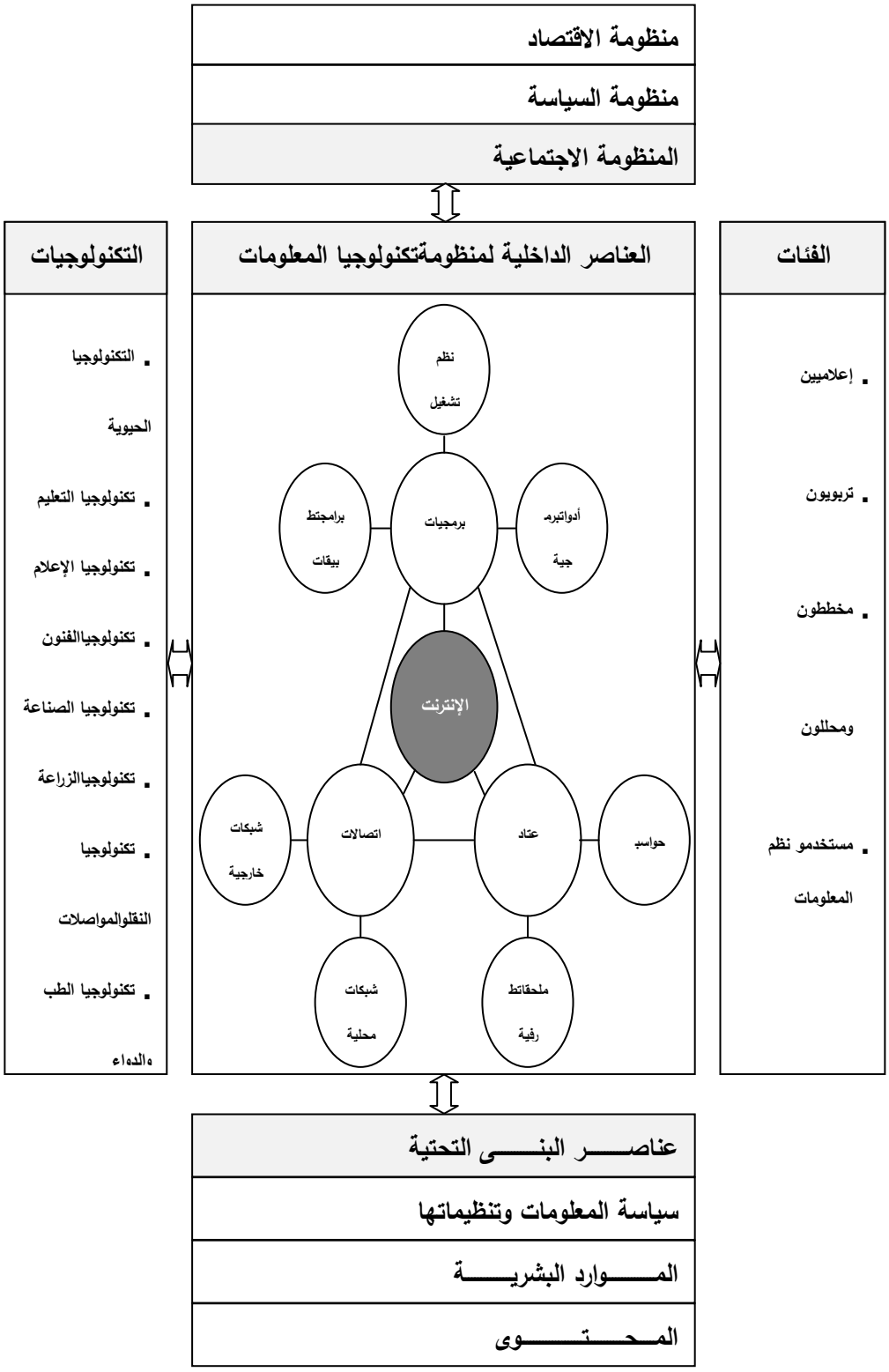

شكلرقم (06) يوضح الإطار العام لمنظومة تكنولوجيا المعلومات

المبحث الثالث

الأبعاد الثقافية لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات:

لقد أصبح من قبيل المعلوم، أن من خصائص التقنية الإلكترونية خلق أواصر بين الشعوب بشكل غير معهود، وقد أدخلت على سلوكات الأفراد، والجماعات نوعا من المرونة، يتبدى من قبول الاختلافات، وتجاوز المصالح المحلية، والشخصية، إن تبادل المعلومات والمعطيات بسرعة الضوء ورقمنة النصوص، والصور والأصوات، والاتصال عبر الأقمار الصناعية، وثورة الهاتف، وتعميم استعمال الحاسوب في قطاعات إنتاج السلع، والخدمات، وتصغير الأجهزة، وربطها داخل شبكة كوكبية، كل ذلك ساهم في خلق انقلاب ضخم، وشامل في النظام العالمي، ويقول "بول ريكور" في كتابه "القيم..إلى أين؟" أن هذه الكونية ستسفر عن إبداع، وقيم مشتركة انطلاقا من الاختلافات التي أصبح يتحكم فيها منطق التوافقالذي يجمع بين التنوع والتميز.

ويعتقد "جاك أتالي" أن تطور التكنولوجيا المعلوماتية، لا يعني أنها ستسفر عن ظهور ثقافة سائدة من حيث المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة، بل يعني أن ثقافات الشعوب أصبحت متداخلة ومن جراء هذا التداخل، طفت على السطح إلى جانب الثقافات المحلية، أو الوطنية "ثقافة كونية"، ولا يتوهم أحد أن بإمكان أي دولة مهما عظم شأنها السياسي، أو الاقتصادي، أو التكنولوجي أن تفرض ثقافتها فالإنسانية تسير نحو نظام ثقافي أفرزته صراعات، وسجالات مثل التي جرت في المؤتمر العام الأخير لمنظمة اليونسكو الذي أسفرت أعماله عن اتفاق المجتمع الدولي على الميثاق العالمي للتنوع الثقافي رغم تحفظات الو.م.أ. [154]

عن تبعات انبثاق الثقافة الكونية – كما يرى البعض– وخاصة بفضل ما يسمى بالحكامة الآلية (المعلوماتية)، وظهور القنوات الفضائية، هو اختفاء كل أشكال الحمائيات التي تفرض احترام الخصوصيات، وصمامات الحياة الفردية، وما يمكن اعتباره من الأسرار الشخصية، واضمحلال مقتضيات القوانين الوطنية، وعوض التشريعات الوطنية ستبرز إلى الوجود مرجعيات

---

[154] محمد مصطفى القباج: **مقاربات في الحوار والمواطنة ومجتمع المعرفة**، منشورات دار ما بعد الحداثة ، ط 1 ،فاس 2006 ، ص 153 .

قانونية دولية تتوفر على سلطة الإلزام بتدبير هذه الثقافة الكونية وإشاعة روح الانسجام الثقافي وردم الفجوة الرقمية والمعرفية بين الدول.

ومن التغيرات التي أحدثتها ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ما طرأ على الأحوال الذهنية من حيث ظهور وظائف العقل التأملية، والنقدية، وظهور ما يسميه "يورغنهابرماس" بالعقل التواصلي الذي يهتم أساسا بالمعلومة واستغلالها لأغراض منفعية لما يراه الفرد يدخل في دائرة مصالحه، يعتمد هذا العقل التواصلي على اقتصاد الجهد والوقت، ومن تم تحل الوثيقة الإلكترونية محل الوثيقة المكتوبة أو المتن الإبداعي"، والانتقال من المكتوب الورقي، إلى المكتوب الإلكتروني جعل عالم المعرفة يصبح أكثر افتراضية" Ûrtuel" وقد أكد الكثير من الباحثين أن الكتابة الإلكترونية، واستعمال الوثائق متعددة الوسائط لها ميزة هامة وهي تبادل المعارف بصورة تكاد تكون آنية مما يمكن الأفراد، والمجتمعات من حركية تشجع على الإبداع، لكن خطر الاستعجال جعل من منطق "النفاذ" يعوض في كثير من الأحوال منطق التراكم، والفهم، والإدراك.

ومن المؤكد أن الثورة المعلوماتية التواصلية أثارت اهتمام الفلاسفة، وخاصة الإبستيمولوجيين منهم، بحيث صيغة أطروحات حول العقل التواصلي، وأدواره،وميكانيزمات عمله بالخصوص في الحكامة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية اعتبارا لمعطى أساسي، هو أن الشخص الذي يتعامل مع المعلومات مضطر للانخراط في ممارسة براغماتية، وهذه الوضعية التواصلية تسفر عن قوة تفاوضية حوارية بها إلى تحقيق المنافع والمصالح بأدنى تكلفة، ويقول هابرماس في هذه القوة التفاوضية أنها تسهم في اكتساب الشخص قدرات ومهارات تشمل أساليب الضغط وطرق الإقناع باللجوء إلى عمليات استدلالية برهانية ذات طبيعة تبريرية، وبلغة تتميز بالسلاسة والتركيز والترميز لأن الحاسوب لا يحتمل الإطناب والتعقيد، ولأن المهم في المعلوماتية هو التواصل والتفاعل وليس التنظير.[155]

ومن الوظائف الثقافية التي تقوم بها تكنولوجيا الإعلام والمعلومات،ما أشار إليه "أندي كونت" حين تطرق لماتتيحه التكنولوجيا الإلكترونية من شيوع واسع للثقافة، أو ما أطلق عليه

---

[155] المرجع نفسه ، ص 157 .

"ديمقرطة الثقافة" بحيث تتداول على نطاق واسع النصوص المعرفية والإبداعية، ويشارك كل فرد في تثمين وتقييم المنتج الثقافي والإبداعي عبر الشاشة الحاسوبية، لقد أصبح المتلقي يجد نفسه أمام المنتوج الثقافي، سواء كان يستفيد منه أو لا يستفيد، يستمتع به أو لا يستمتع، دون أن يحصل المؤلفون والمبدعون، والناشرون والموزعون على حقوق ملكيتهم الفكرية ومعرفة حجم ونسب القراءة أو المشاهدة، بل حتى أصحاب القرار الإداري السياسي، لم يعد باستطاعتهم فرض أية رقابة، أو توجيه، ومن الأكيد أن إنتاج واستهلاك الثقافة والفنون على نطاق جماهيري بواسطة التقنيات الإلكترونية سيؤثر على مفهوم النخبة الثقافية التي كانت لها سلطة ثقافية يلعب بها دورا في المسار السياسي وفي توازن المجتمعات.

ديمقرطة الثقافة، أو تحويلها إلى مكسب جماهيري تضع رهن إشارة الجميع أدوات ومضامين ومنهجيات يستطيع أن يؤثث بها كيانه، ويصنع ثقافته بكل حرية، ودون أن تملي عليه أية جهة معايير أو قيما أو نماذج تنميط مهما كانت جاذبية الوصلات الدعائية والإشهارية.

من ناحية أخرى فإن تزاوج الاقتصاد، والمعلومات أسس لرؤية جديدة للثقافة، فقد تغير النظر للثقافة كقيمة فكرية، وجمالية، وأصبحت قيمة تبادلية مثلها مثل باقي المنتجات المادية تخضع لقانون العرض والطلب، وتم إدماج مفهوم الصناعة في الثقافة بمسمى الصناعات الثقافية، كما اكتسحت التنافسية بين الفاعلين في هذا المجال لحصد أكبر مردود، وبكل الطرق الدعائية، والإشهارية التي تروج لمنتجات ثقافية، وقد نجم عن تسليع الثقافة ظهور مهن جديدة تدخل فيما يمكن أن نسميه التدبير الاقتصادي للمنتوج الثقافي، أو الإبداعي، بحيث تتغير طبيعته الذهنية إلى أن يصير نظاما تبادليا يدير أليا بدون جهد إنساني كالترجمة الآلية، أو تحليل النصوص، أو أعمال افتراضية في غاية الروعة ولهذه الخدمات تكلفتها في السوق المعلوماتية، مما يدر أموالا طائلة تصب في حسابات كبار أثرياء العالم من أمثال "بيل غيتس".

وتضاف إلى ما تعرفه الثقافة من تغيرات بفضل ما أتاحته تكنولوجيا المعلومات تلك السلسلة من السيرورات الإلكترونية التي تثري المخيال في جميع الأجناس الأدبية، والفنية من تشكيل، وموسيقى وشعر ورواية، وعمارة لقد أصبح المتعاملون مع الكمبيوتر يتوفرون على إمكانيات لا حصر لها لصياغة الأشكال، والصور، والرموز، والألوان، واستخراج نصوص، وتراكيب افتراضية بكل إيحاءاتها وإبهاماتها وخدعها الحسية، والذين يشتغلون في الصناعة

السينيمائية يعرفون مدى ما يساهم به الكمبيوتر في إنتاج المشاهد الخيالية، وإثراء مجال المرئيات، وإنتاج ملامح مخلوقات خائلية.

ومن القطاعات الثقافية التي تأثرت إيجابا بالتكنولوجيا الحديثة للإعلام والمعلومات قطاع التعليم الذي يكون المثقفين، وجمهور المتلقين للإبداعات الأدبية، والفنية حيث يبدأ تأثير هاته التقنيات مند الأسلاك الأولى من التعليم قبل المدرسي إلى غاية المستويات العليا، بفضل الكمبيوتر والوسائط المتعددة والقنوات الفضائية التي هي في متناول الصغار، والكبار يتعاظم كم المرجعيات المعتمدة في ظاهرة التقليد عند الطفل، وفي هذا الصدد يقول "طوفلر" إن الطفل لم يعد يتلقى التخيلات من الطبيعة والناس من حواليه، وإنما من وسائل الاتصال، والإعلام، وفي تقرير اليونسكو حول تربية القرن الحادي والعشرين تم تحديد أهداف أربعة ملخصة كمايلي: تعلم لتعرف/ تعلم لتعمل/ تعلم لتكون/ تعلم لتشارك الآخرين، كما يوضح هذا التقرير "أن الثورة التكنولوجية تمثل بداهة، عاملا أساسيا لفهم حداثتنا بقدر ما تخلق إشكالا جديدة للتنشئة الاجتماعية، وتضع تعاريف جديدة للذاتية الفردية والجماعية، فاتساع نطاق تكنولوجيا وشبكات المعلومات يؤدي في آن واحد إلى تيسير الاتصال بالغير على صعيد العالم كله أحيانا، وإلى تقوية نزعات الانطواء والعزلة، وهكذا يمكن أن يؤدي انتشار العمل عن بعد إلى تخلخل روابط التضامن التي تكونت داخل المؤسسات، وأن نشهد تضاعف أنشطة أوقات النزاع التي تعزل الأفراد أمام شاشات الكمبيوتر. [156]

---

[156] المرجع نفسه ، صص 158 ، 160 .

الفصل الثاني

المبحث الأول:

الثقافة من منظور معلوماتي

هذه عينة من المفرداتـ وغيرها كثيرـ يصعب على الفرد تحديد ما إذا كانت ضمن أبجدية الثقافة، أو ضمن أبجدية المعلومات الإعلام، التعليم، الأمية، اللغة، النص، الرمز، المعرفة، الذاكرة الجمعية، الابتكار،....)، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على مدى التداخل بين منظومتي الثقافة والمعلومات، فالنظر إلى الثقافة من داخلها بوضع طبيعة العلاقة الحميمية بين الثقافة والمعلومات والتي تتجلى سواء على مستوى التعريف، أو على مستوى خصائص المنظومة، أو على مستوى وظيفتها فإذا عرفت تكنولوجيا المعلومات بأنها أداة معالجة سلاسل الرموز، فالثقافة في أحد تعريفاتها هي التمثيل الرمزي للفكر، والقيم والأهداف داخل المجتمع، وإذا اعتبرنا قدر المعلومات قياسا لحصيلة المعرفة العميقة لدى المتخصص، أو الشاملة لدى غير المتخصص، فالثقافة كما يراها البعض هي اكتساب المعارف من أجل تهذيب الحس النقدي، والارتقاء بالذوق وتنميةالقدرة على الحكم.

وسواء أكانت الثقافة نتاجا فكريا، أو حصادا اجتماعيا، يشمل المعارف والمعتقدات والتقاليد والفن والحق والأخلاق؛ وكل مايكتسبه كائنا البيولوجي الفريد ليصبح عضوا في المجتمع، وسواء أكانت الثقافة رمزا لتمييز النخبة الأكثر وعيا، أم رصدا للواقع الاجتماعي الذي تعيشه العامة؛

فالمعلومات هي وسيلة التعبيرعن هذا النتاج الفكري، وهذا التميز بنفس القدر التي هي فيه وسيلة الحفاظ على الحصاد الاجتماعي وتراثه وتسجيل شواهد هذا الواقع الاجتماعي وتفاعلاته. ويتجلى هذا التداخل فيما أوجزه أحد فلاسفة التاريخ المحدثين بقوله:" إن الحضارة ماهي في جوهرها إلا نظام للمعلومات".

وبالنظر إلى خصائص المنظومة. فالثقافة نسق أو نظام قوامه التركيب التكنولوجي والتركيب الاجتماعي والتركيب اللغوي والرمزي؛ والتركيب المعتقدي والتركيب الجمالي. [157]

في حين يقتصر تداخل هذا النسق أوالنظام مع تكنولوجيا المعلومات بصفة عامة على التركيبين الاجتماعيوالتكنولوجي. نجد هذا التداخل يتسع بالنسبة لتكنولوجيا المعلومات يشمل

---

[157] نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، مرجع سبق ذكره، صص 263، 264.

بصورة سافرة التراكيب اللغوية، والرمزية،والمعتقدية، والجمالية هذاعلى البيئة الداخلية للمنظومة، أما عن علاقة المنظومة بخارجها فهناك تداخل شديد في العلاقات التي تربط منظومتي الثقافة والمعلومات مع مؤسسات الحكم، والتعليم، والإعلام،والاقتصاد، وغيرها.

وبالنسبة للوظيفة؛ فمهمة الثقافة في توجيه وعي الجماعة هي توحيد الناس في مجتمع خاص بهم من خلال تراكيب اللغة والرمز والمعتقدات والجماليات وتكنولوجيا المعلومات هي البنية التحتية(الأساسية) لدعم هذه المهام. أما بالنسبة لتشكيل وعي الفرد فالثقافة دورها المحوري في اقتناء المعرفة وتنمية أساليب التفكير وقدرة التعبير عن العواطف والأحاسيس. وهنا يبرز الدور الجديد لتكنولوجيا المعلومات الممثل في هندسة المعرفة وتوظيفها؛ وحتى عندما يقترب مفهوم الثقافة من مفهوم الإيديلوجيا بصفتها– أي الإيدلوجيا– أساسا لمشروعية الممارسات السياسية والاجتماعية. أو المنظار الذي يرى به الفرد ذاته أو مجتمعه. أو معيار الصواب والخطأ أو المقبول والمرفوض؛ لتأويل تراثه وواقعه؛ سواء هذه أو تلك لا يمكن فصل ذلك عن الشق الأيدولوجيلتكنولوجيا المعلومات. والشعارات التي تنادي بالتكنولوجيا بديلا عن الإيديلوجيا تقوم على وهم خاطئ بحيادية العلم والتكنولوجيا وتعتبر شعارات مضللة، لقد باتت تكنولوجيا المعلومات أداة رئيسية للفعل السياسي الموجه (نظم السيطرة والتوجيه الإعلامي والتربوي)، ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثيرها الواضح في نظام القيم وتشكيل رؤية الفرد، نظرا لما أحدثه، وتحدثه من تغيرات حادة في أنماط السلوك والمعايير.[158]

تتعدد تعريفات الثقافة، وتتلاشى، وتتباين، وتظل الثقافة ذلك الشائع الغامض الواقع خارج حدود الوعي الفردي والجمعي، الغائر في العادات وأنماط السلوك التي تؤخذ عادة كقضايا مسلم بها، ويأتي المتغير المعلوماتي ليضيف إلى الثقافة تعقيدا على تعقيد، لقد شبهت الثقافة بالنسبة إلى مجتمعها كالرائحة للزهرة، لكن تلك الرائحة ظلت تفوح، وتتكثف، وتورق وتتشعب فروعا، وأغصانا حتى أوشك أن يختلط أمرها مع أمر الزهرة ذاتها، إن الثقافة هي ما يبقى بعد زوال كل شيء والمعلومات هي الشيء الذي ينمو كلما زاد استهلاكه، فالمعلومات في علاقتها بالثقافة يمكن اعتبارها أهم أداة لها فهي أي المعلومات:

---

[158] المرجعنفسه،ص ص 264، 265.

أ- أداة لمواجهة التعقد المجتمعي:

حيث أصبح التعقد سمة غالبة من سمات الوجود الإنساني، والنظم الاجتماعية شأنها في ذلك شأن كل النظم المفتوحة تتحرك دوما صوب مزيد من التعقد، وقد جاءت تكنولوجيا المعلومات لتزيد الأمر صعوبة فقد جعلت من جل أمور حياتنا إشكالية تستوجب إعادة النظر إليها: من الترفيه غلى الإعلام، ومن اللغة إلى الهوية، ومن سلطة الحكم إلى الديمقراطية، وهناك من يرى أن نظم الكمبيوتر والمعلومات لم تجعل حياتنا أكثر تجانسا، بل كانت هذه النظم مصدرا لتوليد الاختلاف، وزيادة الخيارات والبدائل مما أضاف إلى الإشكالية المجتمعية مزيدا من التعقيد.

إن تكنولوجيا المعلومات هي الداء، وهي الدواء، فهي أمضى الأسلحة في مواجهة ظواهر التعقد، وذلك بفضل قدرتها على احتواء الكم الهائل من البيانات اللازمة للتعامل مع الظواهر المعقدة بجانب توفيرها الوسائل العملية من برامج، وأساليب إحصائية، ونماذج لمعالجة الكم الهائل لاستخلاص الجوهر، وانتزاع النظام من وسط الفوضى.

ب- المعلومات كأداة للتكامل المعرفي:

بجانب كون تكنولوجيا المعلومات معول هدم للحواجز الفاصلة بين فاصل العلوم طبيعية كان أم إنسانية، فهي تعمل في الوقت ذاته على تضييق الفاصل بين العلوم، والفنون، وكذلك بين المعارف والخبرات، فلم تعد لدينا رفاهية الوقت كي تمارس الخبرة أولا، ثم نعي المعرفة الكامنة وراءها ثانيا، ولا يضاح قدرة المعلومات على إحداث هذا التكامل المعرفي يشار إلى تطبيق نظرية المعلومات حاليا في كثير من بحوث الفيزياء، والبيولوجيا، واللغة، ونظرية الاحتمالات، ونظرية الاتصالات، وعلم النفس والفلسفة وعلوم الكمبيوتر وعلم الاجتماع، والنقد الأدبي والفني[159].

---

[159] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سبقذكره، صص 125، 128.

ج- المعلومات كأداة للتوازن المجتمعي:

يمكن القول أن المعلومات تعمل داخل المجتمع كوسيلة للضبط الذاتي، ويقصد بذلك كونها وسيلة للتغذية المرتدة تنشأ هذه التغذية عن سريان المعلومات في مسارات مقفلة تربط بين القرارات والممارسات، وبين النتائج وردود الأفعال وبفضل الرسالة التي تحملها التغذية العكسية، تستشعر منظومة المجتمع مدى الحيود، والانحرافات عن الأهداف المرسومة، أو المعايير المقررة، وفي ظل هذا المفهوم فغن المجتمع الرأسمالي – مقارنة بالمجتمع الاشتراكي- كان أكثر قدرة بفضل فاعلية نظم معلوماته وسرعة تداولها على التكيف، وتصحيح أوضاعه ذاتيا تجاوبا مع المتغيرات الاجتماعية.

د- المعلومات كأداة لصناعة الثقافة:

تمثل المعلومات أهم مقومات البنى التحتية لصناعة الثقافة فبجانب توفرها على المواد الخام التي تقوم عليها هذه الصناعة، ونقصد بها موارد المعلومات الثقافية تمثل تكنولوجيا المعلومات الشق الأساسي في معظم التكنولوجيا الثقافية، تكنولوجيا التعليم وتكنولوجيا الإعلام وتكنولوجيا اللغة، وهناك وقفة قصيرة نوجز فيها ما ورد في تقرير التنوع البشري الخلاق بخصوص فهم التراث، والذي رأى أنه يخضع لرؤية أحادية تسيطر عليها المعايير الجمالية،والتاريخية، رؤية ترى الأثر الضخم لا البسيط المكتوب لا الشفهي تحتفي بالإحتفالي، لا العادي، وبالمقدس لا الدنيوي، ومرة أخرى فإن تغيير هذه النظرة إلى التراث يتطلب سندا قويا من تكنولوجيا المعلومات بعد أن أصبح واسع الانتشار دائم التجدد.

هـ- المعلومات أداة للتنظير الثقافي:

لم تعد الثقافة خاصا أكاديميا، بل شاغلا أساسيا للجميع بعد أن اتضحت أولويتها في عملية التنمية وذلك علاوة على كونها قائمة بذاتها ، من أهم صناعات عصر المعلومات لقد تاهت إشكالية الثقافة في فكر القرن العشرين الذي استهواه عمق التخصص الضيق، فقرر الانسحاب من الأسئلة العامة التي عادت تلح علينا من جديد، وذلك بفعل المتغير المعلوماتي الذي راح يطرح من الصفر معظم القضايا الثقافية والاجتماعية، إن التنظير الثقافي الحديث لا يستطيع الفصل بين ثقافة النخبة وثقافة العامة، ويتجه نحو دراسة الثقافة، وهي تعمل بصورة دينامية، في إطار الهياكل الاجتماعية القائمة والممارسات الفعلية داخل المجتمع، ومرة أخرى لا

تتأتى للتنظير الثقافي هذه القدرة على هذه المواجهة الاجتماعية العريضة دون سند معلوماتي قوي في صورة خرائط ثقافية، ومسوح إحصائية وقواعد بيانات لتسجيل ظواهر الواقع الاجتماعي، والخصائص الثقافية للفئات الاجتماعية المختلفة، وتأتي العولمة لتضيف إلى التنظير الثقافي خاصية جديدة تتطلب هي الأخرى مزيدا من المعلوماتفيما يخص الدراسات الثقافية المقارنة اللازمة لتناول الجوانب العديدة المتعلقة بحوار الثقافات وتضامنها وامتزاجها. [160]

العناصر العامة لمنظومة ثقافة المعلومات:

ويوضح الشكل العناصر الداخلية لمنظومة الثقافة بجانب نظام القيم والمعتقدات، الفكر الثقافي واللغة والتربية والإعلام والإبداع والتي يمكن إيجاز شرحها كالتالي:

أ- **الفكر الثقافي:**

كنتيجة منطقية لمحورية الثقافة في منظومة المجتمع الإنساني، فقد نشطت بصورة كبيرة جهود التنظير الثقافي في ربع القرن الأخير، وذلك من اجل استيعاب الظواهر المستجدة لمجتمع المعلومات الذي حل بنا بالفعل، ولهذا سنحاول وضع قائمة العلوم والنظريات والخبرات التي أسس عليها صرح التنظير الثقافي الغربي المعاصر.

فلسفة العلم	علم الاجتماع	نظرية النقد
فلسفة اللغة	علم النفس	نظرية التطور
فلسفة التاريخ	علم القراءة	نظرية الجمال
الرمزية *	علم البيئة	نظرية المعلومات*
اللسانيات*	الانثروبولوجية الرمزية	نظرية الأدب*
سوسيولوجيا المعرفة	الجغرافيا الثقافية	نظرية السرد*
سوسيولوجيا العلم	علم اللاهوت	نظرية الاعتماد
سوسيولوجيا الثقافة	علم العرقيات	نظرية الاتصالات*
هندسة النظم*	الاقتصاد السياسي	نظرية النظم الاجتماعية
الإحصاء الثقافي*	اقتصاد الماكرو والميكرو*	نظرية التربية

[160] المرجعنفسه، صص 129، 131.

تخطيط المدن* الاقتصاد الاجتماعي نظرية السياسة

ديناميات الجماعات علم الاستشراق نظرية السيطرة

ومعظم هذه الفروع المعرفية ذات صلة وثيقة بتكنولوجيا المعلومات خاصة تلك المقرونة بالإشارة وهو* وهو ما يؤكد أهمية المدخل المعلوماتي في التنظير الثقافي .

ب- لغة الثقافة:

ويقصد بها لغة وصف الثقافة والتي تشمل المصطلحات العلمية من قبيل: الاتصال الثقافي، الاحتواء الثقافي، الامتصاص الثقافي، التقاطع الثقافي، النسبة الثقافية، الحتمية الثقافية، التنوع الثقافي، الصراع الثقافي، ازدواجية اللغة... وغيرها من المصطلحات التي لها علاقة بتكنولوجيا المعلومات وثقافتها، وتشمل لغة الثقافة أيضا لغات فنون إبداعها، لغة الموسيقى، ولغة التشكيل، ولغة الشعر ولغة الأدب ولغة المسرح، ولغة الأداء الحركي، ولغة العمران (المعمار)، وقد كان من أهم نتائج تطبيق تكنولوجيا المعلومات في مجال الإبداع خاصة تكنولوجيا الوسائط المتعددة، إبراز القواسم المشتركة بين لغات الإبداع، في إطار علم الرمزية وكذلك اعتبار اللغات الإنسانية نسقا رمزيا عاما يمكن تطبيقه على باقي لغات الفنون المذكورة. [161]

ج- تربية الثقافة:

لقد أصبحت الثقافة علما مستقلا، وصناعة قائمة بذاتها، وهو الأمر الذي يتطلب فرعا متخصصا من فروع التربية، وقد زادت الحاجة إليه مع تنامي ظاهرة العولمة، وما صاحبها من تداخل أمور الثقافة في أمور الاقتصاد، والسياسة تركز تربية الثقافة على نوعية الفرد بالجوانب الاجتماعية للتنمية المعلوماتية، ودور القوى الرمزية في أداء المنظومة المجتمعية ككل، وإلمامه بحصاد الفكر الثقافي المقارن ومناهجه وما تعنيه مفاهيم الأنثروبولوجيا فيما يخص النسبة الثقافية، ومنظومة القيم والقضايا الحالية المتعلقة بعولمة الثقافة، وبجانب الخلفية النظرية يجب على المهني الثقافي في عصر العولمة أن يكتسب مهارات التفاوض، وحوار القرب والحوار عن بعد عبر الأنترنيت.

د- إعلام الثقافة:

---

[161] المرجع نفسه، صص147 ، 149.

يحظى إعلام الثقافة –حاليا– باهتمام متزايد من قبل جميع وسائل الإعلام، وتوفر تكنولوجيا الوسائط المتعددة وسائل عدة لوضع الرسالة الإعلامية الثقافية في سياق أشمل وأقرب إلى الواقع، فلم يعد كافيا – على سبيل المثال– أن تعرض روائع تراث ثقافة ما دون طرحها في سياقها التاريخي، وإبراز صلتها بالمسار العام للحضارة الإنسانية، وإمكانية تجديده، ومزجه مع تراث ثقافات أخرى.

هـ– قيم الثقافة:

وخاصة قيم المعلومات والتي على رأسها تلك الخاصة بالحرية الثقافية، أي حرية الجماعات في أن تختار ثقافتها وتحدد هويتها وفقا لما تراه ملائما لواقعها وتاريخها وتتفرع عن هذه القيمة المحورية قيم فرعية أخرى مثل: احترام ثقافة الغير والامتناع عن إصدار قيمية على هذه الثقافات والحفاظ على التنوع الثقافي وإشاعة قيم التسامح الثقافي. [162]

و– إبداع الثقافة:

لقد اظهر عصر المعلومات شدة الحاجة إلى هذا النوع من الإبداع الذي يشمل ضمن ما يشمل:

- استحداث تنظير ثقافي جديد قادر على التعامل مع متغيرات عصر المعلومات.
- ابتكار مناهج جديدة في المزج بين الثقافات، فكرها وإبداعها، وقيمها، ولغاتها، وكذلك فيما يخص حوار الأديان، والمقارنة بين اللغات العالمية.
- كيفية بعث الحياة في التراث الثقافي بحيث يساهم بالفعل في معترك الحياة المعاصرة وكيفية إعادة بناء التاريخ الإنساني باستخدام تكنولوجيا المعلومات خاصة تكنولوجيا الواقع الخائلي، والوسائط المتعددة الأخرى.

وهناك من يقول أن الأنترنات ستزيد قدرة الإبداع والابتكار من خلال مداومة الإبحار اللامحدود في فضاء المعلومات وتوفير العديد من وسائل التعليم الذاتي وتنمية القدرات الذهنية خاصة أن التعامل مع النظم الآلية والبرمجيات يساعد على نمو التفكير. [163]

ويمكن أن نشرح هنا العلاقة بين منظومة الثقافة والثقافات الأخرى، فلا ريب أن عولمة الثقافة مازالت في بدايتها، ولكم ما نسمع عنه بشأن تأصيل الأسس الثقافية لظاهرة العولمة ما

---

[162] المرجع نفسه، صص 149، 150.

[163] المرجع نفسه، صص 150، 151.

هو إلا محض تصورات وآراء متسرعة لمساندة عولمة الاقتصاد في المقام الأول، وبينما يمكن لثقافة النخبة أن تسرع من عملية تكييفها مع الثقافة العالمية، لا يمكن للثقافات الشعبية –وهي الأهم هنا– التكيف بالمعدل نفسه نظرا إلى جذورها الضاربة في أعماق المنظومة المجتمعية، إن أمر عولمة الثقافة مازال معلقا ويشتد وطيس السجال بشأنه.

هناك من يزعم أن ثقافة عصر الأنثرناث هي المدخل لتحقيق حلم البشرية الذي طال انتظاره في إرساء ثقافة تمهد لسلام حقيقي ودائم تنعم في ظله البشرية في " هيتروطوبيا" من تنوع الثقافات وتعددها، لقد بنوا تصورهم هذا على أساس أن هناك في تنوع الثقافات وحدة كافية من القيم والمعاني تسمح بوجود أخلاقيات عالمية، فليس هناك إنسان لا يرغب في تخفيف المعاناة، ولا يرفض الممارسات غير الإنسانية من قبيل حرق الأرامل، ووأد البنات، واستغلال عمالة الأطفال، والسخرة الجنسية والعبودية وما شابه، ولكن القضية بلاشك أعقد من ذلك بكثير خاصة فيما يتعلق بعلاقة الثقافة بالدين، وعلى النقيض من وجهة النظر المتفائلة تلم هناك آخرون يراهنون على حتمية الصراع واستحالة الوفاق العالمي والاجتماعي، وأن الثقافة ستظل نسبية متشبثة بخصوصياتها المحلية بل هناك من يؤكد أن الأنثرناث سيؤدي إلى جرف حاد يفصل سواء بين الثقافات أو ما بين الفئات الاجتماعية ونستعيد فرز المجتمعات الإنسانية وفقا لمعايير عصر المعلومات وأن العالم سيشهد ".....ثقافية شرسة تلتهم فيها الثقافات الأقوى – والثقافة الأمريكية تحديدا– ما دونها من الثقافات.

المبحث الثاني:

العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والثقافة:

لا يكاد يلتقي أهل الثقافة حتى يخوضوا في حديث تكنولوجيا المعلومات، ولا يجتمع أهل تكنولوجيا المعلومات حتى ينزلقوا إلى حديث الثقافة، هل نضجت هذه التكنولوجيا وتأهلت للقاء الثقافة؟ أم أن أهل الثقافة أدركوا –أخيرا– مدى خطورة هذه التكنولوجيا الفريدة، بعد أن أصبحت صناعة الثقافة أهم صناعات هذا العصر بلا منازع.

وما كل هذا الضجيج حول الانترناث وطريق المعلومات الفائق السرعة؟ وكيف أصبحت هذه الأمور قاسما مشتركا في سياسيا الحكومات، وبرامج الأحزاب السياسية من الحزب الديمقراطي الأمريكي إلى حزب العمال البريطاني، ومن حكومة سنغافورة إلى حكومة ساحل العاج؟ وهل يقصد "آل غور" نائب الرئيس الأمريكي، وصاحب مصطلح طريق المعلومات فائق السرعة أن يكون هذا الطريق الجديد بمنزلة النظير العصري لسلفه طريق السيارات السريع؟ وكما كان السالف هو شريان نقل بضاعة الصناعات الأمريكية التقليدية محليا، فسيكون اللاحق هو شريان نقل بضاعة صناعة الثقافة الأمريكية عالميا.

وهل لنا أن نعي حرص "آل غور" على أن ينقل طموحه المحلي خارج حدود بلاده حيث نادى أخيرا بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها أغنياء عالمنا وفقراءه على حد سواء عندما يقول: "دعونا نتجاوز الإيديولوجيا لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية أساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم، وحماية البيئة والديمقراطية" وكم كان فطنا، "جون ستراتون" عندما لفت نظرنا إلى "سندويتش آل غور" الوارد في دعواه تلك، حينما وضع أحلام التنمية البشرية بين شطري هذا السندويتش، ونعني بها "الاقتصاد الحر والديمقراطية.

مسفرا بذلك عن إيديولوجيا النموذج الرأسمالي الذي يسعى القطب الأمريكي لتعميمه من خلال مخططه للعولمة، الذي لا يكتمل– المخطط– إلا بدعم من المنظمات العالمية لإضفاء الشرعية الدولية على ممارسات العولمة الأمريكية، ولإعطاء مثال يوضح هذا الكلام ننظر إلى الإستراتيجية التي وضعها الاتحاد العالمي للاتصالات لإقامة البنية التحتية المعلوماتية العالمية ملخصة في التوجهات الخمسة التالية:

- تنمية من خلال الاستثمارات الخاصة.
- منافسة وفقا لقوانين السوق.
- قواعد وتنظيمات مرنة لتسهيل عمل مؤسسات الاتصالات وتنظيم المنافسة بينهم.
- لا تفرقة في حق النفاد إلى شبكات الاتصالات.
- التوجه العالمي لخدمات الاتصالات. [164]

- أثر تكنولوجياالمعلومات على الثقافة:

إن أثر التكنولوجيا في الثقافة يكاد يشمل جميع عناصر منظومتها والعلاقات البينية التي تربط بين هذه العناصر ولا تشتمل هذه العناصر الغدارة الثقافية، والقيادات الثقافية، والمؤسسات الثقافية، والموارد الثقافية فقط بل أيضا تشمل بنية المعرفة داخل المجتمع والأسس والمبادئ التي قامت عليها هذه المعرفة وقاعدة القيم التي انطلقت منها.

والمثال الشائع في اثر التكنولوجيا في الثقافة ذو المغزى لسياقنا الراهن هو ما أدت إليه تكنولوجيا الطباعة بظهور آلة غوتيورغ في منتصف القرن الخامس عشر التي شرعت في محو الأمية وكسر احتكار المعرفة، وهو الأمر الذي يعد من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تدمير النظام الإقطاعي ذو السلطة المطلقة للنبلاء ورجال الدين والتي أدت أيضا إلى التكوين السريع للمراكز الحضرية وتوسع النشاط التجاري وهي التغيرات الاجتماعية التي أدت بدورها إلى تصنيع أوروبا وتحويل مؤسساتها السياسية نحو الديمقراطية، علاوة على تلك الآثار المباشرة فقد مثلت تكنولوجيا الطباعة احد العوامل الفاعلة في تجربة الفكر الغربي في توجهه نحو العقلانية وتطور مؤسساته العلمية والتعليمية والثقافية، فالمعرفة في صورتها المطبوعة لم تساعد فقط على نشر المادة المعرفية بل ساعدت على تنمية المهارات العقلية من خلال التعامل البارد مع النصوص بعيدا عن سلطة المتحدث والانفعالات العاطفية التي تصاحب عادة عملية التواصل اللغوي على الشفهي.

وعن اثر التكنولوجيا في العقيدة والأخلاق فمثاله التقليدي هو اثر تكنولوجيا التصنيع وظهور الرأسمالية في الفكر المسيحي في أوروبا، فلقد أدت إنجازات العلم الباهرة فيما أدت إلى

---

[164] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص ص21 ، 22.

ظهور نوع من الفكر الفلسفي القائم على تقديس العلم والعقل والإيمان بقدرة الإنسان على السيطرة الكاملة على الطبيعة.

نوع من الفكر لا يشك فقط في وجود الرب العظيم بل يتمادى أحيانا ليبشر بظهور دين بشري بلا لاهوت، ولا كنائس ولهذا الفكر نفسه طبعته الخاصة بعصر المعلومات حيث يبشر "يونجيماسودا" الياباني بدين دنيوي يؤاخي بين البشر جميعا يعيشون في سلام رمزي (رمز بالمفهوم المعلوماتي) بعد أن تسلس – بفعل تكنولوجيا المعلومات– علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه وبيئته، ونجعله مسيطرا على مقدراته، وتجعله أكثر قدرة على توجيه يومه وغده وتلبية احتياجاته وغاياته. [165]

أما تأثير العلم والتكنولوجيا في النتاج الفكري والفني فيتمثل في ظهور الحركات الرومانسية والسريالية في الأدب والفن التشكيلي كتعبير لنزعة الحنين إلى الطبيعة أو النشوء إلى اللاواقعي هروبا من بشاعة الواقع في المجتمع الصناعي أو اللجوء إلى اليتوبيا السوداء كما في أعمال "جورج أورويل" وحديثا أقام "فريديريك جيمسون" نوعا من العلاقة بين أطوار الرأسمالية الثلاث كما حددها "غرنس ماندل" والحركات الثقافية التي واكبتها، فربط بين الأدب الواقعي "لبلزاك" و"ديكنز" و "تولستوي" ومرحلتها الأولى مرحلة الرأسمالية الكلاسيكية أو التنافسية، وبين حداثة "جيمس جوس" وتحول الرأسمالية إلى الرأسمالية الاحتكارية، وأخيرا ما بين ما بعد الحداثة ورأسمالية المرحلة الثالثة، الرأسمالية الاستهلاكية او متعددة الجنسيات وعن اثر التكنولوجيا على المبدع الثقافي ذاته، فتتضح بأنها وفرت له وسائل مادية عديدة لمساعدته في إنتاج عمله الأدبي أو الفني، ولكنها في الوقت نفسه قلصت من دوره بتهميشها الثقافة وتحويل الفنون والآداب والموسيقى إلى وظيفة ديكورية أو مكون سلعي مكمل لمنتجات عصر الصناعة، ولاشك أن حاجة السلطة للمثقف ستزداد في عصر المعلومات في محاولة لاستغلال من اجل السيطرة على التوتر بعد أن أصبحت الجماهير بفعل انتشار المعلومات أكثر إدراكا لواقعها.[166]

---

[165] المرجع نفسه، ص 266.

[166] المرجع نفسه، صص 267، 268.

[2] نبيل علي : **البرمجيات البعد الاقتصادي** ، مجلة العربي الكويتية ، عدد 542 ، جانفي 2004 ، ص 23 .

ويمكن القول بأن القضايا التي تزخر بها منطقة التداخل بين الثقافة وتكنولوجيا المعلومات هي عديدة وكثيرة ويمكن تلخيصها في العلاقات التالية

- تكنولوجيا المعلومات وخلق (توليد) المعرفة.
- الشفاهة والكتابة والتواصل الإلكتروني.
- النص والنص الفائق.
- تكنولوجيا المعلومات والإعلام والسينما.
- تكنولوجيا المعلومات والأدب والدراما.
- تكنولوجيا المعلومات والشعر والموسيقى.
- تكنولوجيا المعلومات والمعرفة والسلطة.
- تكنولوجيا المعلومات واللغة 'الثقافة).

إن كانت التكنولوجيا على مدى التاريخ محركا أساسيا للتغير الثقافي والحضاري وإفرازا له في الوقت نفسه، فإن تكنولوجيا المعلومات هي التي جعلت من الثقافة صناعة قائمة بذاتها لها مرافقها وسلعها وخدماتها، وأضافت إلى قاموس الثقافة مفاهيم جديدة مثل: الرأسمالية الفكرية، فنون الوسائط المتعددة، صناعة الأخلاق، أمية الكمبيوتر، الطبقة المعلوماتية، القوى اللينة وهي أي تكنولوجيا المعلومات لم تستحدث مفاهيم جديدة فقط، بل أضفت صفات ومضامين جديدة على مفاهيم ثقافية سابقة في مجالات الأدب والنقد والتذوق الأدبي وكذلك على سبيل المثال لا الحصر ومن المنطقي أن تزداد علاقة الثقافة بالتكنولوجيا وثوقا كلما اقتربت هذه التكنولوجيا من المناطق الغائرة في الكيان الإنساني لذا فلا وجه للمقارنة بين علاقة الثقافة بتكنولوجيا آلة البخار التي حلت محل عضلات الإنسان بتكنولوجيا آلة المعلومات (الكمبيوتر) التي تسعى لمحاكاة ذهنه وحواسبه[2].

تلتقي الثقافة مع التكنولوجيا المعلومات أساسا على جبهة الرمز، وأوجه التناظر بينهما تتضح للباحثين يوما بعد يوم، لقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات أهم أدوات صناعة الثقافة وأهم قضاياها الاجتماعية وتوازيا مع ذلك أصبحت صناعة الثقافة أهم تطبيقات تكنولوجيا المعلومات، فبينما كانت التطبيقات التجارية والإدارية والصناعية هي السائدة في أجيال الكمبيوتر السابقة، فإن تطبيقات الثقافة من تربية وإعلام وترفيه قد صارت الآن هي التطبيقات الحاكمة التي تدفع

بتكنولوجيا المعلومات عتاد، وبرمجية واتصالات إلى مشارف جديدة، وذلك تحت ضغط المطالب الفنية القاسية التي تتسم بها التطبيقات الثقافية، مصمم البرامج التربوية يحتاج إلى كمبيوتر أكثر ذكاء ليتجاوب مع المتعلم بصورة دينامية وطبيعية، والفنان التشكيلي يحتاج إلى شاشة كومبيوتر ثرية الألوان دقيقة التحليل وأرشفة التراث الثقافي المكتوب والمسموع والمرئي تتطلب وسائل تخزين إلكترونية عالية السعة بالإضافة إلى آليات استرجاع تتصف بالمرونة والسرعة.

إن جوهر العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والثقافة تتضح من خلال إعطاء تعريف لشقي العلاقة الثقافية المعلوماتية بالغي الدلالة والإيجاز فالثقافة: هي ما يبقى بعد زوال كل شيء.

والمعلومات: هي المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقض بل ينمو مع زيادة استهلاكه. (167)

وتمثل المعلومات أهم مقومات البنى التحتية لصناعة الثقافة، فبجانب توفيرها المواد الخام التي تقوم عليه هذه الصناعى ونقصد بها موارد المعلومات الثقافية تمثل تكنولوجيا المعلومات الشق الأساسي في معظم التكنولوجيات الثقافية تكنولوجيا التعليم، وتكنولوجيا الإعلام وتكنولوجيا هندسة اللغة (معالجتها آليا بواسطة الكمبيوتر، وتكنولوجيا الفنون، وتكنولوجيا صيانة ومعالجة التراث.

وكما هو معروف تقوم صناعة الثقافة على ثلاثة مقومات رئيسية هي: المحتوى الذي يمثل مواد التصنيع المعلوماتي ومعالجة المعلومات التي تمثل أدوات الإنتاج، وشبكات الاتصالات التي تمثل قنوات التوزيع، وفي هذا الإطار علينا أن نضع نصب أعيننا أن أهم مقوم في تلك الثلاثية هو ذلك الخاص بالمحتوى، والذي يعني في حالتنا موارد تراثنا الرمزي من نصوص وموسيقى وأفلام، وقواعد بيانات، وكذلك الطاقات الإبداعية الخلاقة القادرة على إبداع المحتوى الجديد، ويمكن أن نلخص طبيعة الحوار الثقافي المعلوماتي في الشكل التالي:

---

(167) نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص 48.

الثقافة:محور منظومة التنمية الاجتماعية الشاملة

تكنولوجيا المعلومات: محور المنظومة التكنولوجية

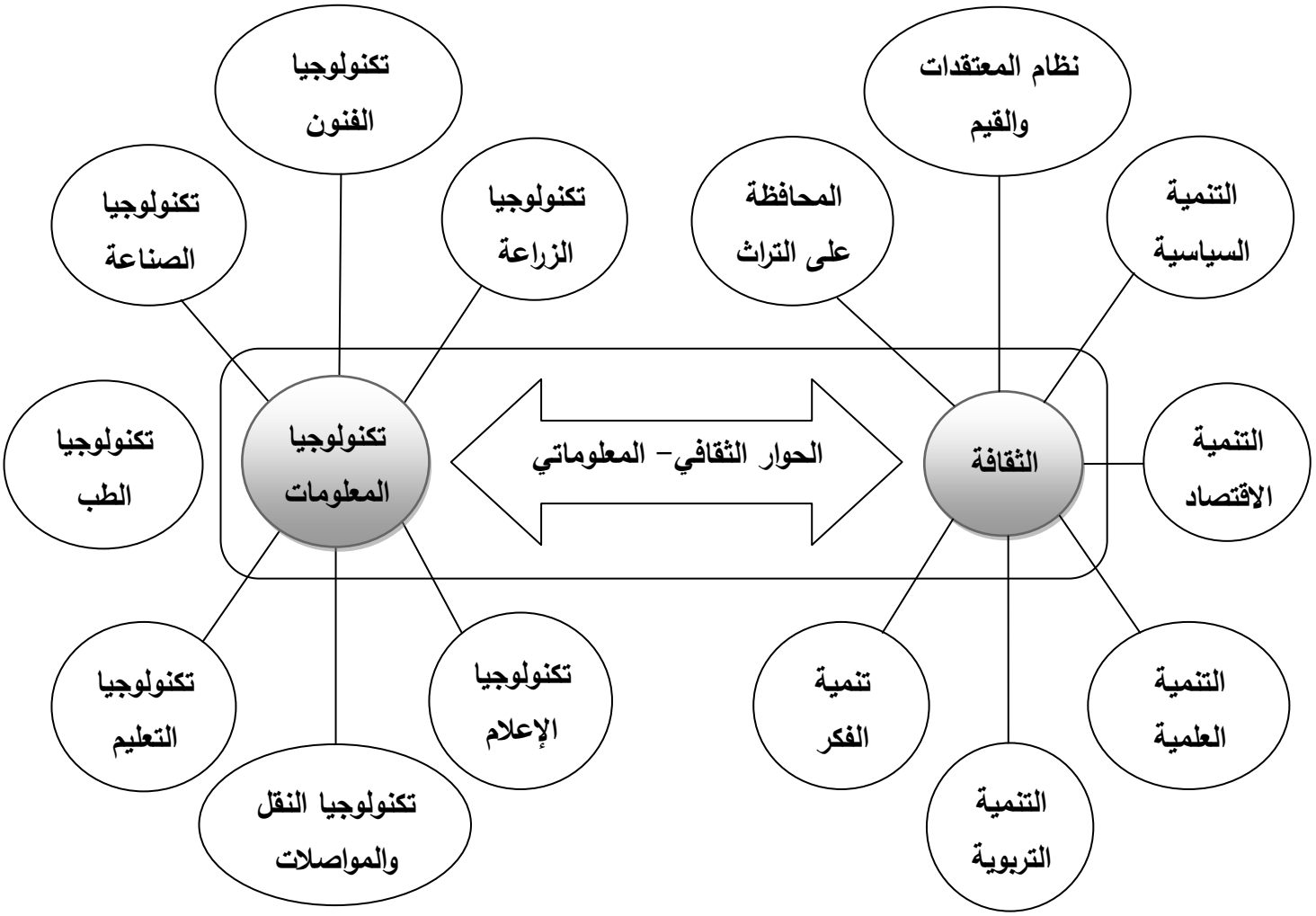

الشكل (03): حوار المحاور بين الثقافة وتكنولوجيا المعلومات.

تقود عولمة الاقتصاد قافلة العولمة حاليا جارة وراءها عولمة الثقافة، لقد نجح الاقتصاد متضامنا مع السياسة في التهوين من قدر الثقافة مستغلا في ذلك حقيقة مهمة مرتبطة باختلاف إيقاع سرعة التغير بين الأنشطة الاجتماعية المختلفة، حيث تشير شواهد كثيرة إلى أن التكنولوجيا قد أصبحت حاليا – أسرع من العلم، فهي تملي مطالبها في كثير من الأحيان على العلم في ضوء ذلك نلخص فيمايلي سلسلة التتابع في عملية التغيير المصنعي في شكل مبسط من أجل التوضيح:

– التكنولوجيا في أحوال كثيرة أسرع من العلم.

- العمل أسرع من الاقتصاد.
- الاقتصاد أسرع من السياسة.
- السياسة أسرع من الثقافة.

ويبدو منطقيا وجود الثقافة دليل سلسلة التتابع وذلك لسبب بسيط هو لن الثقافة ظاهرة اجتماعية لابد لها كي تؤتي ثمارها أن تختمر وتنصهر وتتفاعل وتترسخ، وأين هذا كله من سرعة تغير السياسات وتسارع حركة الاقتصاد وانطلاق العلم اللاهث صوب مشارف جديدة ولهفة التكنولوجيا على تلبية مطالب أسواقها المنقلبة، إن السؤال الأساسي في إطار العلاقة المحورية بين الثقافة وتكنولوجيا (المعلومات) والاقتصاد القائم على هذه التكنولوجيا هو من يكون له حق القيادة أو بتعبير آخر هل الثقافة تابعة للثقافة(التكنولوجيا) أم الثقافة تابعة للثقافة؟ وحسب الكاتب فلا بديل إلا أن تسلم القيادة المجتمعية لقاطرة الثقافة.فالثقافة كما تقول "لورس أريزب" المدير العام المساعد لليونسكو لشؤون الثقافة " بحكم طبيعتها ترفض التهميش والاختزال، ولا يمكن لها أن تكون مجرد عامل مؤازر لعملية التنمية التكنولوجية كما هي الحال عادة، فليس دورها أن تكون خادما من اجل تحقيق الغايات المادية بل يجب أن تكون الثقافة هي الأساس الاجتماعي الذي تقوم عليه هذه الغايات نفسها، إن أي تنمية تكنولوجية منزوعة من سياق مجتمعها وثقافته هي تنمية بلا روح"، ومهما زادت سطوة التكنولوجيا كما هي الحال بالنسبة لتكنولوجيا المعلومات، فيجب ألا يكون المجتمع تابعا لها، بل يجب أن تكون هي التابعة له، الملبية لمطالبه، المتوائمة مع ظروفه وقيمه وغمكاناته، إن تكنولوجيا المعلومات ومن فرط قدرتها وتداخلها وانصهارها داخل الكيان المجتمعي تبدو في نظر البعض وكأنها استقلت بذاتها وأنها أصبحت قادرة وبمفردها على أن تحمينا من مآسي السياسة ودوغمائية الفكر وقصر نظر التخطيط الاقتصادي وقادرة على أن تحمي ثقافتنا من الزوال ومع ذلك علينا أن نقر بأنه لا توجد تكنولوجيا محايدة وعلينا آلا نجري وراء المقولات الخادعة من قبل: التكنولوجيا كبديل للإيديولوجيا والتكنولوجيا متحررة من القيم.[168]

---

[168] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، المرجع نفسه،ص 57.

إن تكنولوجيا المعلومات بفضل مرونتها الهائلة ستكون أكثر قابلية للتوجه الاجتماعي يستلزم ذلك –بداية– نظرية اجتماعية جديدة تماما نظرية لا ترى الثقافة مجرد عامل مساعد يدفع المجتمع صوب غاياته، كما في نموذج ماكس فيبر ولا تختزل الثقافة إلى ناتج فرعي لطور الإنتاج السائد كما في نموذج كارل ماركس ذي التمركز الاقتصادي، ولا تقصر دور الثقافة على كونها مؤسسة ضمن مؤسسات اجتماعية أخرى كما في نموذج إميل دوركايم.

لقد أفرزت تكنولوجيا الصناعة مجتمع الرأسمالية، ومفهوم الدولة ومؤسساتها والسؤال الآن: ما شكل المجتمع الإنساني الذي تفرزه في المقابل تكنولوجيا المعلومات؟ ويصعب بالطبع التكهن به، إلا أنه على ما يبدو سيكون –بصورة أو بأخرى– صيغة وسطى ما بين العالمية والمحلية، وما بين العام والخاص، وما بين الحكومي وغير الحكومي، وما بين المؤسسي والفردي مجتمعا عازفا عن مركزية الغدارة والسلطة والحكومات المتضخمة مفضلا عليها الغدارة اللامركزية والإنتاج الموزع والحكومات المتضائلة، مجتمعنا ينأى عن التعامل مع الكتل المتجانسة المتمثل في إنتاج الحملة والإعلام الجماهيري، وتعليم المجموعات الفقيرة منحازا إلى "اللاكتلي" في الإنتاج والإعلام والتعليم، بل ربما في أمور السياسة أيضا، وكما يقول "بيير ليفي" فإننا نواجه ظاهرة اجتماعية جديدة تماما، قاصدا بذلك الذكاء الجمعي الكتلي الذي يتضاعف بصورة أسسية مع زيادة التفاعل وزيادة معدل إنتاج المعرفة وتداولها واستهلاكها وزيادة التفاعل مع المنظومة المجتمعية، وهو يزعم أن هذه الظاهرة الاجتماعية لم يسبق للدين أو القانون أو الاقتصاد التقليدي أن تناولها. [169]

إن الحديث عن تقنية المعلومات وأثرها أو علاقتها في شكل البنية الاجتماعية الجيدة يقود إلى بلورة فكرة المقارنة بين تلك الممارسة التي قام بها الإنسان عندما نمكن من تطوير أدواته، ووسائل إنتاجه قبل 300 عام، المتمثل في الثورة الصناعية وثورة التقنيات الدقيقة المعاصرة التي تختلف عن سابقاتها فالثورة الصناعية مكنت الإنسان من التحكم بقوى الطبيعة وتطويعها لمضاعفة قواه العضلية، بينما تركز الثورة التقنية المعاصرة على توسيع القدرات الذهنية للإنسان، والتي كانت إلى وقت قريب أسيرة جمجمته فقد زادت تطبيقات تقنية الحاسوب من قدرة الإنسان الذهنية ليس فقط في مجال جمع المعلومات وتداولها، ونقلها بسرعة هائلة وجعلها تحت

---

[169] المرجعنفسه، ص 57.

متناول الجميع، وإنما سهلت، ووفرت إمكانية معالجة المعلومات، وتحليلها وإعطائها معان وأبعاد جديدة باستمرار تضاهي قدرة الإنسان إلى حد ما على التحليل والاستنتاج، وقد اتسمت ثورة تكنولوجيا المعلومات المعاصرة في الآتي:

1- مضاعفة قدرات الإنسان الذهنية.

2- تسريع تطبيق نتائج التحليل والابتكار الذهني للإنسان وتحويله غلى واقع فعلي يومي.

3- تحول المعرفة والتقنية المعاصرة إلى عنصر أساسي من عناصر القوة في عمليات الإنتاج والتنافس إن لم نقل الصراع الاقتصادي.

4- دمج قطاع الإنتاج بصورة متزايدة في المستجدات وعمليات التطوير التي تعتمد التطور المعرفي، والتطور التقني المعاصر، وقد قاد ذلك إلى تحول التقنية المعاصرة من مهارة فنية محدودة الأثر إلى مؤسسة شاملة مؤثرة لا تقتصر على البحث وإنما تشمل مهارات التطوير والإبداع وإعادة إنتاج المعرفة المنتجة.

وبتعبير آخر إن المستحدثات الإلكترونية الدقيقة وتطبيقاتها، قد شكلت أساس ثورة التقنية المعاصرة والتي قادت بدورها عبر عملية الدمج بين المستجدات التقنية المذكورة، وتطبيقات الحاسوب، ومن تم الاتصالات إلى تشكيل وإنتاج ثورة تقنيات المعلومات المتسارعة والعميقة التأثير على مجمل الفعاليات الاجتماعية المختلفة، ذلك التأثير الذي تساهم بدوره في إعادة تشكيل أنماط العمل والإنتاج، وطريقة تفكير الإنسان، وأنماط علاقاته، وكيفية تنظيم حياته العامة والخاصة في إطار النسق الإجتماعي وفق أسس جديدة تختلف جذريا عن لنمطية التقليدية السائدة، تلك التي أنتجتها معطيات الثورة الصناعية.[170]

ونضيف إلى هاته التأثيرات التي نحدثها تقنية المعلومات في البنى والمنظومات الاجتماعية بعد آخر يتمثل في إعادة تشكيل وصياغة أشكال السلطة الاجتماعية وعلاقاتها بالثروة والمعرفة.

---

[170] حميد جاعد محسن الدلمي: **علم اجتماع المعرفة**، جامعة بغداد، كلية الآداب، دار الشروق للنشر والتوزيع، بنغازي، ط1، 2002، صص 74، 75.

فظهور نظام جديد لإنتاج الثروة الذي يعتمد المعرفة أساسا له سوف لن يؤدي غلى تغيير مواقع عناصر السلطة الاجتماعية فقط، وإنما يساهم في تغيير نمط تشكل السلطة ذاتها.

فكلما كانت القوة، كانت الثروة، فقد كانت الأرض في الحضارة الأولى –الزراعية– أهم رأسمال على الإطلاق، ثم أصبحت الثروة في عصر الثورة الصناعية تكمن في المصانع والآلات والإنتاج والمواد اللازمة له، أما اليوم فإن الثروة تعتمد بصورة كبيرة على المعرفة بدلا من الأرض والصناعة الثقيلة ويكفي الإشارة أن سبعة من أصل عشرة أغنى رجالات أمريكا بين عامي 1990 و2000 ذكرت أسماءهم مجلة (فوربس) كونوا ثرواتهم من صناعة المعلومات، والإعلام والحاسبات والاتصالات أي الذين ترتبط أعمالهم بالبرمجيات والخدمات أكثر من تلك التي تتصل بتصنيع الأجهزة والمعدات، وفي مقدمة الصناعات الأربع الرئيسية التي تشكل الصناعات الهيكلية للمرحلة القائمة والمقبلة، إضافة إلى ما سوف تحدثه من تحولات في القوى الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية تلك هي صناعتنا الحاسوب والإلكترونيات، وخاصة الاتصالية.

ويوضح الشكل التاليرقم(04) تغير مواقع التحالف بين القوى الاجتماعية عبر المراحل التاريخية.[171]

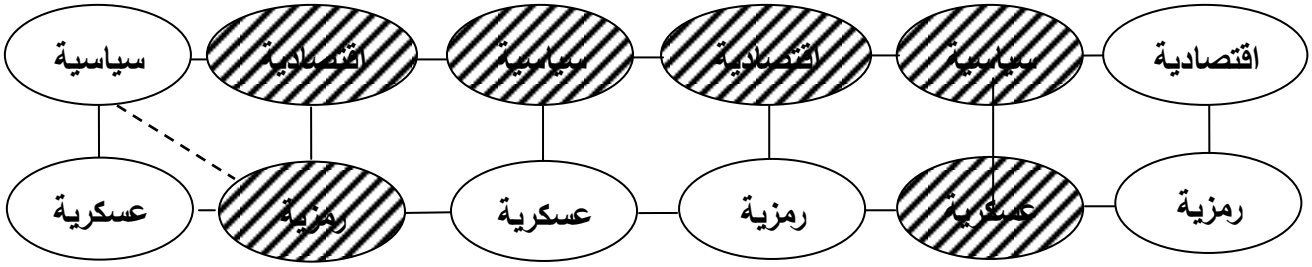

(أ) زراعي(إقطاعي) (ب) صناعي (رأسمالي) (ج) معلوماتي (مابعد حداثي)

وإذا كانت الثورة الصناعية قد أوجدت نظاما اجتماعيا فعالا له تقنياته المميزة، ومؤسساته الاجتماعية، وقنواته الإعلامية التي ارتبطت مع بعضها بقوة فإن أسلوب الحياة الذي تشترطه الثورة المعلوماتية والتقنية المعاصرة يكون مغايرا بشدة، لما أحدثته الثورة الصناعية التي تستند

---

[171] المرجع نفسه، ص 72.

على أسس من مصادر الطاقة المتنوعة، والقابلة للتجديد وعلى نهج إنتاجي يقضي على معظم خطوط التجميع في المصنع وعلى أسس جديدة لافورية، وللحضارة الجديدة رموز سلوكية جديدة تتجاوز المعايرة والمزامنة، والمركزية ، وتتجاوز أيضا التركيز على الطاقة والمال والسلطة، وتتمثل في:

1- إعادة تشكيل البنية الاجتماعية.

2- إعادة هيكلة أسس وبنية الوعي الإنساني.

3- إعادة تشكيل البنية التنظيمية للمؤسسات الاجتماعية.

4- إعادة صياغة اشتراطات العلاقات الاجتماعية، الإنسانية بين الأفراد، الجماعات، القوميات، الأديان، الفئات المهنية، العائلة، الأعمار المختلفة وأكثرها حضورا، أنماط العلاقات الثقافية بين الشعوب والأمم. [172]

وعن علاقة تكنولوجيا المعلومات بالمنظومة الاقتصادية:

تبرز أهمية المعلومات اقتصاديا في ضوء تعدد الأدوار الاقتصادية لها، فالمعلومات سلعة اقتصادية وخدمة اقتصادية وبرامجها وبنوك بياناتها ومحتواها بمنزلة أصول اقتصادية، وذلك على كون المعلومات موردا حيويا مساندا لجميع الأنشطة الاقتصادية الأخرى، لقد أدت تكنولوجيا المعلومات وفيضها الزائد إلى زيادة فيض الإنتاج بالتالي، مما أدى بالبعض إلى أن يتساءل هل أصبحت الرأسمالية الحديثة منتجة أكثر من اللازم؟ وكما يقول محمود عبد الفضيل فإن التوسع الهائل في إمكانات الإنتاج سيصحبه تقلص فرص العمل، وارتفاع معدلات البطالة بشكل دائم مما سيؤدي إلى قصور الطلب ثم الركود والكساد الاقتصادي.

أما أهم ملامح العلاقة المعلوماتية الاقتصادية فهي حسب نبيل علي:

* الاندماجات الاقتصادية التي تتم حاليا في قطاعي المعلومات والإعلام وما ينجم عن ذلك من خلل في توزيع فرص العمل والإنتاج والإبداع إلى حد الاحتكار.

* الأمور المتعلقة بالملكية الفكرية، وتسعير خدمات الأنترنيث، خاصة فيما يتعلق بشق المحتوى، المادة الخام لصناعة الثقافة والمعلومات.

---

[172] المرجع نفسه، ص 134.

* التغيرات الجذرية المتوقعة في اقتصاديات النشر الطباعي والسينما والترفيه وتكنولوجيا المعلومات لا تتوقف عن كشف آفاق معرفية جديدة فقط بل خرجت إلينا بمفهوم اقتصادي جديد وهو اقتصاد الانتباه والتركيز والذي يهدف إلى ترشيد استخدام الإنسان لحواسبه البصرية والسمعية وقدرته على التركيز واستخدامه موارد ذاكرته القصيرة ومتوسطة المدى

وأيا كان فالعالم يتشكل اليوم بطريقة مختلفة وبقوى جديدة، الأمر الذي يعني أن الثقافة أخذت تتغير، سواء من حيث أطرها ومضامينها، أو من حيث وسائطها ومسالكها، أو من حيث آليات تشكلها، والقوى التي تسهم يف إنتاجها، واستهلاكها والمهم في ذلك أن الوسائط تؤدي إلى عولمة المعرفة، إذ هي تتيح للمرء الإطلاع على كل معارف العالم عبر الشبكات الإلكترونية التي بدأت تحل مكان المكتبات العامة.

المبحث الثالث: مظاهر العلاقة المعلوماتية ـ الثقافية :

يمكن الحديث عن نتائج العلاقة المعلوماتية الثقافية في أربع مظاهر أساسية هي :

أ –الإنترنات باعتبارها مساحة ثقافية .

تنقسم شبكات الحواسب حسب النطاق الجغرافي الذي تغطيه إلى:

– **الشبكة المحلية:**تربط بين عدد من أجهزة الكمبيوتر ضمن منطقة جغرافية ضيقة بين مؤسسة أو عدة مؤسسات متجاورة.

– **الشبكة الواسعة:**تغطي الاتصال بين عدة مدن من داخل الدولة أو بين مجموعة من الدول

وتقوم شبكات الحواسب بثلاث عمليات أساسية تحتاج إلى ثلاث مكونات أساسية:

– **وحدة الإرسال:** تعمل على إرسال البيانات والمعلومات بين أجهزة الكمبيوتر.

– **وحدة التحويل:** المودم تعمل على تحويل البيانات والمعلومات بين أجهزة الكمبيوتر.

– **وحدة الاستقبال:** هي الوحدة المسؤولة عن استقبال البيانات والمعلومات والرسائل. [173]

ومن كل ما سبق يتضح أن شبكة الحواسب مصممة لنقل المعلومات بين أجهزة الكمبيوتر فالشبكة الواحدة تتكون من عدة أجهزة كمبيوتر متصلة ببعضها يعمل كل واحد كمحطة رئيسية وبقية الأجهزة تتصل بمحطات طرفية...وهذه الشبكات متلاحقة التطور سنويا بحيث يمكن ما يعتبر اليوم حديثا يكون قديما بعد مرور وقت قصير عليه.

والفرق بين شبكة الحواسب العادية والإنترنت يكمن في أن شبكة الحواسب تعتمد على أجهزة وبرامج محددة، أم الإنترنت فغير محدودة من حيث الأجهزة وعدد البرامج وحجم المعلومات، والإنترنت ليست مجرد شبكة حواسب دولية بل مجموعة من الشبكات والحواسب الجزئية تصل إلى أكثر من 60000 شبكة حواسب منتشرة عبر العالم، يرتكز حوالي 60% من مجموع هذه الشبكات بالو.م.أ 26% بأوروبا، 14% بباقي دول العالم من ضمنها الدول العربية. (174)

---

(173) عبد المالك ردمان الدناني، مرجع سبق ذكره، ص 57.

(174) أرنوددوفور، ترجمة منى ملحس : **زدني علما إنترنت**، الدار العربية للعلوم، بيروت،ط1، 1998، ص 11 .

جدول رقم (05) يوضح تركيبة شبكة الإنترنت:

المعلومات	حواسب	اتصالات
صحف، مجلات، نشرات، وكتب إلكترونية، قواعد بيانات، بنوك معلومات، مواد سمعية بصرية ومكتوبة وتسجيلات فيديو.....	مكونات وتجهيزات مادية ملحقات وبروتوكولات، نظم وأدوات اتصال أخرى	معدلات ذات سرعة عالية مودم، خطوط هاتفية خارجية لمقدم الخدمة وداخلية للمشتركين أقمار صناعية ووسائل وتقنيات ووسائل اتصال أخرى

من خلال هذه التركيبة نستخلص أن الإنترنت مجموع حواسب منتشرة جغرافيا حول العالم مرتبطة بشبكات موسعة بهدف نقل البيانات عبر العالم. [175]

نشأة وتطور الإنترنيت وآلية عملها:

جاءت نشأة شبكة الإنترنيت نتيجة بحوث وزارة الدفاع الأمريكية الهادفة لوضع شبكة اتصالات لها القدرة على الصمود أمام الهجمات المحتملة وكانت البداية بإنشاء وكالة مشاريع الأبحاث المتطورة أربانات وكان الشكل الأول للإنترنيت يتشكل من أربعة حواسب تم تركيبها بأربع مراكز علمية:

- جامعةutoh بيانتا باربارا.
- جامعة كاليفورنيا بلوس انجلس.
- معهد ستانفورد الدولي للأبحاث.
- معهدMit يعد من المعاهد الرائدة في مجالات تطوير الذكاء الاصطناعي.

وفي عام 1972 تم توصيل الشبكة بـ 72 جامعة ومركز بحث تعمل في مشاريع خاصة بوزارة الدفاع الأمريكية، نهاية عقد التسعينات تم تطوير جملة من القواعد والنظم لتبادل

---

[175] إبراهيم قندلجي: **شبكة الإنترنيت وتطبيقاتها في المكتبات ومراكز المعلومات**، بغداد، المجلة العراقية للمعلومات، مجلد3، عدد1، 1997، ص7.

المعلومات عبر الشبكة تعرف بالبروتوكولات والتي استخدمت بعد ذلك للربط بين الشبكات المترابطة.

- سنة 1983 انفصلت الشبكة إلى جزأين:
- ARPA NET: أنشأت لغرض مهمة الاتصالات غير العسكرية.
- MIL NET : الشبكة العسكرية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية. [176]

التطور التاريخي للشبكة:

سنة 1965: أمر الرئيس الأمريكي إيزنهاور بإيجاد قاعدة بيانات وتأمين عدم إتلافها إذ قامت حرب نووية وسنة 1969 تم إنشاءARPA NET وسنة 1971 تم ربط 15 جامعة بالشبكة بما فيها NASA.

- 1972: عقد أول مؤتمر دولي للاتصالات عبر الكمبيوتر وظهور خدمة البريد الإلكتروني وعام 1973 انضمت بريطانيا والنرويج إلى الشبكة.
- 1979: ظهور خدمة المجموعات الإخبارية يوزنات.
- 1982: ظهور بروتوكولTCP/IP .
- 1984: إدارة أربانات من قبل مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية NSF.
- 1985: ارتفع عدد مراكز المعلومات المرتبطة بالشبكة إلى 2000 مركز وإلى 55000 مركز عام 1988.
- 1989: تم ربط كمبيوسرف بالشبكة لتصبح أول شبكة تجارية على الإنترنيت.
- 1990: تم فصل أربانت من الخدمة ودخلت NSF NETإلى الإنترنيت.
- 1991: ظهور خدمة البحثWAIS وأول نسخة من GOPHER ومند علم 1992 بدأ البحث بواسطة WWW.
- 1993: توفير إمكانية نقل الصور عالية الجودة والصوت عبر قنوات اتصال فائقة السرعة، ومند عام 1994 بدأ تطور الاستخدام الشخصي للإنترنيت بشكل مستمر إلى يومنا هذا. [177]

---

[176] عبد المالك ردمان الدناني، مرجع سبق ذكره، ص 56.

[177] المرجعنفسه، ص 57.

وشهدت فترة الثمانينات استخدام الإنترنيت من قبل الجامعات الأمريكية تلتها الجامعات الأوروبية والأسيوية، ثم ارتبطت أخرى من فرنسا اليابان وبريطانيا وشهدت أكبر توسع لها خلال التسعينات مند 1993 ليفوق عدد مستخدميها 300 مليون مستخدم مند 2000 متصلين بأكثر من 800.000موقع واب، وتضم الشبكة اليوم أكثر من 33 مليون مستخدم تغطي أكثر من 180 دولة وتعرف المزيد من التوسع بشكل يومي. [178]

وحسب إحصائيات شهر جويلية 2002 وصل عدد مقدمي خدمة الإنترنيت إلى 163 مليون مقابل 147 مليون شهر جانفي من السنة نفسها ويتم خلق أكثر من 44000 موقع واب يوميا. [179]

لذا تعد الإنترنيت اليوم واحدة من الوسائط الفعالة في الكشف عن المعلومات وتقديمها أينما كانت بسرعة عالية، وعرضها على المستخدم من خلال محركات البحث والاستعانة بالعناوين والمواقع... وتتميز عن باقي وسائل الاتصال بالمرونة والتفاعلية إلى جانب اعتبارها وسيلة الاتصال الأحدث والأكثر تقدما وتعد أيضا بمثابة مكتبة بلا جدران ومنتدى عالمي لتبادل الأفكار والمعلومات ويعود تطور الشبكة أساسا إلى:

- تعدد وسائط الاتصال عبرها بالنص والصوت والصورة.
- ما تحويه من حجم ضخم وغير محدود من المعلومات والبيانات.
- إمكانية اختزان المعلومات ونشرها وإتاحتها لكل المشتركين فيها.

لم تأت شبكة الإنترنيت من عدم، فهي اتكأت حتما على ما استجد في قطاعي الاتصالات والمعلوماتية، لكنه لم يكن لها أن ترى النور لولا توفر سلسلة من الظروف، إذ لم تكن أسست لهيكلها العام فقد شرعت بالتأكيد في ولادتها.

ومن الثابت أن ظروف الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وتسابقها بغرض امتلاك ناصية تكنولوجيا الفضاء إنما دفع و.م.أ بداية ستينات القرن الماضي إلى إقامة نظام

---

[178] فرانسوا نيكلي و نيكول ماركيز: **وسائط الاتصال المتعددة** ، عويدات للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت ،ط1، 2001، ص 33.

[179] فاطمة دبوسي: **حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية**، الملتقى الدولي " حقوق المؤلف والحقوق المجاورة" ، ماي 2004، جامعة الجزائر، ص ص 30، 31.

الاتصالات غير قابل للاهتزاز أو التدمير حتى في حالة هجوم نووي من قبل الطرف الآخر، وعلى هذا الأساس فتصميم ذات النظام على أساس تكنولوجيا التحويل "بالرزم" جعلها في استقلالية عن مراكز القيادة والتحكم على اعتبار أن أحداث الرسائل تبحث لنفسها وبطريقة تلقائية على نظام مرورها الخاص بالخطوط وتتجمع بطريقة منتسقة بأي نقطة من الشبكة دومنا تدخل بشري مباشر، وعندما مكنت التكنولوجيا الرقمية فيما بعد من وضع كل أنواع الرسائل على شكل رزم (بما فيها الصوت والمعطى (المحتوى) والصورة) تكونت الشبكة التي أصبح بمقدورها إرسال كل أشكال الرموز دون اللجوء إلى أي مركز كان للمراقبة، فعالمية اللغة الرقمية والمنطق الخالص الهادف إلى تحويل نظام الاتصالات إلى شبكة، إنما خلقت الظروف التكنولوجية لتواصل أفقي كوني.

وعلى الرغم من قيام المؤسسة العسكرية على الشبكة (سيما وكالتها في مشاريع البحث المتقدمة) واحتكارها لوظائفها فإن العلماء بدأوا في استخدامها مند بداية السبعينات من القرن الماضي مكسرين بذلك الحاجز القائم إلى حينه بين البحث ذي الأهداف العسكرية والبحث العلمي الخالص وليفتحوا في ذلك المجال فيما بعد لبروز شبكتين: الأولى خاصة بالاستعمالات العلمية والثانية للاستعمال العسكري البحث، لكنها تعمل مجتمعة مند أواسط الثمانينات تحت مسمى واحد هو الإنترنيت.

وتعد شبكة الإنترنيت أكبر شبكة للحواسيب، فهي تربط الملايين من أجهزة الكومبيوتر حيث قدر عدد الحواسيب المرتبطة بها سنة 2000 بـ 400 مليون كما تربط عدة آلاف من الشبكات أهمها شبكة ويب العالمية WWW، وقدر عدد مستخدمي الإنترنيت سنة 2000 بـ 242 مليون مستخدم ومن المتوقع أن يبلغ هذا العدد نحو 765 مليون مستخدم سنة 2005 وفيمايلي جدول يبين اكبر عشرة دول مستخدمة للإنترنيت على المستوى العالمي سنة 2002:

2002 (العدد بالمليون شخص)		
عدد المستخدمين	**الدولة**	**الترتيب**

154,6	و.م.أ	1
32,9	ألمانيا	2
23,3	اليابان	3
23	بريطانيا	4
23	فرنسا	5
13,2	إيطاليا	6
12,3	كندا	7
9,4	الصين	8
7,6	هولندا	9
5,8	أستراليا	10

جدول رقم :(06)

بينما تتمثل نسبة المستخدمين للإنترنيت في الدول العربية بالمقارنة مع نسبة المستخدمين في العالم 0,6% وقدر عدد مستخدمي الإنترنيت في الجزائر سنة 2002 بـ 500.000 خمس مائة ألف مستخدم. [180]

احتياجات الربط والاتصال بالإنترنيت:

تعد الإنترنيت نقطة ربط بين الاتصالات وتبادل المعلومات يتحقق من خلالها الهدف الأساسي من عملية الاتصال هو المشاركة في الأفكار، المعاني والمعلومات باعتباره نشاطا فكريا يستهدف أساسا نشر هذه الأفكار.[181]

ويمكن الاتصال بشبكة الإنترنيت من خلال أربعة وسائل تختلف فيما بينها والفرق لا يكمن بين كل منها إنما يكمن في مدى سرعة نقل البيانات عبرها وفي نوعية البيانات التي يتم

---

[180] يوسف حسن يوسف: **الاقتصاد الإلكتروني**، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط1، القاهرة، 2012، صص 26، 27.

[181] حسن عماد مكاوي و محمود سليمان علم الدين: **تكنولوجيا المعلومات والاتصال**، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ط1، 2000، ص 231.

التعامل معها والبروتوكول المستخدم في النقل سواء كان الاتصال دائم أو مؤقت وهذه الوسائل هي:

- **الاتصال الدائم المباشر:** يقتصر على الجامعات والشركات الكبر ويتاح من خلال مقدمي خدمة الإنترنيت التي تكون هذه الجامعات مشتركة بها.
- **الاتصال المباشر عند الطلب:** هذا النوع اقتصادي ويتيح الحصول على خدمة ممتازة شرط أن يكون المودم فائق السرعة ويستعمل بشكل فردي في أغلب الأحيان.
- **الاتصال الطرفي الهاتفي:** يتم من خلاله الربط بأحد مقدمي الخدمة ويمكن من خلاله استخدام كافة خدمات الإنترنيت وجميع برامجها.
- **الاتصال البريدي:** يمكن من خلاله إرسال واستقبال البريد الإلكتروني فقط ويعد الأقل تكلفة من حيث قيمة الاشتراك وتكاليف الاستخدام.

ومن الناحية الفنية يجري إرسال المعلومات عبر شبكة متصلة من الحواسب الموجهة وفق بروتوكولات محددة، ويتم النفاد للإنترنيت عن طريق مزود محلي بخدمة النفاد تكون لديه مجموعة حواسب مخدمة مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر عبر عقد إنترنيت في بلد مجاور، أو عن طريق قناة اتصال رئيسية يقوم المزود بتجزئتها وإعادة بيع الأجزاء لطالبي النفاد. [182]

ومؤخرا تم تطوير الاتصال بالشبكة عن طريق بطاقات صغيرة توضع بجهاز الكمبيوتر وبها يتصل الشخص مباشرة بالإنترنيت عبر الأقمار الصناعية في زمن لا يتجاوز 14 ثا. [183]

وتستخدم الإنترنيت خطوط الهاتف المحلية والدولية كبنية تحتية لعملها لغرض الاتصال بين الأجهزة المتصلة بها وأصبحت في الوقت الحاضر أسهل استخداما فالبرامج تغيرت بشكل كبير والإجراءات التي كانت معقدة أصبحت الآن في منتهى السهولة والاتصال بها متاح لكل فرد يتوفر له:

- مؤسسة لتقديم خدمات الاتصال بالبلد حيث يقيم.

---

[182] فاروق حسين: **الإنترنيت الشبكة الدولية للمعلومات**، بيروت، دار الراتب الجامعية، ط1، 1997، ص 28.

[183] مجد الهاشم: **الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل**، عمان، دار المستقبل للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 73.

- جهاز كمبيوتر.
- جهاز معدل داخلي أو خارجي مودم وخط هاتفي.

وتعمل بعض الشركات على استحداث طريقة جديدة لربط الأفراد بالشبكة بالاعتماد على الأسلاك الكهربائية بدلا من خطوط الهاتف، وسوف تزيد هذه الطريقة من سرعة الاتصال بثلاث مرات عن الطرق الحالية ويعني ذلك تقديم خدمات الإنترنيت أكثر انتشارا لكل فرد. [184]

الإنترنيت كمساحة ثقافية:

ليس ثمة شك أن الشبكات الإلكترونية وفي مقدمتها شبكة الإنترنيت دشنت حقا مرحلة جديدة من التطور الإنساني تراجعت فيها إلى حد الالتصاق ثنائية الزمن والمكان وطالت التعرية جراءها العديد من المفاهيم والتمثلات والتصورات، والواقع أن شبكة العنكبوت التي انفردت الإنترنيت –دون سواها من مستجدات تكنولوجية سابقة– بتوسيعها لدرجة تغطيتها شتى أنحاء المعمورة، لا تتميز فقط بكونها وفرت شروط تقنية لربط ملايين الحواسيب ببعضها البعض أو بكونها كانت وراء بروز بروتوكولات جديدة في الاتصال، ولكن أيضا وبالأساس لأنها نجحت في دمج مختلف شبكات الإعلام والاتصال التي كانت إلى وقت قريب مستقلة ومتنافرة إلى حد ما. (185)

والمعروف أن شبكة الإنترنيت في شأنها كما في مختلف مراحل تطورها إنما حملت صفات كثيرة من "الثقافة" العسكرية التي كانت ثانوية خلفها لكنها حملت في الآن ذاته تطلعات العلماء لإيجاد صيغ للتواصل والتحرر من سلطة الحاسب الشخصي المتعلق التي كانت سائدة في بداية ظهور الإنترنيت وهو ما أكسبها صفات الليونة والمرونة والانفتاح والتطلع إلى أن تغلب الطابع الجماهيري على احتكار النخب التي تشتغل في مجالات علمية محددة وعلى هذا الأساس لم تعد شبكة الإنترنيت اليوم حكرا على نخبة أو حصرا على شريحة بل أصبحت مكمن إقبال شديد من لدن المتخصصين كما من قبل عامة الناس سواء بسواء.

والسر في تطورها السريع وانتشارها العالمي لا يرتبط قط بطبيعتها غير الممركزة وانفتاح تصميمها وهيكلها، ولكن أيضا لأنها كانت ومند البدء مكمن رهانات اقتصادية وجيو سياسية

---

[184] المرجع نفسه، ص 74.

[185] يحيى اليحياوي: **كونية الاتصال، عولمة الثقافة**، مرجع سبق ذكره، ص 112.

كبيرة، جعلت الفاعلين في قطاع المعلومات والاتصال والنشر وغيرهم يلجأون إليها بطريقة أو بأخرى.

ولئنكان الجانب الثقافي آخر المفكر فيه إبان تصميم الشبكة كما طيلة مراحل تطورها. فإنه أضحى مع الزمن أحد الأبعاد المركزية التي غالبا ما لا تستحضر في هيمنة الجانب التجاري والاقتصادي والمالي على ما سواه. (186)

ومن غير المبالغ فيه عندما نؤكد أن شبكة الإنترنيت أسست منذ البداية لانبعاث اقتصاد جديد مرتكز عل إنتاج وتداول واستهلاك المعلومات والمعطيات لا يبرز فيها المكون الثقافي إلا رافدا من روافدها ليس إلا، والواقع أن البعد الثقافي بالإنترنيت لربما هو من بين المواضيع النادرة التي كانت منار جدال كبير دو نما تفكيك عميق لمكونات ذات البعد أو استشفاف طبيعته على خلفية من الدراسات الميدانية المدققة، ومعنى هذا أنه لو سلمنا بإمكانية خدمة الإنترنيت للمسألة الثقافية سيما عندما يفتح لها المجال للتجميع والتخزين والاستغلال والتوزيع، فإنه لا يساهم في خلقها أو ابتكارها، وبالتالي فهي أداة لترويج الثقافة ليس إلا، ولا تبدو شرطا من شروط إنتاجها أو إعادة إنتاجها، ومعناه أيضا بالمعطيات المجردة أن الشبكة في وضعها الحالي إنما تعبر عن حاجيات قد لا يبدو معها للثقافة من مكان يذكر ويقول "مانويل كاستيل" في هذا الصدد: " إن استعمالات الإنترنيت في الغالب الأعم إنما هي ذات طبيعة نفعية ومرتبطة بالعمل، بالعائلة، أو بالحياة اليومية للمبحرين" فالبريد الإلكتروني يمثل 85% ويستخدم بالأساس لتلبية حاجات ومهام ذات طبيعة مهنية أو تطبيقية ولإبقاء التواصل مع العائلة أو مع الأصدقاء في الحياة الواقعية.

لكن لو تم للمرء التسليم، من الماحية العملية الخالصة، بأن الإنترنيت هي رافعة الثقافة الافتراضية، فإنه سيتم له التسليم بتحصيل حاصل، أنها تخدم الثقافة بامتياز تخدمها عبر خلقها لفضاء رمزي لها في التداول وتخدمها عبر سبل الترويج التي تمنحها إياها متجاوزة بذلك إكراهات الزمان والمكان. (187)

وكما هي العادة في كل التكنولوجيات المؤثرة في صياغة المجتمع الإنساني، ينصرف الحديث –في البداية– إلى جوانبها الفنية والتي سرعان ما تتوارى لتبرز جوانبها الإجتماعية

---

(186) المرجع نفسه ،ص114.

(187) المرجع نفسه، صص 116، 118 .

والثقافية، وكان من الطبيعي أن تكون "الإنترنيت" أسرع مما سبقها في نزع قناعها التقني، لتكشف عن مغزاها الثقافي بصفتها ساحة ثقافية في المقام الأول بجانب كونها بنية تحتية لصناعة الثقافة، وكيف لا وشبكة الإنترنيت تتعامل مع جميع عناصر المنظومة الثقافية سواء بوصفها أي الثقافة– تراثا قوميا أو بوصفها إبداعا وتعبيرا أو بوصفها منتجة للسلع والخدمات والأصول الرمزية إضافة إلى ذلك فالشبكة تساهم في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية وتلعب دورا حيويا في تكامل منظومة الثقافة من منظومات التربية والإعلام والاقتصاد والأهم من ذلك كله أن هذه البنية المعلوماتية الجديدة توفر –وربما لأول مرة– بيئة مثالية لحوار الثقافات والتهجين الثقافي.

وكما كان شاغلنا في الماضي هو العلاقة بين التنمية والبيئة، وكيف يحمي التنوع البيولوجي من الانقراض بسبب التطبيق الأعمى لتكنولوجيا الصناعة دون مراعاة لآثارها الجانبية، أصبح شاغلنا الآن هو كيف نحمي "التنوع الثقافي" هو الآخر من الانقراض بسبب إساءة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال وهيمنة "القطب المعلوماتي– الثقافي" الأوحد ونقصد به و.م.أ وهيمنة لغتها الإنجليزية وثقافاتها الجماهيرية على لغات العالم وثقافاته.

لقد باتت هذه القضية هي شاغل الجميع بعدما اتضح ما لوسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها شبكة الإنترنيت من إمكانات تؤهلها لتصبح أمضى أسلحة الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية بل والأمنية أيضا.

لقد جثم هذا الهاجس المخيف على المؤتمر الذي عقدته منظمة اليونسكو حول الثقافة والتنمية في مارس 1998 بمدينة "استوكهولم" والذي خلص إلى ضرورة النظر إلى تكنولوجيا المعلومات من منظور ثقافي تنموي وضرورة تكاثف الشعوب والأمم من أجل التصدي لظاهرة التجنيس الثقافي الجارية حاليا على قدم وساق. [188]

ولو أراد المرء أن يحصر الطبيعة الثقافية لشبكة الإنترنيت لوقفت عند ثلاثة مستويات كبرى هي:

أ– **المستوى الأول:** يحيل حتما إلى خاصية التبادل التي تدفع بها الشبكة وتجعل منها فضاءا تجاريا خالصا إذا لم يكن بالاقتناء المباشر، فعبر خلق الحاجة إلى الاقتناء.

---

[188] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سبق ذكره، ص ص124 ،125.

ب- المستوى الثاني: يتعلق بـ "ثقافة السرعة" التي تقدمها الشبكة على ما سواها إذ لم يعد المقياس بالشبكة محصورا على قيمة الارتباط بقدر ما أضحى لصيقا بسرعة ذات الارتباط في الزمن كما في المكان.

ج- المستوى الثالث: ويتمثل في سلوك الاستهلاك الذي يتراءى للمرء من خلال الإبحار في معظم مواقع الشبكة والمتمظهر في ضخامة حجم الإعلانات المتزايدة بها ومستويات الإقتناء المترتبة عنها.

وهناك من يقول بأن شبكة الإنترنيت لا تحيل على الثقافة أو على المعارف بقدر ما تحيل على السوق وعلى مبادئ اقتصاد السوق. [189]

- التعدد اللغوي على شبكة الإنترنيت.

"يوجد على الشبكة العالمية للمعلومات حوالي 172 مليون شخص من الناطقين باللغة الإنجليزية و163 مليون شخص من غير الناطقين بها".

"اللغة الأم لدى 50,4% من مستعملي الشبكة هي لغة غير الإنجليزية".

"وتتضاعف خطوط مستخدم الشبكة أربع مرات ليتضح في موقع يستخدم لغة الأم" كما "تتطلب الاستفادة من موقع بواسطة الترجمة ضعف الوقت الذي تتطلبه الاستفادة من موقع مماثل بدون ترجمة" ويكون الاستقبال في حوالي ثلث عدد المواقع بلغة غير اللغة الإنجليزية"، كما "يوجد حوالي ثلث عدد الأمريكيين لا يستعملون اللغة الإنجليزية في بيوتهم".

"ويلج الإنترنيت أكثر من 100 مليون شخص بلغة غير اللغة الإنجليزية وتضيف إحصائيات منظمة اليونسكو أنه "إلى حدود العام 2004 يتوقع أن تتم 50% من عمليات البيع الإلكتروني خارج الو.م.أ" كما يتجاوز عدد المشتركين في البريد الإلكتروني خارج و.م.أ عدد المشتركين فيه داخلها، ففي نهاية العام 2000 بلغ مجموع عدد الصناديق البريدية في العام 891,1 مليون صندوق، وهذا عدد ضخم أي بزيادة تصل إلى 67% بالنسبة لسنة 1999، وقد بلغ عدد المشتركين من خارج و.م.أ في العام 2000 أكثر منت 451 مليون مشترك.

وتشير الإحصائيات نفسها إلى أن "43% من مستخدمي الإنترنيت لا يتكلمون اللغة الإنكليزية مطلقا".

---

[189] يحي اليحياوي: كونية الاتصال، عولمة الثقافة، مرجع سبق ذكره ، صص 121، 122.

ومند أواخر التسعينات أصبح الجميع منشغلين بضرورة تنمية التعدد اللغوي على شبكة الإنترنيت، ولربما أصبح الاهتمام منصبا اليوم على إيجاد ممرات للتواصل بين المجموعات اللغوية من اجل تشجيع تداول ما يكتب بلغات أخرى. [190]

في العام 2000 تجاوزت نسبة مستخدمي الشبكة العالمية غير الناطقين باللغة الإنجليزية 50% من إجمالي عدد الذين يستخدمونها وهي نسبة تتزايد باستمرار فقد فاقت 60% في مارس 2003، و63,5 في صيف 2003، و 64,2% في شهر مارس 2004.

ويقول "راندي هوبلر" الخبير في تسويق منتجات وخدمات الترجمة على الإنترنيت مايلي: "بما أن الإنترنيت ليست له حدود وطنية، فمستعملو شبكة الإنترنيت ينتظمون وفق المعايير الخاصة بهذا الوسيط"، ويطلق "هوبلر" على كل هؤلاء الذين يمكن تصنيفهم وفق لغتهم الأم وبغض النظر عن موقعهم الجغرافي إسم" الأمم اللغوية".

- **اللغةالإنجليزية:**

باعتبارها أهم لغة في المبادلات الدولية تظل كفة اللغة الإنجليزية راجحة ويظهر أن هذا الأمر لن يتغير عما قريب، يرى "مارسيل جرانجي" مسؤول الشعبة الفرنسية في المصالح اللغوية المركزية لدى الحكومة الفيدرالية السويسرية أن رد الفعل لا يكمن في "الكفاح ضد الإنجليزية" بل في مضاعفة عدد المواقع بلغات أخرى، وعدد المواقع المتعددة اللغات.

ويشدد "هنري شليثنهار" أستاذ تكنولوجيا الاتصال في جامعة "ويستر" بجنيف، على ضرورة إيجاد المواقع المزدوجة اللغة قائلا" يتعين على المجتمعات المحلية المتواجدة على الشبكة العالمية أن تستخدم لغتها لنشر المعلومات، وإذا أرادت تقديم هذه المعلومات للمجتمع الدولي يلزم أن تعرضها كذلك باللغة الإنجليزية، إنني أفضل قراءة النص الأصلي بصعوبة بدل قراءة ترجمة رديئة". [191]

---

[190] منشورات منظمة اليونسكو، ترجمة علال الإدريسي: **التنوع الثقافي واللغوي في مجتمع المعلومات**، ط1، 2005، ص 31.

[191] المرجع نفسه، ص ص 36، 37.

ترى "زينا شوناك" وهي مهندسة للدراسات في"ATLF " "التحليل والمعالجة المعلوماتية للغة الفرنسة" أن أفضل وسيلة لنمو التعدد اللغوي قد تكمن في منح حصص للغات على الإنترنيت.

- اللغة الفرنسية على الشبكة:

يعمل بعض الرواد مند أواسط التسعينات من اجل تنمية اللغة الفرنسية على الشبكة ومنهم على سبيل المثال " جون بيار جلوتي" و "أوليفيبوجرو" فقد انشأ "جلوتي" وهو صحفي من "الكيبيك" موقعا للأخبار الأسبوعية سماه "أخبار سيبيري" ويقول: " في بداية الأمر اهتمت Les chroriques" بالمواقع والبرمجيات الجيدة باللغة الفرنسية على وجه الخصوص، لكننا أخذنا نعالج بشكل تدريجي المسائل الكبرى التي لم يتم تناولها في الشبكة ثم أضفنا إليها بعض الجوانب من الأخبار الوطنية والدولية في الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية".

وبعد سنتين أنشأ "أوليفيبوجرو" وهو مكتبي فرنسي موقعا سماه " Les bibliothequeelectronique de lisieux" التي تعد من اولى المكتبات الرقمية الفرنكوفونية.

ويذكر "ريتشارد شوتان" الأستاذ بالمدرسة العليا للأعمال بمدينة لبل أن تفوق اللغة الإنجليزية قد حل محل غلبة اللغة الفرنسية في القرنين الثامن والتاسع عشر المشكل سياسي، وإيديولوجي إنه مشكل إمبريالية اللغة الإنجليزية الناجم عن الإمبريالية الأمريكية ، فعندما لا يحتاج المرء إلى بذل جهد ليفهمه الآخرون فإنه لا يكلف نفسه مشقة لذلك، بل يبذله الآخرون.

وينتظر أن تصبح فرنسا القوة الأوروبية الثالثة على الإنترنيت، حيث يوجد أكثر من 9 ملايين مستعمل جديد في المملكة المتحدة وألمانيا وفرنسا حسب دراسة نشرتها (Noprecearch group) وقد سجل السوق الفرنسي أسرع نسبة للزيادات قدرت بـ 47% في العام 2002.

اللغات الصينية والألمانية والإيطالية واليابانية:

قدر تقرير "أسيا الإلكترونية" أن عدد المستعملين الناشطين للإنترنيت في الصين ربما سجل نموا بنسبة 75% ما بين سنتي 1999 ونهاية 2003 وانتقل من 2,5 إلى 21 مليون مستعمل، والمنتظر أن يتجاوز نمو عدد المستعملين في الصين والهند مثيله في اليابان تقريبا، بينما يوجد حوالي 15,9مليون مشترك على الشبكة في ألمانيا، وخلال الستة أشهر التي سبقت فيفري 2000 سجل السوق الألماني زيادة تصل إلى 50%وحسب BetweenIct Brokers بلغ

عدد المستعملين للإنترنيت في إيطاليا 10 ملايين شخص في أفريل 2000، وفي تقرير نشرتهAccess media International أن عدد المستعملين للإنترنيت في اليابان يبلغ 19,4 مليون شخص ويمثل هذا العدد قدرها 128,8%بالنسبة لسنة 2002.

في سنة 1999 شارك "روبير بيرد" في إنشاء موقع Yourdictionary. com، وهو بوابة مرجعية لكل اللغات وبدون استثناء، مع تخصيص شعبة مهمة للغات المهددة، ويقول: "اللغات المهددة هي بالأساس لغات غير مكتوبة" ويضيف قائلا "الثلث فقط من أصل زهاء 6000 لغة في العالم تكتب وتنطق بيد أنني لا أعتقد أن الإنترنيت سيساهم في صياغة هوية اللغات، بل إنني أشعر بأنه سيعزز هذه الهوية على المدى البعيد فعلى سبيل المثال نجد أن عددا متزايدا من هنود أمريكا يتصلون بعلماء اللغة ويطلبون منهم صياغة قواعد النحو للغتهم ومساعدتهم على إعداد المعاجم، فبالنسبة لهم يعتبر الإنترنيت أداة سهلة الاستخدام وثمينة جدا للتعبير الثقافي في الوقت نفسه. [192]

ب-مجتمع المعلومات

"المجتمع المعلوماتي" أو مجتمع المعلومات مصطلح انتشر في الغرب وأمريكا أساسا وهو بمثابة استمرار للنظريات التي أفرزت مصطلحات المجتمع الصناعي وما بعد الصناعي، وأساس التسمية هو تفاؤل تكنولوجي بالقدرة على حل كثير من المشكلات الاجتماعية المستعصية باستخدام المعلومات عدا الجانب الوصفي يقنن ويدشن انتشار "الحوسبة" و "الإعلامية" موضوعيا ويتحللها النسيج الاجتماعي ككل.

وغالبا ما يلفت الانتباه التركيز على التجربة اليابانية التي تقدم كمثال متقدم على المجتمع المعلوماتي الناشئ إذ هناك بالفعل برنامج لبناء المجتمع المعلوماتي في اليابان، وهو برنامج طموح يهدف إلى خلق وتطوير بنية اجتماعية- معلومية متميزة تشمل الإنتاج والتوزيع والنقل والخدمات والإدارة والتعليم والمعيشة، وهذه البنية الاجتماعي- المعلوماتية تتخلل الشبكات "النيليحاسوبية" بحيث يتمكن الناس عبرها من حل مشكلاتهم المهنية والخاصة بواسطة الاتصالات المباشرة، وهناك سياسة قومية في اليابان لخلق وإنشاء "صناعة المعارف" وكذلك مشروعات لإصلاح تطور الدولة الاجتماعي والتي تشمل منظومات إعادة تأهيل القوة العاملة

---

[192] المرجع نفسه، صص 40، 41.

وإعادة توزيعها...بحيث يتحول المجتمع في مراحله العليا– كما يرى "يونجيماسودا" وهو احد قادة البرنامج المذكور– إلى مجتمع استهلاكي ومرفه من الدرجة الرفيعة، وبعد ذلك يجري حل كافة المشكلات الشخصية –حسب هذا الاعتقاد– ومتطلباتها في الإبداع والتحقق الذاتي عن طريق الاستخدام العالمي الكوكبي للمعلومات. [193]

وفي كتاب المؤلف الأمريكي "أ توفلر" "الموجة الثالثة" سنة 1980 اعتبرت الحوسبة (وسعة انتشار الكمبيوتر) وما يرتبط بذلك من آثار وتأثيرات تغييرية في جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية إحدى المعايير المفتاحية للتقدم العلمي التقني ،إذ يعتقد "طوفلر" بقدرتها الخارقة على حل مشكلات كثيرة معقدة في المجتمع الأمريكي والغرب عامة، كما نجد طروحات متشابهة "لأطروحات" "ألفين طوفلر" في كتاب "جون ناسبت" التوجهات الأساسية عشرة اتجاهات جديدة تحول حياتنا الصادر سنة 1982، وهو يحتوي على تهويلات وتعميمات مبالغ بها بالاعتماد على التجربة الأمريكية وعلى مجرى الثورة الحاسوبية فيها أساسا.

أما نادي "روما" الذي اشتهر بتنظيراته ونماذجه وتقاريره العالمية حول الإشكالية العالمية ومستقبلها على مدى السبعينات بصورة خاصة فقد أدلى بدلوه هو الآخر في بحث الإشكالية العالمية الجديدة هذه بأحد تقاريره المخصصة لتحليل الجوانب التكنولوجية والاجتماعية للثورة المعلوماتية مالها وما عليها فكان التقرير بعنوان" الإلكترونيات الدقيقة والمجتمع للفرح ام للبلاء" سنة 1982، وفي التقرير تقييم وتقويم أكثر واقعية لثورة الكمبيوتر.

ومن الأشكال والتعبيرات القصوى عن الانبهار بالحواسيب بعض حالات الثقة العمياء بتفوق الآلة والذكاء الاصطناعي على العقل والذكاء البشري، والإيمان بقدرته على حل كافة الإشكالات والمشكلات البشرية، وقد تسربت اعتقادات وقناعات من هذا النوع إلى بعض قادة المجتمع الغربي وبعض الأخصائيين والعلماء حيث يركز الإيمان هنا على أنه بمساندة نمدجة المنظومات الاجتماعية المعقدة على الحواسيب يمكن الإجابة على مسائل تواجه الحضارة المعاصرة، ولاسيما المسائل الأكثر استعصاءا على الحل، لكن في الطرف المقابل يقف جمهور من الأخصائيين وقادة المجتمع ممن يؤكدون أن الإنسان وعقله يبقيان خلف سائر عمليات

---

[193] معنالنقري، مرجع سبق ذكره ، ص ص 84، 85.

الحواسيب ونمذجتها بدءا من النظريات ومرورا بالبرامج والقواعد وانتهاءا بالمعطيات الأولية و البيانات. [194]

يقول السيد ياسين: أنه مع مرور الزمن تبين قصور مصطلح "ما بعد الصناعة" الذي أطلق على المجتمع عن التعبير عن جوهر التغير الكيفي الذي حدث، ومن هنا صك العلماء الاجتماعيون مصطلحا آخر رؤوا أنه أوفى بالغرض، وأكثر دقة في التعبير، وهو مصطلح "مجتمع المعلومات" وذلك أن أبرز ملمح من ملامح المجتمع الجيد أنه يقوم أساسا على إنتاج المعلومات، وتداولها من خلال آلية غير مسبوقة هي الحاسب الآلي الذي أدت أجياله المتعاقبة إلى إحداث ثورة فكرية كبرى في مجال إنتاج المعارف الإنسانية وتوزيعها واستهلاكها، وإذا ما أضفنا إلى ذلك القفزة الكبرى في تكنولوجيا الاتصال، وخصوصا في مجال الأقمار الصناعية واستخداماتها الواسعة، وتحديدا في مجال البث التلفزيوني الكوني، الذي بحكم آليته يتجاوز الحدود الجغرافية، وينفد إلى مختلف الأقطار التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، الأمر الذي من شأنه أن يؤثر، عبر الرسائل الإعلامية المتعددة، في القيم، والاتجاهات، والعادات، لأدركنا أننا بصدد تكون عالم جديد غير مسبوق، تصبح فيه العهبارة الشهيرة التي مفادها أن العالم أصبح قرية صغيرة قاصرة كثيرا عن وصف أثر التغيرات التي يتعمق مجراها كل يوم. [195]

ويعتبر الياباني "يونجيماسودا" أول من أطلق مصطلح مجتمع المعلومات على المجتمع المعاصر بحيث يطرح تصوره حول تحول مجتمع اليابان إلى مجتمع مغاير بشدة في أشكال تنظيماته، ومؤسساته، وصناعاته. [196]

ويرى بعض الباحثين أن مصطلح مجتمع الإعلام والمعلومات بدأ في الظهور في الخمسينات من القرن العشرين، غلى يد "قرتزماتشلب" الذي قام بتصنيف ثلاثين (30) صناعة وتقسيمها إلى فئات أساسية هي:

1- الأبحاث والتطوير.

2- التعليم.

---

[194] المرجع نفسه، صص86 ، 87.

[195] السيد ياسين: **الثورة الكونية ومجتمع المعلومات**، نحو ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 29.

[196] نبيل علي: **العرب وعصر المعلومات**، مرجع سبقذكره، ص 9.

3- وسائل الاتصال.

4- المعلومات.

وهناك من يقول أن هذا المصطلح ظهر في مطاع الستينات من هذا القرن 20 على يد "ماكلوهان" في كتابه "مجرةغوتمبرغ"، وعلى الرغم من أن هذه العبارة دخلت عالم النسيان إلا أنها عادت إلى الظهور في بروكسل عام 1994 عندما عرض المحافظ الأوروبي "ماركن بن جامان" حول الطرق السريعة والمعلومات. [197]

وفي تعريف لهذا المجتمع ترى الدكتورة "نريمان متولي" أن مجتمع المعلومات هو المجتمع الذي يعتمد في تطوره بصفة رئيسية على المعلومات، والحسابات الآلية، وشبكات الاتصال أي أنه يعتمد على التكنولوجيا الفكرية، تلك التي تضم سلعا وخدمات جديدة مع التزايد المستمر، للقوة العاملة المعلوماتية، التي تقوم بإنتاج وتجهيز ومعالجة ونشر، وتوزيع، وتسويق هذه السلع، والخدمات".

ولابد من الإشارة إلى أن هناك عددا من التعريفات لمجتمع المعلومات، وعموما فإنه المجتمع الذي يعتمد اعتمادا أساسيا على المعلومات الوفيرة: كمورد استثماري، وكسلعة إستراتيجية/ وكمصدر للدخل القومي، وكمجال للقوى العاملة. [198]

ونذكر هنا الأسباب التي أدت إلى ظهور مجتمع المعلومات: بحيث ترجع أصول مجتمعات المعلومات إلى تطورين مرتبطين ببعضهما البعض هما:

1- التطورالاقتصادي طويل الأجل.

2- التغير التكنولوجي.

حيث ساهم في عملية التنمية الاقتصادية بشكل واضح، إذ لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تأثيرها الواضح في النمو الاقتصادي، ويلاحظ أنه يمكن تطبيقها على نطاق واسع وفي ظروف مختلفة، كما أن إمكانياتها في تزايد مستمر.

---

[197] **مجلة العربي (الكويتية)**، عدد 468، نوفمبر 97، ص 20.

[198] محمد فتحي عبد الهادي: **المعلومات وتكنولوجيا المعلومات، على أعتاب قرن جديد**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000، ص 18.

وفضلا عن هذا فإن تكاليفها تتجه نحو الانخفاض بصورة واضحة، وقد أدى هذا ببعض الاقتصاديين مثل "فريمن" إلى القول بأن تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات سوف تحدث موجة طويلة جديدة من النمو الاقتصادي دافعة لنشأة وتطور مجتمعات المعلومات.

أما التطور الأول فإن بنية الاقتصاد قد شهدت تغيرات كبيرة على امتداد الزمن فقد بدأ الأمر بالاعتماد –في المجتمع الزراعي على المواد الأولية والطاقة الطبيعية، والجهد البشري– وفي المرحلة الثانية مرحلة المجتمع الصناعي على الطاقة المولدة مثل الكهرباء والغاز. أما مجتمع المعلومات فإنه يعتمد في تطوره بصفة أساسية على المعلومات وشبكات الحاسبات ونقل البيانات. [199]

ويتميز مجتمع المعلومات بعدة خصائص تعارف عليها الباحثون وهي:

1- زيادة أهمية المعلومات:

في مجتمع المعلومات ازدادت أهمية هذه الأخيرة، وأصبحت المعلومة تتدخل في كل الأنشطة، والصناعات، كما تمثل المادة الخام لقطاعات كبيرة من قطاعات المجتمع المعاصر، مشكلة ما يطلق عليه "صناعة المعلومات" فما هو متوفر من إمكانيات، أو أشياء يمكن أن يصبح أكثر أهمية من خلال إضافة بعض المعلومات إليه فالعمالة غير الفنية عند تعليمها وامتلاكها المعلومات تصبح عمالة ماهية ومنتجة كبيرة إلى حد كبير، ونتيجة لذلك أصبح ينظر للمعلومات كمورد أساسي يمكن أن يباع ويشترى.

2- انفجار المعرفة: (المعلومات):

يرى العديد من الباحثين أن المعلومات المنتجة في الحقبة المعاصرة أكثر أهمية مما أنتج في كل تاريخ البشرية، كما أن المعلومات تتزايد بمعدلات كبيرة نتيجة التطورات الحديثة التي يشهدها العالم، ونتيجة بزوع التخصصات الجديدة، وتداخل المعارف البشرية ونو القوى المنتجة والمستهلكة والمستفيدة من المعلومات، ورصيد المعلومات لا يتناقص بل يتراكم، مكونا ظاهرة انفجار المعلومات.

3- نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة على المعلومات:

---

[199] المرجع نفسه، ص 19.

ويتميز هذا المجتمع أيضا بظهور منظمات تعتمد كلية على المعلومات، مثل مؤسسات الجرائد، والأخبار، والاستعلامات، والبنوك، وشركات التامين والمصالح الحكومية، وقد أصبحت هذه المنظمات تعتمد على التكنولوجيا بعدما كانت تعالج المعلومات بطريقة يدوية.

4- تعدد فئات المتعاملين مع المعلومات:

1- أوجد مجتمع المعلومات فئات كبيرة تتعامل مع المعلومات وتنتقل بها ونجد على سبيل المثال:

2- المديرون وأصحاب الخبرات التي تشتغل في الأمور المالية والمحاسبية، والتخطيطية والتسويقية، والإدارة.

3- المهنيون من محامين، وأطباء ومحاسبين ومهندسين.

4- العاملون في تخزين المعلومات، واسترجاعها، كأخصائي المعلومات، وأمناء المكتبات والموثقين، ومبرمجي الكمبيوتر وغيرهم.

5- العاملون في نقل وتوصيل المعلومات والمعارف، كعمال البريد، والبرق، والهتاف، والصحفيين، والإعلاميين، والمعلمين وغيرهم.

6- العلماء والفنانون، والمصممون وغيرهم ممن يقدرون على خلق وإنتاج معلومات جديدة، أو يعيدون تشكيل نماذج من واقع المعلومات الموجودة.

7- الاستغناء عن الورق وبروز المبتكرات التي تطورت بشكل كبير جدا كالكمبيوتر، والاقراص المضغوطة واسطوانات الفيديو، والأقراص الضوئية التي أصبحت بديلا عن استعمال الورق في تدوين المعلومات. ويتنبأ الكثيرون بأن مراكز المعلومات والتوثيق و المكتبات تصبح مستقبلا مستودعات لاورقية للمعلومات. [200]

وهناك خاصية أخرى نوردها هنا تميز مجتمع المعلومات هي ظهور قطاع المعلومات كقطاع مهم من قطاعات الاقتصاد، بالإضافة إلى قطاعات الزراعة والخدمات، وذلك مند الستينات من هذا القرن، حيث أصبح إنتاج المعلومة وتجهيزها، وتوزيعها نشاطا اقتصاديا رئيسيا في عدد من الدول في العالم.

---

[200] محمد محمد الهادي: **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها**، دار الشروق، القاهرة ، 1989، صص 23، 24.

وفي كل مجتمعات المعلومات تقريبا نجد أن قطاع المعلومات ينمو بصورة أسرع من نمو الاقتصاد الكلي.فقد قدر الإتحاد الدولي للاتصالات بعيدة المدى أن قطاع المعلومات قد نما على المستوى العالمي عام 1994، بمعدل أكثر من 5%، بينما كان نمو الاقتصاد العالمي بصفة عامة بمعدل أقل من 3% وهكذا فإن من الملامح البارزة الآن، التحول من اقتصاد الصناعات إلى المعلومات، والتحول من الاقتصاد الوطني، إلى الاقتصاد العالمي، ومن إنتاج البضائع، والسلع إلى إنتاج المعلومات.[201]

ويمكن الإشارة إلى معايير مجتمع المعلومات التي تأكد على دور المعلومة وأهميتها وقيمتها بحيث أصبحت المعيار المحدد والحقيقي لاي مجتمع يريد بلوغ درجة الرقي، وهذه المعايير كما حددها "وليام مارتين":

1- المعيار التكنولوجي:

حيث تصبح تكنولوجيا المعلومات مصدر القوة الأساسية ويحدث انتشار واسع لتطبيقات المعلومات في المكاتب والمصانع والتعليم والمنزل.

2- المعيار الاجتماعي:

حيث يتأكد دور المعلومات كوسيلة للارتقاء بمستوى المعيشة وينتشر وعي الكومبيوتر والمعلومات، ويتاح للعامة، والخاصة معلومات على مستوى عال من الجودة.

3- المعيار الاقتصادي:

تبرز دور المعلومات كعامل اقتصادي وأساس سواء كمورد اقتصادي أو كخدمة أو سلعة وكمصدر للقيمة المضافة وكمصدر لخلق فرص جديدة للعمل.

4- المعيار السياسي:

تؤدي حرية المعلومات إلى تطوير وبلورة العملية السياسي، وذلك من خلال مشاركة أكبر من قبل الجماهير وزيادة معدل إجماع الرأي.

5- المعيار الثقافي:

---

[201] محمد فتحي عبد الهادي،مرجع سابق، ص 19.

الاعتراف بالقيم الثقافية للمعلومات كاحترام الملكية الفكرية والحرص على حرمة النية الشخصية والصدق الإعلامي والأمانة العلمية، وذلك من خلال توزيع هذه القيم من أجل الصالح القومي وصالح الأفراد على حد سواء. [202]

الجدول(07) يوضح: التزامات القمة العالمية لمجتمع المعلومات واحتمالات تحقيقها عام 2015

التزامات القمة العالمية لمجتمع المعلومات	**ملاحظات**	**احتمالات تحقيق الهدف بحلول عام 2015**
أ- توصيل القرى بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإقامة نقاط نفاذ مجتمعية	يوجد نحو 2,7 مليون " قرية" في أنحاء العالم، وتوجد خدمة هاتفية في نحو ثلاثة أرباع هذا العدد. ومع ذلك، فإن تغطية نقاط النفاذ المجتمعية ليست منتشرة، وفي كثير من الحالات، لا يوجد حصر رسمي لعددها.	هناك احتمالات جيدة لتوصيل جميع القرى بحلول عام 2015. ولكن الاحتمالات ضعيفة فيما يتعلق بإقامة نقاط للنفاذ المجتمعي في كل قرية.
ب- توصيل الجامعات والكليات والمدارس الثانوية والابتدائية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات	البيانات الدالة على ذلك ليست متوافرة على نطاق واسع أو على أساس متناسق، ولكن بالنسبة للبلدان التي تتوافر بشأنها بيانات، توجد تغطية بنسبة 100% للجامعات والكليات، وبنسبة 95% للمداس الثانوية وبنسبة 90% للمدارس الابتدائية فيما يتعلق بتوصيل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.	هناك احتمالات جيدة جدا لتوصيل جميع الجامعات والكليات والمدارس الثانوية بحلول عام 2015، واحتمالات جيدة بالنسبة للمدارس الابتدائية.
ج- توصيل المراكز	على افتراض أن معظم المراكز العلمية	هناك احتمالات ممتازة

[202] نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، مرجع سبقذكره، ص 275.

العلمية والبحثية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات	والبحثية مرتبطة بالجامعات، تكون التغطية قد تحققت بالفعل بنسبة 100%	لتوصيل جميع المراكز العلمية والبحثية بحلول عام 2015.
د- توصيل المكتبات العامة والمراكز الثقافية والمتاحف ومكاتب البريد والأرشيفات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات	يوجد نحو 41000 متحف في جميع أنحاء العالم، وتوجد مواقع على الويب بنحو 37000 متحف منها. ويوجد نحو 660000 مؤسسة بريد عمومية. وتتراوح نسبة المؤسسات التي توفر خدمات إلكترونية بين 26% (إفريقيا) و 88% (البلدان الصناعية)، طبقا لبيانات الإتحاد البريدي العالمي.	هناك احتمالات ممتازة لتوصيل المكتبات العامة والمتاحف والأرشيفات، واحتمالات جيدة جدا لتوصيل مكاتب البريد والمراكز الثقافية.
هـ- توصيل المراكز الصحية والمستشفيات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات	البيانات الدالة على ذلك ليست متوفرة على نطاق واسع أو على أساس متناسق، ولكن التقديرات تشير إلا أن العدد يتجاوز 40000 ألف مستشفى في أنحاء العالم.	هناك احتمالات ممتازة لتوصيل المستشفيات، واحتمالات جيدة جدا بالنسبة للمراكز الصحية.
و- توصيل جميع الإدارات الحكومية المحلية والمركزية وإنشاء مواقع على شبكة الويب وعناوين البريد الإلكتروني	من بين 191 دولة عضوا في الأمم المتحدة، توجد في 178 دولة منها مواقع للحكومة المركزية على الويب بحلول 2004. والبيانات الدالة على الإدارات الحكومية المحلية والمركزية ليست متوافرة على أساس متناسق.	هناك احتمالات ممتازة بالنسبة للحكومات المركزية وإداراتها واحتمالات جيدة جدا بالنسبة للحكومات المحلية.
ز- تكييف جميع المناهج الدراسية للمدارس الابتدائية	لا يخضع هذا الهدف للقياس بسهولة. وفي داخل أوروبا، تدل البيانات المتاحة على أن تكنولوجيا المعلومات	هناك احتمالات جيدة جدا لإدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المناهج

والثانوية لمواجهة تحديات مجتمع المعلومات، مع مراعاة الظروف الوطنية.	والاتصالات لم يتم إدخالها في المناهج الدراسية في بلدين اثنين فقط.	الدراسية للمدارس الثانوية، واحتمالات جيدة بالنسبة للمدارس الابتدائية.
ح- تامين نفاذ جميع سكان العالم إلى الخدمات التلفزيونية والإذاعية.	في سنة 2002، كانت التغطية العالمية للسكان بنسبة 95% للخدمات الإذاعية وبنسبة 86% للخدمات التلفزيونية.	هناك احتمالات ممتازة بالنسبة للتغطية الإذاعية واحتمالات جيدة جدا للتغطية التلفزيونية.
ط- التشجيع على تطوير المحتوى وتهيئة الظروف التقنية اللازمة لتسيير وجود واستخدام كل لغات العالم في شبكة الإنترنيت.	يوجد أكثر من 6000 لغة في العالم وإن كان الكثير منها لا توجد له حروف هجائية مكتوبة وتتحدث بها فقط مجموعات صغيرة من السكان. ومع ذلك، يجري تحقيق تقدم في تنفيذ أسماء الميادين، كما أن التنوع اللغوي فيه تزايد على الإنترنيت.	هناك احتمالات جيدة جدا بالنسبة لتحقيق المقتضيات التقنية اللازمة لتوافر جميع اللغات على الإنترنيت، ولكن الاحتمالات ضعيفة بالنسبة لاستعمال جميع اللغات.
ي- تأمين تمتع أكثر من نصف سكان العالم بالنفاذ غلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أماكن قريبة.	يوجد نحو 80% من سكان العالم في مدى إشارة متنقلة. وتبلغ نسبة الأسر التي تتمتع بالخدمة الهاتفية (الثابتة أو المتنقلة) نحو 40% في العالم. وتبلغ نسبة الأفراد الذين يملكون أجهزة هاتف متنقلة نحو 30% .	هناك احتمالات ممتازة لتحقيق نسبة 50% من التغطية للأسر، واحتمالات جيدة جدا لتحقيق نسبة 50% لامتلاك الأفراد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

المصدر: استنادا إلى تقرير تنمية الاتصالات في العالم: مؤشرات النفاذ بالنسبة لمجتمع المعلومات، الصادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات (2003) وتقرير تتبع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: أهداف القمة العالمية لمجتمع المعلومات، الصادر عن البنك الدولي (2005).

ت-الصناعة الثقافية:

مفهوم وخصائص الصناعة الثقافية:

يحس العديد من المعارضين أن التحديث سيقرب تدريجيا ثقافات العالم اجمع في نموذج واحد، وقد اتحد هذا الإحساس ولا يزال يتخذ صيغا مختلفة: الخوف الماضوي الذي عبر عنه "أرتو كوبينو" في القرن الماضي (1853- 1855) من رؤية التنوع البراق للأعراق يذوب بالتهجين في سحابة رمادية رتيبة، ورد الفعل المذعور أمام استعمار كوكاكولا الأمريكي، أو في الاتجاه المعاكس –اتخذ- النزعة النضالية التي يشترك فيها العديد من المختصين في التطور الذين يعايشون أحيانا توحيد الكوكب بالثقافة العالمية، لصالح التحديث الديمقراطي والصناعي وفي الستينات عقلن بعض علماء الاجتماع هذا الإحساس في صيغة نظرية تقارب الثقافات تحت تأثير تحديث لا يقاوم، وقد كان هذا موقف "شمويلإيزنستاد" أحد المختصين المعروفين في المسألة حيث كتب سنة 1963 "إن التحديث هو تاريخيا سيرورة تحول في اتجاه أنماط الأنظمة التي تطورت في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية مند القرن 18 إلى القرن 19 وانتشرت بعد ذلك في بلدان أخرى".

بعد ثلاثين عاما، وبمساعدة التراجع صار العديد من علماء الاجتماع أكثر حذرا، فالتحديث لم ينتج التقارب المنتظر، بل أكثر من ذلك سجل أن الإنسانية منذورة بكيفية جوهرية لإنتاج إقتسامات اجتماعية وتحفظات الجماعات، والتمايز الثقافي وأنماط حياة واستهلاك متباينة جدا، باختصار إنها آلة عجيبة لإنتاج الإتلاف الثقافي بالرغم من كل السيرورات الفاعلة في الاتجاه المعاكس.

ونستطيع البرهنة على ذلك بطريقتين: إما بالعودة إلى أصول البشرية، وتأمل التنوع الاجتماعي- الثقافي الغزير الذي نسج تاريخها، وإما بإنجاز تحليل سوسيولوجي لسيرورة الاختلاف والتمايز الجارية في الوقت الراهن.

فلنبدأ بالتاريخ المبني بدينامية مزدوجة، ذلك أن الثقافة تكون دائما خاصة ومحلية بارتباط مع انعزال وتمايز الجماعات، وبالمقابل فإنها تندمج بارتباط مع شبكات الجماعات المحلية وإعادة بنائها.

- لم يتمكن البشر– بعد أن تفرقوا على أقاليم شاسعة– من صيانة أي تشابه سوسيوثقافي– محرومين من وسائل النقل والتواصل غير الأقدام والصوت – وقد أخذت السيرورة التاريخية للأنسنةشكل تشجر سوسيوثقافي تتكاثر أطرفة وفروع، بعشرات أو مئات الآلاف.

إن رشاقة النوع الإنساني وليونته وخفته الحركية والثقافية قد مكنته من التكيف مع ألين تغييرات المحيط بتشكيل مجموعة وراثية فريدة مع الحفاظ على وحدته البيولوجية، إن التقنيات والعادات الغذائية والموسيقى والرقص والحركية واللغات والممارسات ذات الصلة بالعوالم الخلفية السحرية والدينية قد تنوعت بكيفية مدهشة جراء الإبداعية الخاصة بالبشر ونتيجة التنوع الأقصى في مساكنه، وهذا ما يعارض العولمة الحديثة للتدفقات الثقافية.

ظهرت الزراعة بين 15000 و 6000 سنة قبل أيامنا، وفي العاجل والآجل يسهل الاقتصاد الزراعي القروي على تطور المدن، وقد تكونت الأخيرة – المدن– حول ثلاثة فضاءات معبد الآلهة– القصر (قلعة الحاكم)، والسوق الذي هو في الغالب ميناء، وقد تميزت الثقافة المدينية عن الثقافة القروية، لأن المدينة مكان تبادل وتواصل وإنتاج ثقافي كثيف يتغدى عن الفائض الزراعي القروي، وهكذا فإن المدينة بصفتها مكانا للتبادلات والتموين فقد شهدت بكيفية سريعة جدا ظهور النقود والاقتصاد التجاري.

وعليه فعولمة الثقافة في الزمن المعاصر تستعير بكثافة قنوات التوزيع التي يوفرها السوق، بالإضافة إلى أن عدد لا يستهان به من المعاصرين يعتقدون أن الثقافة أكثر حيوية من أن يتخلى عنها لتجار المعبد، ويقضي تسليع (تبضيع) الثقافة إلى الجدال يقترح التبادل التجاري بديلا للمبادلات القابلة لإعادة التوزيع وللتبادل القروي وهما أقدم أشكال المعاملات التجارية، لهذا السبب اصطدم ولا يزال يرتطم بمقاومات وحشية.

إن النقود كما كتب "جورج زميل" (1900) هي أكبر مخرب للأشكال الاجتماعية والثقافية، ويمكن للتجار –عبر وساطة النقود– الدخول في علاقة تبادل في حين أنهم لا يتعارفون، ويتكلمون لغات مختلفة، إنهم يتعلمون بسرعة كيف يتفاهمون وينتج عن ذلك تغيرات هامة في طرق الحياة وفي المبادلات بين الجماعات، وهي التغيرات التي نعتها "كارل بولاني" (1944) بالتحول الكبير ويعتقد "بولاني" أن المبادلات الاقتصادية، قبل التحول، صار السوق يستجيب تدريجيا لمنطق اقتصادي مستقل، إذ ينتزع رواج الخبرات من رحمه الاجتماعي.

يرتكز تقدم الاقتصاد التجاري على ثلاث عمليات:

1- خلق النقود، التي ظهرت في الشرق الأدني حوالي 2000 سنة قبل الميلاد.

2- التعريف الثقافي لفئة من الخبرات قابلة لأن تباع وتشترى، بخلاف خبرات أخرى غير قابلة للتبضيع (التسويق).

3- تكثيف التقسيم الاجتماعي للعمل والتخصص الإقليمي للإنتاجات.

لقد انفلتت ثقافة "التقاليد" طويلا من التبادل التجاري، لكن لم يعد بإمكانها الإفلات اليوم، ذلك أن نوادي العطل، والمدراء السياحيون يستأجرون الراقصين والموسيقيين والخيالة بهدف تقديم الأنشطة القروية في حفل، وهي الأنشطة التي كانت مند خمسين سنة خارج أي مدار تجاري، ومن ثم لا جديد في التواصل والمبادلات الثقافية على الصعيد القاري، وبين القارات غير أن الصلات الثقافية وإلى حدود 1450 كانت بطيئة ومصفاة بسمك القارات، وللجماعات المحلية كامل الوقت لتثقيف اختلافاتها، ولتأخذ أو لتدع من التجديدات المتنقلة عبر الجبال والوديان، والصحاري والغابات فوق آلاف الكيلومترات.

إننا لازلنا على مبعدة من عولمة الثقافة التي تفترض وجود تقنيات التبادل والتواصل المعقدة، ومساهمة الثورات الصناعية المتلاحقة مند العام 1760.

إذا كانت عولمة التيارات الثقافية (أو التدفق الثقافي) اليوم لا ترقى إلا لبضع عشرات من السنين، فإن أصولها ضمن تقدمات وتراجعات تقنيات التبادل والتواصل تعود إلى أقدم العصور، إن هذه الثقافة هي في قلب ديناميات الاحتكاك بين ثقافات متنوعة، وانتشار التجديدات التقنية، والتعدد اللغوي، والتعدد الثقافي والصراعات، بل واستئصال شعوب الأقليات وثقافتها.

ترتبط التقنيات بمظهرين من التبادل: وسائل النقل والتواصل: وسائل النقل تتحدد بصفتها تسمح بنقل الأشخاص والخبرات من مكان لآخر، وسائل التواصل (الاتصال) تتحدد بصفتها تقنيات تسمح بتوزيع الخبر والمعلومات بين الأشخاص.

إننا نتخيل اليوم بصعوبة المجموع الهائل من الأعمال والإختراعات المتنوعة التي وجب إنجازها لتطوير وسائل النقل والاتصال، تقنيات تسيير البواخر، وسائل النقل، المعابر والجسور، الموانئ والسدود، التنظيم الاجتماعي للاتصالات ولإيواء المسافرين وللعلم، كل هذا شكل موضوع

ذي نفس طويل فوق مجموع الكرة الأرضية، بهدف كسر العزلة الاقتصادية عن صغير وكبير الجماعات المحلية المفصولة عن بقية العالم بمسافات شاسعة وغياب وسائل النقل.

وبفضل هذا الجهد من الألفية الرابعة إلى القرن 15 شكل النقل البري والملاحي بالرغم من قصورهما إسمنت كيانات شاسعة متعددة الثقافات ومتمركزة في مناطق التبادل والاتصال، ويشخص هذه السيرورة تاريخ البحر الأبيض المتوسط فاليونان ومصر وقرطاج انفصلت عن الإمبراطوريات التي امتصتها الإمبراطورية الرومانية وفي العصر الوسيط كاد البحر الأبيض المتوسط أن يصير بحرا إسلاميا.

ويجب أن لا يتكون عندنا وهم الاعتقاد بأن التقنيات تشتغل بمفردها ذلك أن تحريكها يتطلب دينامية اجتماعية وثقافية تقنية وتوصيلات للمعارف، ونجد في كل مكان من العالم، ومند القدم تمثلات اجتماعية منغرسة في أنظمة النقل والاقتصاد في المدن والموانئ البحرية والنهرية.

يجري الحديث مند زمن ليس بالبعيد عن العولمة التي يصار إلى تحليلها في غالب الأحيان بعبارات اقتصادية، طالما أنها تؤثر كما وكيفا في تبادل الثروات والخدمات وما تشهده مرافقا للعولمة، ليس إلا حملة السيرورات الاقتصادية الآخذة طريقها نحو التحول ونحن نتجه – في الأغلب– نحو توحيد كلي لمجمل الأسواق المحلية التي يصار إلى امتصصها كليا عبر السوق العالمية، لكن ما هو المسوغ الممكن والشرعي لتمييز العولمة الثقافية عن العولمة الاقتصادية والسياسية؟ وما الذي يميز الثروات الثقافية عن الثروات الاقتصادية؟.

إن المعلومات والأفكار والإيديولوجيات والمعارف والديانات هي رموز وعلامات وهي أيضا ثروات يتم إنتاجها من قبل بعض الأفراد أو الجماعات وتنتشر بواسطة أفراد آخرين أو جماعات أخرى، لكي تستهلك من قبل جماعات أو مجموعات أو أفراد آخرين.

الخصائص النوعية للثروات الرمزية والثقافية:

يتعلق الأمر بثروات لامادية وهذا ما يمكن تقريبه مع ما يسميه الاقتصاديون بـ"الخدمات" إنها أداء مشترك يقوم به شركاء اجتماعيون يقومون بمبادلات استدلالية شفهية أو مكتوبة، تأخذ الرموز الثقافية التي تنتشر في العالم، الخطابات الدينية العلمية، الإيديولوجية والأدبية... شكل التبادل الكلامي، إتجاه أو عبر ما توفره وسائل الإعلام، ثم إن الثروات الثقافية تقوم بتوصيل

نمط معين من الخدمات كما أنها تدخل نمطا خاصا من الاستهلاك، إن الخدمة المشار إليها في حالة الثروات الثقافية ليست في نهاية الأمر سوى إعداد الحقيقة (إنتاجا وانتشارا).

تنطوي الثروات الثقافية على ظاهرة الإقناع وعلى ما يترتب عنها من نتائج الاقتناع، الإيمان، الانتساب إلى رسالة معينة تقاسم الشهادة، والاقتناع ليس بالضرورة نتيجة تبادل تفاعلي وجها لوجه، أو عبر بث يتوسل الإذاعة أو التلفزيون، فمند قرون نجد انتشارا للملفوظات بشكل خطابات أو أقوال كما تشهد أيضا انتشار النصوص والكتب والجرائد، لقد شكلت الكتابة وبخاصة المطبعة وسيلة انتشار اجتماعية داخل المجتمعات وما بينها، أي عالمية وما بين المدينيات، وسيلة انتشار على المستوى العالمي للملفوظات، للأفكار الدينية أو الفلسفية أكثر مما شكلت معلومات أو أخبار. [203]

يرقص الناس رقصة الطانغو الأرجنتينية في باريس ورقصة اليكتوسي الكاميرونية في داكار، والصالصا الكوبية في لوس أنجلس، ويقدم ماكلوا "الهامبورقر" في بكين، ونجد أطعمة كانتون في سوهو، ويشير فن الرماية بالقوس الروح الجرمانية ووتغزو الفطيرة الباريزية إفريقيا الغربية، وفي بومباي، نشاهد البابا عبر الموندفيزيون، إن رواج المنتوجات الثقافية فوق عموم الكرة الأرضية بهذه الشاكلة هو ما تشير إليه عبارة عولمة الثقافة، وهذه الأخيرة تثير ردود فعل متباينة، إذ يرى فيها البعض بشائر كوكب ديمقراطي توحده ثقافة كونية – كوكب تختزله وسائل الإعلام في أبعاد (قرية كونية) حسب عبارة مارشال ماكلوهان، ويرى فيها البعض الآخر علة فقدان محتوم للهوية التي ينوحون عليها، ويناضل آخرون في سبيل تأكيد خصوصيتهم لدرجة استعمال العنف.

ليست الوقائع المترتبة عن عولمة الثقافة من طبيعة واحدة، وبالفعل هل في الإمكان أن نضع في سلة واحدة انتشارا فن الرماية خارج اليابان، والتسويق العالمي لشريط سينمائي مثل تايتانيك، ذلك أن فن الرماية نتاج تقاليد، ويقتضي تملكه، التدريب سنوات على يد معلم، وبالمقابل فإن الأفلام السينمائية و المسلسلات التلفزيونية نتاج ثقافي لصناعة ذات مستوى عال من التكنولوجيا (التقنية) وتشكل موضوع استهلاك جماهيري عابر ومتجدد باستمرار.

---

[203] جيرار ليكرك، ترجمة جورج كتورة: **العولمة الثقافية، الحضارات على المحك**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، صص 19، 20.

فهناك تقاليد عريقة، وهنا إنتاج من أصل حديث موجه للاستهلاك على المدى القصير وتندرج المشاكل التي تطرحها عولمة الثقافة في المجال الذي يفتحه هذا الاختلاف.

فما وزن ثقافات العالم –أمام هجمة صناعة الثقافة؟ ما وزن السينما أو السمعي البصري الفرنسيان أمام العملاق الأمريكي؟.

إن كلمتي "ثقافة" وحضارة تبعا للتعريف الشهير الذي قدمه "إدوار تايلور" سنة 1971 تدلان على تلك الكلية المعقدة الشاملة للمعارف والمعتقدات والفنون والقوانين والأخلاق والعادات وكل قدرة أخرى أو عادة اكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع إنها بوصلة المجتمع، وبدونها لن يعرف أعضاءه من أين جاؤوا، كما لن يعرفوا كيفية الملائمة لهم في السلوك والتصرف.

فمفهوم الثقافة يتميز بطريقة نقله التي تسمى التقاليد، وتتحدد التقاليد بصفتها ما تبقى من الماضي في الحاضر الذي ينقل إليه، ويظل مؤثرا ومقبولا من لدن أولئك الذين يتلقونه، والذين ينقلونه بدورهم على مر الأجيال، تشمل ثقافة الإسكيمو المعارف و الفنون والمهارات وجميع العادات الأخرى التي اكتسبها كل إسكيمو بفعل انتماءه لمجتمعه، وتشمل ثقافة باريسي ينتمي لنهاية القرن العشرين استعمال السيارة ووسائل الإعلام والسلع التصنيعية التي اكتسبها بحكم ولادته داخل وسط مديني معاصر، غير أن ثقافة الثاني موسومة بكيفية قوية بالظاهرة الصناعية التي قلبت رأسا على عقب طرق المعيشة، وكذا نمط إنتاج الثقافة ونقلها.

وتعد عولمة الثقافة إحدى نتائج التطور الصناعي، فقد كان الطموح الطبيعي لكل صناعة ثقافية غزو أجراء من السوق العالمية عبر نشر منتوجاتها في سيربلانكا كما في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى العكس من ذلك فإن ثقافة الإسكيمومتموضعة بكيفية ضيقة، ولا تملك لا الطموح ولا الوسائل للانتشار عالميا، وتقتحم الصناعة ثقافات "التقاليد" وتبدلها – وأحيانا تدمرها ويشكل هذا الاقتحام مناسبة للصراع، ويفتح مجالا للحديث ويجب أن يوضع في مركز (محور) تحليل العولمة الثقافية-.[204]

---

[204] جان بيار فارني، ترجمة، عبد الجليل الأردي: **عولمة الثقافة**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003، صص08،10.

كانت الثقافات دائما على اتصال وعرفت على مر التاريخ عملية تبادل فيما بينها، غير أن وضعا تاريخيا جديدا كان قد لاح من اللحظة التي وهبتفيها الثورات الصناعية المتلاحقة للبلدان المسماة "متقدمة" وسائل لصناعة المنتوجات الثقافية، وآليات نشر ذات قوة كبيرة، وبإمكان هذه البلدان أن تصب بكثافة وفي جميع أنحاء العالم عناصر ثقافتها الخاصة أو عناصر ثقافة الآخرين، وتبدو الصناعة بصفتها ثقافة ضمن ثقافة أخرى، غير أن نظامها جديد كليا.

لم تقدم مدرسة فرانكفورت تحليلا للصناعات الثقافية ولتمفصلها مع ثقافات "التقاليد" وكان ينبغي الانتظار إلى أن تفرض عبارة "الصناعات الثقافية" نفسها في نهاية السبعينات يتم التساؤل حولها وليوضح لها جرد قبل ذلك، وقد اتفق المحللون بكيفية سهلة على أن يدمجوا فيها الثروات التي تشكل بداهة جزءا مما ندعوه الثقافة، والتي تسمح التكنولوجيا بإعادة إنتاجها مسلسلة ومتماثلة فالصور والموسيقى والكلام جزء من ثقافات "التقاليد" وبالنتيجة، فغن السينما وإنتاج دعامات الموسيقى، ونشر الكتب والمجلات، ثم اعتبارها بسرعة ومن قبل الجميع صناعات ثقافية.

وهنا توقف التوافق، إذ أن مقياس المحتوى (خطاب، مرئي، موسيقى) غير كاف ويتعين استكماله بمقياس الدعامة (الورق، الأسطوانة، الشريط الممغنط والأجهزة المرتبطة بذلك والتي تشكل موضوع إنتاج صناعي مثل الأسلاك والتلفاز والأقمار الصناعية) وقد أتاح هذا المعيار المزدوج للمحللين أمثال "باترس فلبشي" 1950، وبرنار ميج (1986)، وكايتانترامبلاي 1990 يعتبرون أن الصناعات الثقافية تقدم المظهر الجانبي الآتي:

1- إنها تتطلب وسائل كبيرة.

2- إنها توظف تقنيات إعادة الإنتاج .

3- تستغل من أجل السوق (تسوق الثقافة).

4- أنها مبنية على تنظيم للعمل من النمط الرأسمالي، أي أنها تحوّل المبدع إلى عامل والثقافة إلى منتوجات ثقافية وتقودنا هذه المعايير إلى أن نوسع كثيرا حقل الصناعات الثقافية، ويدرج فيه التلفزيون والإشهار والسينما والسياحة الجماهيرية، وبالقياس إلى هذه الصناعات سنميز البنية التحتية أو الدعامات من جهة ،والمحتوى من جهة أخرى، وهذا التمييز التحليلي واضح

تقريبا تبعا لفروع النشاط، فالدعامات دائمة نسبيا وسهلة الإنتاج، وهي "دائمة نسبيا" لأننا رأينا في مجرى العشرين سنة الماضية أن "تقنيات الاتصال الحديثة" أثارت تحولا متسارعا في الدعامات (الوسائل) أما المحتويات (المحتوى) فهي موضوع إعادة إنتاج متجددة باستمرار.

وإذا كان هذا التعريف للصناعات الثقافية يطوف عادة فروع النشاط في المجتمعات المسماة حديثة وصناعية، فإن الحس المشترك لما بدأت على أن يدرج ضمنها صناعات اللباس والأثاث واللعب والغداء، وهي ثروات ثقافية تبعا لعبارات التعريف نفسها والواقع أننا نجتاز حدودا غذائية أو كسائية (لباسية) قوية، نعرف أننا نجتاز حدودا ثقافية قوية، مثال ذلك: يأكل الأمريكيون المحار مفرغا من صدفاته ومطبوخا في حساء الحليب في حين يأكله الفرنسيون عموما حيا ومطبوخا بصدفاته، ويخال هؤلاء أن الطريقة الغذائية عند أولئك مثيرة للغثيان، والعكس صحيح. [205]

تمتلك جميع ثقافات "التقاليد" ممارساتها الخاصة في مجال تقنيات الجسد و الثقافة المادية والعادات، والإنتاج الصناعي للثروات الاستهلاكية يصب في الأشياء التي يدفعها الانتشار المستمر لتبادل السلع إلى أقصى أرجاء الكرة الأرضية والتي تتنافس– جراء ذلك– مع منتجات الثقافة المحلية، الأشرطة الغنائية في مواجهة البلافون والناي/ شطار اللحم المفروم(الهمبورغر) ضد الطعام المعد في القدر القميص والسروال ضد التنورة والجلباب/ السوق الممتاز ضد التبادل القروي، ولهذا المعنى، فإن جميع أنظمة التموين الصناعي الجماهيري تنقل وتسوق الثقافة، وليس هذه الميزة مقصورة على الصناعات الثقافية.

هكذا تظهر الغزارة التامة لمفهوم الصناعة بصفتها ثقافة، فالأخيرة ليست إلا ثقافة تقاليد ضمن ثقافات أخرى، غير أنها مزدوجة من لدن الصناعات بقوة انتشار كوكبي، والواقع أن الصناعة هي نفسها تقاليد متجذرة داخل تاريخ محلي ولكنها ذات نزعة عالمية بواسطة التكنولوجيا والاستثمارات والتسوق.

إن جميع الأسئلة التي تطرحها عولمة الأسواق الثقافية تندرج في المجال الذي فتحته الثقافات والصناعة بين المحلي والكوني، بين الارتباط بالماضي والتجديد الصناعي، وتتجمع هذه الأسئلة في نقاشين متمايزين:

---

[205] المرجع نفسه، ص ص23، 24.

الأول: مصير ثقافات "التقاليد" المتعددة (الثقافات التي تسمى "إثنية") المرتهنة في دوامات السوق العالمية للثروات الثقافية.

الثاني:نقاش داخل المجتمعات الصناعية، إذ عن طريق الامتثال لقوانين التسوق تتمركز الصناعات الثقافية بالتدريج، وأمام هذا الواقع..تصطف ضمن نموذج ثقافي وحيد شكلتهو.م.أ وتتجه نحو استعمار كوكاكولا للكوكب الأرضي نحو ثقافة ديزني لاند، هذه النقاشات متحمسة ومثقلة بهذا النموذج أو ذاك.

إن الصناعة بصفتها ثقافة، ظاهرة حديثة في التاريخ الإنساني، فالواقع أنها لم تتصدر مقدمة الخشبة إلا في السنوات الخمسين الأخيرة، ومن ثم تحتل حقل الحياة في المجتمع بل امتداده، إلى الوضع الحديث حيث يجب أن تحصي مع عولمة تدفق البضائع الصناعية. [206]

– فالصناعة الثقافية:

هي الصناعات التي تنتج ،وتوزع المنتوجات، والخدمات أي "التي يتبين لدى النظر في صفتها أو أوجه استعمالها أو غايتها المحددة أنها تجسد، أو تنقل أشكالا للتعبير الثقافي بصرف النظر عن قيمتها التجارية حسب نص تعريفها في اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي التي اعتمدتها اليونسكو عام 2005، ويدخل في الصناعات الثقافية مايلي: النشر المطبعي والموسيقى، الإنتاج السينمائي والسمعي البصري والمتعدد الوسائط، ويدرج في عداد هذه الصناعات الحرف اليدوية والتصميم مجالين للنشاط ليسا من الصناعات الثقافية بالمعنى الدقيق، لكن لها أوجه شبهة قوية بها من حيث الغدارة مثلا، إذ أنها تؤدي إلى نشوء شركات صغيرة ومتوسطة وقد توسع المفهوم ليشمل صناعات الإبداع التي تضم الهندسة المعمارية وشتى الفنون.

وتمثل هذه الصناعات حتى اليوم في شكل مطرد مستقبلا، أحد قطاعات الاقتصاد والتجارة الأقوى نشاطا في العالم، وتفتح أمام البلدان النامية آفاقا تجارية جديدة، وتمثل هذه الصناعات حاليا أكثر من 7% من إجمالي الناتج العالمي، ويتوقع لها حسب تقديرات حديثة أن ترتفع هذه النسبة إلى 10% في السنوات المقبلة. [207]

---

[206] المرجعنفسه، ص 27.

[207] منشورات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم، اليونسكو.

ث-اقتصاد المعلومات :

قطاع المعلومات هو القطاع الذي يشمل كل الأنشطة المعلوماتية في الاقتصاد فضلا عن السلع المطلوبة بهذه الأنشطة وقد أشار "ماكلوب" إلى قطاع المعلومات على اعتبار أنه صناعات المعرفة التي تضم الأقسام الخمسة التالية: التعليم- البحوث والتنمية – الاتصالات – آلات المعلومات وخدمات المعلومات.

كما يورد "مور" أن قطاع المعلومات هو الذي يتكون من المؤسسات في كلا القطاعين العام والخاص، تلك التي تنتج المحتوى المعلوماتي أو الملكية الفكرية وتلك التي تقدم التسهيلات لتسليم المعلومات وبناء عليه، يمكن تقسيم المعلومات إلى ثلاثة أقسام رئيسية على النحو التالي:

صناعة المحتوى المعلوماتي:

تتم هذه الصناعة عن طريق المؤسسات في القطاعين العام والخاص التي تنتج الملكية الفكرية: عن طريق الكتاب المحررين... وهؤلاء يبيعون عملهم للناشرين والموزعين وشركات الإنتاج التي تأخذ الملكية الفكرية الخام وتجهزها بطرق مختلفة ثم توزعها وتبيعها لمستهلكي المعلومات.

أيضا يوجد جزء خاص له علاقة بالإبداع وإنما يهتم بالمعلومات مثل جماع الأعمال المرجعية وقواعد البيانات والسلاسل الإحصائية.

صناعة توصيل بث المعلومات:

إن القسم الثاني من صناعة المعلومات إنشاء وإدارة شركات الاتصال والبث التي يتم من خلالها توصيل المعلومات وهي تشمل شركات الاتصالات بعيدة المدى والشركات التي تدير شبكات التلفزيون، مؤسسات تتولى هذه القنوات وغيرها لتوزع المحتوى المعلوماتي مثل بائعي الكتب والمكتبات.

صناعة معالجة المعلومات:

تقوم هذه الصناعة على منتجي الأجهزة ومنتجي البرمجيات ويتولى منتجو تصميم صناعة وتسويق الحواسيب وتجهيز الاتصالات بعيدة المدى والإلكترونات وهم يتركزون في الولايات المتحدة وشرق آسيا، أما فئة منتجي البرمجيات فهي تقدم التشغيل.

حجم صناعة المعلومات في أوروبا والولايات المتحدة بملايين الدولارات في سنة 1994 م:

الولايات المتحدة الاتحاد الأوروبي فئات قطاع المعلومات

255186 المحتوى المعلوماتي.

116165 تسليم المعلومات

151193 معالجة المعلومات.

566544 المجموع.

هكذا أصبح إنتاج المعلومات وجمعها وتجهيزها نشاطا اقتصاديا كبيرا للعديد من دول العالم، ففي الولايات المتحدة دول أخرى نجد أن المعلومات سلعة استهلاكية كبيرة ومن المدخلات في إنتاج كافة المنتجات والخدمات، ضمن هذا الإطار ذكر "كيت بيكر" في مؤتمر (نحو مجتمع المعلومات) الذي عقد في هونغ كونغ عام 1983 " أن دخل إنتاج صناعة المعلومات وصل إلى أكثر من 75 مليون جنية استرليني في العالم عام 1982 م. هذا الدخل يزداد بنسبة 12% سنويا وبهذا المعدل في الزيادة السنوية، فإن المعلومات ستكون المورد الأساس للاقتصاد العالمي خلال الخمس والعشرين سنة القادمة.

كذلك أشارت الدراسات الحديثة المتقدمة أن قطاع المعلومات هو المصدر الرئيس للدخل القومي للعمالة، حيث قدر في الولايات المتحدة أن قطاع المعلومات ينتج حوالي نصف الدخل القومي...وتظهر اقتصاديات الدول الأوروبية المتقدمة حوالي 40% من دخلها القومي انبثق من أنشطة المعلومات.

العمالة في حقل المعلومات عام 1996:

النسبة المئوية في عدد من دول العالم القطاع المجر، سنغافورة، اليابان، الولايات المتحدة

2.28.7.24247.15 الصناعة.

4.12.3.0.2.7.8.2 الزراع.

4.259.295.32.7.33 الخدمات.

349.40.8.35.8.47 المعلومات

هذا التحول إلى العمل في حقل المعلومات يستتعبه فكرة العمل عن بعد (غلى الاتصال إلكترونيا بمكتب رئيسي) وهو ما يؤدي إلى ظهور طبقة أو فئة مهنية جديدة لها وزنها هي فئة "العاملون في المعلومات" ويقسمون إلى أربعة فئات فرعية:

- منتجو المعلومات (منشئو المعلومات وجامعوها).
- مجهزو المعلومات (يستقبلون المعلومات ويستخدمونها).
- موزعو المعلومات (ينقلون المعلومات من المنشأ إلى المتلقي).
- بيئة المعلومات تقوم على التكنولوجيا للأنشطة المعلوماتية.

في عام 1990 قدم "برنامج الأمم المتحدة" للتنمية من جانبه تقريرا عن التنمية البشرية بمبدأ "التنمية البشرية الذي أصبح البديل الأساس لرؤية التنمية التي تتعادل مع النمو الاقتصادي.

وهناك جهود لهذا التغيير، تتمثل في أن استئصال الفقر قد أصبح نشاطا متعدد الأبعاد، فالفقر يعد أكثر من مجرد نقص أو افتقار الرفاهية المادية فهو أيضا بالصحة المعتلة، وضعف التعليم والحرمان من المعرفة والاتصال والعجز من ممارسة الحقوق الإنسانية والسياسية من ضياع الكرامة والثقة واحترام الذات.

وتقوم تقنيات المعلومات والاتصال بدور بارز في هذا المفهوم الأشمل للفقر، فهي توفر الأدوات والوسائل المهمة لتحسين الصحة والتعليم، وتقدم القنوات الجديدة لنشر المعرفة.

إن التعامل الأفضل من مصدر أساس مثل المعلومات سوف يعمل كثيرا على تحسين مستويات المعيشة.

لقد كتب "مانسيل" و "وين" يقولان: "إن محاولات قياس تأثير تقنيات المعلومات والاتصال على اقتصاديات الدول الصناعية ،والدول تعترضها مشكلات قاسية تتعلق بالتصنيف الإحصائي وسهولة الحصول على البيانات".

كما أن البيانات كثيرا ما تكون غير واضحة أو موثوق بها، كما أنه يتم حجز بعض البيانات على أنها ملكية خاصة، ضمن هذا الإطار تعد الشفافية ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد الحديث، فلا يمكن للحرية الاقتصادية أن تزدهر، بل أن تستمر إذا لم تترادف مع شفافية كافية في جميع القطاعات وعلى كل المستويات، فالدول الصناعية تعلمت عبر العقود

الماضية أن للمعلومات قوة، بل لها تأثير كبير على تكوين الرأي العام الذي يحاسب الحكام ويقرر مصير الوطن.

الدولة الحديثة لا يحق لها أن تحجب أي معلومة عن شعوبها مهما كانت سيئة، الدول النامية تعرف أيضا للمعلومات قوة مما يجعلها تحتفظ بها أحيانا لنفسها لتستعملها عند الضرورة لمصالح عامة وخاصة.

غياب الشفافية له تأثير سلبي ليس فقط على الحياة السياسية وإنما الاقتصادية والاجتماعية، الاقتصاد غير الشفاف كان له التأثير المباشر في الأزمات في المكسيك – دول شرق آسيا– روسيا، حيث إن مقومات الأزمة كانت محدودة ولكنها كانت مخبأة عن المجتمع، لأن المعلومات المتوافرة لم تكن كاملة أو كافية، كما كانت بعض المعلومات خاطئة عن قصد أو جهل (النتيجة واحدة).

كما تردد عن دور المعلومات في انهيار الاقتصاد العالمي على اثر النكسة التي عصفت بأسواق المال في نهاية عام 1987م (الاثنين الأسود) لعدم توافر نظم معلومات فعالة حينها كتلك التي تؤازر الاقتصاد العالمي حاليا.

كذلك من دراسة الأزمات البترولية المختلفة وأسبابها، يلاحظ أنها تعود إلى عوامل مختلفة تشمل الأسباب السياسية والمعلوماتية والمتمثلة في وجود معلومات غير دقيقة تؤدي غلى عدم اتخاذ أي قرار أو اتخاذ قرار خاطئ، وهذا يؤدي إلى شح أو فائض في العرض ثم ارتفاع أو انخفاض وربما مفاجأة في الأسعار.

المقصود بالعامل المعلوماتي: وجود معلومات يعتقد صحتها من حيث الإنتاج والاستهلاك وحركة المخزون وكمية المخزون والطاقة الإنتاجية والنمو الاقتصادي المتوقع، وعلى هذه المعلومات تتخذ قرارات مثل زيادة أو تخفيض الإنتاج أو الشراء أو البيع.

من هنا نلاحظ: إن العديد من المستثمرين يفضلون توظيف أموالهم في الدول الصناعية على الرغم من العائدات المنخفضة خوفا من مفاجأة الأسواق النامية (لعدم توافر المعلومات الصحيحة).

نخلص في هذا المجال إلى القول:

إن هناك بعدا جوهريا في التنمية البشرية، وهو المعرفة التي تعد حاسما في تمكين الناس من توسيع مجالات اختياراتهم وتقنيات المعلومات والاتصال هي الأدوات الأساسية للمجتمعات الناهضة التي تتأسس على المعرفة وهي تمثل تحولا مهما من استغلال الموارد الطبيعية والمادية إلى انتشار البيانات والمعلومات، وما يتصل بهما من مهارات خاصة بالتحليل والمعالجة، وهذه التنمية يصاحبها اتجاه قوي نحو خصخصة مصادر المعرفة وإضفاء الطابع التجاري عليها وما يتزامن مع ذلك من فرض إجراءات قانونية لحماية الملكية الفكرية الخاصة.

إن النظام العالمي الناهض من أجل حقوق الملكية الفكرية يميل إلى أن يركز على الجوانب الاقتصادية لحماية حقوق الملكية الفكرية أكثر مما يركز على اعتبارات المصلحة العامة.

ضمن هذا الإطار فإن النقاشات ووجهات النظر مازالت مستمرة ومتباينة بين القانونيين من جهة، وبين المطالب بديمقراطية المعرفة (حق المواطن في المعرفة) وما نصت عليه مواثيق منظمات الأمم المتحدة من جهة ثانية.

من هنا يأتي تقرير "البنك الدولي" عن التنمية في العالم عام 1998م بعنوان: المعرفة من اجل التنمية ليؤكد أن المعرفة ليس على نطاق الصفوة وإنما على مستوى الشعب كله هي العامل الحاسم للتنمية.

كما يؤكد التقرير وجوب التصدي لفجوات المعرفة ما بين البلدان وداخلها ولمشكلات المعلومات التي تضعف الأسواق وتعرقل الإجراءات الحكومية أو أن هذه الفجوات هي أكثر حدة في البلدان الأشد فقرا، وهي السبب الرئيس في ذلك الفقر، ويؤكد التقرير أن هناك حوالي 3 مليارات نسمة تعيش على 3 دولارات في اليوم بأسعار 1997م في الولايات المتحدة، ويتركز معظم فقراء العالم في شرق وجنوب آسيا.

وهنا يتساءل التقرير: هل يمكن التصدي لمشكلة نقص المعلومات في مثل هذه البلدان؟، المبدأ العام يقضي بأنه ينبغي للمؤسسات أن تعمل وفقا لقدرتها النسبية وللحكومات أن تركز

على المسؤوليات التي لا يحتمل أن تنهض بهذا القطاع الخاص، وهو يقوم على الاستنتاجات التالية:

يمكن تضييق الفجوة في الدراية الفنية التي تزيد من النمو الاقتصادي وترفع الدخل، وتقلل التردي البيئي وتحسن نوعية المياه.

- تجهيز بنية تحتية.
- تطوير القوانين والأنظمة.
- تحديث البرامج التعليمية.
- تفعيل المرافق والإدارات.
- دعم الابتكار.
- تنسيق الجهود.
- اكتساب المعرفة العالمية وإيجاد المعرفة المحلية تطويع المعرفة المستوردة وإيجاد المعرفة التي لا تستطيع الحصول عليها على الصعيد الدولي.

اقتصاد المعرفة والتقنيات الحديثة:

تعد البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات لبلد ما العامل الأهم في تحديد قدرته على الانتقال إلى الاقتصاد العالمي المبني على المعرفة وتشكل كثافة الخطوط الهاتفية – الثابتة والنقالة– وانتشار الحواسيب الشخصية ومدى استخدم الإنترنيت من المؤشرات الأساسية لهذه البنية التحتية.

تقنيات المعلومات والاتصال لا تعمل منفردة بل تعمل معا، لذلك فنموها يؤدي إلى نمو في القطاعات الأخرى من الاقتصاد.

ونتيجة لتقارب العديد من هذه الصناعات: علوم الحاسوب، الاتصالات وصناعة المحتوى– صناعة السمعي/ البصري، النشر وتسجيل الصوت والوسائط.

كان لهذه الثورة المتنوعة عدد من التبعات (السياسية والاقتصادية)، أيضا عدم تجزئة صناعة الوسائط المتعددة عن صناعة الاتصالات وتقارب الشبكات وعولمة الصناعات الثقافية وإنتاج المكونات الرئيسية للوسائط المتعددة التي تتحكم بالمحتوى (المضمون) وأدوات النقل لتقديم ذلك المضمون.

تمثل الوسائط المتعددة مرحلة من المراحل في تطور الوسائل (الطرق التقليدية) لإنتاج ومعالجة وإرسال ونشر البيانات وأحد المميزات الرئيسية للوسائط المتعددة هو القيمة المضافة فيما يتعلق بالألعاب والألعاب المرجعية – التدريب والصفقات التجارية والاتصالات–.

بين عام 1997 و 1998، تحول مجال إنتاج وتوزيع الوسائط المتعددة رأسا على عقب بفعل إدخال البيانات بشكل رقمي كامل.

إن كل المشاركين في صناعة الوسائط المتعددة يتأثرون بالتغييرات التي تحدث، فقد حدثت مكتسبات واندماجات كثيرة جدا، كما تم إعادة تكوين مؤسسات وشركات جديدة تنبثق طوال الوقت، ومناطق امتياز جغرافية ومنتجات جديدة يتم تطويرها وتنميتها بشكل مستمر.

هناك نمو شامل في السوق في كل من الطلب على منتجات الوسائط البصرية واستخدام خدمات الإنترنيت.

إن إجمالي مبيعات أقراص مدمجة (CD ROM) على مستوى العالم من: قواعد البيات والصور والصوت والبيانات والوسائط المتعددة، بلغ ثمانية ملايين وحدة (1993م) --، 5,16مليون وحدة (1994م) و 9,53 مليون وحدة (19995)، كما أن عدد الأقراص زاد بشكل مذهل بمقدار 80% بين 1990م و 1995م.

كما أن التوسع الهائل لشبكة الإنترنيت أدى إلى إيجاد سوق ضخمة لمستخدمي منتجات الوسائط المتعددة في مجالات: الترفيه، الصحافة، المكتبات والمعلومات، الشراء، الإعلانات، البنوك والشركات.

لا تزال الإنترنيت بعيدة عن الاستخدام المباشر في مجال التنمية بالمعنى الضيق للكلمة. إن الاقتصاديين يعملون على إدخال عامل المعرفة بشكل مباشر وواضح في نظرياتهم ونماذجهم الاقتصادية، "نظرية النمو الجديدة".

العلاقة بين التنمية وتوليد المعرفة واستخدامها أصبحت واضحة، وتدل الإحصاءات على أن أكثر من 50% من الناتج المحلي الإجمالي في الدول المتقدمة مبني على المعرفة، وهكذا أصبح الاستثمار في المعلومات أحد عوامل الإنتاج فهو يزيد في الإنتاجية، كما يزيد في فرص العمل.

إن توفير المعرفة وتحويلها إلى معلومات رقمية يجعلها تتحول إلى سلعة تزداد أنواعها يوما بعد يوم ويعتمد ذلك على مراحل:

- توليد المعلومات.
- نقلها ونشرها واستثمارها.

كما يعتمد اقتصاد المعرفة اعتمادا أساسيا على فعالية الشركات في جمع المعرفة واستعمالها لرفع الإنتاجية وتوليد سلع خدمات جديدة توزع عبر شبكات المعرفة التي تتغير المعلومات فيها بمعادلات سريعة، وستؤدي شبكة الإنترنيت دورا أساسيا في تشبيك المعرفة.

ففي أقل من عقد من الزمن استطاعت الإنترنيت تبديل العديد من المفاهيم الاقتصادية، كما أنها أثرت في الكثير من القطاعات الاقتصادية.

وفرت الإنترنيت المعلومات الكثيرة وبأقل التكاليف، كما أدت إلى تخفيض تكاليف الصفقات التجارية إلى حدودها الدنيا، هذا ما أدى إلى تزايد استخدام التجارة الإلكترونية وإلى تحسين المنافسة على الصعيد العالمي، كما أدت إلى بروز فعاليات اقتصادية جديدة لم تكن معروفة من قبل.

تعد الإنترنيت أفضل ما يمثل مجتمع المعلومات، لأنها نتيجة تلاقي ما سمي عصر المعلومات والاتصالات، فهي أداة رئيسية للنشر والتبادل للمعلومات.

إن العلاقة بين التنمية وبين توليد المعلومات واستخدامها أصبحت واضحة، وبالتالي أصبح الاستثمار في المعلومات والإنترنيت أحد عوامل الإنتاج، فهو يزيد في الإنتاجية كما يزيد في فرص العمل.

والتجارة عبر الإنترنيت ستكون بين شركات بشكل أساس وهذا ما سمي بالتجارة B.TO.C=Business- to Business ومن المتوقع أن ترتفع التجارة عبر الإنترنيت في الولايات المتحدة الأمريكية من 43 مليار دولار عبر الإنترنيت إلى 1300 مليار دولار عام 2003م، أما في بقية الدول المتقدمة سيرتفع مستوى التجارة عبر الإنترنيت من 45 مليار دولار في عام 1998 لتصل إلى 2300 مليار دولار عام 2003م.

وبالمقابل فإن تجارة الأشخاص عبر الإنترنيت يرمز إليها بالتجارة B.TO.C=Business to Consumer من المتوقع أن ترتفع في الولايات المتحدة الأمريكية

حوالي 20 مليار دولار في عام 2004 م، كما أن الفرق بين سعر السلعة على الإنترنيت وسعرها عند شرائها بالطريقة التقليدية يؤدي دورا مهما في تشجيع أو إعاقة تجارتها عبر الإنترنيت على سبيل المثال: أسعار الكتب والأقراص المبرمجة بنسبة 10% على الانترنيت.

ومن المتوقع أن تتزايد الطلبات على خدمات الإنترنيت بمقدار أربعة أضعاف خلال السنوات الثلاث المقبلة ومن المتوقع أن تصل سوق الإنترنيت في عام 2003م إلى ما يقارب 6,14 مليارات دولار.

لقد بلغ حجم التجارة الإلكترونية عام 1998م 2.3 تريليونات دولار عام 1999م، 5.3 تريليونات دولار.

بعض الأمثلة على استخدامات الإنترنيت اقتصاديا:

- باعت شركة أمازون مئات الآلاف من الكتب عبر الإنترنيت عام 1996م ما يقارب 16 مليون دولار عام 1997م= 148 مليون دولار عام 1998= 250مليون دولار.
- حجز تذاكر السفر ونسبة العمولة عليها عن طريق الوكيل تتم بكلفة 8دولارات، عن طريق الشركة 6دولارات، عن طريق الإنترنيت دولار واحد. من هنا لن تستطيع الطرق التقليدية أن تصمد مع جاذبية الطرق الجديدة.

إن الاقتصاد الأمريكي حقق نجاحا كبيرا بفضل الثورة التكنولوجية للمرة الأولى ، فبعد عقود –سجلت الموازنة الفدرالية فائضا لسنتين على التوالي– والمؤشر الأكثر بلاغا– هو أن الولايات المتحدة بدأت تسدد مديونتها للمرة الأولى مند العام 1895م.

إن سر نجاح عالم الإنترنيت يكمن إلى جانب امتلاك البنية التحتية الضرورية لنقل الصوت والصورة والمعلومة في السيطرة على المضمون والمضمون هذا متعدد الأشكال، البرامج الترفيهية، التربوية، الإعلامية، الخدمات المباشرة، معلومات مالية، مطبوعات الكتب والأرشيف وصولا إلى الموسيقى وأفلام الفيديو والسينما.

الفصل الثالث

-المبحث الأول:

خصائص ومميزات الإعلام في عصر العولمة

يطرح السيد أحمد مصطفى عمر تعريفا جديدا للإعلام في عصر العولمة فيقول بأنه "سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة ،لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية لتقسيم عالم من دون دولة ومن دون أمة، ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات ،والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان ،واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء، ويمكن أن نوجز أهم خصائص الإعلام (وسائل الإعلام/ المحتوى الإعلامي/المؤسسات الإعلامية) في عصر العولمة في النقاط التالية:

1- يتسم الإعلام المعاصر بالتقدم التكنولوجي والقدرة الهائلة على التطور المتسارع ،والمستمر الذي من شأنه أن يزيد في التأثيرات المختلفة على المجتمعات المترامية في أنحاء المعمورة، فالعالم يعيش مرحلة جديدة من التطورات التكنولوجية امتزجت فيها ثلاث ثورات علمية كبرى هي: ثورة المعلومات والانفجار المعرفي، وثورة وسائل الاتصال والإعلام وثورة الحاسبات الإلكترونية التي توغلت في كل من مناحي الحياة وامتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها، وبفضل هذه الثورات التي اندمجت وتكاملت في مجال الإعلام والاتصال تشكل تقدم تكنولوجي وخلق بالتالي احتياجات جديدة تستلزم الاستعانة بأساليب جديدة لجمع المعلومات وتقديمها ،وعرضها لجمهور أصبح أكثر إقبالا على وسائل الإعلام والاتصال. [208]

2- الإعلام في عصر العولمة أصبح يشكل مكونا أساسيا في الحياة الاقتصادية العالمية، التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط ومتطلبات السوق السائدة من صراعات

---

[208] يحيى اليحياوي : **في العولمة والتكنولوجيا والثقافة** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط 1، 2002، ص 16 .

ومنافسات وتكتلات، وسعي متواصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكره بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن، وعملها في أكثر من مجال.

فمن الثابت على الأقل من الناحية الكرونولوجيةلتتابعالأحداث أن مرحلة عولمة الاقتصاديات والمؤسسات الإنتاجية قد تزامنت ومرحلة عولمة الإعلام والرموز وكذا المؤسسات المنتجة والمروجة لها، ولاسيما مؤسسات الإعلام والاتصال وتقنيات ومحتويات السمعي البصري إذ أن تراسل المعطيات بسرعة الضوء ورقمنة النصوص والصور والصوت وانتشار أقمار الاتصالات، وثورة الهاتف، وتعميم المعلومات في قطاع إنتاج السلع والخدمات وتصغير الحواسيب وربطها داخل شبكة كوكبية قد مكنت من خلاق انقلاب شامل في نظام العالم، لذلك لم يتردد البعض في وصف الاقتصاد المعاصر باقتصاد الرموز، باعتبار أن المعطى التكنولوجي المركزي الذي جعلته وسائل الإعلام والاتصال ممكنا، يتمحور حول اللامادية والسرعة والآنية والشمولية. [209]

3- يعتبر الإعلام في عصر العولمة جزءا مهما من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أراضيها وفضائها الخارجي فقد كثر الحديث عن (نهاية الدولة)، وأصبح يتردد بأن السياسات ومؤسساتها ونماذج ممارستها بشكلها القديم قد أضحت لا تتجاوب وطبيعة التطورات الحاصلة، لتعزز بذلك بيئة جديدة في نطاق العمل السياسي الخارجي وتتغير نسبيا ادوار ومؤسسات العمل السياسي بما فيها وزارات الخارجية ودوائر الإعلام الخارجية وتتضح أهم هذه المتغيرات فيمايلي:

أ- استخدام القنوات التلفزيونية الفضائية لأغراض شخصية من اجل تشكيل القيم التي يؤمن بها صاحب السلطة السياسية للتأثير على المواقف وتحقيق الأهداف المطلوبة، وما أقدمت عليه إدارة "كلينتون" سنة 1990م، حين وجهت ضربة عسكرية للعراق، من اجل إحداث ضجة إعلامية كبيرة لإظهار القدرة العسكرية للو.م.أ والتي لم يكن هدفها سوى ترجيح كفة الرئيس الأمريكي في الانتخابات ضد خصمه المرشح الجمهوري لخير دليل على دور الإعلام في التأثير على البنى والعمليات السياسية الحالية والمستقبلية.

---

[209] المرجع نفسه، ص 17.

ب-إن ازدياد وتعاظم الشركات متعددة الجنسيات ودورها الفاعل ارتقى بها لتؤثر في تشكيل السياسات الخارجية لبلدانهم، وإجبارهم على اتخاذ مواقف سياسية معينة، وهذا يعن أنها ستكون موجودة على كافة الأصعدة ابتداء من إنتاج المعلومات إلى نشرها مستعينة بمختلف الوسائل الدعائية، ويتضح ذلك جليا من خلال ما قدمته الفضائيات الأمريكية إبان حرب الخليج حيث أدت دورها في رسم السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه منطقة الخليج.

إن التطور الحاصل في مجال الإعلام والاتصال، جعله وثيق الصلة بالسياسة الخارجية وإن كان الإعلام أداة رئيسية في تنفيذ السياسة الخارجية إلى جانب الأداة الدبلوماسية، فهو من جانب آخر سهل للدبلوماسية تهيئة الأجواء والمدركات وخلق المؤيدين وتحييد الأعداء، بل وتعدى ذلك لأن يؤدي الإعلام وظيفة نفسية قتالية ودفاعية في آن واحد.[210]

4- أصبح الإعلام في زمن العولمة يشكل مكونا أساسيا في البنية الثقافية للمجتمعات الدولية التي تنتجه، وتوجهه وتتوجه به، فهو يعمل على نشر وشيوع ثقافة عالمية تعرف عند مصدرها بالانفتاح، وعند مستقبلها بالغزو الثقافي، فالقنوات الفضائية وشبكة الإنترنيت أكبر وسائل الإعلام والاتصال في عصر العولمة أهمية في تكريس وتفعيل أطروحة الثقافة العالمية الواحدة واللغة العالمية الواحدة، فعبرها يصنع الخبر، وبواسطتها يتم رسم السياسة والاقتصاد والثقافة، وهذا ما يجعل وسائل لإعلام العولمة في قلب أحد أكبر الرهانات المستقبلية، بل لأنها أصبحت تشكل أيضا خطرا قويا على الثقافات.

فمند التسعينات صدرت كتب عديدة في الدول الأوروبية تحذر من سيطرة الثقافة الأمريكية على ثقافات هذه الدول الوطنية، فصدر في فرنسا مثلا كتاب "الحرب الثقافية" لصاحبه "هينرجوبار" وكتاب "فرنسا المستعمرة" "لجاك تيبو" وهما كتابان يحذران من مخاطر الافتراق الثقافي لفرنسا وبقيادة الدول الأوروبية الأخرى، وليس من المزايدة الآن الحديث عن "غربنة" الثقافة و "أمركتها" نظرا لتحكم أمريكا الشمالية في الحصة الكبرى

---

[210] آسيا الميهي: **الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية**، مجلة السياسة الدولية ، دورية علمية محكمة تصدر عن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، عدد 127، جانفي 1997، ص 91.

للقنوات التلفزيونية واحتكارها لمعظم أجهزة وبنوك المعطيات، وقدرتها على فرض نموذجها. [211]

5- يعتبر الإعلام المعاصر أحد الأجزاء الرئيسية من البنية الاتصالية الدولية التي مكنت من تحقيق عولمته وعولمة رسائله ووسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقلي التكنولوجيا الأكثر تطورا في الوقت الراهن والمحتكر بشكل مباشر للشركات المعنية بتصنيع وسائله والتي تشكل نسبة 23% من قائمة الشركات المائة الأكبر في العالم وتظهر عولمة وسائل ورسائل الإعلام في المظاهر التالية:

أ- التدفق الحر للمعلومات، بعد أن تزاوجت وسائل الإعلام مع الحاسبات الإلكترونية والأقمار الصناعية، وبعد أن تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة تنتج سلعا تخضع لقانون العرض والطلب، وأصبحت لها سوق كبيرة لا تختلف عن أسواق الذهب والبترول وغيرها من السلع الإستراتيجية الأخرى.

ب- تنويع الرسائل الإعلامية بحيث يتلاءم مضمونها مع مختلف الخيارات ليجد كل فرد ما يرغب في مشاهدته أو الاستماع إليه أو قراءته، فيتجسد بذلك مفهوم حرية الاختيار وفق حاجيات الفرد، وهو من أبرز ما يدعو إليه الإعلام في عصر العولمة، كما أن المساحة المتعددة للمتلقين الذين يصبحون بحكم عادات المشاهدة والاستماع أسرى لهذه الوسائل.

ج- البث السريع والمتواصل للرسائل الإعلامية على مدار الساعة وطوال اليوم، وبالتكرار المتواصل الذي يستجيب لفروق الوقت بين الشرق والغرب وعلى الرغم من إيجابيات هذا البث المتكرر في تمكين الناس من الإلمام بالأحداث ومعرفتها لحظة وقوعها، ومتابعتها باستمرار إلا أن له سلبياته، حيث أن التبسيط في عرض الرسالة

---

[211] محمد علي حوات: **العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، ط2، 2004، القاهرة، ص 176.

والسطحية في معالجتها والآنية في التعامل السريع معها يحول دون التعمق في مجرياتها أو معالجتها الموضوعية. [212]

6- أصبح الإعلام ومند عشريات عديدة يشكل نظاما غير متوازن لأن مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية له، إذ تشير التقارير العالمية إلى أن 90% من شبكات المعلومات توجد في بلدان لا يزيد مجموع عدد سكانها عن 25% من مجموع سكان العالم، وأن 90% من المعلومات عن العالم مخزنة في و.م.أفهي تصدر لوحدها إلى العالم حوالي 75% من المعلومات المقدمة عبر الحاسبات الإلكترونية، كما أن 90% من مجموع ذبذبات الإرسال الإذاعي تحتلها دول صناعية يشكل مجموع سكانها عشر سكان العالم. [213]

---

[212] رحيمة الطيب عيساني: **العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية**، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص 62.

[213] يحي اليحياوي: في العولمة والتكنولوجيا والثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 57.

المبحث الثاني: الوظائف الثقافية لتكنولوجيا وسائل الإعلام

أ – تطور تكنولوجيا وسائل الإعلام

إن التطورات التكنولوجية التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين يتضاءل أمامها كل ما تحقق في عدة قرون سابقة ولعل من أبرز مظاهرها الاندماج الذي حدث بين ظاهرتي تفجر المعلومات وثورة الاتصال الخامسة. ويتمثل المظهر البارز لتفجر المعلومات في استخدام الحاسوب في تخزين خلاصة ما أنتجه الفكرالبشري واسترجاعه في أقل حيز متاح وبأسرع وقت ممكن .أما ثورة الاتصال الخامسة فقد تجسدت في استخدام الأقمار الصناعية في نقل الأنباء والبيانات والصور عبر الدول والقارات بطريقة فورية. (214)

تشتمل تكنولوجيا الإعلام الجديدة على عدد كبير من أشكال تكنولوجيا الاتصال عن بعد وتتمثل بـ:

1- تكنولوجيا الحواسيب.
2- تكنولوجيا الاتصال الكابلي.
3- تكنولوجيا الأقمار الصناعية.
4- تكنولوجيا الميكروفون.
5- تكنولوجيا الألياف الضوئية.
6- تكنولوجيا الاتصالات الرقمية. (215)

وقد أحدث دخول تكنولوجيا الحديثة إلى وسائل الإعلام الجماهيرية تحولات كبرى في أسلوب عملها يكاد يصل درجة الانقلاب الجدري هدا التحولات طالت جميع وسائل الإعلام المطبوعة منها والمسموعة والمرئية.

---

(214) نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات،مرجع سبق ذكره ،صص 344، 345.

(215) سعود الكاتب: **الإعلام القديم والإعلام الجديد**، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة ،2002، ص 20.

2-5 تحولات الصحافة المطبوعة :

شهدت التسعينيات المزيد من تحولات الصحف (جرائد ومجلات) إلى الآلية الكاملة في عملية الإنتاج من خلال إدخال الحواسيب والاتصالات السلكية واللاسلكية في معظم مراحل الإنتاج بدءا من توصيل المواد الصحفية إلى مقر الصحيفة بالاستعانة بأجهزة الفاكسيميل الحواسيب،وفي عمليات المعالجة والإنتاج الطباعي وتحرير النصوص والصور على شاشات الحواسيب وانتهاء بعملية الإخراج الكامل والتجهيز للصفحات على الشاشات، ومنها إلى المجهز الآلي للصفحات أو الطابعة الفيلمية(image setter)حيث تخرج الصفحات مجهزة من الحاسوب إلى السطح الطابع (computer to plates) مباشرة،وهناك توظيف كبير للتكنولوجيا الرقمية في التقاط الصور الفوتوغرافية وفي معالجتها فنيا إلى جانب المواد المصورة الأخرى.

كما تطورت أساليب توثيق المعلومات الصحفية بحيث اختفى الأرشيف التقليدي حتى المصغرات الفيلمية بشكلها التقليدي ليحل محلها الأرشيف الالكتروني الذي تجهز محتوياته وتنسق خلال عملية صف الجريدة،كما يستعان الآن بأقراص الليزر المدمجة في تخزين إعداد الصحيفة السابقة ،وربطت مراكز المعلومات الصحيفة ببنوك المعلومات المحلية والدولية وشبكاتها، وطورت أساليب طباعة الصحف في أكثر من موقع في الوقتنفسه من خلال تحسين أسلوب الإرسال وتسريع هو ذلك لإصدار الطباعات الدولية والإقليمية والمحلية من الصحف.

ولعل من أهم التحولات في قطاع الصحافة المطبوعة إمكان الاستفادة من "الطريق السريع للمعلومات "حيث تعرض بواسطة اليوم لقرائها "نشرات إلكترونية"على شبكة الشابكة(الانترنيت).هذا التحول يشكل تطورا تقنيا كبيرا لأن تقنيات "الوسط المتعدد" تمكن الصحفي من إرفاق الرسومات والصور والبيانات المكملة للنص .كما تمكن القارئ من الحصول على أشكال متميزة لصحيفته بفضل إمكان اختيار موضوعات محددة بواسطة "الكلمات المفتاحية"ويمكن أيضا أن يصل بحسب اهتماماته إلى مصادر معلومات تكمل قراءاته ،أو يستطيع أن يتصل مباشرة بكاتب المقال فيطلعه على ردود فعله وتعليقاته أو يتواصل مع قارئ آخر لتبادل الآراء. [216]

---

[216]حسن عماد مكاوي: **تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر العولمة**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1993،ص ص 246،276.

وبناء على ما سبق، يمكننا القول: إن تحولات الصحافة المطبوعة تتمثل بـ:

5-1 – النشر المكتبي:

النشر المكتبي desk publishing تعبير استخدام في مجال الصحافة اليومية للدلالة على استعمال الحاسوب وبرامج الحاسوب لإنتاج الصحيفة .لهذا الاستعمال تأثيرات سواء على مستوى وتيرة العمل في الجريدة وإنتاجها أو على مستوى تخزين المواد في الجريدة بهدف إعادة استخدامها عند الحاجة كمصدر من مصادر الملومات الأولية.

قبل الدخول في التفاصيل لا بدا من توضيح الفرق بين استخدام الحاسوب كطابعة للمادة الصحفية واستخدامه كمنتج المادة الصحفية، في الحالة الأولى يقوم المستخدم بطبع النص الصحفي ومن ثم فإن الحاسوب ينفذ دور الطابعة typewriter فقط ،أما في الحالة الثانية فإن الحاسوب فضلا عن دور الطابعة ينفذ عمليات لها علاقة بتصميم الصحيفة وإخراجها وتوزيع المواد الصحفية من النصوص وصور ورسومات داخل الصفحات .ومن ثم فإن أثر استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي في الصحف يمكن ملاحظته في أمرين، الأمر الأول هو التأثير في مستوى أسلوب العمل داخل الصحيفة،أما الأمر الثاني فهو التأثير في مستوى تخزين النصوص المنشورة واستخراجها.

- على مستوى العمل داخل الصحيفة:

دخول الحاسوب ونظام النشر المكتبي إلى الصحيفة اليومية حمل كثيرا من التغيير في سير العمل داخل غرف التحرير وغرف الإنتاج والتصميم والإخراج ، ويمكن تلخيص أهم النتائج بالآتي:

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة أثر في طريقة تلقي الأخبار اليومية من وكالات الأنباء التي تشترك معها الصحيفة. فالجريدة التي تستخدم الحاسوب تستقبل تقارير وكالات الأنباء عن طريق وسيط أنباء وهو نظام لمعالجة الأخبار الواردة من الوكالات يقوم بعملية استقال الإخبار ثم يوزعها أوتوماتيكيا على المحررين ،فالمحرر يملك خيار الاطلاع على جميع الأخبار الواردة إلى الصحيفة دون تحديد موضعي أو جغرافي ،ويملك أيضا تلقي خيار الاطلاع على الأخبار التي تهمه فقط مع تحديد جغرافي إذ شاء. فالمحرر الذي يهتم بالأخبار العملية أو المسؤول عن صفحة العلوم داخل الجريدة يملك خيار استقبال الأخبار والتحقيقات التي لها علاقة بموضوع

صفحته فقط وبذلك فهو غير معني بالأخبار السياسية التي تثبتها وكالات الأنباء الصحفية التي يعمل فيها،طبعا في هذه الحالة فإن الحاسوب سوف يكون مزودا بتعليمات تعينه على توزيع الأخبار وتصنيفها حسب الموضوع والمكان ومصدر المادة الصحفية.

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة إلكترونية أثر في طريقة تصميم الصحيفة وإخراجها،فتصميم الصفحات وإخراجها يتم بشكل آلي وعلى الشاشة مباشرة وليس يدويا كما هو الحال مع الصحف التي تتبع الأسلوب التقليدي في إنتاج الصحيفة.

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة نشر إلكترونية أثر على استقبال الصور من الوكالات المتخصصة،فالصور يستقبلها وسيط صور يسمح للمحرر بالبحث عن صور معينة ويسمح له أيضا باختيار الصور المناسبة لنصه الصحفي، بعد اختيار الصورة يمكن للمحرر أن يحولها بواسطة الشبكة الداخلية إلى مصمم الصفحة أو إعطاء المصمم رقم الصورة المطلوبة بعدها يقوم المصمم بجلب الصورة إلكترونيا ويضعها في مكانها المحدد داخل الصفحة.

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة نشر إلكترونية أثر في طريقة النشر الدولي للصحيفة ،فاليوم ترسل الصفحات كلها إلى مواقع الطباعة في البلدان التي تطبع أو تصدر فيها الصحيفة بواسطة خط هاتفي ISDN أو بواسطة قنوات الأقمار الاصطناعية من مكان إنتاج الصحيفة.الصفحات التي تحتوي على نصوص فقط يستغرق إرسالها أقلمن دقيقة أما الصفحات التي تحتوي على صور ورسومات وشعارات LOGOS فإن إرسالها يستغرق وقتا أطول.

- على مستوى تخزين النصوص واسترجاعها:

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة نشر إلكترونية أثر في طريقة حفظ النصوص الصحفية ،النص المنتج بواسطة الحاسوب يمكن حفظه كنص وليس كصورة فقط.

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة نشر إلكترونية سهل عملية تصحيح النصوص الصحفية من الأخطاء.فالمادة الصحفية المحفوظة على شكل نص يمكن تصحيحها بسهولة وحفظها من جديد.

* الاعتماد على الحاسوب كوسيلة نشر إلكترونية يسهل عملية تجهيز النصوص قبل التخزين داخل قواعد المعلومات فكل نص صحفي يفقد بعضا من تفاصيله الببليوغرافية بفعل إخراجه من الصفحة التي ورد فيها(مثل، العنوان، اسم الكاتب). أما التفاصيل التي يجب إضافتها إلى كل

نص بعد إخراجه من الصفحة فهي على الأقل اسم الصحيفة، تاريخ النشر، رقم العدد ورقم الصفحة.

3- النشر الإلكتروني:

على عكس ما هو سائد في معظم الاستخدامات الأكاديمية والمهنية هناك فرق بين تقنية النشر المكتبي وتقنية النشر الإلكتروني،ما يجمع بينها هو الاعتماد على الحاسوب في النشر والتخزين والاسترجاع، أماما يفرقهما فيكمن في طبيعة الوظائف المناطة بكل منهما وكما ذكرنا آنفا فإن تقنية النشر المكتبي تختزل العمل التقليدي من الاعتماد على المهارات اليدوية في إنتاج الصحيفة إلى الاعتماد الكلي على الحاسوب وبرامج الطباعة والنشر في استقبال الأخبار والصور وفي التصميم والإخراج،أما النشر الإلكتروني فيستدعي التوفير الإلكتروني لنصوص الصحيفة وصورها كمصدر معلومات فوري من خلال شبكة الابكة (الإنترنيت) أو على أقراص مدمجة أو من خلال الشبكة الداخلية للصحيفة، ويستطيع المستفيد الوصول إلى النصوص من خلال برامج خاصة بالبحث والاسترجاع.وعلى الرغم من الفرق بين التقنيتين غالبا ما يمزج المتخصصون بين المصطلحين عند تناولهم موضوعات تتعلق بتكنولوجيا النشر ويوحدنها في مصطلح واحد هو النشر المكتبي الإلكترونيDTEP.

4- تحولات الإذاعة:

تمر خدمات الراديو التقليدية حاليا تحول التوسع في استخدام محطات الراديو منخفضة القوة (low-power-stations) التي تخاطب عددا محدودا من الأفراد أو الجماعات الصغيرة.وكذلك تتجه محطات الراديو نحو استخدام نظام التشكيل بالتردد FMللإرسال الإذاعي بدلا من نظام التشكيل بالاتساع AM، ومن المعروف أن استخدام ترددات FM تقلص من اتساع النطاق الجغرافي لمحطات الراديو، ومن ثم يزداد التوجه نحو مخاطبة أعداد أقل من الجماهير ذات الخصائص المتشابهة.

ويتحدث الخبراء الآن عن مفهوم جديد للإذاعة يعتمد على الإذاعات المحدودة أو الضيقة (Nqrroz-Cast) ويشير هذا المفهوم إلى أن الإذاعات الضيقة سوف تخاطب جماعات أقل عددا وأكثر تجانسا.

الراديو الرقمي (Digital Radio):

تكنولوجيا البث الإذاعي الرقمي مثلها مثل تكنولوجيا البث التلفازي الرقمي فهي تتيح إرسال عدة قنوات صوتية في حزمة صغيرة من الترددات وتستقبل برامجه بواسطة هوائية صغيرة.بمعنى آخر فإن هذه التكنولوجيا تشغل مساحة أصغر من الطيف (spectrum). على سبيل المثال نجد أن سبع قنوات تناظرية يمكن أن تشغل حاليا نحو MHz9 في حين أن القنوات نفسها لو تحولت إلى البث الرقمي فإنها ستشتغل بحد أقصى MHz1.5. تبث المحطات الرقمية إرسالها بواسطة موجات تنتقل عبر الأثير شاغلة جزءا من الطيف لكل تردد .تقوم التكنولوجيا الرقمية بضغط عددا أكبر من القنوات في كل جزء من أجزاء الطيف من خلال توفير القنوات في صورة رقمية ،ثم تنقل عددا من تلك القنوات بهذا الشكل المرمز في صورة موجات ،وأخيرا يتم فك تلك الرموز عند وصولها إلى المستمع. هذه العملية تعني أنه على التردد نفسه يكون هناك مزيج من المحطات المرمزة أو المشفرة التي لا يمكن اعتراضها إلا بواسطة جهاز خاص لفك الشفرة (decoder) أو ما يعرف بجهاز الاستقبال الرقمي للتلفاز. أما في حالة الراديو فإن جهاز فك الشفرة يكون مبنيا داخل جهاز الراديو نفسه.الإشارة الرقمية للراديو يمكنها حمل ثماني محطات أو قنوات إلى تسع على الموجات نفسها.

العديد من الدراسات تسعى من ناحية أخرى إلى تطوير تكنولوجيا جديدة تسمى (IBOC) يمكنها بث البرامج الإذاعية الرقمية ضمن قنوات الإرسال التقليدي.الإشارات الرقمية يتم إرسالها داخل قنوات بث موجات FMوAMالتقليدية نفسها مما يجعل بالإمكان تحويل الإشارات المرساة جميعها إلى الأسلوب الرقمي لتنتفي الحاجة لشراء جهاز راديو رقمي خاص. وفي الولايات المتحدة الأمريكية بدأت في الظهور محطات رقمية تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية ويطلق عليها محطات Sمقابل موجات FMوAMالتي ظهرت في الأربعينيات،وسوف تؤدي هذه المحطات الجديدة إلى إمكانية تغطية مساحات شاسعة بالإرسال لا يمكن للبث التقليدي المحدود الوصول إليها. ويتطلب البث الفضائي شراء راديو صغير للسيارة يحتوي على بطاقات توضع في فتحة الكاسيت أو جهاز عرض القرص المدمج مع طبق فضائي صغير يوضع خارج السيارة.هذه الخدمات الرقمية تتضمن رسوما شهرية في حدود عشرة دولارات .وتعود أهمية البث الرقمي الموجه نحو المستمعين في السيارات ووسائل النقل الأخرى إلى أن الراديو في السيارة له التلفاز

نفسه في المنزل ومن ثم فإن وجود البث الفضائي في السيارة يصبح ضرورة عصرية لأن الراديو العادي بموجاته التقليدي FMوAM لم يعد يغطي طموحات المستمعين الواسعة وبرامجها المختارة لأن النظام الرقمي يحتوي على عدد أكبر وأشمل من القنوات بشكل يكفي لتلبية احتياجات المستمعين المتنامي.

ميزات البث الإذاعي الرقمي:

* يوفر البث الإذاعي الرقمي إرسالا صوتيا فائق النقاوة يماثل نقاوة الصوت في الأقراص المدمجة مع تحرره من المؤثرات الخارجية التي يمكن أن تؤثر في البث التقليدي.

*عدد أكبر من المحطات مع توفير خيارات أكبر للمستمعين من القنوات المتخصصة.

*إمكانية استقلال البيانات على شاشات الراديو الرقمي وبث المعلومات الرقمية عن حالة المرور وإمكانية التسوق على الخطوط الإلكترونية،حيث سيتم تزويد بعض أجهزة الاستقبال بأزرار خاصة لإتمام عملية الشراء عند الرغبة في اقتناء أي سلعة تعلن عنها المحطة،و يرتبط جهاز الراديو بهاتف ينفذ عملية الاتصال لشراء السلع.

راديو الشبكة(الإنترنت)(internet Radio):

أصبحت أعداد متزايدة من المحطات تبث برامجها بواسطة الشابكة (الإنترنت)،وما يساعد على زيادة أعداد تلك المحطات هو أن معظم الإصدارات الحديثة من برامج التصفح(browsers) تحتوي على قدرات ذاتية للاستماع للراديو ،كما أن أجهزة الحاسوب أصبحت تحتوي على بطاقة راديو(radio card) داخلية وإن كانت حسب الطلب إلا أنها متوافرة. ومع أن هذه البرامج والأجهزة مصممة لالتقاط البث التناظري إلا أنه يمكن تصميمها لالتقاط البث الرقمي في المستقبل.من ناحية أخرى فإن الانتشار الكبير للشبكة وبشكل خاص في المكاتب التجارية والتي تتمتع كثير منها بخطوط ربط سريعة بالشبكة (الانترنت) سوف تجعل جهاز الحاسوب يحل محل جهاز الراديو التقليدي في الاستماع إلى الموسيقى والأخبار من خلال ساعات العمل ولاسيما أن إرسال الراديو داخل المباني التجارية الكبيرة يكون متقطعا ويفتقد للوضوح.كل هذه التطورات تعني أن استعمال الحاسوب(الكمبيوتر) لسماع برامج الراديو ستكون في ازدياد سواء في المنزل أو في المكتب.

أعلنت هيئة الإذاعة البريطانيةBBCعن خطط لإطلاق خدمات الشابكة (الإنترنت) متعددة الوسائط وبمجموعة متنامية من اللغات.وهي تهدف إلى أن تكون الرائدة في مجال تقديم الأخبار مباشرة على الشبكة، وتخدم ومن ثم عددا هائلا من المستمعين والمشاهدين الذين سيتسنى لهم وفي كل أنحاء العالم فرصة التعامل مباشرة مع مذيعي شبكة BBCعبر الشبكة،إذ سيتمتع المستمعون من متابعة برامج الشبكة مباشرة بواسطة الشبكة(الإنترنت) والإذاعة على حد السواء.كما أنهم سيتمكنون أيضا من مشاهدة صور فيديو حية على الشبكة،ويمكنهم كذلك التفاعل والمشاركة في النقاش الذي يتمحور كل مرة حول موضوع معين عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني،وبعدما يتوقف بث البرنامج على الهواء يستمر تبادل الآراء على موقع الإذاعة على الشبكة(الإنترنت).

آخر التطورات التكنولوجية في هذا المجال هو العمل على إنتاج أجهزة جديدة صغيرة تجعل بالإمكان الاستماع إلى المحطات الإذاعية على الشبكة دون الحاجة إلى جهاز حاسوب (كمبيوتر) شخصي.

تكنولوجيا جديدة للاسترجاع والبحث داخل محتوى برامج الراديو:

تتمثل إحدى الصعوبات إحدى الصعوبات التي يواجهها الراديو في عدم سهولة استرجاع(retrieve)البرامج بعد إذاعتها بأسابيع أو أشهر،ففي كثير من الحالات لا يكون هناك نسخ للبرنامج(transcripts).

وإذا وجدت تلك النسخ فإنها تكون على شكل مادة مطبوعة يصعب البحث داخلها و مع أن شركات البث تقوم بحفظ نسخ من البرامج القديمة إلا أن تلك النسخ لا تكون مفهرسة باستثناء اسم البرنامج وتاريخه في عام 2000 تم اختبار تكنولوجيا جديدة على الشابكة(الأنترنت) عبارة عن فهرس(Index)يحتوي على 7195 ساعة من المحتوى الإذاعي ل 6613 برنامج بعضها يعود إلى شهر آذار1999ولا يتم تحديث ذلك الفهرس يوميا.وحتى يقوم المستخدم باستماع فأن كلما عليه القيام به هو الذهاب إلى الموقع والبحث عن الموضوع الذي يريده باستخدام لوحة المفاتيح حيث تقوم الخدمة باسترجاع المقطوعات الصوتية التي يمكن للمستخدم الاستماع إليها (keyword)عبر حاسبة الشخصي فقط.

6 - تحولات السينما:

السينما الرقمية(E.Cinima):

نالت السينما نصيبها أيضا من الجدل الدائر تأثير تكنولوجيا الإعلام الجديد ،وقد توقع بعضهم أن تؤدي تلك التطورات إلى إلغاء الحاجة للذهاب إلى دور عرض الأفلام السينمائية.يتمثل أحد التغيرات التي تشهدها صناعة السينما حاليا في أن العدد الأكبر لمرتادي دور العرض أصبح من جيل الشباب وصغار السن الذين أصبحت خيارات الترفيه أمامهم اليوم كبيرة ومتنوعة أكثر من أي وقت مضى،وهذا أدى إلى انخفاض الطلب على تذاكر الأفلام السينمائية.

عموما فإن صناعة السينما ستكون قادرة على مواجهة التطورات التكنولوجية الجديدة بل،الاستفادة منها لتعزيز موقفها التنافسي. قبل نحو أربعين عاما مثلا شهدت صناعة السينما الأمريكية انخفاضا مؤثرا في دخلها تمكنت من تجاوزه بطرائق جديدة مبتكرة فقد أصبحت مركز إنتاج أساسي لصناعة التلفاز الجديدة ،كما أنها تمكنت بالمثل من الاستفادة من النمو الكبير في مجالات أشرطة الفيديو والكابل التلفازي. وترى الإنتاج السينمائي في هوليود اليوم فرصاً جديدة للربح من خلال إنتاج أفلام عالية الوضوح(High définition films) لشبكات التلفاز والكابل ولدور العرض الخاصة بالأفلام السينمائية.

دخلت التكنولوجيا الجديدة بقوة إلى المجال السينمائي فحولته إلى صناعة مثيرة في قدراتها وأدائها،فما نشاهده اليوم من لقطات لحيوانات خرافية على الشاشة ومناظر مبهرة ليس سوى أنواع من الخدع التي أدى الحاسوب (الكمبيوتر) وبعض التقنيات المتطورة دورا أساسيا في إنجازها.وهناك بوادر تشير إلى أن الصناعات تقف الآن على عتبة تغيرات شاملة ستغير وضعها الاقتصادي والتكنولوجي على حد سواء، فالصور التي تستعرض على الشاشة البيضاء ستكون أكثر صفاء وسيصاحبها أسلوب جديد في المؤثرات الفنية على مسرح الأحداث الجارية ضمن السيناريو المعروف.

وقد قام أصحاب دور عرض الأفلام بطرح الجديد من أجهزة عرض الأفلام الرقمية في بداية عام 2002 حيث تم الاستعاضة وقتها عن البكرات الثقيلة لأفلام 35 مليمترا التي يبلغ قطرها عدة أقدام بأجهزة عرض إلكترونية تعمل بأشرطة ممغنطة أو أقراص رقمية التي تعتمد

على الرقائق الإلكترونية وملايين المرايا المتناهية الصغر بهدف إظهار الصور بدقة أكثر وبألوان مطابقة للأصل وكأن المشاهد الجارية تحصل فعلا أما المتفرج.

وبفضل هذه التكنولوجيا الجديدة لن يكون هناك حاجة لاستيراد آلاف البكرات السينمائية،فإذا علمنا أن كل نسخة مصورة تكلف 2000 دولار وأن عند إخراجها وعرضها بالطرائق التقليدية. غير أن هذه النفقات سيكون بالإمكان تخفيضها بدرجة كبيرة بفضل التكنولوجيا الجديدة،فالمشاهدة السينمائية سترسل مباشرة إلى دور العرض من خلال شبكة الاتصالات عبر الأقمار الصناعية،وبذلك ستكون الفائدة عامة لأنها ستشمل دور العروض السينمائية فضلا عن الإستديوهات التي تجري بداخلها مشاهدة الأفلام.

ويصاحب هذا الأسلوب المتطور في عرض الأفلام جودة فنية ونوعية إذ إن عملية الاستنساخ التقليديةللنسخة الأصلية تفقد المشاهد بعض جودتها ووضوحها ،ويمكن ملاحظة ذلك بعد عرض هذه الأفلام مرات عديدة حيث تظهر آثار التلف والاستهلاك من كثرة الاستخدام.هذه المشكلة أصبح بالإمكان التغلب عليها من خلال استخدام ماكينة (تيليسيني) التي تستنسخ الأشرطة الرقمية لتكون مطابقة للأصل. وتقوم العارضات الرقمية بإظهار الصور من خلال المعلومات المخزنة في الحاسوب (الكمبيوتر)بدلا من الاستخدام القديم الذي يعتمد على استخدام إضاءة قوية خلال دوران الشريط الذي يصور أحداث الفيلم.وتتم العملية بأسلوب يشبه عمل محرك القرص المدمج أو نظام الأقراص الرقمية المتعددة الوسائط ،حيث تترجم المعلومات إلى صوت وصورة في الوقت نفسه. تجرى عملية نقل الأفلام إلى دور العرض بهيئة أشرطة إلكترونية أو أقراص مدمجة، غير أنه من المتوقع أن تتم العملية عبر الأقمار الصناعية في المستقبل.

هذا الابتكار سيكون مفيدا لأصحاب دور العرض الذي يهمهم أن يكون أول من يحصل على النسخ الأولى من الأفلام الرائجة حيث يعاني سكان المدن الصغير من تأخر مشاهدتها لمثل هذه الأفلام عدة أسابيع إلى حين وصولها إلى أماكنهم. أما الآن فقد أصبح من الممكن التغلب على هذه العقبات بفضل التكنولوجيا الرقمية والاتصالات الفضائية.

أفلام الشبكة (الانترنيت)(Internt films):

أصبح الشبكة (الانترنيت) وسيلة جديدة لتوزيع الأفلام السينمائية وعرضها ،وكان فيلم WhatDreams May Come من بطولة (روبن وبليمز) الحائز على جائزة أفضل مؤثرات صوتية أول فيلم يجرى توزيعه وعرضه على الشبكة (الانترنيت).

ورغم عرض عدد من الأفلام القصيرة على الشبكة إلا أن Quantum Project هو أول فيلم سينمائي طويل يبث بهذه الطريقة.

ويمكن للمشاهدين تحميل الفيلم ومشاهدته على حواسيبهم (كمبيوتراتهم) الشخصية مقابل دولارين إلى أربعة دولارات،وعند استخدام جهاز مودم عادي فإن عملية تحميل الفيلم سوف تحتاج إلى وقت طويل ،كما أن الصور المعروضة سوف تكون أقل وضوحا من المستوى الذي يطمح له المشاهد،خاصة عند مقارنتها بالأفلام المعروضة في دور السينما أو حتى أفلام الفيديو ،لذلك فإن المهتمين في هذا المجال يتطلعون إلى انتشار وسائل الارتباط السريع بالشبكة (بالانترنت)مثل ISDNو DSL والكابل التلفزيوني وغيرها التي سوف تسهم في حل مشكلة البطيء في تحميل الأفلام على الانترنت وتحسين جودة عرضها .وتترقب استديوهات هوليود بحذر وقائع هذه التكنولوجيا الجديدة وتأثيرها في مستقبل صناعتها وتوزيع منتجاتها.علما أن معظم الأفلام المعروضة حاليا على الشبكة (الانترنت) هي من الأفلام القديمة أو تلك التي تعد أفلاما غير رائجة جدا،ومن ثم فإنها لا تشكل تهديدا على ما هو معروض في صالات العروض السينمائية.غير أن نجاح الشبكة في تحسين أدائها كان واضحا من خلال عرض فيلم (مشروع بلير الساحر) فعلى الرغم من تكلفته القليلة إلا أنه لفت الأنظار الى أهمية الشبكة المستقبلية في عالم التوزيع السينمائي.

السينما المنزلية (House Cinima):

وأخيرا، من التحولات التي شهدها قطاع السينما ظهور (السينما المنزلية) التي أسرت المشاهدين بنقاوة الصوت وجمال الصورة ومكنتهم من الاستمتاع بأفضل الأفلام السينمائية في منازلهم بدلا من الذهاب السينما. حيث وفرت شركة (فيليبس) أحدث نظام للسينما المنزلية DVD وجهاز استقبال ومجموعة مكبرات الصوت التي يتراوح عددها أربعة وستة مكبرات . ويوفر هذا النظام خيارين : الأول يحمل اسمLX300 والثاني LX35000 وهما يحتويان على ماسح

متطور للصور يقدم صورا دقيقة وغنية بالألوان كما يقدم LX35000 تجهيزات إضافية مع خيارات بالألوان الصفراء الداكنة والرمادية الرولية. وبفضل المضخات ومكبرات صوت المتضمنة في هذا النظام يمكن التمتع بالإحساس الحقيقي بالنظام الصوتي؛ فمن خلال أنظمة دولبى الرقمية وأفنية DTSالمرمزة ونظام ماتريكس للصوت المحيط تمكن المشاهدون من التمتع بصوت رائع مثل صوت الطائرة الحربية عند مرورها وصوت الطلقات النارية، مما منحهم إحساسا كما لو أنهم يعيشون داخل الفيلم ويشاركون في أحداثه، فضلا عن العديد من الميزات مثل التحكم بنمط الصورة والصوت المطلوبين وإتاحة(40) قناة للضبط المسبق.

تحولات التلفاز:

التلفاز عالي الوضوح (High DefinytionTelevision):

نظام التلفاز الحالي المستخدم في الولايات المتحدة وهو نظام NTSC (Television System Committee National) الذي تم تطويره في الثلاثينيات والأربعينيات ثم أدخلت عليه الألوان في الخمسينيات.هذا النظام يتم العمل به بشكل عام في دول شمال القارة الأمريكية وفي اليابان ،في حين تستخدم معظم دول العالم الأخرى إما نظام Phase(PAL) Alternatiog Line وهو النظام الأوربي أو نظام SECAM(Memory) WithSequentialColor الذي تم تطويره في فرنسا واستخدم في مكان يعرف بالإتحاد السوفيتي فضلا عن بعض دول الشرق الأوسط وشمال أفريقية. هذه الأنظمة تختلف في كفاءتها ألا أنها جميعا تعاني من عيوب في نقاء الصورة والألوان، وهي مشاكل يمكن رؤيتها بوضوح عند استخدام شاشات العرض الكبيرة.

هذه المشاكل أدت إلى تطوير ما يعرف بالتلفاز عالي الوضوح أو اختصارا HDTV الذي يعد التطور الرئيسي الأهم من نوعه في تكنولوجيا التلفاز منذ اختراع التلفاز الملون في الخمسينات.ويسعى مصممو إلى جعله اختراعا يجمع في داخله ثلاثة أنواع مختلفة من التكنولوجيا وهي تكنولوجيا التلفاز وتكنولوجيا الحاسوب وتكنولوجيا الأفلام بحيث يصبح تلفازا متعدد الوسائط. ومع أن تلك النقلة لم تحدث بعد إلا أن التلفاز عالي الوضوح (HDTV) يوفر حاليا الميزات التالية:

* درجة وضوح أعلى نظرا إلى كون الصورة تتكون من نحو 1100 خط مقارنة ب 525 خطا فقط لنظام NTSC و625 خطا لكل منPAL و SECAM.

* نقاوة الصورة تزيد بنحو 400 إلى 500% نظرا إلى كون شاشة التلفاز عالي الوضوح (HDTV) يتم تقسيمها إلى شبكة من 1080 1920* نقطة ضوئية (Pixel) مقارنة بـ 340 420*نقطة ضوئية فقط نظام (NTSC).

* نسبة عرض الصورة التليفزيونية إلى ارتفاعها (Rtio Aspect) في التلفاز عالي الوضوح هي16 إلى9 مقارنة ب 4إلى 3 في الأنظمة الأخرى مما يعني أنها أعرض من الشاشة التقليدية بمقدار 25 ونظرا إلى أن(HDTV) يتمتع بدرجة وضوح أعلى(RESOLUTION)فإن بالإمكان زيادة حجم الشاشة مع الاستمرار في الحصول على صورة عالية الوضوح .

* حركة الصورة في التلفاز عالي الوضوح تتم بشكل أكثر سلالة وانسيابية نظرا إلى انه يعمل بواقع60 إطارا في الثانية وهو نسبة الأطر المستخدمة في نظام NTSCنفسها.

* لا وجود لصورة الطيف أو الظل التي كثيرا ما تظهر في التلفاز العادي.

* درجة صوت عالية الوضوح تماثل نقاوة الصوت في الأقراص المدمجة(CD).

* التلفاز عالي الوضوح حسن من وسائل نقل الألوان بشكل أصبحت تبدو معه أكثر وضوحا وأقرب إلى الطبيعة إن التلفاز عالي الوضوح سوف يجعل من عملية مشاهدة فيلم على التلفاز عملية ممتعة ومماثلة لمشاهدة الأفلام السينمائية في صالة العرض.

من ناحية أخرى فإنه في الوقت الذي لم يكد بعضهم يبدأ فيه بالتفكير في اقتناء تلفاز عالي الوضوح (HDTV) فإن اليابان أسدرت مؤخرا الستار عما يعرف بالتلفاز فائق الوضوحULTRA DEFINITION TV) أو اختصارUDTV)،فقد اتحدت أكثر من 100شركة ومنظمة لإنتاج هذا التلفاز الذي يعتمد على تكنولوجيا رقمية متفوقة تستخدم2000خط أي نحو ضعف الرقم المستخدم في التلفاز عالي الوضوح وقد بدأ العمل في إنتاج هذا التلفاز مع بداية عام2005م.

مع كل تلك الميزات التي يوفرها التلفاز عالي الوضوح إلا أنه يواجه عددا من الصعوبات التي قد تؤدي إلى انتشاره بشكل كبير،ومن تلك العقبات:

* ارتفاع التكلفة بالنسبة إلى المستهلك.

* تتطلب عملية التحول إلى النظام الجديد استثمار مبالغ كبيرة،هذا في الوقت الذي مازالت الشكوك تحوم فيه حول مدى اهتمام المشاهدين بالحصول على تلفاز أكثر وضوحا أو قنوات أكثر عددا من تلك التي يحصلون عليها حاليا.

* تتم عملية الإرسال المستخدمة في الأنظمة الحالية على ذبذبات غير ملائمة للاستخدام في التلفاز عالي الوضوح الذي يحتاج إلى عرض نطاق أكبر تستوعبه التكنولوجيا الحالية،يكمن حل هذه المشكلة في استخدام وسائل الضغط الرقمية التي تعمل على ضغط إشارات التلفاز عالي الوضوح بحيث تصبح قادرة على المرور عبر قنوات التلفاز الحالية.

التلفاز الرقمي(DIGITAL TV):

حتى عهد قريب كانت بث برامج التلفاز تعتمد على تحويل الصورة والصوت إلى إشارات من الموجات التي يجري بثها عبر الأجواء ليلتقطها الهوائي في المنازل،أما حاليا فإن التلفاز الرقمي والإذاعة الرقمية هي أحدث التطورات التي بدأت زحفها نحو المنازل والتي أصبح بإمكان المشاهدين معها التمتع بالميزات والخدمات المتفاعلة التي توفرها تكنولوجيا التلفاز الرقمي من طلب وجبات الطعام السريعة إلى حجز تذاكر السفر ومتابعة أسعار الأسهم وأخبار المال والسياسة والرياضة عبر شاشات التلفاز الجديد،فضلا عن الدخول على الإنترنتعبر التلفاز بدلا من أجهزة الحاسوب الشخصي.

وتختلف تكنولوجيا التلفاز الرقمي عن تكنولوجيا التلفاز التقليدية التناظرية analog بأن الصورة والصوت في التلفاز الرقمي يتم تحويلها إلى إشارات ثنائية من الأصفار والآحاد أي بالنظام نفسه الذي تستخدمه أجهزة الحاسوب (الكمبيوتر)نفسه.هذه الإشارات يتم استقبالها بواسطة هوائي التلفاز الذي يقوم ذاتيا أومن خلال جهاز خارجي إضافي بفك الرموز المستقبلة إما في التلفاز التقليدي فيحول الصوت والصورة إلى أمواج إلكترومغناطيسية تحدد جودتها مدى نقاء الصورة والصوت على الشاشة.

وتنتشر شبكات التلفاز الرقمي حاليا سواء بالبث عبر الأقمار الصناعية أو الكابلات أو البث من المحطات الأرضية، وهي تجعل بالإمكان عن طريق استخدام تكنولوجيا الضغط(compressing).إرسال عدد أكبر من البرامج على الموجة الهوائية نفسها التي

تستخدمها التكنولوجيا التناظرية مقابلقناة واحدة للتلفاز التقليدي الحالي،فضلا عن ميزة الجودة العالية للصورة والصوت في التلفاز الرقمي.

ميزات التلفاز الرقمي:

* صورة وصوت عالية الجودة تفوق تلك التي يمثلها النظام التماثلي تجعل من عملية مشاهدة الأفلام على التلفاز عملية مشابهة لمشاهدتها داخل قاعات السينما من حيث نقاوة الصورة ووضوح الصوت الذي يماثل نقاوة صوت الأقراص المدمجة.

* عدد خيارات أكبر من القنوات والبرامج حيث يوفر التلفاز الرقمي عدة قنوات على عرض النطاقbandwidth المستخدم لبث برامج واحد بالنظام التماثلي الحالي.

* التلفاز الرقمي قادر على تقديم خدمات وسائط متعددة تشمل على الصوت والصورة والبيانات والنصوص.

*إمكانية الدخول إلى البريد الإلكتروني والإنترنت.

*خدمات متفاعلة من المشاهد والبرامج المعروضة فالصفحات التلفازية التي تعرض نصوص الأخبار وبمختلف أنواعها حاليا يمكن أن تعرض الصور أيضا مع إمكانية إضافة وصلات إلكترونية مباشرة مع الشركات المعلنة.

*إمكانية الحصول على صورة عالية الوضوح للتلفاز المتنقل،فالتلفاز التناظري لا يمكنه توفير صورة جيدة في حال الاستقبال المتحرك مثل التلفاز المثبتة في السيارات والقطارات،بل حتى في أجهزة التلفاز القصيرة المحمولة باليد.

التلفاز الكابلي (câble TV):

بدأت خدمة التلفاز الكابلي في الأربعينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لعدم قدرة الإشارة التلفازية على الوصول إلى المناطق البعيد ة،أو الاستقبال الناس الذين يقيمون في بعض المناطق النائية لإشارة تلفازيه ضعيفة أوغير واضحة، أو بها قدر كبير من التداخل مع موجات أخرى .وتم تأسيس أول نظام كابلي في الجزء الجنوبي من ولاية بن سلفانيا عام ألف 1946 بهدف تحسين الخدمة التلفازية،وبحلول 1950 بلغ عدد شركات الكابل في الولايات المتاحة حوالي سبعين شركة(25).

وفي 1975 استخدمه شركة هوم بوكس أوفيس HBO الأقمار الصناعية لمزج الإرسال ألتلفازي الكابلي بالإرسال الفضائي، وبذلك كانت أول شبكة كابلية تستخدم الأقمار الصناعية ومع بداية الثمانينات من القرن العشرين بدأ الحديث خاصة حول الكابلات، وارتفع بسرعة عدد البلدان التي يخدمها الكابل ألتلفازي، وبلغ الدخل من التلفاز السلكي عام 1982 نحو بليونيين ونصف البليون من الدولارات،وبلغت نسبة من يستقبلون الإرسال ألتلفازي بالطريقة السلكية عام 1987 (45/) من المنازل،وفي عام 1994 ارتفعت النسبة إلى 97/ (26).

وفي حين استخدم نظام الكابل واتسع انتشاره في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، تعثر تطبيقه في الدول الأخرى ولا سيما دول العالم الثالث لما يرتبط به من تكلفة مادية عالية، وظهرت بدلا منه أنظمة سميت بالكابل الهوائي.

تمكن بفضل التلفاز الكابلي من الحصول على خدمة تلفازيه عالية الجودة ،كما أمكنهم الاختيار بين قنوات متعددة إذ يمكن لبعض النظم الكابلية أن تتيح نحو مئة قناة تلفازيه،وسوف يرتفع هذا العدد إلى نحو ألف قناة عندما تستخدم كابلات الألياف الضوئية(FiberOptics) وبذالك فسوف لا يكون المشاهد مجبرا على تلقي مضمون معين مفروض عليه من قبال الحكومات أو الهيئات العامة أو الخاصة.

ويمكننا القول: أن التلفاز الكابلي أحدث طفرة هائلة في مجال الخدمة التلفازية إذ تمكن من إمداد المشتركين بخدمات برامجية متميزة من خلال مئات القنوات المتخصصة على مدى الأربع والعشرين ساعة،كما أعطى المعلنين فرصة ذهبية للوصول إلى جماهيره المستهدفة بسرعة وسهولة.

البث التلفازي المباشر عبر الأقمار الصناعية(BROADEASTS SATELLITE TV):

عرف البث المباشرفي مجال الإذاعة أنه كل مادة تبث حية أي غير مسجلة.ويقصد به نوعية من البرامج التي تبث على الهواء،أو التي يكون المشاهد عنصرا رئيسيا مشاركا فيها.

أما البث المباشر من خلال الأقمار الصناعية فهو ظاهرة حديثة نسبيا،وهو إمكانية وصول الإشارة إلى أجهزة الاستقبال ألتلفازي في البيوت مباشرة بعد تركيب معدات صغيرة إضافية دون المرور بمحطات أرضية للاستقبال.

ووفقا لهذا التعريف فإن البث المباشر يشمل الاستقبال لفرد أو الجماعي،ويقصد بالاستقبال الفردي: إمكانية تلقي الفرد للإشارة من قمر الاتصالات بوسائل بسيطة ولا سيما الهوائيات الصغيرة،في حين يقصد بالاستقبال الجماعي استقبال الإشارات عن طريق تجهيزات للاستقبال معقدة وهوائيات أكبر من التي يستخدمها الفرد من اجل استخدام مجموعة من الأفراد أو للاستخدام العام في منطقة محدودة أو بنظام توزيع يغطي منطقة معينة.

وأقمار الاتصال(Communication Satellite)هي أساس الشبكات الفضائية ولها قنوات مرئية وصوتية تختلف طاقاتها باختلاف الغرض الذي أطلقت من أجله و الرقعة المطلوب تغطيتها والمجالات التي تستخدمها.

أدى استخدام أقمار الاتصال في مجال التلفاز إلى حدوث تغير ملموس للبث ألتلفازي ،فقد أمكن التغلب على المشاكل التي كانت تعيق نقل البرامج التلفازية إلى مناطق بعيدة،وأصبحت قنوات التلفازية قادرة على توصيل برامجها إلى جميع أنحاء العالم. إلا أن التطور الأكبر الذي أحدثته أقمار الاتصال هو القدرة على تحقيق الآنية في نقل الأخبار والمعلومات والبرامج من دول العالم المختلفة،وهذا أدى إلى تقديم المادة الإعلامية في زمن حدوثها،وسهل للتلفاز الوصول إلى إدراك المشاهد وجعله يتعايش مع الأحداث بشكل مباشر.

الوظائف الثقافية للتلفزيون:

التلفزيون كوسيلة ثقافية:

مع أن التلفزيون بدأ مسيرته كأداة للتسلية والإخبار، إلا أنه سرعان ما وسع من اهتمامه ليطال جوانب أخرى متعددة ومنها الموضوعات الثقافية، واليوم بفضل التطور التكنولوجي أصبح هناك امتزاج بين الثقافة والتقانة، جعل الثقافة سلعة يمكن تبادلها ولعل التلفزيون قبل الإنترنيت وبعده، يعد من اكبر وسائل الإعلام أهمية في تكريس وتفعيل أطروحة الثقافة العالمية الواحدة.

إن مستوى دراسة التلفزيون في الأنشطة الثقافية، أو مكانة الأنشطة الثقافية في الإنتاج التلفزيوني تطرح بشكل معقد في ظل عدم تحديد مفهوم الثقافة الواسع، إلى درجة ضياع العلاقة بين الوسيلة الإعلامية والخدمات الثقافية.

إن مفهوم الثقافة المقصود في المعالجات التلفزيونية يشير إلى المفهوم الفكري الذي يربط التنمية الفكرية واكتساب المعارف والآداب والفنون وترقية القدرة على التذوق والمعرفة الشاملة،

والبرنامج الثقافي الذي يقدمه التلفزيون يعتبر "ثقافيا" إذا كان هدفه توسيع الآفاق وتعميق ورفع مستوى الذوق مهما كان شكل هذا البرنامج وطالما أنه بعيد عن الدعاية الرخيصة أو الإعلان البغيض، إلا أن هناك صعوبة في تحديد ماهية البرامج الثقافية، لأن أي برنامج لا يخلو من محتوى ثقافي كما أن وصف البرامج بأنها ثقافية أمر لا يتفق حوله كل تصنيف، وما يعد ثقافيا في احد البلدان قد لا يكون كذلك في بلد آخر [217]، بل أن بعض الوسائل الإعلامية في بعض الدول لا توجد في خريطة برامجها، برامج معينة يطلق عليها: البرامج الثقافية مثل تلفزيونات الدنمارك، البرازيل، فرنسا، ألمانيا، وبلجيكا، وهذا بخلاف ما ذهبت إله مؤسسة الإذاعة والتلفزيون المصرية (مجموعة قنوات النيل) التي خصصت قناة "ثقافية" لكل البرامج التي ترتأي أنها تقع في نطاق هذا المضمون.

إن وجود بعد الجماهير الإعلامي وضع البرامج الثقافية أمام تحدي كبير وعميق، فالنجاح التلفزيوني في عصر العولمة لا يقاس بالقيمة المضافة في المجال الثقافي والمعرفي، وليس بالمنفعة الاجتماعية، بل يقاس بالعائد التجاري، وبذلك تعمق التوجه نحو "تسليع" الثقافة والإعلام، وإن إرادة "تسليع" المواد الثقافية لم تأت نتيجة للتطور المنطقي لنمط الإنتاج السائد في هذا البلد أو ذاك فقط، بل بدأت تفرضه تلك الإرادة السياسية التي تمارس الضغوط على المنظمات مثل منظمة التجارة العامة وعلى الدول لفرض قوانين السوق على الأفلام السينمائية، وبرامج التلفزيون والصور...والتلفزيون من أكثر الوسائل الإعلامية تماشيا مع التحدي الكبير المتمثل في تسليع الثقافة في خضم العولمة التي لا تزال في تطور مستمر باتجاهات لا تنبئ بالاطمئنان، بل على العكس من ذلك يبدو التلفزيون أحد أهم الأدوات التي يجري من خلالها نشر وتسليع والتبشير لقيم العولمة، فعن طريق التلفزيون يجري تنميط الأفراد والقيم وهذا التنميط هو صلب الأعمال الثقافية عموما والإعلامية على وجه الخصوص ولذلك فإن منظمة اليونسكو لم تغفل في الكثير من مؤتمراتها على ما اعتبرته المسؤولية الهائلة الملقاة على وسائل الإعلام، ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه. [218]

---

[217] عزام أبو الحمام: **الإعلام الثقافي**: دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، صص 129، 130.

[218] محمد محمود دهيبة: **الإعلام المعاصر**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2007، ص 32.

على أن الأصوات التي تحذر من خطورة التلفزيون على الثقافة الوطنية تبدو في أحيان كثيرة مبالغ فيها ولا تستند إلى مسوغات حقيقة في ضوء ما بتنا نعلمه من خلال الدراسات المعمقة حول آثار التلفزيون في السمات الثقافية والهوية والاتجاهات، وتجعل هذه الدراسات من الثقافة المتقبلة عاملا أساسيا وحاسما في مردود الرسائل الإعلامية، وحسب "هوركوفيتش" فإن السمة الثقافية مهما كان شكلها ومهما كانت وظيفتها تلقى قبولا أفضل وتدمج إذا تمكنت من اكتساب دلالة مع الثقافة المتقبلة، وهذا يشير إلى طرف آخر من المعادلة معادلة التثاقف، غذ أن هذه العملية لا تجري في اتجاه واحد بهذا السبب يقترح "باستيبد" مصطلحي "تداخل الثقافات" أو تقاطعها عوضا وبديلا عن مصطلح "التثاقف" الذي لا يعين بوضوح على تبادل هذا التأثير وإن كان قليلا ما يكون متناظرا، بمعنى آخر فإن المادة الثقافية التي يقدمها التلفزيون تكتسب أهميتها ليس من أهمية مصدرها أو عناصرها الداخلية بل من مدى تقلبها أو فرض تقبلها في الثقافة المستقبلة، أي المتلقين. [219]

السينما كوسيلة ثقافية:

تحتفظ السينما لنفسها بخصوصية تميزها عن الوسائل الإعلامية الأخرى، فهي تبدو أكثر الوسائل تعاطيا مع الثقافة بمفهومها الواسع، لأن الفيلم السينمائي لا يقدم غير نمط الحياة أو أنماط الحية والشخصيات وأنماط السلوك والقيم والأفعال لهذه الجماعة أو تلك الشخصية، فهو من خلال هذه المادة الثقافية يوسع خبرات الناس (المشاهدين)، أو يعمقها أو يدفعها إلى الانطفاء، وهو في كل الأحوال يقدم للمشاهدين معرفة متنوعة تكاد تشمل مناحي الحياة المختلفة ومنها المناحي العلمية.

لقد مر على بداية الفيلم الناطق ما يقارب من قرن كامل دون أن تفقد السينما مكانتها المرموقة في الصناعة الثقافية والصناعة الإعلامية، بل أن أهمية السينما أصبحت أفضل من ذي قبل بفعل المكانة التي باتت تحتلها الصورة تحديدا في صناعة الوعي عموما وفي الصناعات الثقافية خصوصا والسينما هي الموئل الأول لصناعة الصورة كما هو معلوم، وإن شاركها التلفزيون هذه المكانة فإنها – أي السينما– ظلت تحتفظ لنفسها بميزة "الصورة النمطية" أكثر من

---

[219] دنيس كوش، ترجمة،منير السعيداني: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، المنظمة العربية للترجمة،ط1،بيروت،2007،ص ،147

أي وسيلة إعلام أخرى بفضل الميزات التقنية الكثيرة التي تقدم الصورة في عالم مزيج من الواقعية والسحرية معا، بما يتعاطى مع نزعات الإنسان المختلطة بين الواقعية والرمزية التي تمثلها السينما خير تمثيل. [220]

لقد نجحت السينما في أن تكون وسيلة ثقافية ليس لفئة محددة من المشاهدين كالصحافة مثلا، أو المسرح، بل لكل الفئات الاجتماعية أو بمعنى آخر لكل الطبقات الاجتماعية، الثقافية، ولذلك ازدهرت كل أنواع الأفلام أفلام التسلية البسيطة، أفلام الحركة السريعة، أفلام المعرفة، والدراما...إلخ، وذلك بعد أن تنبأ السينمائيون إلى أن كل الجماهير يمكن أن يكونوا جميعا مستهلكين فعليين لأعمالهم التي يجب أن تحقق لهم اكبر قدر من الأرباح.

واستطاعت السينما تخطي أهم عوائق انتشارها في الإطار القومي الواحد أو الإطار اللغوي الواحد، ولكنها سرعان ما اكتشفت أنها بحاجة إلى تخطي حدود القومية وحدود اللغة، وكان ذلك يجري وفق التطورات الرأسمالية في التوسع، التي تنمو وفق عنصري: الزيادة في تحقيق الأرباح من جهة، وتحقيق الهيمنة الثقافية من جهة أخرى وهذان العنصران هما على صلة وثيقة ببعضهما البعض، لذلك فإن السينما العالم الرأسمالي والأمريكي تحديدا استثمرت قدرات هائلة لتحقيق هذا الهدف، وصار من المعروف أم و.م.أ باتت أضخم مركز احتكار الصناعات الثقافية في العالم، وهي القطب المهيمن على إنتاج الصورة والمعلومات، حيث تغطي مجموعة من المؤسسات العملاقة والخاصة الجانب الأكبر من الإنتاج العالمي للصورة.[221] وصار من المعروف أيضا أن هوليود فيو.م.أ أضخم مركز للصناعة السينمائية على مستوى العالم.

تتمتع صناعات هوليود الثقافية بخبرتها الطويلة بطرق التنظيم القائمة على الشبكات، ولهذا السبب: تتحول سريعا إلى نموذج لإعادة تنظيم باقي النظام الرأسمالي على أساس الشبكات، لقد اعتمدت صناعة السينما المبكرة على مبادئ "فوردية" للتصنيع، راجت بين مجموعة كبيرة من الصناعات في عشرينيات القرن الماضي وكان ما يسمى بأفلام "الوصفية" تنتج مثل سيارات تخرج من خطط التجميع وتعد شركة "يونفرسال فيلم مانيوفكتشرينح" التي أنتجت أكثر من 150 فيلما في عام واحد، وفي الأعوام الأولى كانت الأفلام تباع فعليا بالقدم، لا بالمحتوى.

---

[220] عزام أبو الحمام،مرجع سابق ،ص ص 148، 149.

[221] الإمام الحبيب: **صناعة الثقافة والاحتكار العالمي**، مجلة العربي، جانفي 1995، ص 33.

وبحلول الثلاثينات نت القرن سيطر عدد محدود من الأستديوهات العملاقة من بينها "وارنربرازرز" و"بارامونت" و"مترو جولدينماير" و"فوكس" على صناعة السينما، وفي سنة 1994 استحوذت الأستديوهات الكبيرة على 83% من إيجارات السينما المحلية في و.م.أ وكانت تمتلك أو تستأجر 4424 دار للسينما، وشهد عام 1946 ذروة التردد على دور السينما حيث بلغت مبيعات التذاكر أكثر من 90 مليون تذكرة في الأسبوع.

في أواخر الأربعينات، وأوائل الخمسينات تعرضت صناعة السينما لصدمتين خارجيتين اضطرتهما إلى إعادة تنظيم عملها اقتضاء بنظام الشبكات المتبع حاليا، فقد ألزمت المحكمة العليا الأمريكية في قضية حاسمة ضد الاحتكار.

الاستوديوهات الكبيرة بالتخلي عن سلاسل دور السينما التابعة لها، وقد شهدت عوائد الأفلام انخفاضا بنسبة 50% بعد أن فقدت شركات السينما سيطرتها على المستهلك النهائي في شباك التذاكر.

كما خفض ظهور التلفزيون فيما بعد من أرباح شركات السينما فقد فضل الملايين من رواد السينما البقاء بالمنزل والاستماع بالمجان وانخفضت عائداته شباك التذاكر بنسبة 40% في الفترة ما بين 1946- 1956 وتراجع عدد الرواد بنسبة 50% وتقهقرت العائدات الضخمة لأكبر عشر شركات سينما بنسبة 26%، والأرباح بنسبة 50%.[222]

وفي مواجهة المنافسة المتزايدة من جانب واسطة التلفزيون الجديدة أقدمت صناعة السينما على تغيير طريقة صناعتها للفيلم ولإدراكها عدم قدرتهم على النجاح في منافستهم لوسيلة مجانية منتجات ذات صيغ ثقافية مماثلة شرع مديرو الاستوديوهات في تجريب تقديم عدد أقل من الأفلام الأكثر إمتاعا، يشكل كل منها منتجا متميزا قادرا على التنافس على جذب المشاهد وتحولت صناعة السينما من الإنتاج الكبير إلى إنتاج مكيف يهدف غلى توفير معايشة سينمائية في كل مرة يذهب فيها المتفرج إلى السينما. [223]

---

[222] جون هارتلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي: **الصناعات الإبداعية**، سلسلة عالم المعرفة، ج2، عدد 339، ماي 2002، ص 187.

[223] المرجع نفسه، ص 100.

لقد توصل محللا صناعة السينما "آسو أكسوي" و"كيفين روبنز" إلى أن الاندماج الأفقي والتحول إلى شكل الشبكة للتنظيم كانت أهدافا متعمدة حتى تتمكن عمالقة الاستوديوهات من تقديم إنتاج أفضل، وتقليل المخاطر المالية في الوقت نفسه، ومفتاح الاحتفاظ بسيطرة فعالة على الصناعة يدور دائما حول التحكم في الوصول إلى قنوات التوزيع، وعبر الاحتفاظ بسلطتها كشبكات توزيع قومية وعالمية، أمن للشركات الكبرى استخدام عضلاتها المالية للسيطرة على المشروعات السينمائية واعتصار أو استغلال شركات الإنتاج المستقلة، ويؤكد "أكسوي"، و"روبنز" على أن إحصاءات الصناعة غالبا ما تكون مضللة، وعلى الرغم من أن شركات السنيما المستقلة تنتج الجانب الأكبر من الأفلام الجديدة، لا تزال الشركات الكبيرة تحصد معظم الأرباح ففي سنة 1990، على سبيل المثال، حصلت أكبر خمس شركات على 69% من عائدات شباك التذاكر، ويسمح نظام شبكة تنظيم التجارة لأكبر الشركات العابرة للقومية التخلص من النفقات المادية للمصانع، والمعدات والكفاءات، بإقامة علاقات إستراتيجية مع الموردين لإنتاج المحتوى وفي عالم تشتد فيه المنافسة تحتفظ الشركات بالصدارة عبر التحكم في قنوات التمويل والتوزيع.

المبحث الثالث:عولمةالإعلام وسيطرة ثقافة الصورة:

الصورة في مفهومها الكلي ليست إلا تعبيرا بصريا وإبداعا يسلك سبيل التخيل والحكى وترجمة لأفكار ومعان مستمدة من البيئة الثقافية التي يتحرك فيها خطاب الصورة والذي يختلف باختلاف الصورة واختلاف العلاقة التواصلية التي تحصل مع الصورة التي هي دائما متعددة، سمعة تختزن أشياء كثيرة، ومن ثم دلالات كثيرة، والتحرر الثقافي يجعل منها إطارا قابلا لتأويلات مختلفة– كما يقول محمد منظور الدين أفايه"–.

وسبب بعدها التواصلي وتعددها الدلالي فهي تعتبر مادة يساهم المتلقي في تحديد معناها وقيمتها تبعا للإنتماء الثقافي أو ما يسميه" روان بارت" بالمعنى الثالث في الصورة أو "المعنى غير المحدد" الممتد خارج الثقافة والمعرفة وخارج ما يخبر أنه دال من غير مدلول عليه، ومن هنا تنشأ صعوبته، ونستطيع أن نرى أن المعنى غير المحدد إذا تمكنا من وصفه وهو ادعاء يناقض نفسه، فتكون له على وجه الدقة " طبيعة الهايكو"اليابانية، وهو عادة من أي محتوى مهم ونوع من جرح بليغ يعمق فيه المعنى وتمحق فيه الرغبة في المعنى كما يقول بارت الذي يحدد المستويين الآخرين لمعنى الصورة:

2–المستوى الإخباري: وهو مستوى الإتصال بين المرسل والمتلقي وإذ يكون من الواجب أن نجد صيغة لتحليله فلا بدمن الالتفاف إلى ما يخص " الرسالة".

3– المستوى الرمزي: يمثل مستوى الدلالة أو المعنى الواضح فهو مقصود ما أراد أن يقوله المرسل وهو مستوى من نوع مألوف وعام من مفردات لغة تتسم بالرموز هو المعنى الإيحائي في الصورة ويحتاج تحليله إلى الغور في التحليل النفسي ومرجعيات الخطاب الصوري.

فالمستويات الثلاث التي تشتغل فيها "نظام المعنى في الصورة" هو الذي يعطيها هذا البعد التأثيري[224].

إن محاولة عولمة العالم ضروري أي خلق إدراك موحد ينبع من المعطيات الثقافية للحضارة الأمريكية هو المشروع الأكثر خطورة في ظاهرة العولمة .ويرتبط ذلك بطبيعة "القضاء الصوري '' للتلفزيون بشكل خاص الذي يتسم بكونه:

---

[224]مؤيد عبد الجبار الحديثي : **العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي** ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن ، 2002 ، صص 240 ، 241 .

1- الرسالةالتليفزيونية هدفها تحقيق إغلاق إيديولوجي يتعلق بمقصدية المراسل الذي يسعى إلى أن نرى العالم من حلال أعين السلطة وعند ما يطلب ذلك.فإن المطلوب منا أن نؤمن بدون جدال بأننا نرى الواقع الموضوعي الذي يماثل الحقيقة الرسمية للسلطة وبعبارة أخرى أن ما يقدمه الفضاء الصوريللتلفزيون ليس إلا حقيقة "شوبنها ورية" تدفع للتأكد أنها حقيقة ثانية غير الحقيقة في هذا الفضاء فنحن ننظر إلى العالم الخارجي من خلال الصورة التي يتركها فينا ومن خلال الانفعالات التي يثيرها العالم الخارجي في أنفسنا كما يقول شوبهار .

2- الفضاء الصوري التليفزيوني فضاء استبدال يعمل على استبدال صورنا الشخصية عن العالم والمتولد داخليا بالصورة المتجسدة لنا بواسطة وسائل الصور المتحركة " فحين نشاهد التلفزيون تكون جميع قدراتك العقلية لتكون الصورة ساكنة هاجعة مغمورة بالصور التليفزيونية على نحو مؤتمر بينك وبين الصور الشخصية يستبدل نفسه أي يحل محل غيره كما يرى " فيري ماندر" وتزداد خطورة ذلك دعائيا في أن فضاءات الصور التي تختزن في ذاكرة المتلقي عن أحداث في أماكن لم يشاهدها ولن يصلها منتقاة من الصور التليفزيونية وبالتالي فإن سلوكها أو موافقة اللاحقة مبنية إيديولوجيا على خزينة من هذا الفضاءات الصورية وأمام سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على خطاب الصور وتسويق الفضاءات الصورية عبر التليفزيون أو المنتجات الاستهلاكية أو الخطابات المطبوعة، فإن ما تقدمه شبكة" CNN"مثلا ليس إلا العالم الصوري الذي يحدد وظيفيا في أدائه وتأثيره من قبل العاملين في الشبكة وتبعا للتوجيهات الإيديولوجية التي تهيمن على خطاب الشبكة والتي تعتبر جزءا من محاولة أمركة العالم[225].

3- الفضاء الصوري التلفزيوني بالرغم من تجسيده المادي للأفكار إلا أن " الصورة التلفزيونية تؤدي إلى توسيع نطاق حاسة اللمس أكثر من تجسيده المادي للأفكار وحينما تصطدم بثقافة أبجدية تمسك مثل بالضرورة المزيج الحسي بتحويل الامتدادات المجزأة والمتخصصة إلى نسيج واحد متماسك الخبرة، فالشكل الفسيفسائي للصورة التلفزيونية يتطلب المشاركة والالتزام العميق للكائن بكل كيانه تماما حاسة اللمس، ولكن إدراك الفضاء التلفزيوني كإدراك بصري من قبل المتلقي، إدراك يتسم بالفقر في تحديد سلسلة المعلومات، لأن ما هو موجود

---

[225]المرجع نفسه ، ص 243 .

أساسا بالمعلومات وهو يجعل التلفزيون قصير النظر " وما يقدمه من ثقافة هي ثقافة فقيرة لا ترقى إلى ثقافة الكتاب[226].

4- إن فضاء الصور كفضاء مجسد لا يقتصر على تجسيد الرسالة وإنما يتجاوز ذلك باتجاه تجسيد خيال المتلقي أيضا بما يفرضه عليه من شكل أو صورة محددة تمثل تخيل المرسل لها، واختياره لهذا عكس ما يجري في حالة الاستماع، حيث تقوم الرسالة الإذاعية الصوتية بتحرير الخيال وإطلاقه بلا قيود أو حدود في عالم التفاصيل المرئية التي يتخيلها المستمع لنفسه هو عالم أبعاده لاحدود لها.

يعيش المجتمع المعاصر حضارة الصورة التلفزيونية والفيديو والإعلان والحياة العامة، كما نجد ذلك في الأزياء والأثاث والديكور والرسومات والمعارض وهذا العامل في حد ذاته أضعف العديد من الفضاءات الثقافية والقيمية المرتبطة بما هو رمزي أو مجرد في المجتمع، فقد تحولت الثقافة إلى صور جلية تلغي البعد التأملي في إدراك الحقائق[227].

وإذا جاز لنا توصيف عصرنا فهو باتفاق الآراء عصر الصور ومن تم فإن الشكل الثقافي السائد بعصرنا هو ثقافة الصور فهناك حضور جارف للصور في حياة الإنسان المعاصر فهي حاصرة في التربية والتعليم في الأسواق والشوارع وعبر وسائل الإعلام ففي قاعات العرض والسينما والمسرح وفي بطاقات الهوية وأجهزة الكومبيوتر والهواتف النقالة وفي الانترنت والفضائيات والتلفزيونات المحمولة وفي ملاعب كرة القدم والجامعات والسيارات ووسائل النقل والمواصلات، إننا نعيش في حضارة الصورة كما يقول "رولان بارت"

يقول "جون بوديريار" هناك علاقة نفسية بين الصورة وموضوعها، وعن إمكان وجود نقلة مضادة في هذه العلاقة، فهذا يعود إلى الآليات النفسية التي تؤدي إلى ترويض العين فهناك حالة من السلبية لدى الجمهور حيث يؤدي الترويض إلى ذهول العقل بالصور وقبولها بما تحمله من مضامين وإملاءات ومن هنا يمكن الظفر الكبير الذي حققته تكنولوجيا الملومات والاتصالات

---

[226] هربرتماركوز ، ترجمة ، منى جبران و نسيم خوري :**غزو الوعي البائس ، اللاتسامي المكتوب** ، الفكر العربي المعاصر ، عدد 35 ، أوت 1985 ،صص 30 ، 34 .

[227] عبد الرحمان عزي : **قراءة إبستمولوجية في تكنولوجاالإتصال** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ص ص 22 ، 23 .

في أنها تتدخل بقوة في إنتاج وعي الملتقى من خلال فضاءات ثقافة الصورة خاصة بنسختها الرقمية، دون أن نطلب أو ندري أن الصورة تعتدى علينا فعلا.

لقد شهدت الصور عدة تحولات فنية في العصر الحديث وكان لها تأثيرات كبيرة في خلق مفاهيم جديدة على كافة الأنشطة الثقافية والمعارف الإنسانية ولعل الأمر الحقيقي الذي حدث في السنوات الأخيرة من القرن الماضي في المجالات الإعلامية هو الانتقال من منطق العرض إلى منطق الفرض ففي السابق كانت وسائل الإعلام تعرض منتوجها ويمكنك الاختيار ولكن الذي حدث بعد التطورات التقنية الهائلة التي حصلت في شتى المجالات قد منح الإعلام القدرة على فرض ما يريد مما أثر تماما في الاتجاهات الثقافية بشكل خاص من خلال اللجوء إلى ثقافة الصور بدلا من ثقافة الكلمة فخطاب الصور كما يرى "جون لوك غودار " يحتوي على جانبين متعارضين ومتكاملين هما الجانب الدلالي أي "ما يقال " والجانب الجمالي أي ما يتضمنه الخطاب دون قوله بشكل مباشر بل هو منغرس في ثنايا الخطاب ورموزه الموحية، ومن هنا فإن احتلال الصورة مكانه في التواصل البشري كان أحد نتائج تقدم الاتصال عن طريق الفضاء واحتلال الأقمار الصناعية المكانة الأولى قبل الأوراق في إحداث هذا التواصل وبفضل هذا التطور ومن خلال القنوات وشبكات الاتصال أصبحت الصورة المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد[228].

في وسعنا تعريف ثقافة العولمة سلبا بالقول أنها ليست الثقافة المكتوبة، فالثابت أن العولمة الثقافية تجري وتتوسع في مناخ من التراجع الحاد للثقافة المكتوبة على صعيد الإنتاج والتداول.

والصورة اليوم تعتبر المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد نظام إنتاج وعى الإنسان بالعالم أنها – أي الصورة– المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري وهي تلعب في إطار العولمة الثقافية الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت لا تحتاج الصورة دائما إلى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي فهي بحد ذاتها خطاب مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير النقال في مستقبله أو هي نفسها لغة

---

[228] خليل محمد الراتب :**التصوير الصحفي** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ط 1 ،2012 ، ص 269.

نستكفي بذاتها فسنستغني عن الحاجة إلى غيرها و هدا أساس شعبتها و تداولها الجماهيري الواسع.

قبل سنوات كان توزيع هده المادة الثقافية الجديدة أي الصورة مقصورا على المجال الوطني لبلد الإصدار وكان توسع مجال التوزيع وفقا على إبرام عقود وشراء منتجات إعلامية في سوق المنتجات السمعية البصرية أما اليوم فقد بات في الإمكان أن يصل بث الصورة في مجال جغرافي ابعد يقع خارج حدود بلد الإصدار أي انه صار في وسع جغرافية التوزيع أو البث أن تفيض عن حدود جغرافية الإصدار أو الإنتاج ولم يكن ذلك ممكننا إلا بسبب ما جرى إحرازه من نجاحات هائلة على صعيد التوظيف التكنولوجي في مجال السمع البصري حيث صار في وسع البث عن طريق الأقمار الصناعية أن ينقل المادة الثقافية الجديدة إلى كل الأصقاع بيسر بالغ، وأن يتنقل بالوطني والمحلي إلى حال من العالمية تضيع فيها الحدود بين جغرافية ثقافة وأمة ما وبين الجغرافية الكونية.

لقد أصبح النظام الثقافي المسيطر –في زمن العولمة الثقافية– هو النظام السمعي البصري وهو النظام المتمثل اليوم في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية الضاربة التي تزخ زخا ملايين الصور يوميا فسيتقبلها مئات الملايين من المتلقين في سائر أنحاء المعمورة ويستهلكونها بوضعها مادة استعماليه ذات مائدة تكوينية أو جمالية على انه إدا كان ممكنا أن تقرا في لوحة هذا النظام الثقافي الجديد ما يفيد أنه نظام توزيع الصورة – بوصفها المادة الثقافية المعاصرة النظام على أوسع نطاق عالمي، فمن الممكن أن تقرأ فيه ما يفيد أنه ليس مجرد تقنية للتلقين فحسب، بل هو كيفية جديدة للإدراك العالم والتعبير عنه[229]

---

[229] عبد الإله بلقيز : **العولمة والممانعة . دراسات في المسألة الثقافية** ، منتدى المعارف للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2011 ، ص ص 43 ، 44 .

الفصل الرابع

المبحث الأول: العلاقة بين الثقافة والاقتصاد في القرن الواحد والعشرين.

لقد أفضى اقتران الثقافة بالاقتصاد الذي شهده السنوات الأخيرة إلى مفاهيم جديدة في الخطاب الثقافي العالمي، ولعل أبرزها مفاهيم.

- المادة الثقافية.
- الخدمة الثقافية.
- الثقافة الافتراضية.
- صناعة الثقافة.

ويمكن تعريف المادة الثقافية بأنها ،مواد استهلاكية تحمل أفكارا وقيما رمزية وأنماط عيش تهدف إلى الإعلام والترفيه، وتساهم في نحت ونشر الهوية الجماعية وتؤثر في الممارسات الثقافية، وتخضع في الغالب لقانون الملكية الفكرية وحماية حقوق المؤلف، إنها نتاج الإبداع الفردي أو الجماعي المتناقل عبر حوامل تنتج بواسطة أنظمة صناعية، وتوزع وتنشر بشكل جماهيري واسع ومكثف وتشمل المواد الثقافية الكتب والمجلات والتسجيلات السمعية والأفلام وأشرطة الفيديو والـ DVD والإنتاجات المتعددة الوسائط والبرمجيات، والصناعات التقليدية وهي تمثل كلها ما يسمى بالعرض الثقافي "offre culturelle".

ويصعب تحديد مفهوم الخدمة الثقافية، وذلك لأنها (من دون أن تأخذ شكل الإنتاج الثقافي المادي)، تشمل الأنشطة التي تستجيب لفكرة أو حاجة ذات طابع ثقافي، وترجم بتراتيب وتدابير تدعم الممارسات الثقافية التي تتيحها الدولة والمؤسسات والهيئات الخاصة لفائدة الجماعات، وتتمثل الخدمات الثقافية في العروض الفنية كالمسرح والسيرك والأوركستر ... وفي خدمات النشر والدوريات والخدمات الهندسية والخدمات السمعية والبصرية، وخدمات المكتبات العمومية والأرشيف والمتاحف، وخدمات الإنتاج والبحث والترجمة والبث عبر الكابل والأقمار الصناعية، كل هذا إلى جانب الخدمات الافتراضية Virtuel التي تتيحها التجارة الالكترونية.

وعن الثقافة الافتراضية cyber culture فهي نتاج مثلث: فن وعلم وتكنولوجيا حيث أتاحت الابتكارات التكنولوجية الجديدة للمبدع إمكانات هائلة للإنتاج وأخرجت الثقافة والفنون من

أنماطها واتجاهاتها ووسائل تعبيرها القديمة لتدخل لها إلى ما يصطلح اليوم على تسميته بمجالات الثقافة الافتراضية،[230] ومن ثمة أصبحنا نتحدث عن الثقافة في إطار ثورة الإنفوميديا.

أي صناعات الحوسبة والاتصالات والإلكترونيات الاستهلاكية، وهي أضخم الأنشطة العالمية وأكثرها حيوية ونموا، وتلعب دورا محركا للاقتصاد العالمي وتعمل بإطراء على تغيير نمط الحياة بمختلف جوانبها (المعاملات، الخدمات، والترفيه، ..) علما أن عوائد صناعة ألعاب الفيديو اليوم تبلغ 80 مليون دولار.

إننا نعيش ربطا بين الفن والتكنولوجيا وصل إلى درجة عالية من الدقة والتعقيد، والعالم يتجه حنينا نحو الثقافة الرقمية، والمقصود بـ "الرقمي" هو ذلك الوسط التقني ذو الإمكانيات المتاحة للفنان ليجمع دون مجهود كبير صورا وألوانا ووسائط في ذاكرة الكومبيوتر المجردة من الجاذبية وللاحتكاك وتعطيه حرية خارقة لإبداع الصور.

لقد دخلت التقنيات الرقمية في كل مجالات الإبداع والفنون، فأصبح التعبير يعتمد أكثر فأكثر على التكنولوجيا كالتصوير الفوتوغرافي والموسيقى الإلكترونية والأقراص المدمجة ومن هنا اكتسبت الصورة خاصية جديدة هي المرونة اللامتناهية، وتحولت إلى نظام حيوي على حد تعبير "بيتر وبيل" مدير معهد الوسائط الجديدة بألمانيا.[231]

الصناعة الثقافية:

تجمع كل التعريفات على أن الصناعات الثقافية هي المجال الذي يشمل إبداع وإنتاج وتسويق المواد والخدمات ذات الطابع الثقافي المحمية غالبا بقوانين الملكية الفكرية وحقوق المؤلفين، وتتمثل هذه الصناعات في النشر والطبع والوسائط المتعددة والصناعات السينمائية والوسائل السمعية والبصرية وكذلك الفنون التشكيلية وفنون العرض والرياضة وصناعة الآلات الموسيقية والإشهار والسياحة الثقافية، ولقد أصبح العالم اليوم يتحدث عن الصناعات الخلاقة "créative industries" التي توصف في الأوساط الاقتصادية بالصناعات الصاعدة والتي تدعى في الأوساط التكنولوجية لصناعة المحتوى content industries ومميزة الصناعات

---

[230] المنجيالزيدي: **الثقافة والمال في مستقبل التنمية الثقافية في الوطن العربي، الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ديسمبر 2003، صص 259،260.

[231] المرجع نفسه، ص 161.

الثقافية أنها تجمع بين البعدين الاقتصادي والثقافي، فهي تشجع الإبداع بما أنه مادتها الأساسية وتتيح فرصا جديدة للتجديد على مستوى الإنتاج.[232]

لن نبالغ القول كثيرا لو اعتبرنا أن المنظومة الثقافية أضحت بداية هذا القرن ومند مدة من الزمن غير بعيدة، في محك حقيقي من العديد من التحديات الكبرى التي إذا لم تكن مرهونة ترهن حاضرها ومستقبلها فهي على الأقل تمارس عليها الحصار شكلا كما في المضمون، والحقيقة أن المنظومة إياها، بداية القرن الحادي والعشرين، إنما تبدو وكأنها في موقع الدفاع بعدما كانت والقرون عدة في مأمن من كل استهداف يذكر.

وهناك فيما نتصور ثلاثة تحديات كبرى تجعل من المنظومة الثقافية في حالة حصار حقيقية إذا لم تكن في الحاضر القائم فتأكيدا في المدى المنظور:

التحدي الأول: ويتمثل أساسا في ظاهرة العولمة الاقتصادية والتجارية التي غدت لغة العصر تفكيرا وسلوكا، خطابا وممارسة، وممكن النظر في الظاهرة إياها ليس بالتأكيد دفعها بمنطق الانفتاح والتبادل بين الاقتصاديات والمجتمعات ولا متمثلا في دفعها بحرية انتقال السلع والخدمات بل في تقسيمها لمبادئ ومعايير السوق وفي صلبه قيم التنافسية والإنتاجية والمرونة والاتقنين وبالتالي الإقصاء الطبيعي لمن لا قدرة او قابلية له على الصمود والتكيف ولا يقتصر المر مع العولمة على هذا الجانب بل يتعداه إلى التوجه القائم بصلبها بجبهة تسليع الموارد المادية واللامادية وتحويل فضاء ذات الموارد إلى جزء من فضاء السوق، والمطالبة بضرورة انبناءها لتقسيمها على طقوس العرض والطلب حيث القيمة التجارية هي الفيصل بينها في نهاية المطاف وعلى هذا الأساس، فأي سلوك يعاكس ذات التوجه أو يناقضه أو لا يستحضره يعتبر سلوكا "إنكغائيا" يفضى بالتالي إلى إقصاء أو تهميش الثقافات الأخرى والاقتصاديات الأخرى والاقتصاديات الأخرى أيضا:[233]

ولن تكون الثقافات "الدنيا" أو اللغات "الهامشية" في محك من هذا الواقع لوحدها بل وأيضا بعض من اللغات المركزية التي لا تتصادق ولغة المال والأعمال والتجارة والاقتصاد والإعلام والاتصال، ومعنى هذا أن الثقافات واللغات لا ترفض التواصل أو تنبذ الانفتاح، بل تتراءى لها

---

[232] المرجع نفسه ، صص162 ، 163.

[233] يحي اليحياوي: كونية الاتصال، عولمة الثقافة، مرجع سبق ذكره ، ص 230.

"المبارزة بالسوق" أمرا خاسرا لا مجال لخوض غماره بالأساس، ومعناه أيضا أنه كائنة ما تكن قوة ذات الثقافات وقابليتها على الفعل والتفاعل فغنها حتما مهزومة أمام منطق السوق وجبروت السلعة.

أما **التحدي الثاني** فيكمن في التحدي التكنولوجي الذي رفع في وجه الثقافة منذ عقدين من الزمن أو أكثر، أي منذ انفجار ثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتحدي المقصود هنا، لا يعني فقط انتقال ممكن الثقافة إلى مجال "التكنولوجيا الثقافية"، وتحويل ميدان الثقافة المكتوبة لفائدة الثقافة المرئية أو المسموعة ولكن أيضا تحديها على مستوى المنظومة والسياق، "فالتكنولوجيا الثقافية" تحتكم إلى الآتية لا إلى المدة، وهي ترتكز على السرعة لا على التأني، وهي تتبني على العابر والمار لا على الساكن والقار كما هو مجال اشتغال الثقافة ومنطق صيرورتها.

وبالتالي فالثقافة "مطالبة" ليس فقط باستحضار معطيات الواقع الجديد، بل هي مجبرة على التكيف مع مجاله ومنطقه في الشكل والمحتوى، فلما أضحت الثقافة "سلعة" كباقي السلع، ومحكها بالنهاية هو "السوق الثقافي" ومعيارها الجديد هو التنافسية، فإنها غدت بتحصيل حاصل مجبرة على تجديد آلياتها وأدواتها، وإعادة النظر في طرق إنتاجها وتوزيعها وترويجها واستهلاكها وما سوى ذلك.

وليس هناك شك أن التكنولوجيا الحديثة والشبكات المتصاعدة والتيارات الرمزية وقواعد المعطيات الجديدة قد فتحت للمنظومة الثقافية أبوابا ونوافذ جديدة ولكنها في الوقت ذاته ضيقت من مجالها التقليدي ومن خندقها المعهود.[234]

أما **التحدي الثالث** فيتراءى لنا ماثلا، بارتباط ما سبق في تقوى منظومة "الفكر الواحد" الذي تعرفه العولمة الاقتصادية، وينبني لها في ذلك تطرف الليبرالية في شكلها الاقتصادي كما في شكلها الثقافي، والتحدي إياه لا ينحصر في طبيعة العولمة الثقافية المراد ترويجها لتطال الكون برمته فحسب، بل ويتعداه إلى الدفع بكل ثقافات العالم ولغاته لتتصهر في الثقافة الواحدة السائدة والنسج على منوالها في الإنتاج والترويج.

وعلى هذا الأساس، لا يبدو لنا أن نراجع العديد من ثقافات العالم وانقراض جزء كبير من اللغات لا يتراءى لنا نتاجا طبيعيا لصيرورة ما بداخلها بقدر ما يبدو نتاج "الفكر الواحد"

---

[234] المرجع نفسه، ص 231.

وانصراف أهل ذات الثقافات واللغات عنها بحكم الأمر الواقع ... الموضوعي كما يقول البعض، وبالتالي فإنه "الفكر الواحد" ومن خلفها آلة العولمة الثقافية، والليبرالية الجديدة إنما وضعت، وتضع يوما بعد يوم العديد من ثقافات العالم في حالة أفقدت بداخلها صناعة المقاومة إلى حد بعيد.[235]

لم يحدث أن ارتبطت الثقافة بالاقتصاد، كما هو الشأن في السنوات الخيرة التي حقق فيها المال سيادة مطلقة، واخترق كل الحدود، كما لم يسبق أن احتلت المسألة الثقافية صدارة الاهتمام في عالم تحكمه عولمة اقتصادية جارفة، وتسود فيه قيم الربح والمنفعة المادية، لذلك لم يعد مجديا تناول موضوع الثقافة ومستقبلها بمفاهيم متقادمة، وبمقاربات لا تأخذ بعين الاعتبار التحولات الجذرية التي تخترق العالم.

لقد ميزت السنوات الخمسون الأخيرة من القرن العشرين بانفتاح متزايد للأسواق، فقد تطورت الصادرات بين عامي 1956 و1988 من 8 إلى 27 بالمئة بالنسبة إلى الناتج القومي الخام على الصعيد العالمي، وتضاعفت التجارة العالمية 14 مرة عما كانت عليه عام 1950، كما عملت العولمة الاقتصادية على إزاحة الحواجز والحدود، وألفت كل النزاعات الحمائية، فأصبح بإمكان الإنسان أينما كان أن يقتني أية سلعة مهما كان مصدر إنتاجها في العالم.

وشملت الأنماط الجديدة للإنتاج ولاستهلاك الخدمات، والانتاجات الثقافية فاتسعت التجارة في مجال الإنتاج الثقافي 5 مرات بين عامي 1980 و 1998 ومن هنا احتلت الصناعات الثقافية مكانة أساسية فيما أصبح يسمى بـ "مجتمع المعرفة" أو "مجتمع الإعلام".

لقد أصبحت لثنائية ثقافة /تجارة أهمية خاصة واحتلت مكانة إستراتيجية، فالإنتاج والخدمات الثقافية تلعب دورا أساسيا في صياغة وتناقل القيم، وبناء الهويات الثقافية وتحقيق الاندماج الاجتماعي، وهي أيضا عامل إنتاج يخضع لمنطقة الخاص داخل منظومة الاقتصاد الجديد، هذه الخاصية جعلت المفاوضات التجارية في مجال الثقافة صعبة ومتناقضة ولقد أجمع العديد من الدارسين على أن أكثر القطاعات التي تثير الجدل حول الشرعية والحدود السياسية والاقتصادية والمؤسسة لعملية الاندماج، جهوية كانت أم عالمية هو قطاع الثقافة، وبالفعل فكلما

---

[235] المرجع نفسه ، ص 232.

أدرجت الثقافة في جدول أعمال المفاوضات تثار نقاشات معقدة حول العلاقة بين الخصائص الاقتصادية والخصائص الأخرى التي لا تقدر بثمن، مثل الهوية والجمال ومعنى الحياة.

يتزامن التكامل العالمي مع انتشار نظرية اقتصادية ينصح بها عدد كبير من الخبراء والاستثماريين الاقتصاديين، ويقدمونها دونما كلل أو ملل للمسؤولين عن إدارة دفة السياسة الاقتصادية على أنها النهج الصحيح: إنما الليبرالية الجديدة، والمقولة الأساسية لهذه النظرية الجديدة هي ببساطة: "ما يفرزه السوق صالح، أما تدخل الدولة فهو طالح"، انطلاقا من أفكار أهم ممثل لهذه المدرسة الاقتصادية، الاقتصادي الأمريكي، "ملتون فريدمان" اتخذت في الثمانينات الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبرالية منارا تهتدي به في سياستها، وهكذا صار عدم تدخل الدولة، إلى جانب تحرير التجارة وحرية تنقل رؤوس الموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية، أسلحة إستراتيجية في ترسانة الحكومات المؤمنة بأداء السوق، وفي ترسانة المؤسسات والمنظمات الدولية المسيرة من قبل هذه الحكومات والمتمثلة في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، فقد غدت هذه المؤسسات الوسائل التي تحارب بها هذه الحكومات في معركتها الدائرة رحاها حتى الآن من اجل تحرير رأس المال، فسواء تعلق المر بالملاحة الجوية أو الاتصالات والإعلام والمعلومات ذات التقنية العالية أو بالمصارف وشركات التأمين أو بصناعة البناء وتطوير برامج الكومبيوتر، بل حتى بالقوة العاملة فإن هذه كلها وكل شيء أو شخص سواها لا بد أن يخضع لقانون العرض والطلب.[236]

تكونت بنية السوق العالمية للصناعات الثقافية وفق التطورات التكنولوجية الهائلة وتبعا للسياسات الاقتصادية على المستويين الدولي والإقليمي التي تميزت خلال تسعينيات القرن العشرين بخاصيات التمويل المشاريع، وإعادة التركيب والتنظيم والتركيز، وهذا ما أدى إلى تشكل مجموعات دولية كبرى أصبحت تثير المخاوف من هيمنة قطب احتكاري عالمي يشبه بعض الأخصائيين بذلك الذي ساد في مطلع القرن العشرين في ميدان صناعة السيارات.

وتبرز اليوم بوضوح ظاهرة الاندماج بين عمالقة صناعة الإعلام وصناعة السينما ودور النشر وشركات برمجة الكومبيوتر والانترنت (شركة أم.أس.أس.MSS لاتصالات الألياف

---

[236] هانس بيتر مارتين و هارالد شومان: ترجمة، عدنان عباس علي:**فخ العولمة**، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1998، ص 34.

الضوئية مع مؤسسات روبرت مردوخ الإعلامية، وشركة واتر للاتصالات مع التايمز، دار النشر الصحفية، ثم مع مؤسسة CNN ومن هنا فإن 118.000 مليون دولار التي هي حجم معاملات خمسين 50 أكبر شركة للإنتاج السمعي البصري سنة 1993 تعادل حجم معاملات سبع مجموعات أساسية مندمجة في مجال الإعلام سنة 1997، (فيكوم، تايم ورنر، نيوز كوربوريشن سي، غرانس برتلسمان سوني) (Vicom, Time, News corporationea, GransBertelsman, sony).

وتقوم السوق العالمية الثقافية على ما يسمى باستراتيجيات الاندماج الأفقي (أي أن المجموعة الصناعية نفسها تقوم بابتكار شخصية خيالية، وحولها إنتاج موسيقي وسمعي وبصري، ومواد مشتقة، وحديقة ألعاب متخصصة، وتروج لها إلكترونيا)، وتهيمن على هذه المجموعات المستقرة في و.م.أ.

وعلى الرغم من أن و.م.أ ليست المنتج الأول في مجال السينما (لأن الهند تفوقها سبع مرات في هذا المجال)، فإن السينما الأمريكية مهيمنة على كل الأسواق، فإذا كانت هوليود تكسب 30% من مداخيلها من الأسواق العالمية في الثمانينيات، فإن هذه النسبة ارتفعت إلى 50% اليوم لأنها تنتج 85% من الأفلام المعروضة في قاعات العالم.

فلقد دفع ثمن شريط تايتانيك مثلا 140 ألف دولار في الخارج مقابل 25 ألف دولار فقط في و.م.أ ولا مجال للاستغراب، لأن القوة العالمية متمثلة في و.م.أ هي المتحكم الأول في ميادين تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

بالإضافة إلى أن التبادل التجاري في المجال الثقافي يعني عددا محدودا من البلدان فعلى سبيل المثال احتكرت اليابان وأمريكا وألمانيا وبريطانيا 55.4% من إجمالي الصادرات في مجال الإنتاجات الثقافية في العالم.

و47%من الواردات احتكرتها أمريكا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا سنة 1990 ولم تتغير هذه النسب كثيرا خلال السنوات الأخيرة رغم دخول الصين إلى ميدان كثالث مصدر عالمي في هذا المجال.[237]

---

[237] المنجيالزايدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 264 .

وتشير الإحصائيات والتقارير الدولية إلى أن التجارة العالمية في مجال الإنتاج والخدمة الثقافية قد تضاعفت أربع مرات خلال العشريتين الأخيرتين من القرن 20 وأن المعاملات التجارية في ميادين الكتاب والمجلات والموسيقى والفنون التشكيلية والسينما والتصوير الشمسي، والإذاعة والتلفزيون والألعاب، وأدوات الرياضة قد ارتفعت عوائدها من 95.240 إلى 387.927 مليون دولار أمريكي بين عامي 1980 و1998 ويعود هذا التطور إلى نمو الإنتاج وإلى رواج المواد السمعية والبصرية والمتعددة الوسائط والبرمجيات الإعلامية، وتمثل التلفزيون والكتاب المجال الأول في صادرات و.م.أ سنة 1996 حيث بلغ حجم معاملاتها 60.200 مليون دولار متجاوزة بذلك المجالات التصديرية التقليدية كالفلاحة وصناعة السيارات وغزو الفضاء والدفاع، ويشير التقرير الذي أعدته الجمعية الأمريكية سنة 1998 إلى أن نسبة النمو في الصناعات القائمة على حقوق التأليف والملكية الفكرية قد تطورت من عام 1977 إلى عام 1997 بثلاثة أضعاف سرعة التطور العام المسجلة على مستوى الاقتصاد الوطني، وأن الأمر لا يختلف كثيرا في بريطانيا، حيث بلغت الصادرات في مجالات الصناعة الخلاقة المبدعة 12.500 مليون دولار سنة 1997، وهذا التطور يدل أيضا على تطور القدرة الشرائية مقابل انخفاض أسعار هذه المواد، والخدمات، وهي من خاصيات "مجتمع الإعلام والمعلومات".

ويمكن القول أن المشهد الثقافي العالمي الجديد حافل بالانجازات والإمكانات الهائلة التي يفترض أن تحقق للإنسانية نهضة حضارية شاملة، يستفيد منها كل بني البشر حديثا كانوا ومهما كانت أصولهم وثقافاتهم ومعتقداتهم وأنماط عيشهم، فالمستجدات في عالم التكنولوجيا الاتصالات والاختراعات في مجال التعبير والإبداع والتفكير والتعليم والترقية، تتيح أكثر من أي وقت مضى للمبدع، والمنتج الثقافي والجمهور المستهلك على حد سواء قدرات مهمة ومجالات استفادة واسعة.

إلا أن طبيعة العولمة الاقتصادية وسعيها لـ "تسليع" كل المواد ومجالات الحياة وإخضاعها لقواعد التجارة العالمية أصبحت تطرح تساؤلات حول العولمة والثقافة ولم تخل لقاءات منظمة التجارة العالمية من النقاشات الحادة حول طبيعة التعامل مع الملف الثقافي التي تفض إلى اتفاق أو إجماع، وطرح السؤال الذي مفاده هل بإمكان الثقافة أن تندمج في المنطق العام للتحررية الاقتصادية والتجارية، شأنها في ذلك شأن بقية الانتاجات والخدمات؟

ويثير هذا التساؤل اتجاهين متعارضين: الأول يعتبر المواد الثقافية مواد ترفيهية ويتعامل معها كغيرها من المواد والسلع التجارية الخاضعة لمقتضيات الحرية المطلقة للتجارة العالمية التي تجاوزت التعامل الثنائي إلى التعامل متعدد الأطراف والاتجاه الثاني يعتبر المواد الثقافية مواد تحمل قيما وأفكارا ومعاني، وبالتالي يتعامل معها كوسائل اتصال اجتماعي تساهم في نحت الهوية الثقافية، وبالتالي يستثنيها من حقل الاتفاقات التجارية العالمية.

ولم يكن بالإمكان الحصول على اتفاق حول اتجاه دون آخر، فعلاقة الثقافة بالتجارة وبالاقتصاد عموما علاقة مزدوجة، فالثقافة تندرج في صلب الاقتصاد على اعتبار أن كل الأنشطة الثقافية تنتمي إلى المجال الاقتصادي وتخضع إلى عمليات العرض والطلب، وفي الآن نفسه تشمل الثقافة أيضا الوظائف المجتمعية المتصلة بمجالات التعبير والهوية، والتراث، ولا ينتمي اعتبارها ضمن الجوانب المادية المباشرة، كالغذاء والصعبة.

تستوجب عولمة اقتصاد المعلومات، وتدويل الفضاء الإلكتروني إعادة تقييم مفاهيم الثقافة وإعادتها إلى مركز السياسة العامة، ويستدعي هذا الإقرار بتناول التحديات الثقافية والإبداعية لاقتصاد المعلومات من منظور السياسات التي تحكم الإنتاج، والتوزيع واستغلال التعبير وتشكل هاتان المقولتان الأساس لمجموعة من توصيات وتوجيهات ومبادئ السياسة القومية والدولية.

إننا نحمل أفكارا راسخة عن الأبعاد الثقافية للحياة الحديثة نابعة من ثلاثة مواريث، تشكل معا كلية تناولنا للمشكلات والسياسات الثقافية، أولتها الموروث الجمالي الذي يضرب بجذوره في نشأة الحضارة، خاصة الغربية منها.

وقد تجلى على مدى ألفين من الأعوام على سبيل المثال من مبادئ أرسطو الإصلاحية في الشعر، إلى بحث هيدجر الوجودي كفن في اللغة والشعر والتفكير.

ويتمثل الشكل الثاني للفهم الثقافي في ميراث العلوم الاجتماعية الحديثة وفي الميراث النثربلوجي بتحديد أكثر، فمن الغصن الذهبي "لفريزر" بتقصيه الساحر للحياة البدائية، ودراسة "مالينوفسكي" للنظام الاجتماعي لغينيا الجديدة ونظم النسب في مغامر الباسفيكي الغربي، امتد الميراث على مدى القرن الخير وأدى إلى ظهور نهج رمزي مع شرح "جريتز" الرائد للأسس الرمزية للثقافة في شرح الثقافة، وتشريح بورديو للذوق الإثنوغرافي للذوق الثقافي الحديث وقد

بينت الإنثربلوجيا أن الثقافة ليست مجرد جسد عام للفنون، إنها بالأحرى "طريقة كاملة للحياة" على حد تعبير "رايموند وليامز".

ويعد الصناعي والتجاري التقليد الثالث الذي يوجه فهمنا للثقافة، وهذا المنهج كما وضعه "آدم سميث" للمرة الأولى، في "ثورة الأمم"، 1776 يعتبر التصنيع والمؤسسات الصناعية الحديثة كنظام ثقافي جديد.[238]

وفي الوقت نفسه يمكن معاملة المنتجات الثقافية، خاصة الثقافة الشعبية، مثل أي صنف آخر من السلع الصناعية والمنتجة على نطاق كبير لتوسيع أسواق المستهلك بصورة مستمرة والاقتصاد الصناعي هو أساس الثقافة الحديثة، بينما تصبح الثقافة نفسها منتجا صناعيا، ويخضع السوق الصناعي كل السلع الثقافية وغير الثقافية لقوى الإمداد نفسها والطلب وخفض تكلفة الإنتاج بزيادة تسهيلات الإنتاج.

... هناك سببان على الأقل يحتمان مراجعة فهمنا التقليدي للثقافة وحاجتنا إلى إعادة اختبار تناولنا للثقافة واضحة منذ مدة، فمنذ ثورة المعلومات التي شهدناها على مدار قرن (مع ظهور التلغراف، والتلفزيون والتصوير الفوتوغرافي والنشر والبث الإعلاني)، كان علينا أن نعرف أن المعلومات والمنتجات الثقافية لا تشبه غيرها مطلقا، وبقليل من المتابعات المحدودة، مانعت الاقتصاديات الصناعية في القبول بأن اقتصاديات التعدين أو المعادن أو المياه المعدنية، أو السلع الزراعية أو منتجات الاستهلاك المصنعة، فعلى عكس السيارات أو فرش الأسنان، أو الأجهزة، لا تستهلك منتجات المعلومات بمعدل وحدة في كل مرة، بل أن كل وحدة من المنتج تصمم لتستخدم أكثر من مرة من قبل أكثر من شخص، وهكذا تصبح أكثر قيمة بالاستخدام، وبينما تقل قيمة المنتج الصناعي المفرد، مثل السيارة أو البراد، أو الكومبيوتر يحدث العكس تماما في حالة المنتج المعلوماتي أو الثقافي فالفيلم أو الكتاب أو البرنامج التلفزيوني أو البرمجيات تزيد قيمتها كلما استخدمتها أعداد متزايدة من الناس، وهذه هي الحال منذ بدأ النشر التجاري، وتحديدا منذ عصر المنتجات السمعية، البصرية الواسعة التوزيع مثل الموسيقى والأفلام

---

[238] جون هارتلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي:**الصناعات الإبداعية**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 339، ماي 2007، ص10.

وبرامج التلفزيون، واليوم لابد من الاعتراف بأن ازدهار القيمة القائم على الاستخدام المتكرر يزداد تصاعدا في بيئة شبكة الأنثرناث العالمية.[239]

وقد نجح "دي جي وبريك" (2002)، في تفكيك مسألة ما إذا كان هناك تثقيف للحياة الاقتصادية إلى ثلاثة عناصر:

أ- مقولات ترى أن إدارة الثقافة أصبحت مفتاح تحسين الأداء التنظيمي خاصة عندما تصف الأهداف التنظيمية مع الإحساس بالتحقيق الذاتي بين العاملين في المنظمات.

ب-ملاحظة أن العمليات الاقتصادية لابد من أن يكون لها بعدها الثقافي خصوصا مع نمو قطاع الخدمات، حيث ترتبط التقاطعات الاقتصادية مباشرة بالعلاقات بين الأشخاص وممارسة الاتصال.

ج-ظهور الصناعات (الثقافية) الإبداعية تستخدم لقوة العمل ومصدر للثروة الجديدة، وتبني ممارسات اقتصادية تضرب بجذورها على هذه الصناعات.[240]

---

[239] المرجع نفسه، ص 228.

[240] المرجع نفسه ، ص 173.

المبحث الثاني: دورتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تطور اقتصاد المعرفة.

اقتصاد المعرفة هو منظومة شاملة ومتكاملة، متعددة الجوانب والأجزاء الشاملة لمجموعة من النظم التفاعلية وفي إطار هذه النظم تنشأ منظومة معلومات تفاعلية شاملة ومتكاملة تكون مهمتها الأساسية أن تجمع البيانات وتستخرج منها المعلومات وتولد من استخدامها المعرفة وتحقق بذلك القوة والنفوذ وتصنع بذلك القدرة والتأثير وتخلق وتولد الانطباع والأثر وتتجه بقوة إلى إيجاد معارف جديدة، ليصبح الابتكار والخلق أداة توليد لأشكال غير مسبوقة من المعرفة تشكل اقتصادا متجددا دائما. [241]

ويمكن القول أن أكثر عوامل الإنتاج أهمية هي رأس المال والأيدي العاملة والمواد الخام (الموارد الأرضية) والإدارة والتنظيم وهي حقيقة واقعة بالفعل لكن هذه الحقيقة لن تكون قائمة غدا حيث ستصبح المعلومات "المعرفة" لها مكانة الصدارة ولها أولوية متقدمة في سلم المعاملات والعلاقات المتداخلة والمتشابكة بين الشركات والمؤسسات وبين الدول والشعوب بعضها البعض.

ولما كانت المعرفة هي عبارة عن ثروة من الرموز فإن توفلر يطلق اسم الاقتصاد فوق الرمزي على الاقتصاد الجديد وقال بأن المعرفة الجديدة تخفض تكلفة الإنتاج والتخزين والنقل وتتحول النقود إلى عناصر غير ملموسة مثل السندات والأسهم والصكوك كما أن المعرفة تقدم بدائل لرأس المال والمواد الخام وتقدم كذلك بديلا لإضافة واستهلاك الوقت.

فالأرض كانت أهم أشكال رأس المال فمن يمتلكها يمتلك رأس المال، وكان بالإمكان قياسها وحفرها وتقليبها، وتحولت بعدها الثروة إلى ثروة المصانع موازات مع تحول الإنتاج من الزراعي إلى الصناعي وأصبحت الآلات والمواد الأولية اللازمة لهذا الإنتاج هي أشكال رأس المال المطلوبة بشدة وظل لرأس المال شكله المادي وباحتلال قطاعات الخدمات والمعلومات مكانا متناسبا في الاقتصاديات المختلفة، أصبح الإنتاج نفسه يعتمد على المعلوماتية وتغيرت بذلك طبيعة الثروة بعد ما كانت هذه الأخيرة أي الثروة تتمثل في الأصول الصلبة كالمنشآت ومعدات التخزين في الفروع الصناعية.

---

[241] محسن أحمد الخضري:**اقتصاد المعرفة**، مجموعة النيل العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 160 .

أما الفروع الأكثر تقدما وذات النمو السريع فتعتمد على عناصر مختلفة تماما كأساس لاستثماراتهم متمثلة في الاتصالات والقدرة التي تملكها الشركات بالنسبة لإمكانات النمو والدعاية والتسويق والقدرة التنظيمية لإدارتها والأفكار التي تطن في رؤوس مهندسيها.[242]

ولهذا وجد التعريف القائل بأن اقتصاد المعرفة هو ذلك الاقتصاد الذي يعتمد على التجارة الإليكترونية والتكنولوجيا.

وإذا كان التطور نحو رأس المال _المعرفة حقيقية فإن ذلك يستتبع بالتالي أن يصبح رأس المال ذلته "وهميا" بمعنى أن يتكون بشكل كبير من الرموز التي لا تمثل في ذاتها سوى رموز ليتحول في النهاية إلى إشارات إليكترونية ترمز إلى ورق.

وبينما يعتمد رأس المال بشكل مطرد على عناصر غير ملموسة تصبح الأدوات ذاتها المتبادلة في الأسواق المالية من صكوك وأسهم وسندات "غير واقعية".

ففي شيكاقو، ولندن، وسيدني، وسنغافورة، وأوزاكا. تمر مليارات من يد إلى يد في شكل أدوات تسمى "مشتقات" على سبيل أوراق مالية لا تستند إلى صكوك هذه الشركة أو تلك ولكن على المؤشرات المختلفة للسوق.[243]

هذا الانتقال من رأس المال جعل الأفكار المسبقة التي تستند إليها الإيديولوجية الماركسية والاقتصاد الكلاسيكي وقد تجاوزها الزمن لأن كلا منها يفترض طابعا محدودا لرأس المال التقليدي.

إن الانقلاب الضخم لقاعدة المعرفة في المجتمع هو الذي يفسر نمو الاقتصاد فوق الرمزي.

لقد أصبحت المعرفة بديلا لرأس المال فهي تتمثل على المدى الطويل تهديدا للسلطة المالية أكثر خطورة بكثير من النقابات العمالية أو الأحزاب السياسية المناهضة للرأسمالية.

الثورة الإعلاميةالمعلوماتية أدت إلى خفض احتياجات رأس المال بالنسبة لكل وحدة منتجة وفي ظل اقتصاد رأسمالي يكتسب هذا الاتجاه أهمية جوهرية.

---

[242]ألفين طوفلر، ترجمة لبنى الريدي: **تحول السلطة،المعرفة . الثروة والعنف**،الهيئة الصرية العامة للكتاب، 1990 ص ص 82، 83.

[243]المرجع نفسه، ص 84.

في أغلب المصانع القديمة كانت عملية تعديل منتج عين باهظة التكاليف حيث تتطلب صناعة آلات والقائمين على تركيبها وضبطها، وتخصصات أخرى ذات أجور مرتفعة، وكذا فترة تعبئة طويلة لا تعمل خلالها الآلات وهي لا تتوقف عن التهام رأس المال والفوائد والنفقات العامة وبالتالي كلما ازدادت طول سلسلة المنتجات المتماثلة انخفض سعر تكلفة الوحدة.

أما مع تقنيات الإنتاج الأحدث التي يساندها الكمبيوتر تسمح بإنتاج متنوع للغاية بدلا من تلك السلاسل الطويلة وبتكلفة أقل.

إن تقنيات "الإعلاماتية" الجديدة قلبت اقتصاد الإنتاج بالجملة رأسا على عقب وخفضت تكلفة الإنتاج، وهكذا ألغى تدخل المعرفة التكلفة المرتفعة التي كانت تنجم في الماضي عن إدخال "تغيير" في عملية الإنتاج.

وبفضل الثورة المعلوماتية، والمعرفة الجديدة يستطيع في هذا الاقتصاد التخفيض من تكلفة التخزين وللتدليل على هذا نأخذ شركة "مرلوني اليكترو دوميسيسي" لصاحبه الإيطالي التي تنتج 10% من إجمالي الغسالات والثلاجات والأجهزة المنزلية الكبيرة المباعة في أوروبا، فقد استطاعت هذه الشركة خفض تكاليف التخزين بنسبة مذهلة 60% وذلك باستخدام التصميم بالكمبيوتر و إقامة اتصالات بواسطة القمر الصناعي بين منشآته في إيطاليا والبرتغال، وتحل المعلومات بذلك محل المخزون ذي التكلفة شديدة الارتفاع وذلك بتقليص وقت استجابة التصنيع لطلب السوق وبجعل الإنتاج في مجموعات صغيرة قابلة للاستمرار من الناحية المالية ولذا فإن المعلومات ذات النوعية الأفضل والأسرع في آن واحد ستسمح بتقليل كمية المكونات والمنتجات المصنعة التي تنتظر في المخازن.

وهذه التخفيضات لا تسمح بتوفير المكان، والتكلفة العقارية فقط ولكنها تنعكس أيضا على الضرائب وأقساط التأمين، والتكاليف العامة، ويقول صاحب هذه الشركة "مرلوني" أن الاستثمار الأصلي في أجهزة الكمبيوتر والبرامج ومعدلات الاتصالات حتى وإن كان مرتفعا فإن إجمالي ما يحققه من وفر يسمح لشركته أن تقوم بنفس النشاط ولكن برأس مال أقل.

ويشير إلى إمكانية تحويل أرصدة من لندن، أو باريس، أو مدريد في بضع دقائق متفاديا دفع فوائد لا يستهان بها. [244]

---

[244] المرجع نفسه ، ص ص 116، 117.

وتعتبر المعرفة بديلا أيضا للمواد الخام: فعند تشغيل مخرطة تستطيع برامج كمبيوتر ذكية أن تستخلص قطعا معينة من الصلب أكثر من تلك التي ينتجها أغلب العمال فضلا عن أن الإمكانات التي تتيحها المعرفة الجديدة في مجال التصغير الأحجام، وتسمح لإنتاج سلع أصغر حجما وأخف وزنا، مما يقلل بدوره من تكلفة النقل والتخزين كما تسمح المعرفة الجديدة بخلق مواد جديدة تماما مثل الألياف المركبة التي تستخدم في صناعة الطائرات، والمنتجات البيولوجية، كما بإمكان هذه المعرفة أن تحل مادة محل أخرى فبدأ من مضارب التنس، وانتهاء بالمحركات النفاثة فإنها جميعا تحتوي على مواد بلاستيكية حديثة وسبائك جديدة ومواد معقدة ومركبة.

وتقوم شركة أمريكية بتحضير منتج أطلق عليه اسم "متجلاس" يجمع بين صفات المعادن والزجاج ويحسن بشكل كبير مردود الطاقة في المحولات كما تبشر مواد بصرية جديدة بظهور أجهزة كمبيوتر أسرع بكثير من الأجهزة الحالية.

وبهذا وبفضل المعرفة الجديدة لن ننظر إلى نقل كميات ضخمة من المواد الأولية مثل النحاس والنيكل، والبوكسيت من طرف إلى آخر في الكرة الأرضية، فهذه المعرفة تقدم بديلا للمواد الأولية والسفن التي تحملها في آن واحد وينطبق الشيء نفسه على الطاقة، حيث تمت مؤخرا اكتشافات في مجال ظاهرة التوصيل، تقلل من كمية الطاقة المطلوبة نقلها للحصول على نتيجة معينة.

وهذه المعرفة الجديدة توفر الوقت فهي تضاعف من سرعة العمليات وتجعلها تقترب من النشاط الاقتصادي اللحظي، وفي الزمن الحقيقي، وهي تقدم بديلا لإضاعة واستهلاك الوقت. (245)

فرأس المال، والنقود في طريقها حاليا لأن يتحولا إلى معرفة وبالتوازي يشهد العمل تحولا فهو يعتمد بشكل متزايد على الرموز وبتطور هاته العوامل الثلاث في نفس الاتجاه تتعرض كل أسس الصرح الاقتصادي إلى تغير ثوري.

والاقتصاد فوق الرمزي يعمل طبقا لقواعد تختلف جذريا عن تلك التي كانت سائدة في عصر الاقتصاد المصنعي.

يمكن أن نحدد المميزات التالية التي تميز اقتصاد المعرفة:

---

(245) المرجع نفسه، صص 113، 114.

1-يتمتع بمرونة فائقة وقدرة فائقة تعلى التطويع وعلى التكيف مع المتغيرات والمستجدات الحالية التي يتسارع معدل تغيرها، ويتكاثف حجم تأثيرها على دقات الساعة وتحرك عقاربها.

2-يملك القدرة الفائقة على التجدد والتطور، والتواصل الكامل مع غيره من الاقتصاديات التي أصبحت تتوق إلى الاندماج فيه حتى انه يصعب فصله عنها، أو الحديث عنه بدونها، أو الإشارة إليها دون أن يكون له موقعا فيها.

3-يملك القدرة على الابتكار، وإيجاد وتوليد وتوالد منتجات فكرية معرفية وغير معرفية جديدة تماما لم تكن تعرفها الأسواق من قبل ثم يساعد على خلق وإيجاد غير المسبوق الأكثر إشباعا وإمتاعا للمستهلك والموزع والمتعامل معه وفيه وبه.

4-مجالات خلق القيمة المضافة فيه متعددة، ومتنوعة، وممتدة، ومتجددة وذات طبيعة تزامنية متدفقة وهي إن كانت تناسبية المضمون والمحتوى، فإنها في الوقت ذاته ثرية وغنية وتكاد تكون لا نهائية وتعطي تأثيرها الحافز على كافة مجالات هذا الاقتصاد وتنتج أثرها في الربحية الحقيقية الفعلية التي تولد أنشطة وتعطي عائدة ومردوده بشكل ملموس، محسوس.

5-لا توجد حواجز للدخول إليه، ولا توجد بوابات مغلقة عليه بل هو اقتصاد مفتوح بالكامل، ومن ثم لا توجد فواصل زمنية، أو عقبات مكانية أمام من يرغب في التعامل معه وبه وفيه بل كل الذي يحتاج إليه معرفة عقلية وإدارة تشغيلية ووعي كامل بإبعاد وجوانب هذا الاقتصاد ومسؤولية الالتزام بكل ما فيه، واحترام دقيق لحقوق الأطراف المختلفة المتعاملة فيه.

6-ارتباطه بالذكاء، وبالقدرة الإبتكارية وبالخيال الجامح وبالوعي الإدراكي بأهمية الاختراع، والخلق والمبادرة والمبدأة الذاتية والجماعية لتحقيق ما هو أفضل و أحسن وأرقى وتفعيل ذلك كله لإنتاج أكبر من الحجم وأكثر جودة في الأداء وأفضل إتاحة للإشباع. [246]

واقتصاد المعرفة أصبح اليوم يجتاح العالم، ويتدفق، وأصبحت المعرفة معه تتوالد، وتحلف ذاتها وتبتكر الجديد منها بمعدلات فائقة السرعة، وهو اقتصاد قائم على تقنيات فائقة التقدم ليس فقط بنظم وعمليات تشغيل قواعد البيانات، وأدوات التطبيقات، ونظم الشبكات سواء الخاصة بشبكة الإنترنت أو ما يمكن أن تتطور إليه مستقبلا لتتناسب مع اتساع وتنوع مجالات التجارة

---

[246] محسن أحمد الخضيري، مرجع سابق، ص 170.

الإلكترونية، وإعداد تطبيقات الشبكات اللاسلكية W.A.B ونظم قواعد البيانات على الحاسبات المتنقلة.

لقد أصبح هذا الاقتصاد يفرض وجوده بحكم حجمه، وبحكم احتمالات نمو الحجم، ومؤكدات هذا النظام وهو قائم على :

***إنتاج المعرفة** سواء من خلال البحث عنها في مناطق وجودها، واستخلاصها، أو من خلال اختراع المعرفة، وإيجادها، والتعامل معها، وفيها ومنها وبها، وفي الوقت ذاته تفعيل هذا الإنتاج ليصبح مدخلات لإنتاج معرفي جديد خالص، وأن يتم إنتاج المعرفة وفق مواصفات قياسية عالمية الجودة، والدقة، والصحة، وبحيث يتم استخدامها، وتشغيلها في نطاق معاملات ونظام إنتاجي ارتقائي، وبحيث يكون هذا الإنتاج كافيا ليس فقط لإشباع الاحتياجات، ولكن وهو الأهم دافعا للارتقاء بها.

***تسويق منتجات المعرفة**، وترويجها، وتوزيعها، وتسعيرها، وتفعيلها، وجني المكاسب والفوائد منها بشكل دائم ومستمر، وفي الوقت ذاته من خلال نظام تسويقي متكامل يعمل بشكل تفاعلي ارتقائي عالي المرونة نتيجة للمتغيرات والمستجدات التي تطرأ على السوق وعلى المستهلك.

***تمويل المعرفة:**تعتبر صناعة البرمجيات أحد المكونات الرئيسية في اقتصاد المعرفة، حيث يشهد العالم تيارات متسارعة نحو اكتساب تكنولوجيا صناعة المعلومات، واقتصاد المعرفة والانتقال الحاد من اقتصاد الزراعة والصناعة والخدمات إلى اقتصاد المعلومات الذي يفتح أمام الدول أسواقا جديدة ومجالات جديدة من العمل، والتوظيف والنشاط الاقتصادي.

أوسع من حيث الممارسة وأكثر من حيث الربحية، وأكثر من حيث القدرة على التكيف والتوافق مع المتغيرات والمستجدات الحياتية.

ولقد ازدادت تكنولوجيا الحوسبة والوسائط الإلكترونية وتطور معها اقتصاد المعرفة وأصبح معها المحرك الرئيسي لهذا الاقتصاد صناعة البرامج التي تمثل السوق الأكبر والأكثر تنوعا واتساعا ومجالا ولعل أهم معالم هذا السوق متمثلة في بعض الشركات العالمية مثال مايكروسفت.

"انتل"، "INTEL" أي بي أم "IBM"، "ابل"، "APPEL"، "نينتن"، "NINTENDO"، "SEGA"، "كومباك"، "GMPQ".

وهي شركات أصبحت تشكل معالم الاقتصاد الجديد، ولقد أدت صناعة الحواسب وإنشاء الطرق السريعة للمعلومات بل الفائقة السرعة، وإنشاء وتطوير مجالات التكنولوجيا الفائقة، ومن خلال شبكات الكابلات "COAX" والتي تتم بها استخدام شبكة الإنترنت وقد أدى ذلك إلى نمو اقتصاد جديد يطلق عليه اقتصاد المعرفة. [247]

لقد أدت ثورة صناعة البرمجيات إلى نمو عالم المال والأعمال، والتجارة وأصبح من السهل معها مراقبة وتنظيم كل حركة إلكترونية يتم القيام بها، وهو ما كان له تأثيره في كافة مجالات الاقتصاد من حيث:

- توظيف الفائض غير المعبأ في الاقتصاد.
- تشغيل الطاقات الإنسانية العاطلة.
- إحداث التراكم المعرفي وزيادة الخبرة.
- تنمية القيم المضافة، والدخل، والعائد، والمردود.
- زيادة فرص النمو الاقتصادي.
- عدالة وتنمية الآثار التوزيعية والانتشارية.
- زيادة الآثار التحفيزية والتدفيعية.
- مضاعفة الاستثمار المحلي وجذب وتوظيف الاستثمارات الخارجية، تعرف صناعة البرمجيات على أنها صناعة تخليقيةإبتكارية تقوم على: إعداد ورسم، وتصميم، وتنفيذ، واختبار برامج تشغيل للحساب الآلي والذي يتضمن مجموعة أوامر وتعليمات للحاسب، ليقوم بمجموعة أعمال متكاملة بهدف الوصول إلى نتيجة معينة للتعامل مع:
- مجموعة معطيات يطلق عليها مدخلات الحاسب الآلي inputs والتي تشمل التعامل مع البيانات كمادة خام أساسية يتم الحصول عليها من مصادر مختلفة.
- عمليات التشغيل المختلفة من إضافة، وتصنيف، وترتيب، وتحليل، وحساب التأثيرات المختلفة، وتوجيه البيانات إلى مراكز معينة، يتم حساب تشابكاتها، وتأثيراتها المتباينة كل منها على الأخرى للوصول إلى معلومات تستخرج لهدف معين.

---

[247] المرجع نفسه، صص 173، 174.

- مخرجات عمليات التشغيل ouputs التي يتم الوصول بنتائج التشغيل بها إلى مخرجات في شكل معلومات يتم الاستفادة بها في اتخاذ القرار الإداري المطلوب وتعمل البرامج على تحقيق هذا كله بسهولة ويسر بسرعة فائقة.

وتمتلك صناعة البرمجيات العديد من الخصائص الرئيسية التي جعلتها محور اقتصاد المعرفة الرئيسي وأحد أدواته الفاعلة التي تعمل على تنمية وازدياده وأهم هذه الخصائص:

- اعتمادها على العقل البشري باعتباره المحور الرئيسي المبدع لهذه الصناعة ومن ثم كلما توفر عدد مناسب من الأفراد المؤهلين، والمدربين جيدا على هذه الصناعة كلما كان من الممكنٌ قامتها بسهولة ويسر خاصة وأنها تقوم على مبدأ إنتاج محدود لبرامج متميزة بدلا من إنتاج كبير لبرامج متماثلة.

✓ يمكن إقامتها في أي مكان ولا يشترط لإقامتها مكان معين، وبالتالي يمكن تعديد مراكزها ونشرها في كل مكان على ربوع الوطن، حيث يمكن.

✓ الإنتاج في أي مكان حيث لا يشترط لإقامتها مكان معين.

✓ الإنتاج في أي وقت حيث لا يشترط الإنتاج زمان معين.

✓ نقص أهمية المدخلات (المستلزمات والخامات) ورخص قيمتها، وتدني نسبة مساهماتها في التكاليف الكلية أمام العائد الضخم للبرامج المنتجة.

✓ التحرر من قيود المكان، والزمان، وإلغاء أثر تباعد المسافات.

- تخضع لمنظومة تسويقية متكاملة، ويفضل أن تمتلك مراكز مراكز هذه الصناعة كوادر تسويقية مدربة على اقتناص الفرص، وإبرام العقود، والتي يمكن أن تشمل جوانبها ما يلي:

✓ بحوث السوق والعميل لصناعة البرمجيات.

✓ بحوث المنتجات من البرامج المطلوبة.

✓ بحوث التوزيع للبرامج المنتجة.

✓ بحوث التسعير للبرامج المنتجة.

✓ بحوث الترويج للبرامج المنتجة.

- لا تتطلب رؤوس أموال ضخمة حيث يمكن إقامتها بمبالغ محدودة للغاية تكفي فقط لشراء جهاز كمبيوتر شخصي متكامل، ويقوم الفرد بالعمل عليه في أي مكان يراه، بل ساعد

وجود الكمبيوتر المحمول على زيادة كثافة التشغيل في أي مكان، وفي كل وقت يرغب المبرمج العمل فيه وبالتالي يتيح للمبرمج الخبير كامل الحرية في الإبداع والابتكار.

- يشكل عائدا مردودا سريعا، ومرتفعا، وذلك لارتفاع مكون القيمة المضافة التي تم إضافتها من خلال البرامج، وكما أنه يفتح المجال واسعا نحو سرعة الاستهلاك الزمني للبرنامج بالإحلال محله ببرنامج أكثر تقدما وأكبر فعالية.
- يمكن لهذه الصناعة أن تنتج برامج قادرة على المنافسة في الأسواق الخارجية بأسعار مناسبة من خلال الاستفادة من المزايا التنافسية التي نمتلكها في هذه الصناعة.

تمتلك صناعة البرمجيات قدرات هائلة على تطوير الاقتصاد المعرفي، حيث قيمة أي صناعة لا تقاس بما ينتج عنها من قيمة مضافة مباشرة فقط، ولكن أيضا يضاف إليها ما تنتجه من قوة دفع تحفز النمو والتطوير وما تشكله من أثر وتأثير في بقية قطاعات الاقتصاد اليومي. فهي صناعة فاعلة ومتفاعلة في اقتصاد المعرفة هي صناعة متكاملة ذات امتدادات وأبعاد توازنية تفاضلية تضيف إليها الجديد الغني الثري، وتعطي أيضا للصناعات الأخرى قوة دفع هائلة وفاعلة في الوقت ذاته.

وتشمل برمجيات الاقتصاد:

- برمجيات زيادة الإنتاجية.
- برمجيات تحسين الخدمات.
- برمجيات دعم الإدارة الاقتصادية.

والحديث عن البرمجيات هو حديث عن اقتصاد البرمجيات وتوجهاتها التي تشمل :

- التوجه نحو المكونات البرمجية.
- التوحيد القياسي بحكم الأمر الواقع.
- البرمجيات كسلعة.
- البرمجيات كخدمة.
- إدماج البرمجيات في العتاد.
- من صنعة الهواة إلى المؤسسات العملاقة.

نزعة العولمة لصناعة البرمجيات. [248]

التجارة الإلكترونية كدعامة لاقتصاد المعرفة :

في تعريف لها هي "عملية تحدث بين طرفين أو أكثر باستخدام أجهزة الكمبيوتر المتصلة عبر نوع معين من شبكات الاتصال والعملية عبارة عن تعاملات البيع والشراء بين طرف بائع وطرف مشتر".

أو بمعنى أدق هي التعاملات البينية التي تتم من خلال شبكة الإنترنت في قطاعات الأعمال وفق ما يعرف بمفهوم "business to business" أو ما يعرف بالتسويق الإلكتروني "retailing" والتعاملات المصرفية "online booking" وتأخذ أكثر من شكل: "الأعمال_ الأفراد"، "الأفراد_ الأعمال" و "الأفراد_ الأفراد"وبمعنى آخر هي شراء وبيع السلع عبر شبكة الإنترنت أو الشبكات التجارية العالمية الأخرى ولا يقتصر مفهوم السلعة على البضائع فقط بل يشمل الخدمات والمعلومات، وبرامج الكمبيوتر، وأسلوب الدفع السائد هو الدفع ببطاقة الإئتمان عبر الشبكة ويمكن الدفع أيضا عن طريق الشيك أو نقدا "عند التسليم"، أو بأي طريقة أخرى حيث تصنف تلك الطرق ضمن التجارة الإلكترونية العالمية.

وليست كل أنواع التجارة ملائمة للأسلوب الإلكتروني فقد نجح مشروع مخزن الكتب "الأمازون"، لبيع الكتب على شبكة الويب بشكل باهر كذلك يمكن أن تنجح أعمال أخرى مثل السياحة والسفر والاستثمار، وتجارة التجزئة خلال وقت قصير نسبيا وذلك لأن الناس اعتادوا التعامل مع هذه القطاعات بالتيليفون، ولا يمثل الانتقال إلى إنجازها عبر الإنترنت قفزة ثقافية كبيرة.

ولذلك فإنه من الممكن القول بأن البضائع التي يمكن ويسهل إدراج مواصفاتها في قواعد البيانات أكثر ملائمة للتجارة الإلكترونية، أو بمعنى أدق التجارة الإلكترونية أنسب لمنتجات المعرفة.

وهي محور اقتصاد المعرفة الذي يعرف بأسماء منها الاقتصاد عبر المحسوس، أو الاقتصاد الحديث، وهو يختلف تماما عن الاقتصاد الصناعي حيث تشكل الأفكار والصور والمعلومات والسلع الأساسية بدلا من المنتجات المادية مثل الآلات، والمواد الخام في الاقتصاد

---

[248]نبيل علي: صناعة البرمجيات، البعد الاقتصادي، مرجع سابق.

الصناعي، وتعد شبكة الإنترنت أحد العناصر الرئيسية في اقتصاد المعرفة لأنها سهلت التبادل التجاري وأصبح أرخص وأسهل وانتشار أسرع للمعلومات، بل يمكن بيع البضائع المادية من خلال الشبكة إلا أن تسليمها الفعلي إلى المستهلك يتم ببطء، وعلى النقيض من ذلك فإن تقديم سلع وخدمات اقتصاد المعرفة مباشر.

فيمكن تقديم خدمات مثل الاستثمارات الصحية، والتعليم، والأخبار، والبرامج، والموسيقى، والفن، والإعلان ووسائل التسلية والفيديو، والودائع، وكذا خدمات البنوك، والخدمات المالية، وفرص الوصول والدخول في قواعد البيانات والاستثمارات وقصات الشعر، وأخبار المودة وخدمات النظافة، كل ذلك وغيره يمكن تقديمه من خلال شبكة الإنترنت، وتخفيض تكاليف التحويل، وسترتفع الإنتاجية في هذه المجالات بالذات أي أن الإنترنت يتم فيها تبادل تجاري لمنتجات المعرفة أسرع، وأسهل من التبادل التجاري لمنتجات الاقتصاد الصناعي، ونشر المعطيات إلى أن حجم التجارة الإلكترونية العالمية عبر الإنترنت بلغ عام 1997، 2,6 مليار دولار ويتوقع أن تصل عام 2002 إلى أكثر من 385 مليار دولار.

اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المعلومات:

لقد كانت المعرفة دائما عاملا هاما في تطور الاقتصاد وعامل كذلك في التنمية الاجتماعي واقتصاد المعرفة الذي يميز العصر الجديد كان نتيجة لتفاعل اتجاهين اثنين هما تطور ونمو رأس المال الرمزي (غير المادي) الذي يشمل ...المعلومات والمعارف والإنتاج والاتجاه الثاني هو تطور وسائل الإعلام والاتصال وتكنولوجيا المعلومات وهي ثروة تكنولوجية غيرت بشكل جدري قواعد الإنتاج وانتقال المعارف والمعلومات وذلك منذ بداية القرن العشرين.

وتعتبر البنية التحتية لنقانة المعلومات والاتصالات لبلد ما، العامل الأهم في تحديد قدرته على الانتقال إلى الاقتصاد العالمي المبني على المعرفة، وتشكل كثافة الخطوط الهاتفية الثابتة والنقالة وانتشار الحواسب الشخصية، ومدى استخدام الإنترنت من المؤشرات الأساسية لهذه البنية التحتية.

ويعتمد اقتصاد المعرفة اعتمادا أساسا على فعاليات الشركات في جمع المعرفة، واستعمالاتها لرفع الإنتاجية وتوليد سلع خدمات جديدة توزع عبر شبكات المعرفة التي تتغير المعلومات فيها بمعدلات سريعة، وستؤدي شبكة الإنترنت دورا أساسيا على فعالية الشركات في

جمع المعرفة واستعمالاتها لرفع الإنتاجية وتوليد سلع خدمات جديدة توزع عبر شبكات المعرفة التي تتغير المعلومات فيها بمعدلات سريعة، وستؤدي شبكة الإنترنت دورا أساسيا في تشبيك المعرفة، ففي أقل من عقد من الزمن استطاعت الإنترنت تبديل العدد من المفاهيم الاقتصادية، كما أنها أثرت في الكثير من القطاعات الاقتصادية فقد وفرت الإنترنت المعلومات الكثيرة وبأقل التكاليف، كما أدت إلى تخفيض تكاليف الصفقات التجارية إلى حدودها الدنيا، وهذا ما أدى إلى تزايد استخدام التجارة الإلكترونية وإلى تحسين المنافسة على الصعيد العالمي كما أدت إلى بروز فعاليات اقتصادية جديدة لم تكن معروفة من قبل.

ومن المتوقع أن ترتفع التجارة عبر الإنترنت في و.م.أ من 43 مليار دولار إلى 1300 مليار دولار عام 2003، أما في بقية الدول المتقدمة سيرتفع مستوى التجارة عبر الإنترنت من 54 مليار عام 98 لتصل إلى 3200 مليار دولار عام 2003. [249]

ومفهوم المعرفة ليس بالأمر الجديد فالمعرفة رافقت الإنسان منذ أن تفتح وعيه، وارتفعت معه من مستوياتها البدالية مداخلة لاتساع مداركه وتعمقها حتى وصلت إلى مستوياتها الحالية، غير أن الجديد اليوم هو حجم تأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلى نمط الحياة عموما، وذلك بفضل الثورة العلمية التكنولوجية.

ولقد كان لثورة المعلومات والاتصالات دور الريادة في هذا التحول، فهي مكنت الإنسان من فرض سيطرته على الطبيعة إلى حد أصبح عامل التطور المعرفي أكثر تأثيرا في الحياة بين العوامل الأخرى المادية والطبيعية ولقد باتت المعلومات موردا أساسيا من الموارد الاقتصادية له خصوصيته، بل أنها المورد الإيستيراتيجي الجديد في الحياة الاقتصادية المكمل للموارد الطبيعية، كما تشمل تكنولوجيا المعلومات في عصرنا الراهن العنصر الأساس في النمو الاقتصادي فمع التطور الهائل لأنظمة المعلوماتية تحولت تكنولوجيا المعلومات إلى أحد أهم جوانب تطور الاقتصاد العالمي حيث بلغ حجم السوق العالمية للخدمات المعلوماتية عام 2000 حوالي 1 تريليون دولار. [250]

---

[249] Dominique foray : **L' economie de la connaissance** , casbah edition ; alger , 2004 p 19 .

[250] محمد دياب: **اقتصاد المعرفة أي نحن منه**: مجلة العربي الكويتية ،عدد 546، ماي 2004، ص26.

إن تكنولوجيا المعلومات، والاتصال وغيرها من أساليب، ونظم التقنية المتقدمة تلعب الدور الرئيسي في اقتصاديات المعرفة، فهي التي تساعد على قيام مجتمع المعرفة وتعطيه خصائصه ومقوماته كما أنها تحل محل التنظيم، والإنتاج الصناعيين، كمصدر أساسي للإنتاج بحيث يمكن تقويم السلعة، ليست فقط حسب ما يدخل في تكوينها من مواد خام، أو ما بدل في إنتاجها من مجهود أو ما أنفق عليها من رأس المال، وإنما حسب المعرفة التي أدت إلى ابتكار تلك السلعة وإنتاجها.

فالمعرفة هنا أهم عامل في الإنتاج، ومن هذه الناحية فإنها تفوق رأس المال والجهد المبذول في العمل، فالذي يحدد قيمة السلعة المعرفية إذن هو في المحل الأول الابتكار والفكر الكامن وراء لإيداع السلعة، وتمتاز المعرفة بقدرتها الفائقة على الانتقال والانتشار عبر العالم حين تتوفر الوسائل والظروف الصارمة، وإثارة مشكلة الملكية الفكرية، وفرض أسعار عالية على بيع المعرفة، التي تنتجها أو السماح باستخدامها مما يحرم المجتمعات الأقل تطورا من الإفادة منها في تحقيق ما نصبوا إليه من تقدم وازدهار.[251]

الجدول (08) :يوضح الاقتصاد "القديم" و "الجديد".

القضايا	الاقتصاد القديم	الاقتصاد الجديد
سعة الاقتصاد		
أسواق	مستقرة	حركية
حدود المنافسة	قومية	عالمية
الشكل التنظيمي	تراتبي، بيروقراطي	مشبك
البنية	تصنيعية في جوهرها	خدمية/معلوماتية في جوهرها
مصدر القيمة	مواد خام، ورأس مال طبيعي	رأسمال إنساني واجتماعي
الأعمال		
تنظيم الإنتاج	إنتاج كبير	إنتاج مرن
المحرك الرئيسي للنمو	رأس مال/ عمل	ابتكار/ معرفة
المحرك التقني الرئيسي	الميكنة	الرقمية
مصدر الميزة التنافسية	خفض التكلفة من خلال الموازنة	الابتكار،والجودة،والقدرة على التكيف

[251] أحمد أبو زيد: **المعرفة،صناعة المستقبل**: مجلة العربي الكويتية ،عدد 540، نوفمبر، صص 31،32.

أهمية الأبحاث/ الابتكار	بين المنخفضة والمتوسطة	كبيرة
العلاقات مع الشركات الأخرى	أداء منفرد	تعاون، وتفوق
المستهلكون/ العمال		
الأذواق	ثابتة	سريعة التغير
المهارات	مهارات عمل محدودة	مهارات واسعة وقدرة على التكيف
الاحتياجات التعليمية	تعليم أو تدريب حرفي محدود	تعلم مدى الحياة
علاقات العمل	مناوئة	تعاونية
طبيعة التوظيف	مستقرة	الاعتماد المتزايد على التعاقد والتأسيس على أساس المشروع
الحكومة		
العلاقات بين الحكومة والأعمال	فرض التنظيمات	تشجيع فرص النمو الجديدة
التنظيم	قيادة وسيطرة	مرن ويرتكز إلى السوق
خدمات الحكومة	دولة رفاه	دولة مخولة

من المؤكد القول أن العقدين الأخير من القرن الماضي قد تميز بتحولات كبرى وعميقة طالت هياكل ونمط اشتغال المقاولات والأنظمة الإنتاجية القائمة وطالت كذلك طبيعة الإنتاج وتيرته وكثافة حجم المواد اللامادية بداخله كما طالت أيضا علاقات الإنتاج وما سوى ذلك.

ويبدو أن استحضار بعض العوامل التي حولت النشاط الاقتصادي إلى شكل جديد وغيرت طبيعته ومكوناته، أمر ضروري لكنه يبقى غير كاف ما لم يدمج في إطار "تكنولوجي" تقني جديد يمكنه أن يضبط التحولات الكبرى الجارية، ومحاولات تكييف الفاعلين وأصحاب القرار (على مستوى السلوكيات والقواعد والسياسات العلمية والتكنولوجية المعقدة) وبروز باتت إلى ميزات إنتاجية جديدة مرتبطة بالطفرة التكنولوجية وتصاعد الأنشطة المعلوماتية.

ولو تسنى للمرء أن يسلم بفرضية النظام التقني الجديد حيث العديد من ارهاصاته تتمظهر يوما بعد يوم، فإنه بالإمكان حصر مكوناته الكبرى كالآتي:

- علوم وتكنولوجيا الإعلام والاتصال تتطور بطريقة تراكمية.
- قانون "مور"حيث الانخفاضات المتتالية الأثمان الرقائق الصغيرة تجعلها قابلة لمختلف التطبيقات.

- التزايد الكبير في أحجام وتيارات المعطيات.
- تزايد فضاءات التطبيق في مسلسلات الإنتاج، في المكتبية، في المتعدد الأقطاب في أنشطة التصميم والتحليل، في علوم التحويل في السلع الاستهلاكية الجديدة (هاتف نقال، كاميرا رقمية..)
- مسلسلات جديدة للتراكم (وتحديدا القيمة المعطاة للاستثمارات اللامادية وللإنتاج المشترك).
- أنشطة جديدة وتخصصات ذات طبيعة معلوماتية.
- متطلبات جديدة (تفاعلية) في ميدان الكفاءات.
- متطلبات جديدة في ميدان التكوين.
- أشكال جديدة في إنتاج المعارف.
- تكنولوجيا جديدة لإنتاج المعرفة (أنظمة الخبرة، الذكاء الاصطناعي).
- أنماط جديدة للاستهلاك.
- متطلبات جديدة وأشكال تنظيم مبتكرة.
- قواعد جديدة (الملكية، الفكرية، المجازفة).
- مؤسسات جديدة (أنظمة، الإبداع).
- أشكال جديدة للتمويل (سيما الرأسمال/ المجازف).

فالأمر يتعلق إذن بمجموعة من التطورات والتحولات التكنولوجية والتغييرات الحاصلة بأنماط الإنتاج، مرتبطة ومتداخلة وذات تفرعات مختلفة يترتب عنها انخفاض كبير في تكلفة الاتصال، وقدرات تخزين ومعالجة للمعلومات عالية، وقدرات حسابية إلى حد بعيد غير محدودة، وانخفاض جلي في استهلاك المواد الأولية والطاقة، وقدرات فائقة على ملاحظة كل الظواهر في زمن آني وقدرات مرتفعة على تتبع كل التيارات مهما كانت أشكالها.

وعلى هذا الأساس فنحن أمام قطاع شديد الحركة، قطاع صناعة الإعلام والاتصال، وأمام طريقة جديدة في تلمس الاقتصاد في مجمله.

وفي خضم هذه الحركية العامة، يبدو الإشكال كامنا في هذه الطريقة الجديدة التي تعتبر التكنولوجيا مركزها وقطبها ورمزها...والاقتصاد مادتها ومحركها عبر وسائل التفاعلية معها،

والتكنولوجيا المقصودة هنا والتي من شأنها خلق نظام تقني جديد، ليست تلك التي تنعت بالجديدة فحسب بل أساسا تلك التي لها آثار وتداعيات جذرية، هيكلية محددة لتوجه الاقتصاد، أي تلك التي لها بعد ثوري أو ذات صبغة "براغماتية" كما يقول البعض. [252]

تعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي تكنولوجيا للأغراض العامة، وهي بذلك ذات أثر على الاقتصاد بأسره، وهي تدخل نموذجا جديدا لتشكيل الأنشطة الاقتصادية، محدثة تغييرا جذريا في نهج التكنولوجيا من أجل التنمية، ويمكن تلخيص الجوانب الرئيسية لهذا النموذج الجديد على النحو التالي:

أولا: أن الأثر الاقتصادي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن أن يكون من حيث المؤثرات الخارجية والآثار غير المباشرة بفعل استخدامها وتطبيقها في مختلف قطاعات الاقتصاد، أكبر من مساهمتها المباشرة في الناتج المحلي الإجمالي كقطاع من قطاعات الإنتاج.

ثانيا: أن أحد أهم المؤثرات الخارجية هو النمط الجديد لتنظيم الإنتاج والاستهلاك الذي يفضي إلى خفض التكاليف وتسريع الاتصالات بين الوكلاء الاقتصاديين وتحسينها.

ثالثا: أن وتيرة الاختراعات المتسارعة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ذاته قد قلصت بشكل كبير تكاليف الحصول على هذه التكنولوجيات وقد سمح ذلك بإضفاء طابع ديمقراطي على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

رابعا: أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أوجدت خدمات جديدة في شكل التجارة الإلكترونية، والتمويل الإلكتروني، والإدارة الإلكترونية وهذه الخدمات الجديدة يمكن أن تساهم في زيادة الفعالية الاقتصادية بيد أن تحديات أخرى قد تنشأ فيما يخص مسألتي الثقة والأمان في المعاملات التي تولدها هذه الخدمات الإلكترونية الجديدة.[253]

خامسا: أن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يتطلب مهارات، وأن التعليم والتدريب يكتسبان مزيدا من الأهمية في بناء اقتصاد المعرفة الذي تمثل فيه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أداة لا غنى عنها.

---

[252] يحي اليحياوي: كونية الاتصال، عولمة الثقافة، مرجع سبق ذكره ، ص ص 51، 52.

[253]- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية: **اقتصاد المعلومات** ، تقرير 2007، 2008، الأمم المتحدة: نيويورك وجنيف 2008 ، صص 3، 4.

سادسا: أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدت إلى ظهور أنماط جديدة لتقاسم المعارف والإنتاج الجماعي للأفكار والابتكارات عادة ما تتخطى نظام تسجيل الملكية الذي تتجه حقوق الملكية الفكرية، ونماذج "الوصول المفتوح" هذه، سواء في أنشطة من قبل المصادر المفتوحة للبرمجيات أو الابتكارات المفتوحة، أو اقتران المعارف المشتركة، أصبحت منتشرة جدا وواعدة من حيث نشر المعارف بسرعة إلى البلدان الأقل تقدما. [254]

لقد شهد العقد الماضي نموا قويا في التدفقات التجارية المتصلة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتعافي كلية من أزمة عام 2000، وذلك بتحقيق معدلات نمو بالنسبة للتجارة في سلع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ضاهت ما تحقق في مجمل تجارة المصنوعات، وفاقت متوسط نمو التجارة في خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفي عام 2004، تجاوزت الصادرات من البلدان النامية إلى البلدان النامية (أي فيما بين بلدان الجنوب) الصادرات عن البلدان النامية إلى المتقدمة.

وكادت قيمة التجارة بين بلدان الجنوب في السلع المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات (410 مليار دولار) ويرجح أن تكون قد تجاوزتها في عام 2006 نظرا للزيادة القوية في التجارة بين بلدان الجنوب في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والزيادة الضعيفة نسبيا في المبادلات التجارية بين بلدان الشمال. [255]

وقد حققت صادرات الخدمات التي تقوم على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات نموا أسرع مما حققه مجموع صادرات الخدمات خلال الفترة 2000_2005، ففي عام 2005، كانت قيمة الخدمات التي تقوم على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات البالغة 1,1 تريليون دولار تمثل نحو 56% من إجمالي صادرات الخدمات بالمقارنة مع النسبة التي تحققت في عام 1995 والتي لم تتجاوز 37%.

وتمت زيادة قوية في الاستثمار الأجنبي المباشر في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لا سيما في السلع المصنعة والخدمات المتصلة بهذه التكنولوجيا وإذا كانت معظم هذه التدفقات يوجه نحو الاقتصاديات الآسيوية، فإن هذه التدفقات باتت تمثل حصصا متزايدة في

---

[254] المصدر نفسه، ص 5.

[255] المصدر نفسه ،ص ص 11، 12.

الناتج المحلي الإجمالي للبلدان النامية، التي بلغت 165 مليار دولار عام 2005 وهو ما يمثل 18% من التدفقات العالمية الداخلة.

ويشير نفس التقرير إلى أن الصين والهند هما أكبر الجهات الفاعلة في العالم على التوالي في مجال تصدير السلع والخدمات المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وقد أدى النمو القوي لقطاع تكنولوجيا الاتصالات دورا حيويا في التوسع الاقتصادي في هذين البلدين، فقد تجاوزت الصين الو.م.أ لتحتل المرتبة الأولى عالميا في مجال إنتاج وتصدير سلع وتكنولوجيا المعلومات في عام 2004، أما الهند فتأتي في المرتبة الأولى عالميا في تصدير خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والخدمات التي تقوم على هذه التكنولوجيا وهي المزود الرئيسي في مجال التعاقد الخارجي في الأعمال التجارية.

المبحث الثالث: تسليع الثقافة ونمو قطاع الخدمات:

في الوقت الذي وضع فيه "دانيال بيل" كتابه "المجتمع ما بعد الصناعي" القائم في عام 1973. تفوق أداء الخدمات على إنتاج السلع وأصبح الدافع المحرك للرأسمالية في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا. وعلى الرغم من أن "الخدمات" متغلبة قليلا وتقع ضمن فئة النثريات ومفتوحة على تفسيرات مختلفة وعديدة. فإنها غالبا ما تتضمن أنشطة اقتصادية ليست إنتاجية ولا إنشائية وإنما مؤقتة. وتستهلك وقت إنتاجها وتوفر قيمة غير ملموسة. وذات مرة قالت مجلة The Economist. سافرة إلى حد ما إن الخدمات هي "سلع" لكنها غير ملموسة، وتشمل الخدمات الأعمال الحرفية (قانونية ومحاسبية واستشارية)، وتجارتي التجزئة والجملة والنقل والمواصلات، والرعاية الصحية، ورعاية الأطفال، والاعتناء بالعجزة والأنشطة الترفيهية المدفوعة الأجر والبرامج الاجتماعية الحكومية.[256]

حتى مع تحول الإنتاج، والتبادل، ومضاعفة الملكية، سواء في شكل رأسمالية أو سلع مستهلك إلى ماض قومي. كانت هناك قوى أخرى تعمل على إقامة السوق الرأسمالي الذي سيحدد علاقات الملكية الخاصة وتشييد النظام الاجتماعي الذي نما حولها.

وقد أدى التعقيد المتزايد لعمليات الأعمال الضخمة، وزيادة انفصال الدخل العائلي. وانضمام أعداد كبيرة من النساء إلى قوة العمل إلى تقديم خدمات الأعمال ثم بعد ذلك خدمات المستهلك للخليط الرأسمالي. وفي البداية ألحقت خدمات الأعمال بإنتاج وتوزيع السلع. واستعدت السكك الحديدة، والمعدات، وغيرها من المؤسسات الصناعية الضخمة. أشكالا أكثر تعقيدا من التنسيق والتنظيم. وأخت خدمات الأعمال، ومن بينها المحاسبة والتخطيط المالي والاتصالات تلعب دورا بارزا، ومتزايدا في إنتاج وتوزيع السلع. وفي الوقت نفسه بدأت طبق وسطى متيسرة تنفق المزيد من دخلها المنفصل على الخدمات بكل أنواعها. وتصاعدت العملية بانضمام المزيد من النساء إلى قوة العمل، وانتقلت أنشطة اعتادت النساء ممارستها في بيوتهن، مثل رعاية الطفل، وإعداد الطعام، والرعاية الصحية، وقص الشعر وغيرها إلى السوق كخدمات تجارية مدفوعة ... وأصبح السكان لا يعتمدون على التنظيم الاجتماعي (القديم). في شكل الأسرة

---

[256] جيرمي ريفيكن: **عصر الفرص: الثقافة الجديدة للرأسمالية**،دراسات مترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ط1. 2003 ،ص 118.

والأصدقاء، والجيران، والمجتمع، والكبار، والصغار، بل أصبح التوجه نحو السوق (والسوق فقط). ليس من أجل الغداء، واللباس فحسب، وإنما أيضا للترويج والتسلية والأمن، والعناية.[257]

في عام 1973 كان 65 عاملا من بين كل 100 عامل يعملون في قطاع الخدمات. أما في الدول الأوروبية فإن ما نسبته 47.6%من العمال كانوا يعملون في قطاع الخدمات في أوائل سبعينات القرن الماضي. أما اليوم فنوظف صناعة الخدمات أكثر من 77% من الأيدي العاملة في و.م.أ وتعادل ما نسبته 75% من القيمة المضاعفة في الاقتصاد الأمريكي وأكثر من نصف القيمة المضاعفة في الاقتصاد العلمي. وتنبأ "Percy Barenerik" الرئيس التنفيذي السابق لشركة "Asea Brown Boveri" المحدودة. أنه بحلول 2010 تشكل الخدمات ما نسبته 90% من الاقتصاد الأمريكي، فيما ستشكل الأنشطة الصناعية أقل من 10%.[258]

إن التحول في التجارة الأساسية من البضائع والسلع إلى الخدمات يجعل الملكية أقل أهمية في الحياتين التجارية والشخصية. وكتب "Peter Martin" أنه في هذا العصر "عصر النفاذ". على الأرجح سيقاس النشاط الاقتصادي بوتيرة الخدمات المقدمة بعد أن كان يقاس بعدد الوحدات المنتجة والمبيعة. والتقط "دانيال بيل" جزئيا على الأقل. مغزى التحول الذي يجري في التجارة الرأسمالية عندما لاحظ أنه "إذا تم تعريف المجتمع الصناعي من خلال كمية البضائع والسلع باعتبارها مؤشرا على مستوى المعيشة، فإن المجتمع ما بعد الصناعي يعرف بواسطة نوعية الحياة كما تقاس بالخدمات واللياقة، الصحة والتعليم والترفيه والفنون. التي يعتقد أنها مستحبة ومرغوب فيها الآن".[259]

وحسب "دانيال بيل" صاحب نظرية المجتمع "ما بعد الصناعي". فالتاريخ وفق هذه النظرية مقسم إلى ثلاث مراحل رئيسية هي:

1- المجتمع قبل الصناعي (الزراعي).

2- المجتمع الصناعي.

---

[257] جون ماركلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي: **الصناعات الإبداعية**،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، عدد 339 ماي 2007، صص 193، 194.

[258] جيرمي ريفكن: **دراسات مترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية**، مرجع سابق، ص 118.

[259]المرجع نفسه،ذكره ،ص 119.

3- المجتمع ما بعد الصناعي.

وحسب هذه النظرية -دائما- أنه تبعا لمستوى التقنية (التكنولوجيا).تغلب في المجتمع وبصورة تسلسلية تتابعية. مجالات النشاط الاقتصادي التالية.

1- المجال الأولي (الإنتاج الزراعي).

2- المجال الثاني/ أو الثانوي (الصناعة).

3- المجال الثالث/ حاليا مجال الخدمات والذي يكتسب فيه العلم والمعرفة والتعليم رياديا.[260]

ومن الواضح أن دعامة أي خدمة – سواء كانت تصميم منتج مناسب أو تقديم معلومات لأحد العملاء – هي المعرفة والمعلومات، ولطالما سمعنا أننا دخلنا عصر المعلومات أو حتى العصر الإلكتروني، لكن تلك الأوصاف بجانبها التوفيق ... ذلك أننا إنما دخلنا في الحقيقة عصر الخدمة. فالأمر الأهم من الشيء المادي – وهو الكومبيوتر الرائع دو الشاشة متعددة الألوان أو الاتصالات التلفزيونية منخفضة التكاليف إنما هو فيما نستخدم هذه الأشياء. أي تقديم الخدمة. وكما كان المحراث أداة العصر الزراعي، وكما كان المصنع أداة العصر الصناعي، فإن أجهزة الكومبيوتر وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. بل وحتى المعرفة هي أداة عصر الخدمة.[261]

ويمكن تقديم الخدمة من خلال العديد من الطرق إلا أنها. كلها تعتمد في الغالب على المعرفة المتخصصة. ومن يملك المعرفة الأعظم هو من يمكنه تقديم الخدمة الأفضل.

وفي الحقيقة الأمر فإن المعارك الدائرة بين الشركات المختلفة في شتى أنحاء العالم من أجل تقديم خدمة أفضل تكشف لنا سر ما تنفقه تلك الشركات سنويا والذي يصل إلى تريليونات في أغراض بحوث التسويق، وتصميم المنتجات، والتعبئة والتغليف، كما أنها تفسر دعم حكومات الدول الصناعية للجامعات ومراكز البحث والتطوير.

---

[260] معن النقري، مرجع سابق ، ص 91.

[261] ويليام نوك، ترجمة يحيى زكريا: **عالم جديد جزئي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2006،ص 217 .

لقد بدأنا ندرك أن كل النشاطات الاقتصادية يمكن اعتبارها نشاطات خدمية (خدماتية). وقد تفطن إلى ذلك بعض المنتجين واستجابوا له بجعل الخدمة جزءا لا يتجزء من المنتج نفسه، وعلى سبيل المثال أصبحنا نجد برامج الكومبيوتر التي تتضمن جزءا خاصا بالتعليم الذاتي لمستخدميها، والآلات المعقدة التي تباع ومعها شرائط الفيديو توضيحية لبيان طريقة تشغيلها وسوف نرى في المستقبل السيارات التي تقوم بغسل نفسها من الداخل والخارج.[262]

لقد تغيرت شخصية السلع بعد أن أصبحت أكثر كثافة معلوماتية وتفاعلية. وأكثر قدرة على التحديث المستمر. وفقدت مكانتها كمنتجات وتحولت إلى خدمات متطورة. ولا تكمن قيمتها في المنصة المادية أو الحاوية التي تضمنتها. بقدر ما تكمن في الحصول على الخدمات التي تقدمها. وقد فهم "تايشيساكابا" المدير العام لوكالة اليابان للتخطيط الاقتصادي التغير الذي طرأ على طريقة فهمنا للسلع عندما قال "ستتركز أهمية السلع المادية في حاويات أو ناقلات لقيمة المعرفة".

فالشركات "تثور" "Revolutionizing". تصميمات المنتج لتعكس التأكيد الجديد على الخدمات. فبدلا من التفكير في المنتجات كمفردات ثابتة مع مجموعة من السمات وقيمة مبيعات للمرة الواحدة. تفكر الشركات فيها الآن "كأنظمة تشغيل" لكل أنواع الترقية وخدمات القيمة المضافة. وتعول خطة التضيع الجديدة على الخدمات المضافة، ويصبح الإنتاج بمعنى من المعاني مزيدا من تكاليف إنجاز الأعمال أكثر منه بيعا لمنتج أو لنفسه. فالفكرة تتركز في أن نستخدم أنظمة التشغيل كرأس هرجسر. ووسيلة لتشكيل حضور مادي في مكان أعمال المستهلك أو مسكنه. وهذا الحضور يسمح للبائع بالشروع في علاقة خدمة طويلة المدى مع المستهلك. ولهذا السبب تباع أنظمة التشغيل غالبا بسعر التكلفة توقعا لبيع خدمات أكثر ربحية للمستهلك على مدى عمر المنتج[263] وتعتبر الموسوعة البريطانية. "Encyctopaedia-Britannica" مثالا جيدا على الطريقة التي تعمل فيها ظروف التسويق على تسريع تحول البضائع والسلع التقليدية إلى خدمات خالصة. فحتى وقت قريب كانت تكلفة النسخة المطبوعة ذات الغلاف المقوى والتي تضم (32 مجلدا). تصل إلى 1600دولار. وكانت تعتبر استثمارا ماليا رئيسيا

---

[262] المرجع نفسه، صص217 ، 219.

[263] جون هارتلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي، مرجع سابق، ص 197.

بالنسبةّ إلى الكثير من الأسر. وفي أوائل التسعينات تحدث "بيل غيتس" إلى المسؤولين في الشركة المنتجة للموسوعة وطرح عليها فكرة إصدار نسخة رقمية على هيئة أقراص مدمجة (CD). بحيث يمكن تسويقها سعر تجزئة أرخص بكثير. لكن الشركة البريطانية رفضت العرض. بسبب قلقها من أن يفوض إلى صغر النسخة الرقمية الأرخص مبيعاتها من النسخة المطبوعة. ثم "مشترى بيل غيتس" "Funk-and wagnalls" ودمج محتوياتها. بمادة سمعية بصرية متوافرة للجميع بهدف وضع موسوعة رقمية أطلق عليها اسم "إنكارتا" "Incarta"وتم وضع الشفة الإلكترونية على أقراص مدمجة وبيعت بسعر 49.95 دولار للنسخة. وإضافة إلى بيع الموسوعة بسعر بخس كان يتم تحديثها وتطويرها بصورة دائمة وبالنتيجة أصبحت "إنكارتا" خلال أقل من سنة ونصف. أكثر الموسوعات مبيعا في العالم، وقد اضطرت شركة الموسوعة البريطانية إلى الرد نظرا لأنها أخذت تفقد حصتها من السوق بسرعة. وذلك بطرح نسختها على شبكة الانترنات ومقابل 85 دولار هي رسم الاشتراك في الموسوعة لمدة عام. صار لدى المشركين لقاء غير محدود إلى المصادر الهائلة التي توفرها الموسوعة على الانترنات مباشرة، وبعد ذلك قدمت الشركة نفاد مجاني لقاعدة بياناتها كلها. وصارت عوائد الشركة تأتي >من الشركات المعنية التي تضع إعلاناتها "مفصلة" في أماكن بعينها في موقع الموسوعة على الشبكة. وبهذا تم نزع الصبغة المادية عن الموسوعة البريطانية وتحويلها إلى خدمة خالصة.[264]

وكمثال آخر: وعندما طرحت شركة "موتورولا" هاتفها النقال من طراز "ميكروناك" سنة 1989. كان سعره 2500 دولار وبعد ذلك بأقل من خمس سنوات كان سعر الهاتف نفسه 100 دولار. واليوم توزع شركات شبكات الهاتف النقال هاتف "موتورولا" مجانا على المشتركين الجدد. لتغريبهم باستخدام خدماتها. وفي صناعة تكنولوجيا المعلومات اكتسبت التسابق على إهداء المنتجات زخما قويا وأصبح ممارسة تجارية شاسعة، فقد وزع "نيت سكيب" متصفحة الخاص للشبكة مجانا، وكذلك فعلة "ميكروسوفة" مع متصفحها "انترنات إكسبلورر". وتوزع شركة "من ميكروسيستمز جافا بالمجان".

وفي حالة شركات البرمجيات. فإن تكلفة إنتاج وتوزيع كل منتج إضافي تقترب من الصفر. وفي الوقت نفسه إذا تمكنت الشركة من إقناع ما يكفي من المستهلكين النهائيين التحول

---

[264] جيرمي ريفكن: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، مرجع سابق ص 122.

إلى برامجها. فإن بإمكان المؤسسة ترسيخ معيار للصناعة والبيع. في سياق هذا، الترقيات وخدمات لزبائنها بهامش ربح معقول.[265]

لقد بدأت معظم الشركات الكبيرة العاملة في مجال تكنولوجيا المعلومات والتي حققت الأرباح قبل سنوات قليلة فقط من عمليات بيع أجهزة الحاسوب وبرامجه. –بدأت– بالتحول إلى شركات مزودة للخدمة، فشركات مثل "I.B.M" و"جنرال إلكتريك". و"زيروكس" و"هيولتباكرد" أخذت تدرك أن المنتجات المادية توفر هامشا محدودا من الربح. ومع انخفاض تكاليف إنتاج الأجهزة وبرامج التشغيل ورخصها. وانعدام قابلية التمييز لمراقبة الجودة والنوعية. فإن المجال الوحيد الذي تتوافر فيه فرص جني الأرباح والأموال هو توزيع الخبرات على العملاء على شكل خدمات. وفي حين أن الهامش الإجمالي في الصناعة حاليا يقل في العادة عن 30% فإن الهامش الإجمالي في الأنشطة المتعلقة بالخدمات غالبا ما يتجاوز 50% من بين عوائد شركة "I.B.M" البالغة 70 مليار دولار عام 1995. كانت حصة خدمات الأعمال تقدر بنحو 20 مليار دولار. ويقول مديرها العام للخدمات "ن الخدمات تواصل نموها بصورة أسرع مكن العوائد المتحققة من مبيعات الأجهزة والبرامج، وأن شركة "I.B.M" تدير أنظمة تشكل على أكثر من نصف مليون حاسوب لم تصنعها الشركة، وأن الخدمات العالمية للشركة غالبا ما توصي بمنتج منافس إذا كان يناسب بشكل أفضل حاجة للعميل. وفقا لمؤسسة "Data Quest". وهي مؤسسة رائدة في مجال أبحاث التسويق. فإن خدمات تكنولوجيا المعلومات العالمية. تجاوزت وحدها ما قيمته 234 مليار دولار في عام 1996 ومن المفترض أن تكون قد وصلت إلى 400 مليار دولار في عام 2000.[266]

في اقتصاد الشبكة الذي يتميز بالدورات الزمنية الأقصر. والتدفق غير المسبوق للسلع والخدمات. فإن الاهتمام الإنساني. لا الموارد المادية. هو الذي يصبح نادرا. وسيزداد اللجوء إلى توزيع المنتجات مجانا كإستراتيجية لجذب انتباه المستهلكين المحتملين. وسيعتمد استمرار اهتمامهم على قدرة الشركات على تقديم خدمات مؤثرة وإقامة علاقات دائمة.

---

[265] جون هارتلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي، مرجع سابق ، ص ص200، 201.

[266] جيرمي ريفكن: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، مرجع سابق، صص129، 130.

يقول "فيرات إي قون" أستاذ التسويق في جامعت إيزونا الحكومية في ومرأ و"ألاديفينكاتيس" أستاذ التسويق في كلية الإدارة بجامعة كاليفورنيا أنه "في الاقتصاد الجديد أصبح المستهلك مستهلكا للثقافة بشكل متزايد وأصبحت الثقافة على نحو متزايد سلعة قابلة للتسويق". ويتضح هذا في الحقل الجديد نسبيا لتسويق نمط الحياة والحدث، وإذ يربط عدد متزايد من الشركات أسماءه التجارية ومنتجاته وخدماته بالأنشطة والأحداث الثقافية. تتعداه أحيانا إلى السيطرة على الأحداث الثقافية وإدارتها مباشرة تحت رعايتها.

ويمكن عمل التسويق في الاستثمار في التنقيب داخل الثقافة بحثا عن أفكار جديدة لاستثمار الفعل الإنساني، إذ غالبا ما يسير المسوقون أغوار الثقافة ويستعيرون صورا من مصادر غير متوقعة لكي بيعوا منتجات.

ومع هيمنت الإنتاج الثقافي على الاقتصاد. أخذت السلع تتخذ صفات الدعامات، وأصبحت مجرد منصات أو مشاهد تبرز في محيطها المعاني الثقافية المدروسة، وفقدت السلع أهميتها المادية، واتخذت أهمية رمزية. وأصبحت أدوات أكثر منها أهدافا. للمساعدة على تيسير القيام بالتجارب الحياتية. وبخلاف الملكية التي اعتبرت في العادة كيانا مستقلا بذاته في حد ذاتها، ينظر إلى الدعامات بوصفها أدوات يتم توظيفها في خلف الأداء.[267]

تنفق الشركات أكثر من 3 مليارات دولار سنويا على رعاية الأحداث الثقافية والاجتماعية حول العالم، فشركة "كارلسبيرج" للجعة تدعى بطولة كرة القدم الأوروبية، وتدعى شركة "سيتجوبيتروليوم، سباق بوسطن للماراتون"، وترى شركة "بيف إيترجن" سباق اكسفورد كامبريدج للزوارق ...

لقد أصبح وجود الشركة منتشرا في القطاع الثقافي، إذ يبدو أنه ما من إيقونة ثقافية مستثناة بعد اليوم من طابع الشركة، ويكمن الهدف من تسويق نمط الحياة في خلف علاقات دائمة مع المجتمعات الملائمة وجماعات المصالح عن طريق وضع الشركة باعتبارها شريكا ولاعبا ثقافيا فاعلا، هذا تعتبر الموارد المالية والتقنية المتاحة للشركات العابرة للحدود المشاركة في الإنتاج الثقافي مذهلة. فكما أشار "Ronald Collins" في كل يوم من حياتنا يعرض 12 مليار إعلان مطبوع. و 2.5 مليون إعلان إذاعي. وأكثر من 300ألف من الإعلانات التجارية

---

[267] المرجعنفسه، ص 232.

التلفزيونية تخزن في الوعي الجماعي. ويتعرض الأمريكي العادي لأكثر من 3500 رسالة إعلانية يوميا. وهي أكثر من ضعف العدد قبل ثلاثون عاما منصف وخلال الفترة نفسها من الزمن ازداد حجم الإنفاق الإعلاني في وسائل الإعلام كافة بنسبة 10 أضعاف. وتبث شبكات التلفزيون الأمريكية أقوى ستة آلاف (6). إعلان تجاري في التلفزيون بزيادة 50% على عام 1983. وترى مجلة "Business Week أن الإعلانات دفنت المستثمرين فعليا وهم أحياء". وتنفق الشركات في و.م.أ وحدها على الإعلان أكثر من 555 دولار سنويا لكل فرد يعيش في البلاد. أما في اليابان وأوروبا فترتفع نفقات الإعلانات بأسرع مما هي عليه في و.م.أ.[268]

ومع تحول الإنتاج الثقافي إلى القطاع الأكثر أهمية في سلسلة القيمة الاقتصادية، احتل التسويق أهمية تتجاوز عالم التجارة. فالتسويق هو الوسيلة التي يتم بموجبها التنقيب في القيم الثقافية المشتركة برمتها، بحثا عن المعاني الثقافية القيمة التي يمكن تحويلها لاحقا عن طريق الفنون إلى تجربة سلعة قابلة للشراء في الاقتصاد.

إن التحول من التوجه الإنتاجي إلى المنظور التسويقي يمثل واحدا من أهم الأحداث في تاريخ الرأسمالية، وبحلول منتصف التسعينات كانت الشركات الأمريكية وحدها تنفق أكثر من تريليون دولار سنويا على التسويق . ويعتبر التسويق وسيلة النظام الرأسمالي في ترجمة الأنشطة الثقافية إلى أشكال سلعية.[269]

---

[268] المرجعنفسه،ص ص 234، 235.

[269] المرجعنفسه، صص 228، 292.

المبحث الرابع: الرأسمال الرمزي، والرأسمالية، المعلوماتية/ الثقافية:

يشهد الاقتصاد المادي انكماشا وتقلصا، وإذا كان العصر الصناعي قد اتسم بتجميع الملكيات ورأس المال المادي، فإن العصر الجديد يتضمن الأشكال المجردة والمعنوية من السلطة المضمونة في حزم المعلومات والموجودات الثقافية.والواقع أن المنتجات المادية التي كانت منذ وقت طويل مقياسا للثروة في العالم الصناعي. آخرة في التجرد، وقد لاحظ "آلانجرينسبان" رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي "البنك المركزي الأمريكي". وجود تغيير قوى في الاقتصاد ين الأمريكي والعالمي من حيث تزايد انعدام وزنهما، ويسهم وتساهم كل من موارد البناء الخفيفة الجديدة والتوجه نحو التصغير والاستعاضة عن المحتوى المادي بالمعلومات والدور المتزايد للخدمات في عملية التقليص في الطبيعة المادية للمخرجات الاقتصادية.[270]

لاحظ "آلان غريستان" بأن قيمة الناتج الاقتصادي الأمريكي تضاعفت ثلاث مرات على مدى السنوات الخمسين الماضية. بينما لم يزد حجمه –مقاسا بوزنه المادي– زيادة كبيرة ويرى "ديان كويل" أننا الآن في "اقتصاد لا وزن له –ويتزايد اعتماده على ناتج غير متجسد يتمثل في شفرة الكومبيوتر، ومحتوى الوسائط، والتصميم، والمعلومات والخدمات.

لقد ترتب على التطورات التي طرأت على تقنيات الاتصال والمعلومات في تسعينات القرن العشرين. مثل انتشار السريع للأنترنات دعاوى ترى أن اقتصادا جديدا قد ظهر، وأن قوانينه وآلياته تختلف نوعيا عن قوانين وآليات اقتصاد القرن العشرين، ومن منظور أكثر تاريخية، يرى "مانويل كاستيلز" أنه كان هناك تحول أساسي داخل الإنتاج الرأسمالي، من نمط التطور الصناعي إلى المعلوماتي.[271]

وقد خرجت الديناميات الأساسية لهذا النظام الاقتصادي من انتشار تقنيات جيل المعرفة. ومعالجة المعلومات، والاتصال الرمزي بعمليات العولمة. والرقمية والتشبيك. وصولا إلى مجتمع الشبكة تشكل سائد للتنظيم، الاجتماعي ومقولات "كاستيلز" مستمدة من نظريات الموجة الطويلة، التي ترى أن الرأسمالية تمر بدورات ابتكار تقني وتنظيمي عمر كل منها خمسون عاما. وأن التطبيق الواسع التقنيات المعلومات والاتصالات ونمو قطاع خدمات المعلومات يشكل الأساس

---

[270] المرجع نفسه، ص 43.

[271] جون هارتلي ، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي، مرجع سابق، ص 169.

ل"الموجة الطويلة الخامسة" التي أصبحت المخرج من أزمة اقتصاد الإنتاج الكبير في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.[272]

لقد بدأت الأسواق في العصر الجديد تنحني لصالح الشبكات، فيما يحل النقاد (access) محل الملكية بصورة مستمرة، وتبدأ الشركات والمستهلكون بالتخلي عن الحقيقة الجوهرية للحياة الاقتصادية المعاصرة، ومن المرجح أن يتم في اقتصاد الشبكات النفاذ إلى الملكية المادية والفكرية على حد سواء بواسطة الأعمال التجارية فضلا عن المقايضة، غير أن ملكية رأس المال المادي التي كانت محور نمط الحياة الصناعية، تصبح هامشية بشكل متزايد بالنسبة إلى العملية الاقتصادية، وثمة احتمال متزايد أن تعتبر الشركات رأس المال المادي مجرد نفقات للعمليات بدلا من أن تعتبرها موجودات وشيئا يمكن اقتراضه بدلا من شيء يمكن امتلاكه، ومن جهة أخرى يعتبر رأس المال الفكري القوة الدافعة للعصر الجديد، والمرغوب فيه بشدة.

وتعتبر المفاهيم والأفكار والصور وليس الأشياء البنود الحقيقية ذات القيمة في الاقتصاد الجديد.[273]

لقد كانت الأرض منذ البدء ولزمن طويل أهم رأس مال على الإطلاق. وكانت مصدر الثروة وبالتالي مصدر السلطة. ثم شهدت الثورة تحولا عندما أصبحت الآلات والمواد الأزمة للإنتاج الصناعي هي أكثر أشكال رأس المال المطلوبة بإلحاح. وفي كلتا الحالتين: الأرض، والمصانع والآلات كان من الممكن ملامسة رأس المال ووصفه بالنظر إلى ماديته ومادية الثروة الناتجة عن توظيفه، إلا أن ثورة الخدمات التي عاشتها الدول المتقدمة قلبت المعطيات. وأبانت عن محدودية "النظرة المادية الملموسة إلى لرأس المال. وهذا ما عمقته أكثر الثورة التكنولوجية التي ميزت عالم الإعلام و الاتصال منذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي على وجه الخصوص.

فثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصالات قد حولت المال والتجارة من أنشطة مادية محصنة تتم ضمنها عمليات تبادل السلع و الأوراق المالية إلى أنشطة يتحكم فيها منطق المعلومات والرمزية، لقد تحول رأس المال المادي إلى رأس المال الرمزي أو رأس المال المعرفة، وانتقل من شكله

---

[272] المرجع نفسه ، ص 170.

[273] جيرمي ريفكن: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، مرجع سابق، ص 11.

الملموس إلى الشكل الورقي الذي كان يمثل أصولا ملموسة. ثم إلى ورق يمثل رموزا في أدمغة قوى عاملة دائبة التغير و أخيرا إلى صور إلكترونية ترمز للورق. وبالتالي فإن الصكوك. والأسهم. والسندات المتداولة في السوق المالية آخذة في الابتعاد أكثر فأكثر عن الملموسية".[274]

(- على صعيد المال وسوق المال -)

ويعرف رأس المال في الأصل على أنه" كل مقوم مادي يستخدم لإنتاج شيء" كالمطرقة، والعربات. ومصانع المنتوجات والمخزون السلعي. وطالما علم أساتذة الاقتصاد التقليديون تلاميذهم أن رأس المال، والعمل والمواد الخام تكون الأعمدة الثلاثة التي يقوم عليها بناء كل الثروات، وبمرور الوقت صار مصطلح "رأس المال" يطلق على أي شكل من أشكال الثروة أو الأصول كالمال والأسهم، والاستثمارات العقارية والتي يمكن استخدامها لتجميع المزيد من الثروات، واليوم فإن التحول من المقوم المادي إلى المقوم غير المادي أصبح كاملا لدرجة أننا فقدنا الصلة بالتعريف الأصلي لرأس المال والذي لم يعد مقوما ماديا بل أرقام غير مادية صماء تظهر على بيان الميزانية أو صور إلكترونية على شاشات الكومبيوتر بما يسمح بتعريف رأس المال بأنه رموز إلكترونية.[275]

على هذا الأساس لم تعد الأصول المادية التي تملكها الشركة هي التي تحدد قيمتها عند البيع. ولا حتى مبانيها وكبر مصانعها. بل أصبحت صلاتها وقوة تسويقها ومبيعاتها والقدرة التنظيمية لإدارتها والأفكار التي تدور في أدمعة مستخدميها هي التي تحدد قيمتها عند البيع، ولا حتى مبانيها وكبر مصانعها، بل أصبحت صلاتها وقوة تسويقها ومبيعاتها والقدرة التنظيمية لإدارتها والأفكار التي تدور في أدمعة مستخدميها هي التي تحدد قيمة الشركة وقوتها.

أي أن الثروة الحقيقية أضحت رمزية، والنقود هي المظهر الشكلي للمال ورأس المال، لم تعد أصدافا مرجانية، أو أساور نحاسية، ولا أوراق ملموسة. بل أصبحت عبارة عن مجموعة من البطاقات الائتمانية والبطاقات الذكية والمغناطيسية، تستخدم في متاجر البيع بالتقسيط ومحطات التزود بالوقود والفنادق والمطاعم وغيرها من المؤسسات التجارية،فجل المعاملات لا تتبادل اليد فيها أي شيء يشبه النقود لمعناها التقليدي... لا كعملات معدنية، ولا ورقية على الإطلاق. إن

---

[274] يحي اليحياوي: في العولمة والتكنولوجيا والثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 146.

[275] ويليام نوك، ترجمة يحي زكريا، مرجع سابق، ص 135.

النقود هنا لا تتألف من شيء سوى من سلسلة من الأسفار. والآحاد. تبثها الأسلاك أو الموجات المتناهية القصر، أو الأقمار الصناعية، في شكل نقود إلكترونية.[276]

سوف تشهد العشرون عام القادمة ثورة غير مسبوقة في الأسواق العالمية لرؤوس الأموال. ذلك أن الأسواق العالمية للأسهم والسندات وتبادل العملات، ومراكز المال، والبنوك، وبيوت الاستثمار، وشركات التأمين، وصناديق المعاشات سوف يتم ربطها جميعا إلكترونيا بحيث يندمج بالفعل في شكل كيان واحد بدون مركز، وسوف تتعامل تلك الشبكة في سيل جارف من رؤوس الأموال العالمية المتدفقة بحرية وبقيم ضخمة حتى أن رأس المال سوف لا تعود له أبدا طبيعته ذاتها.

ومع استمرار نمو رأس المال العالمي. فإن البنوك العالمية. والتي تشكل خطوط الأنابيب التي تتدفق خلالها رؤوس الأموال، سوف تمتلك قوة ضخمة ونفوذا هائلا حتى أصبح أصول الكثير من تلك البنوك يفوق حجم المركز المالي القومي للعديد من الدول، ويعد بنك–سيتي كورب " city corp" أعظم البنوك انتشارا في العالم حيث يمتلك2،200 فرعا عبر البحار في 89 دولة، كما يتمتع بأكبر عدد من العملاء البالغ عددهم 20 مليون موزعين على أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية في دول العالم الثاني الآخذ في التوسع اقتصاديا.[277]

لقد تغير الكثير بخلاف طبيعة رأس المال أو المؤسسات التي تقوم بإدارته ذلك أن دور الدولة نفسه صار في مهب الريح، فنحن في العصر الذي بات فيه رأس المال من التدفق وكلية الوجود حتى لم يعد في مقدرة الدول أن تتحكم فيه منفردة، ذلك رأس المال حين يتمثل في صورة أشياء مادية. فإن من الممكن إيقافه عند الحدود الدولية، ولكن عندما ينتقل رأس المال على شكل نبضات إلكترونية لايصبح لتلك الحدود أي معنى.[278]

هذا ويتمتع رأس المال الرقمي بخصائص غريبة. فبفضل التحولات الإلكترونية يمكننا اليوم نقل رأس المال من مكان إلى آخر بسرعة فائقة حتى أنه ليطير حول العالم عدت مرات في اليوم الواحد. وتسمح حركة الأموال تلك بإرسال الشبكات للدائنين. وبحيث يتم قيد الإبداعات إلكترونيا

---

[276] يحي اليحياوي، في العولمة والتكنولوجيا والثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 147.

[277] وليام نوك، ترجمة يحيى ذكريا ، مرجع سابق، ص 140.

[278] المرجع نفسه، ص 148.

في حساباتهم قبل تخليص الشبكات. الأمر الذي يعني بالفعل السماح لرأس المال نفسه بالتواجد في عدة أماكن في الوقت ذاته. وتقف الحكومات غالبا عاجزة إزاء تدفقات رؤوس الأموال والتي يمكن أن تتدفق لحظيا.

وفي صمت، من خلال النسيج الاجتماعي في حالة رغبة أصحابها في مرورها دون مراقبة. وعلى ذلك يمكن تعريف رأس المال– بالرموز الإلكترونية – باعتباره تكنولوجيا فائقة عابرة للدول وبقوة تفوق خيال أي إنسان.[279]

لقد اقتحمت تكنولوجيا المعلومات مختلف أنماط المنتجات والعمليات وجميع القطاعات بدءا من الزراعة إلى الصناعة فالخدمات وبالتالي زاد معدل تقادم المنتجات والعمليات وتقصير دورة المنتج، مما يؤدي إلى درجة عالية من السرية في سوق التكنولوجيا، ونظرا لحقيقة أن المعرفة الإنسانية تتضاعف كل ثمانية إلى عشرة أعوام فإن الظاهرة قد قادت إلى أهمية التشغيل الذاتي. أهمية الأتوماتية في معالجة المعلومات بما لها من طاقات هائلة على التخزين والمعالجة والنقل. وأصبحت المعلومات بالتالي موردا اقتصاديا في حد ذاتها. لقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات تقوم بالدور الرئيس في التقدم العلمي والتكنولوجي الراهن، إذ أصبح يمكن بواسطتها صنع أجهزة متنوعة تأخذ في عاتقها وظائف الإدارة والمراقبة والتحليل للمعلومات، وإذ تربط المعلوماتية بين العمليات التكنولوجية الناجمة عن التقدم العلمي والتكنولوجي فإنها تتيح بذلك تنظيم الدورة الإنتاجية بشكل لا يعود فيه الإنسان حلقة ضرورية لا في مجال استخدام الجهد الذهبي ولا في إدارة الإنتاج.

إن ثورة تكنولوجيا المعلومات. هي التي دفعت إلى ظهور المجتمع المعلوماتي أو مجتمع ما بعد الصناعة، وهذا المجتمع الذي يوجد من حيث الأنشطة السائدة والعلاقات الإنتاجية في أكثر البلدان الرأس مالية تقدما.

والذي يمثل غلبة الإنتاج السلعي الذي يحتوي كمية متزايدة من المعلومات. أي أننا أمام مجتمع يقوم على إنتاج قيمة مضافة أو فائض من المعلومات. مجتمع يقوم على إنتاج المعلومات...[280]

---

[279] المرجع نفسه، ص 136.

[280] فؤاد مرسي: **الرأسمالية تجدد نفسها**، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 147 ، الكويت ، مارس1990، ص 39.

والواضح أن صناعة المعلومات تتميز بصفات فريدة، فهي صناعة كثيفة العلم، وكثيفة رأس المال. تتميز بقدر كبير من التركيز. تنتج لعدد كبير من الأسواق في وقت واحد، وهي صناعة متعددة الجنسيات.وتمثل درجة عالية من تدويل رأس المال. ويتم الإنتاج على مستوى عالمي من حيث أسواق المال والخدمات والعمل والمنتجات.

لقد أحدثت الثورة التكنولوجية والعلمية ومازالت تحدث تغييرات هيكلية في اقتصاد البلدان الرأسمالية. وهي تغييرات نابعة خاصة من جوهر الثورة. المعلوماتية (الأتوماتية المرنة). فالتحسين المستمر لهذه الأوتوماتية يشير إلى أن كل وسائل الإنتاج سوف تحل محلها باضطراء وسائل إنتاج مبرمجة بالكومبيوتر، والسبب في ذلك هو الإنتاجية العليا التي تحققها، والمنتجات ذات الجودة الفضلى وتقاس دقة الإنتاج بالميكروناتوالميكرونات الدقيقة مما يعني وفرة في الخدمات والطاقة، وبالتالي فهي تمثل نفقات أقل، فضلا عن أنها تكنولوجيا نظيفة، لقد أصبح استخدام التكنولوجيا الحديثة شرطا للبقاء، غير أن بعض الدول ومنها اليابان نجحت في أن تجعل منها شرطا للرخاء أيضا، حيث تحول العمل إلى أصل من أصول المشروع الرأسمالي.

ويشمل التغيير الحالي في الرأسمالية كلا من الهيكل الصناعي، وهيكل قوة العمل وهيكل الموارد.

1- تغيير الهيكل الصناعي:

حيث تشهد الصناعة تطورا من شقين: ففي عديد من البلدان تنقرض أو تتبدل فروع الإنتاج العتيقة مثل: صناعة صلب الفولاذ، وصناعة السيارات وفي الوقت نفسه تنشأ فروع لإنتاج أنواع جديدة من المعدات والعمليات التكنولوجية. وإذا كان تاريخ الرأس مالية كله يدل على أنه مع نمو القوى المنتجة فإن مجال الخدمات تلعب الآن دورا لم تلعبه من قبل. فصناعة المعلومات أو صناعة المعرفة قد دفعت بالقطاع الثابت إلى المقدمة، إن نمو قطاع الخدمات والتعليم والعلم والثقافة والخدمات يتجاوز معدلات نمو قطاعي الزراعة والثروة الحيوانية والتعدين والصناعة، وتتجه الخدمات لتحل محل المنتجات بوصفها القطاع القائد للنمو والعمالة، ومن هنا تصبح تجارة المعلومات أكبر من التجارة في المنتجات، ومن هنا فإن مفهوم السلعة يتغير إذ يصبح عمل الإنسان العقلي وليس المادي هو السلعة الأساسية والسلعة نفسها لا تظل شيئا محددا وإنما

تكتسب بدورها طابعا غير مادي... ومن هنا يزداد نصيب القطاعات غير الإنتاجية من الاقتصاد القومي. مثل التجارة والمصاريف والتأمين والخدمات...

وجدير بالذكر أن الاتجاه في الصناعة الآن ليس نحو بناء مصانع جديدة إنما هو نحو الاستخدام المتنامي للإلكترونيات الدقيقة واستبدال الآلات والمعدات بأخرى تكون أكثر كفاءة نتيجة التجديدات التكنولوجية وذلك يشكل ظاهرة جديدة في الاقتصاد الرأسمالي يسميها بعض الاقتصاديين ظاهرة الاتجاه إلى فك الصناعة.

2-تغيير هيكل قوة العمل:

ومع فك الصناعة تعاد هيكلة قوة العمل إذ يحل المهنيون والعمال العلميون والتكنوقراط محل العمال اليدويين، بل يحل الإنسان الآلي محل كثير من العمال أصحاب الباقات الزرقاء أو البيضاء، ولا شك أن التكنولوجيا الحديثة تستغني عن العمالة الكثيفة التي كانت تتطلبها الصناعة الآلية الكبيرة ومن ثم صارت مصدرا أساسيا للبطالة التي صارت الآن بطالة هيكلية وليست دورية.

3- تغيير هيكل الموارد:

وبفضل الثورة العلمية والتكنولوجية تدخل الرأسمالية في عالم حضاري جديد تتمثل حضارته في المعرفة التي تقوم على المعلومان بدلا من المواد الخام والوقود والموارد الطبيعية وموارد العمل البسيط للبشر. وتصبح المعلومات هي المورد الرئيسي لثورة المجتمع، وتصبح القوى المنتجة للمعرفة هي الشكل الرئيس لرأس المال، إن المعلومات مورد مثل سائر الموارد الطبيعية: كالثروات المعدنية. والأرض، مثل الثروات البشرية. وهي مورد متجدد يتزايد كل يوم ويتضاعف كل خمس سنوات. وهو قادر على أن ينتج موارد جديدة لم تكن معروفة، وبقدر ما يعتمد المجتمع على تكنولوجيا المعلومات والمعرفة يتخلى عن الطاقة والآلات والمصانع.[281]

ومثل ما تعيد الثورة العلمية التكنولوجية هيكلة الاقتصاد القومي فإنها تؤثر أيضا في النظام الرأسمالي كأكمله. وتنعكس على هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية بأسرها. ويسجل البعض ثلاث تغيرات جوهرية في صميم نسيج الاقتصاد الدولي جرت في الحقبة الأخيرة، فقد صار

---

[281] المرجع نفسه،ص ص58 ، 60.

لاقتصاد الخدمات أولوية على الاقتصاد الصناعي، وفي داخل هذا الاقتصاد الصناعي يضعف إلى حد كبير ارتباط الإنتاج بالعمالة.

كما صارت حركة رأس المال وليست التجارة هي القوة الدافعة للاقتصاد العالمي بالنسبة إلى السنوات المئة الأولى أو نحوها من التطور الرأسمالي كان التشديد يتم على الادخار وتكوين رأس المال وتنظيم حالات الإنتاج وتنظيم قوى العمل. وعلى أي حال. خلف نجاح الرأسمالية تحديا جديدا بحلول العقود الأولى من القرن العشرين يتمثل في طريقة التخلص من مسؤوليات البضائع والسلع المتراكمة المتدفقة من خطوط الإنتاج في المصانع في أرجاء البلاد. ووجد المجازفون الرواد الحل في تسخير القيم المتناقضة تماما التي كان الفنانون يستخدمونها في انتقاد نمط الحياة الرأسمالية. وعلى الرغم أن الرأسمالية القديمة المتركزة إلى الإنتاج على كبت الإبداع والابتكار والرضا عن الذات والرغبة في السعادة والمرح، فإن الرأسمالية الجديدة المتركزة إلى الاستهلاك ستطلق هذه الحاجات النفسية المكبوتة عن طريق استخدام الفنون في المساعدة على خلق ثقافة استهلاكية عامة، وسحبت السوق الجديدة المرتكزة إلى الاستهلاك، الفنون من الميدان الثقافي، حيث كانت الموصل الأول لقيم المجتمع المشتركة، وساقتها إلى السوق، حيث أصبحت رهينة الشركات الإعلانية ومستشاري التسويق واستخدمت في بيع "نمط الحياة".[282]

- وسرعان م أصبح الابتكار والرضا عن الذات والشعور بالجماعة والسمو الروحي– وكل الأمور التي يتم السعي وراءها في الميدان الثقافي – قابلة للبيع والشراء في السوق على هيئة منتجات وخدمات ذات صبغة ثقافية. وفي هذه العملية. أصبحت قيمة المنفعة للسلع والبضائع عرضية بالنسبة إلى قيمتها النفسية.

لقد بدأت الرأسمالية تخطو خطواتها الأخيرة في التحول إلى رأسمالية ثقافة مكتملة. بحيث لم تستولي على مدلولات الحياة الثقافية والأشكال الفنية للاتصال التي تفسر هذه المدلولات فحسب. بل استولت أيضا على التجربة الحياتية، ويقول ألفين طوفلر: "في آخر الأمر سوف يشكل صانعو التجربة قطاعا رئيسيا – إن لم يكن القطاع الرئيسي – للاقتصاد، وعندما يحدث ذلك" سوف تصبح الثقافة الأولى في التاريخ التي توظف تقنية فائقة لصناعة التجربة الإنسانية الأكثر خلودا. وإن كان ذلك يتم في لحظة عابرة من تاريخ البشرية".

---

[282] جيرمي ريفكن: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، مرجع سابق،ص 192.

يشير " Normam - dezin " في وصفه التغيير الضخم في العلاقات البشرية الناجم عن القوى الرأسمالية الثقافية" تعتبر التجربة الحياتية المرحلة الأخيرة من تحقيق سطوة السلعة، وبكلمات أخرى، لقد أصبحت التجربة الحياتية السلعة النهائية في دورة رأس المال".

يرى"Janesoyilvey " أن نمو صناعة التجربة يشكل الوصول إلى مرحلة التخمة والإشباع في المادة التي أنتجتها الثورة الصناعية". ويضيف قائلا:" إن المستهلكين الحاليين لا يسألون أنفسهم غالبا: ما الشيء الذي أريد أن أجربه ولم أجربه من قبل؟.

في عصر الرأسمالية الثقافية، لا يعتبر تنظيم الحياة التجارية سهلا وبسيطا. فهو عالم من الرموز والشبكات وحلقات التغذية العكسية، والترابط والتفاعل البيني الذي تصبح فيه الحدود ضبابية كما يبدأ كل شيء صلب فيه بالذوبان.[283]

لقد بد أن ندخل عصر تقنيات الاتصال والتجارة الثقافية الجديد. وفي واقع الأمر فالعنصران معا يشكلان اقتصادا جديدا قويا كما أن المزيد من حياتنا اليومية آخذ في التحول إلى وسائط عبر القنوات الرقمية الجديدة للتعبير الإنساني. ولأن الاتصال هو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع البشر بواسطتها أن يجدوا معنى مشتركا وأن يتقاسموا العالم فيما بينهم. فإن تسليع كافة أشكال الاتصالات الرقمية يترافق مع تسليع العديد من العلاقات التي تشكل التجربة الحياتية– أي الحياة الثقافية – للأفراد والمجتمعات، وبعد آلاف السنين من الوجود في الواقع شبه المستقل والتأثر بالسوق أحيانا من دون استيعابها، فإن الثقافة، أخذت تنجر الآن إلى الميدان الإقتصادي، وذلك بفضل السيطرة التي بدأت تتمتع بها تقنيات الاتصالات الجديدة على الحياة اليومية، وفي إقتصاد عالمي تهيمن عليه بصورة متزايدة شبكة اتصالات إلكترونية تجارية، وكل أنواع الإنتاج والسلع الثقافية، فإن ضمان الحصول على منفذ إلى تجارب المرء الحياتية الخاصة أصبح مهما بأهمية التملك في عصر هيمن عليه التملك في عصر هيمن عليه إنتاج السلع الصناعية.

---

[283] المرجع نفسه، ص 195 .

الباب الثالث

إشكالية صراع وحوار الثقافات في زمن العولمة الثقافية

الفصل الأول : النظام العالمي الجديد وجدلية صراع الثقافات

يحوي أربع مباحث :

- **المبحث الأول** : الخلفيات الفكرية لخطاب صراع الحضارات
- **المبحث الثاني** : طبيعة العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد
- **المبحث الثالث** : صراع الثقافات التعريف والأسباب
- **المبحث الرابع** : البعد الإعلامي لصراع الثقافات

الفصل الثاني : تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومحاولات الهيمنة الثقافية

يحوي أربع مباحث :

- **المبحث الأول** : مفهوم الهيمنة الثقافية
- **المبحث الثاني** : محاولات النمدجة الثقافية
- **المبحث الثالث** : التعددية الثقافية في و،م،أ
- **المبحث الرابع** : تكنولوجيا الإعلام والاتصال كآلية للهيمنة الثقافية

الفصل الثالث : التنوع الثقافي وإشكالية الحوار بين الثقافات .

يحوي أربع مباحث :

- **المبحث الأول** : التنوع الثقافي في عصر العولمة
- **المبحث الثاني** : حوار الثقافات في ظل التنوع والتعدد
- **المبحث الثالث** : التبادل الثقافي في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال
- **المبحث الرابع** : تأثير الصناعة الثقافية ومنطق السوق على التنوع الثقافي في العالم

الفصل الاول

المبحث الأول:

الخلفيات الفكرية لخطاب صراع الثقافات:

تزايدت في الأعوام الأخيرة وتيرة الحديث عن صراع الثقافات في ظرفية ظهرت بوادر صراعات قومية ودينية متعددة في مناطق شتى من العالم، كما انبثقت فيها هواجس الحروب الدينية التي تعود إلى العصور الوسطى، وتم ربطها بما أصبح يدعى بظاهرة "الصحوة الدينية" التي غالبا ما تحصر في عنف المجموعات المتطرفة الناشطة في الدائرة العربية الإسلامية.

وقد ارتبطت أطروحة "صراع الثقافات" بمقالة المفكر والسياسي الأمريكي "صامويل هنتغنتون" التي حملت عنوان "صدام الحضارات" ونفدت بصفة واسعة في الأدبيات الصحفية والأكاديمية الأمريكية، قبل أن يصغها في شكل كتاب موسع. ومع أن الكتاب يتحدث بصفة إجمالية عن الصراع الحضاري، إلا أنه يفرد موقعا متميزا للثقافة الإسلامية، كمصدر رئيسي للتوتر على الساحة الدولية، مما يفسر الاهتمام العربي الإسلامي الواسع بأطروحة "هنتغنتون" التي ترددت لدى أفلام عديدة في الغرب.

ولنحدد بدءا ما نعنيه بمقولة "الثقافة" توطئة لرصد الخلفيات الفكرية لخطاب صراع الثقافات.[284]

فالثقافة كما نعرفها هي مجموع جوانب الفضاء التواصلي البشري أي إدراك البشر لواقعهم والدلالة التي يسندونها له والمشاريع التي يتبنونها لتغييره وتحريره، بالإضافة إلى أنماط العلاقات التي يقيمونها فيما بينهم، فيدخل في هذا التحديد كل ما يسمى الجوانب العقائدية والمعرفية والسلوكية دون تمييز أو حصر.

وتتوزع الثقافة إلى " ثقافة عالمة" تستند لمعايير الكتابة وأساليب النقل التربوي " وثقافة شفاهية" هي العمق الشعبي لتقاليد المجتمع الفكرية والعقدية والسلوكية.

كما يمثل الدين " من حيث معناه الأوسع أي الصلة بالمطلق والمقدس" العنصر المحوري بالثقافات، بأبعادها المختلفة معرفيا وإجرائيا.

---

[284] السيد ولد أباه،مرجع سبق ذكره، صص86,85.

ومن الإشكاليات الرئيسة التي يطرحها تعريف الثقافة علاقتها بمفهوم "الحضارة" ومن الملاحظ أن أغلب علماء الإنسانيات غدو أكثر ميلا لاستخدام عبارة "ثقافة" بالمعنى الواسع الذي ألمحنا إليه، في مقابل مفهوم الحارة الذي يحمل شحنة تقويمية ضمنية " أي الحضارة كمستوى راق من السلوك والثقافة".[285]

لنبادر بدءا بالملاحظة أن العامل الثقافي شكل دوما عنصرا محددا في النظرة للآخر، وترتيب الصلة به، ويبدو هذا الأمر جليا في الدراسات الإثنولوجية الأولى التي قامت في أوروبا في القرن الماضي وانطلقت من التمييز بين (الشعوب المتحضرة) الغربية، و (الشعوب البدائية) التي لا تخضع ذهنيتها لمعايير العقلنة والنظرة العلمية التجريبية للطبيعة. وإذا وقفنا عند الفكر الاستشراقي الذي تناول المجتمع والثقافة الإسلاميين، تلمسنا هذه النظرة التي تصدر عن نمط من المركزية العرقية الاستعلائية.

وإذا كانت النماذج النظرية والتحليلية التي طبعت الفكر السياسي والاستراتيجي خلال العقود الثمانية الأولى من القرن الحالي قد تراوحت بين التركيز على العوامل الاقتصادية والأبعاد النفعية والرؤى الأيديولوجية المتباينة، فإن نهاية الحرب الباردة قد خلقت وضعا جديدا يستدعي بلورة نظريات جديدة تمكن من معرفة الخارطة الدولية الراهنة.

وفي هذا السياق ظهرت مقولة "الصدام الثقافي" التي بلورها بالتفصيل هينتغنتون في مقالته الصادرة في صيف 1993 في مجلة "فورين آفيرز" الأمريكية (ForeignAffairs) وطورها في كتاب نشر سنة 1996 بعنوان "صدام الحضارات وإعادة بناء العالم"

" The clash of civilizations and the remaking of world order"

وينطلق "هنتغنتون" في نظرياته من فرضية رئيسية مفادها أن المصدر الأساسي للنزاعات في العالم لم يعد يتحدد بالعوامل الاقتصادية أو الإيديولوجية، وإنما بالمعايير الثقافية "فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وستظل الدول والأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين

---

[285] المرجع نفسه ،ص 87

الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.

ولا يهتم "هينتغنتون" كثيرا بالتحديد المنهجي لمفهوم "حضارة " وإنما يستخدمها وفق الفهم الإجرائي المعهود ، فالحضارات من هذا المنظور هي "أعلى تجمع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب.

ويركز "هينتغنتون" على احتمالات الصدام بين الإسلام والغرب، مستعرضا تاريخ العداء بين الحضارتين المستمر منذ 1300 سنة، بدأ بالحروب الصليبية، مرورا بالحروب العثمانية الأوروبية، وانتهاء بالاستعمار وإرهاب "المجموعات الأصولية" وهذا التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قرونا بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر بل قد يصبح أكثر خطرا. كما يقول هنتنغتون، الذي يرجع دواعي ومسببات هذه المواجهة الحتمية بين الحضارتين الإسلامية والغربية إلى عوامل أساسية هي:

- الزيادة الديمغرافية الهائلة لنسبة المسلمين في العالم.
- الصحوة الإسلامية ومظاهر رفض الثقافة الغربية.
- زيادة النفوذ العسكري والثقافي الغربي في العالم الإسلامي.
- نهاية الشيوعية وانتفاء الخطر السوفياتي السابق.

ويرى صامويل "هينتغنتون" أن الأقطار الإسلامية في مجملها، قد صارت أكثر قربا والتصاقا بعقيدتها الدينية وشرائعها من قبل، ويتعلق الأمر بظاهرة متنامية تدعمها زيادة ديمغرافية مذهلة، ذلك أن العودة إلى الدين ترمز إلى الأوساط الشعبية الواسعة إلى الحاجة إلى تأكيد الذات وتحصين الهوية، في مقابل أوضاع اقتصادية مزرية، وتعويضا عن نضوب الثقافة الريفية المندثرة بتأثير حركة الانتقال المتسارع نحو المدن، وللتدليل على هذه الفرضية، يحيل هنتغنتون إلى الأوضاع في منطقة البلقان، حين كانت التركيبة الإستراتيجية تتوزع بحسب خطوط الفصل الإيديولوجية التقليدية، فأصبحت تتحدد بالعوامل الثقافية: المحور الأرثوذكسيكسي الذي يضم اليونان، وصربيا ،وبلغاريا، والمحور الإسلامي الذي يضم يشمل تركيا والبوسنة وألبانيا وكذلك الشأن في روسيا حيث يحتدم الصراع بين الروس والتيشان، على أن صاحب الفرضية يتوقع ما هو أكثر خطورة، وهو النزاع المعمم بين الحضارة الغربية المسيحية بكل مكوناتها والتحالف

الإسلامي –الكونفوشيوسي الذي ظهر لتحدي المصالح والقيم والقوة الغربية وسيهدد مصالح وأمن الغرب.

وكان المستشرف الأمريكي المعروف "برفارلدلويس" قد كتب في مطلع التسعينات مقالة منيرة تنبأ بحتمية الصراع بين الإسلام والغرب مؤكدا على أنهما نقيضين لا مجال للحوار بينهما.[286]

وقد عاد الكاتب ذاته إلى الحديث عن العلاقة بين الغرب والشرق الأوسط في دراسة منشورة بمجلة "ForeignAffairs" حاملا على نزوع النخب الإسلامية إلى "التحديث دون تغريب"، أي قبول المنتوجات المادية للحضارة الغربية، بدون مضمونها الثقافي، ولا قيمها المرتبطة بها. فمفهوم الحداثة كما يقدمه "لويس برنارد" هو القيم والأنماط السلوكية التي تتبناها وتعتمدها الحضارة المهيمنة في عصر تاريخي معين، إذ كل حضارة سائدة تنزع إلى فرض نموذجها التحديثي الخاص بها.

ولا يشذ المفكر الأمريكي المشهور "بول كندي" على هذا التوجه، فيذهب إلى أن العالم الإسلامي عاجز عن الاستعداد للقرن الواحد والعشرين لأسباب عقدية ومجتمعية عميقة "وإذا احتاج المرء إلى مثال على أهمية المواقف الثقافية لشرح استجابة مجتمع ما للتعبير، فعليه بالإسلام المعاصر".[287]

ومن المنظور ذاته، يلاحظ "جان كلود بارو" الخبير الفرنسي القريب من الأفراد اليمينية في كتاب ينضح بالعدوانية الشديدة، صادر في صيف 1991 أنه في اللحظة التي يحتفل بها الغربيون بانهيار الإيديولوجيات ونهاية التاريخ، هاهي الإيديولوجية القوية تنبثق من أعماق ثلاثة عشر قرنا من التاريخ، إنها دين طازج فيا لهول المفاجأة. ويضيف إلى أن التحدي الجديد يختلف نوعيا عن خطر الماركسية التي هي في النهاية مظهر من مظاهر الحداثة الغربية رغم "انحرافها". أما الإسلام فهو الغرابة ذاتها.

---

[286] المرجع نفسه، ص ص91،92.

[287] بول كندي،ترجمة ،محمد عبد القادر، غازي مسعود :**الاستعداد للقرن الواحد والعشرين**، ، دار الشروق، عمان، 1993، ص200.

وهكذا نلاحظ من هذه الشهادات المختلفة، الميل إلى تأكيد "الخطر الإسلامي" استجابة لأحد المرتكزات العميقة للعقل الغربي الذي لا يتحدد دون مقتضى نفي الآخر.

ولقد رصد المفكر المغربي المعروف محمد عابد الجابري آليات العقل الأوروبي في صنع صورة الإسلام، من خلال التركيز على آليتين هما:

1- إن العقل الأوروبي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي وبالتالي يتعرف على الأنا عبر الآخر، فالغرب بعد انهيار خصمه الشيوعي يحتاج للإسلام في تحديد هويته ذاتها، ويتعلق الأمر بإسلام يصنعه وفق حاجياته وهواجسه.

2- إن العقل الأوروبي لم يعد يرى المستقبل من وجهة نظر مستقبلية بل من خلال آلية صنع السيناريوهات واستعراض الإمكانات المحتملة، ومن ثم فإن الحاجة العميقة إلى العدو استدعت المراهنة على الخيار الأقرب "الصراع مع الإسلام".[288]

في مقالة متميزة للباحث الإسباني "ماريانوآغيرا" جاء فيها أن الغرب سيكون بهم البحث عن عدو جديد له، وأن الإسلام هو المرشح الوحيد لملء هذا الفراغ. ويتساءل قائلا: كان العدو في الحرب الباردة (1947-1990) هو الإيديولوجية الشيوعية التي تحمدت عملنا في بلد ملموس هو الإتحاد السوفياتي، ولذا كان العدو محصورا وراء حزام من حديد ،وبالتالي لا ينفذ خطره إلى الغرب، أما مع الإسلام فالأمر يختلف، فالمسلمون يأتون من إفريقيا والشرق الأوسط ويجتازون الحدود دون عناء كبير، يلجأون سرا إلى كبريات المدن الأوروبية، وهكذا دخل الخطر بيوت الغربيين فأحسوا به".

ولا يتعلق الأمر فقط بالتخوف من خطر الحركات الأصولية المتطرفة بل يتجاوزه، ليشمل الإسلام من حيث هو دين وحضارة.

ومن المعروف أن "هينتنغتون" صاحب أطروحة صدام الحضارات، قريب من مراكز القرار الأمريكي، وقد عمل من قبل إدارة الرئيس الديمقراطي السابق "جيمي كارتر" مسئولا عن التخطيط في مجلس الأمن القومي، كما أنه رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية ويشترك في

---

[288] محمد عابد الجابري :**مسألة الهوية ,العروبة والاسلام والغرب** ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، 1995 ،ص 189.

تحرير مجلة "السياسة الخارجية"، ويوضح "وجه كوثراني" في تعليقه على أطروحة هنتغنتون، فإن الغرض من نظرية

"الصدام الثقافي" لا يخرج عن النطاق الشعبي لإدارة الأزمات في كوكب الفقراء" الذي تنفجر فيه الديموغرافيا والثقافات "التي يمتزج فيها الديني والسياسي".[289]

فلا بد من الإقرار أن التوجهات الرئيسية للنظام الدولي هو انفجار العامل الثقافي عبر الصراعات الدينية والقومية والطائفية التي اجتاحت العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

ولا يخفي الطابع الحضاري للعديد من النزاعات التي عرفتها الساحة الدولية في الأعوام الأخيرة "الصراعات في البلقان وف مناطق مختلفة من آسيا وإفريقيا" ولا شك أن العالم شهد عودة متزايدة للقيم الدينية والحضارية، تمت أحيانا في شكل ثقافي وطقوسي صرف، واكتسبت في بعض الحالات طابعا عنيفا حاد "التيارات الأصولية من مختلف الخلفيات والمرجعيات".[290]

نشير في هذا السياق إلى الحوار الهام الذي دار حول العلاقة بين النماذج الاقتصادية والقيم الثقافية، انطلاقا من عملية بناء نموذج تحديثي ناجح خارج السياق الحضاري الغربي، ولقد اكتسى هذا الحوار بعدا خاصا في المجال الآسيوي، الذي يشهد عملية نمو اقتصادي خارق، بدون أن يواكبهااحتداء للمسالك الثقافية، والقيمية الغربية.

ونلمس اتجاها واسعا في الفكر الآسيوي خصوصا في اليابان إلى إعادة الاعتبار "للقيم الآسيوية"، في مقابل الحداثة الأوروبية التي اعتبرت غير ملائمة للقارة الصفراء. ومن ثم توجبت الحيلولة دون الانجراف في أزماتها الأخلاقية والاجتماعية الخانقة التي تعصف حاليا بالعالم الغربي.

ومن أبرز منظري هذا الاتجاه نجد: "كزيوأوغيرا" السفير الياباني في الفيتنام الذي دعا في مقالة هامة إلى تحويل مقولة "آسيا" من مفهوم فارغ إلى مفهوم ممتلئ "فلا بد من إعادة تقييم الروح التقليدية الآسيوية"، بحيث يصبح من الممكن حمل قيمها الكلية إلى أبعد مدى. ومن هذه القيم التي يدافع عنها الاتجاه الآسيوي الجديد التقليد الكونفوشيوسي (الانضباطية- النظام

---

[289] وجيه كوثراني: **صدام حضارات أم إدارة أزمات**،نص ملحق بدراسة هانتغتون "صدام الحضارات" ،مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1995، ص101.

[290] السيد ولد أباه، مرجع سبق ذكره، ص 96.

الأسري– وقيم الإنسانية الشرعية) كما نجد "لي كوان يو" رئيس وزراء سنغافورة السابق و "كيم داي يونغ" السياسي الكوري. وقد أصبحت هذه الدعوة مهيأة للتصدير ،إلى باقي بلدان المنطقة المجاورة.[291]

من جهة أخرى ذكرت مجلة "الإيكونوميست" "The Economist" أن اليابان نظمت في السنوات القريبة الماضية مجموعة من المبادرات "الخيرية" لتصدير نموذجها الاقتصادي اتجهت في عمومها إلى إدانة المغالاة في التوجه الليبيرالي والخوصصة العمياء، تقوم إحدى المؤسسات التابعة لوزارة الخارجية بالعمل على إعداد بديل من برامج البنك الدولي، وتكشف هذه المعطيات وغيرها بصفة لا لبس فيها، عن عزم أكيد على طرح وتمرير نموذج مقابل للنموذج الأمريكي الأوروبي، ومن بين مميزات هذا "البديل الآسيوي" اعتماد اقتصاد غير رأسمالي، يضع الإنسان، وليس الربح في أعلى سلم أولوياته، ومن ثم معارضة نمط الليبيرالية الغربية.

وبالإضافة إلى اليابان، لم تنفك الصين تتبر خلال الأعوام القليلة الماضية اهتماما متزايدا في الأوساط الغربية. وعلى الرغم من أن هذا البلد العريق الشاسع، ذي الوزن الديمغرافي الهائل ما زال يرفع إشعار الشيوعي الذي رسمه "ماوتسيتونغ" إلا أنه أصبح في الوقت نفسه أحد أكثر الأقطاب الرأسمالية نموا (بمعدل يزيد عن 10% طيلة السنوات العشر الأخيرة).

وتراهن القيادة الصينية على القدرة على إبداع نموذج اقتصادي يجمع بين مزايا الديناميكية الرأسمالية، ومثل التعاضد الاجتماعي الاشتراكي، على أن يكون مستندا للتقاليد الحضارية الصينية، وقابلا للتمديد إلى مختلف أقطار المجال الصيني –الكونفوشيوسي الذي يضم كذلك كوريا وفيتنام وسنغافورة، وفي هذا الباب يبين "لو كيان لو" أن القيم الآسيوية المستندة إلى الروح الكونفوشيوسية – (التضامن الأسري، التوفير الذي يضاعف حجم الاستثمار، احترام النظام المدرسي، الانضباط) –كنمط تحديثي ،وتنموي هي التي تفسر النهضة الصينية الحالية– وتنظر الدوائر الأمريكية بعين التوجس والقلق إلى نزعة الهيمنة الصينية، التي بدأت تخرج للطور العلني. وقد عبرت عنها اتجاهات قومية تسعى لمزج القيم الكونفوشيوسية بالروح الترابطية والإنتاجية المستمدة من التراث المركسي القريب.

---

[291] المرجع نفسه، ص 98.

ويترجم كتاب "الصين يمكن أن تقول لا" الصادر في حزيران 1997 لصاحبه "تشان بان" النزعة المتعاظمة للصين، ويدعو إلى مواجهة و.م.أ والغرب من موقع عناصر القوة الصينية التي لا تضاهى.

وبالإضافة إلى اليابان والصين، تمثل النزعة القومية الهندوسية، مظهرا آخر بارز من مظاهر التمايز الثقافي، والحضاري في بلد يدعى ب "أكبر ديمقراطية في العالم" بالنظر إلى حجم سكانه الذي يتجاوز المليار من البشر، وقد تجلى صعود التيار الهندوسي في فوز "حزب الشعب الهندي، (بامارتياجاناتا) في انتخابات ماي 1996 هذا الحزب الذي لا يخفى هذا الحزب المتطرف نهجه العدائي تجاه أكبر أقليتين في الهند وهما المسلمون (15% من السكان)، و"البوديون" (14% من السكان)، كما يستند إلى القيم الهندوسية التقليدية بديلا من الركائز الأربع التي تأسست عليها تجربة الهند الحديثة: الديمقراطية والعلمانية والاشتراكية وعدم الانحياز.

وما أردناه من رصد هذه المعطيات، هو الكشف عن اتجاهات بارزة في الخارطة الدولية الجديدة، يمكن إجمالها في ظاهرة الاحتماء بالهويات الثقافية والحضارية في مقابل حركة عولمة متنامية، تتخذ صيغة تغريب قسري جارف. ولذا من الطبيعي أن ينظر في الدوائر الأمريكية إلى هذه الظاهرة من حيث تحد خطر الإستراتيجية القولبة الغربية الشاملة.

من هذا المنظور يندرج خطاب "صدام الحضارات" في قلب التوجهات الجيوسياسية الأمريكية، وقد انتقل الخطاب كما يقول جميل مطر –من النظرية إلى الممارسة العينية، كما توضح عدة مؤشرات من بينها: المواقف المتشددة للكونغرس الأمريكي في الفترة الأخيرة ومظاهر الغطرسة والتصعيد التي طبعت تصريحات العديد من كبار المسؤولين على رأسهم وزير الخارجية "مادلين ألبرايت، وكتابات أقلام عديدة في مركز القرار.

وقد أصبح من الجلي أن الخلاف التركي –الأوروبي يفسر بالعامل ذاته، في فترة تتطلع فيها تركيا إلى لعب دور إقليمي في محيطها الإسلامي، وكذلك في السياق ذاته – تندرج السياسة الغربية إزاء روسيا التي تشكل أهمية كبرى بموقعها في قلب الحضارة السلافية الذي يرشحها لاحتواء الخطر القادم من الوسط الآسيوي المسلم.

" صحيح أن صمويل هينتغتون لم ينجح في إقناع الكثير من الأكاديميين بنظريته لكنه نجح بالتأكيد في كسب أنصاره من السياسيين. وهؤلاء على كل حالهم الذين يصنعون السلام ويشنون الحرب".[292]

إن هوبز وفلاسفةالقرن الثامن عشر يعتبرون أن الدولة نشأت لتحقيق الأمن الاجتماعي ، وذلك عندما تنازل كل فرد عن جزء من سلطته يتضمن حمايته وأمنه ، ونشأ بذلك العقد الاجتماعي (روسو) الذي كان كفيلا بولادة الدولة وتأسيسها ، بعدها تصبح الدولة عند هيغل الشكل الأرقي في تاريخ التطور الكلي للبشرية ، وينتهي عندها التاريخ إذا أحسنا قراءة هيغل بعيون فوكوياما. لكن "برتران بادي"يعتبر أننا نعيش الآن مرحلة أزمة الدولة القومية ،وهذا يحثنا بشكل جاد على إعادة النظر فيما كان يعد لفترة طويلة الوحدة الأساسية للنظام الدولي ، فالدولة الآن لم تعد هي اللاعب الوحيد في مجال العلاقات الدولية ضمن المجتمع الدولي الذي لطالما اعتبر على أنه ليس في الواقع إلا مجتمع الدولة ، إذا نجحت الدولة وهي عارض من عوارض التاريخ ، وناتج من نواتجه في تطويق المسرح الدولي لفترة طويلة طبقا لصورتها الخاصة، أما الآن فإن الدولة قد فقدت مصداقيتها إذ هي تواجه أزمات شتى وتحديات عدة نفت في عضدها لصالح لاعبين جدد يجمعون من جانبهم موارد تزداد خطورتها شيئا فشيئا.[293]

فاكتشاف النظام الدولي الحديث يلي إنشاء الدولة ولا يسبقها ، وهو يتعلق بالنتائج لا بالأسباب،ومن هنا فالنظام الدولي هو من نتاج الدولة وليس منتجا لها ، يتأثر في شكله وفي قدراته بالإخفاقات والأزمات التي تؤثر على نموذج الدولة. [294]

إن العلاقات الدولية بالمعنى التقليدي لهذا المصطلح ن إذ ترجع إلى عمليات التفاعل بين الدول ، تتضاعف بالعلاقات عبر القومية التي تتم خارج تلك الدول ، وتتجاهل الحدود وتستهزئ بالسيادات ، و تنشأ نتيجة ذلك ما يسميه "بادي برتران" بالالتفاف حول الدولة ، ذلك أن النظام

---

[292] جميل مطر: **صدام الحضارات، من النظرية إلى الممارسة السياسية الأمريكية**، مجلة الحياة،عدد 11،أفريل 1997،ص12.

[293] برتران بادي و ماري كلود سموتس،ترجمة سوزان خليل :**إنقلاب العالم ، سوسيولوجيا المسرح الدولي**،دار العالم الثالث، القاهرة، 1998،ص10.

[294] مارسالميرل ، ترجمة حسن نافعة : **العلاقات الدولية المعاصرة** ، دار العالم ، القاهرة،1999،ص 41.

الدولي قد دخل في تكوين ثنائي ، يتجلى في التعايش بين عالمين على النحو الذي يصفه" جيمس روزنو" –عالم الدولة– وهو عالم مقنن له طقوسه ويتألف من عدد محدود من اللاعبين المعروفين والذي يمكن التكهن بهم بدرجة أو بأخرى، وعالم متعدد المراكز، يتألف من عدد شبه مطلق من المشاركين لهم قدرة على العمل الدولي المستقل بصورة أو بأخرى عن الدولة التي يفترض أنهم يتبعون لها ، أي أنه ينبثق عن إزدواجية العوالم هذه ، شكل بالغ من التعقيد للإنتماءات، فعالم الدول يسند على تفرد إنتماءات المواطنة ، ويعتمد على قدرته على العمل بالاستخدام التام لعدد محدد من الأفراد– الرّعية– أما العالم " المتعدد المراكز" فيرتكز على عكس ذلك ، على شبكة إنتماءات تكاد تكون غير مقننة تعتمد طبيعتها وكثافتها على الإدارة الحرة للاعبين المعنيين.[295]

وهذا ما يضع الدولة في أزمة حقيقية تطال وجودها نفسه ، فقد أصابها الضعف في جميع أوجه أدائها ، فهي تنازع إذا في قدرتها على البقاء ، كما يعاد النظر في طبيعة نواتجها المستوردة وغير الشرعية بالتالي، وتحارب في المساحات الخاصة ، وفي انتشار الشبكات الترابطية ، وإعادة تنشيط القطاع الديني " الثقافي" ، وهكذا فإن التدفقات عبر القومية سرعان ما تصبح مواضع لتجنب الدولة، أو مواقع للمعارضة ،أو طرقا للالتفاف حول نظامها.

وذلك ناتج عن سببين رئيسيين حسب " بادي برتران" ، أولا: التدفقات الديمغرافية التي يمكن أن تحول الجماعة الوطنية الى حيز متعدد الجماعات يتجه كل عنصر من مكوناتها الى المطالبة بحماية هويته الخاصة، وعاداته وتقاليده، فيغير بذلك شدة الانتماءات، بل وحتى شروط الطاعة المدنية ذاتها.

وهذا الانزلاق التدريجي للمجتمع الوطني نحو مجتمع متعدد الثقافات هو في حد ذاته ضعف للدولة المتلقية التي لم تعد تجد في تعبئة الرموز الوطنية نفس الموارد التي كانت موجودة من قبل ، ويساهم هذا الامر في تعديل هياكل المجتمع الدولي ذاتها من خلال إعادة تقييم أهمية الجماعات الثقافية بدقة شديدة مقارنة بأهمية الدول القومية ، وعن طريق تشجيع ازدهار عمليات التعبئة الإقليمية.

---

[295] رضوان جودت زياده: **صدى الحداثة**، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص 159.

والسبب الثاني هو انتشار العنف الذي يؤدي الى الفوضى والزعزعة وهو –أي العنف– لا يقتصر على إرهاق الدولة وإضعافها بتجريدها من شرعيتها وإصابتها بالشلل فحسب ، بل هو يحقق ذات المقاصد من خلال تعزيز الدور الدولي للفرد خارجها أو ضدها، فهو يسعى الى إثارة خوف غامض تصيب ضرباته الحيز العام والخاص على حد سواء، على النحو الذي يجعل الفرد في حياته اليومية لاعبا متميزا في مأساة تدور فصولها بعيدا عنه تماما خارج نطاق إلتزاماته كمواطن.

مع ظهور الاقليمية الجديدة ،وبزوغ نزعات لتمجيدها ، فقد حرك ذلك اشتداد المنافسة العالمية، دون أن تعي هذه التيارات الاقليمية أن الإقليم هو مجموعة من الوحدات السياسية المرتبطة فيما بينها على نحو أوثق من ارتباطها بغيرها ن وبأن الاقليم ليس فرضية ثابتة ، محددة جغرافيا ، إذ أن أية مجموعة من اللاعبين يجمعها شيء مشترك يمكنها إذا ما أرادت أن تنشئ إقليما .

وفي الوقت ذاته يمكن لأي لاعب قوي اقتصاديا وماليا أن يؤثر على أية منظمة إقليمية في أنحاء العالم إذا ما توافرت لديه الرغبة في ذلك.

ومع تحرير التجارة والربط المتزايد للأسواق وازدهار التكنولوجيا أصبحت المؤسسات الكبرى تملك الوسائل التي تقرر بها توزيع الموارد الاقتصادية والتكنولوجية في أقاليم العالم المختلفة.[296]

[296] رضوان جودة زيادة، نفس المرجع السابق،ص ص 163،164.

المبحث الثاني:

طبيعة العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد.

بفعل التحديث ، السياسة العالمية يعاد تشكيلها حسب الخطوط الثقافية، فالشعوب والدول ذات الثقافات المشتركة تأخذ في الالتقاء والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تأخذ في التباعد. التحيزات المتحددة والايديولوجيا والعلاقات القوى العظمى تترك طريقها بتحيزات متحددة بالثقافة والحضارة. والحدود السياسية يعاد رسمها بشكل متزايد لكي تتوافق مع الحدود الثقافية، العرقية والدينية والحضارية والالتزامات الثقافية آخذة في أن تحل محل كتل الحرب الباردة. وخطوط الصدع بين الحضارات تصبح الخطوط الرئيسية للصراع في السياسة العالمية حسب هينتغتون.

خلال الحرب الباردة كان بإمكان الدولة أن تكون غير منحازة، كما كان الكثير كذلك أو كان بإمكانها كما فعل بعضها أن تغير تحيزها من طرف آخر. كان بإمكان قادة الدولة القيام بهذه الخيارات حسب إدراكهم لمصالحهم الأمنية. وحساباتهم لتوازن القوة وتفضيلاتهم الإيديولوجية. أما في العالم الجديد بالرغم من ذلك فالهوية الثقافية هي العامل الرئيسي الذي يشكل تقاربات الدولة وعداءاتها وبينما كان بإمكان دولة ما أن تجنب انحياز الحرب الباردة. فهي لا تستطيع أن تفتقر لهوية. إن السؤال: "إلى جانب من تقف أنت؟" قد حل محله سؤال أكثر أهمية بكثير: "من أنت؟". وكل دولة عليها أن تجد إجابة. وتلك الإجابة: هي هويتها الثقافية. التي تحدد مكان الدولة في السياسة الدولية وتحدد أصدقاءها وأعداءها.[297]

مع نهاية نظام الحرب الباردة بدأت الدول في مناطق العالم تنمي وتعيد تنشيط منازعات وانتماءات قديمة. لقد بدأت في تلمس طريقها نحو التجمعات. وهي تهتدي إلى تلك التجمعات مع دول من ثقافة متشابهة ومن نفس الحضارة.

السياسيون ينتدون جماعات ثقافية "أعظم" والشعوب تعرف ذاتها بتلك الجماعات الثقافية الأعظم، بما في ذلك "صربيا العظمى"، "تركيا العظمى"، "كرواتيا العظمى"، "إيران العظمى"، "روسيا العظمى".

---

[297] صمويل هنتغتون، ترجمة، مالك عبيد أبو شهيوة ,محمود محمد خلف،مرجع سبق ذكره، ص238.

ولكن ولاعتبارات توازن القوى ستؤدي أحيانا –الانحيازيات السياسية والثقافية– إلى تحالفات فيما بين حضارات متباينة. كما حصل عندما تحالف "فرنسيس الأول" مع العثمانيين ضد "الهابسبورغ". كما أن نماذج التحالف التي أبرمت لتخدم أغراض الدول في عصر ما ستستمر نحو عصر جديد. وهي على الرغم من ذلك، تميل إلى أن تصبح أضعف ،وأقل مغزى ، وأن تكيف لخدمة أهداف عصر جديد.[298]

في نظام الحضارات العالمي البازغ، الدول الأساسية للحضارات الكبرى تحل محل القوتين العظميين في الحرب الباردة كأقطاب رئيسية للجدب والنفور للدول الأخرى. وهذه التغيرات هي الأكثر وضوحا فيما يتعلق بالحضارات الغربية، والأرثوذوكسية والصينية. وفي هذه الحالات التجمعات الحضاراتية آخذة في الانبثاق. محتوية على الدول الأساسية، الدول الأعضاء، الدول المحاذية بأقليات سكانية تتشابه معها ثقافيا. والأكثر قابلية للجدل، الشعوب من نفس الثقافة في الدول المجاورة، الدول في هذه الكتل الحضاراتية غالبا ما تميل إلى أن تصبح قلقه، أو مضطربة في دوائر متمركزة حول الدولة الأساسية أو الدول الأساسية. عاكسة درجة هويتها وتكاملها في تلك الكتلة أو التكتل –بافتقاره لدولة معترف بها، فالإسلام يزيد من حدة وعيه العام ولكن إلى الآن لم ينم إلا بنية سياسة عامة بدائية.

الدول تميل إلى إتباع الدول ذات الثقافة نفسها وتتوازن ضد الدول التي تفتقر معها إلى التجانس الثقافي. وهذا واضح على نحو خاص بالنسبة للدول الأساسية، إن قوتها تجتذب تلك الدول المتشابهة معها ثقافيا وتنفض جنبا تلك الدول المختلفة عنها ثقافيا. ولأسباب أمنية فالدول الأساسية قد تحاول أن توحد معها أو تهيمن على شعوب من حضارات أخرى.[299]

كان النظام خلال الحرب الباردة نتاج سيطرة القوتين العظميتين للكتلتين، ويقود القوى العظمى على العالم الثالث. لكن في العالم الباغ ، القوة العالمية طراز قديم الجماعة الدولية حلم بعيد، لا توجد دولة في العالم. ولا حتى و.م.أ لديها مصالح أمنية عالمية هامة. إن مقومات ،أو عناصر النظام فعالم اليوم هي أكثر تعقيدا وأكثر تناقضا وهي توجد داخل الحضارات وما بين الحضارات. والعالم سيكون نظامه مؤسسا على أساس الحضارات، أو لن يكون هناك نظام

---

[298] المرجع نفسه، ص241.

[299] المرجع نفسه، ص ص289، 290.

،والدول الأساسية للحضارات هي مصدر النظام داخل الحضارات ،ومن خلال التفاوض مع دول أساسية أخرى بين الحضارات.

إن العالم الذي تلعب فيه الدول الأساسية دورا رائدا أو مهيمنا هو عالم مكون من مجالات نفوذ. لكن هو أيضا عالم تكون فيه ممارسة النفوذ من قبل الدول الأساسية ملطفا ومهدئا بالثقافة المشتركة التي تتقاسمها مع الدول الأعضاء في حضارتها. فالتجانس الثقافي يضفي الشرعية على القيادة وعلى الدور المتمثل في إعطاء الأوامر من الدول الأساسية إلى كل من الدول الأعضاء وللقوى والمؤسسات الخارجية. إنه بالتالي من غير المجدي وضع –كما فعل بطرس السكرتير العام للأمم المتحدة سنة 1994– أو تعزيز قاعدة "حفظ مناطق النفوذ" بحيث لا يكون هناك أكثر من ثلث قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة مشكلة من القوى الإقليمية المهيمنة في تلك المنطقة. إن مثل ذلك الشرط يتحدى الحقيقة الجغرافية والتي تتمثل في أنه في أي إقليم حيث توجد دولة مهيمنة فالسلام يمكن تحقيقه وحفظه فقط من خلال قيادة تلك الدولة.

إن الأمم المتحدة ليست بديلا للقوة الإقليمية، وإن القوة الإقليمية تصبح مسؤولة وشرعية عندما تمارس من طرف الدول الأساسية في علاقاتها بالدول الأعضاء من حضارتها.

الدولة الأساسية تستطيع أن تؤدي دورها النظامي لأن الدول الأعضاء تنظر إليها وتدركها كقريب ثقافي، الحضارة هي عائلة ممتدة، ومثل الأعضاء أو الأفراد الأكثر سنا في العائلة، فالدول الأساسية تزود أقاربها بكل من الدعم والتنظيم. وفي غياب تلك القرابة، فإن قدرة دولة أكثر قوة لحل الصراعات بها وفرض النظام على إقليمها محدود. الباكستان وبنغلاديش وحتى سيريلانكا لن تقبل الهند لتقوم بدور الدولة القائمة على النظام في جنوب آسيا، كما لا توجد دولة آسيوية شرقية تقبل اليابان بمثل ذلك الدور في شرق آسيا.

وعندما تفتقر الحضارات إلى وجود دول أساسية تصبح مشاكل وضع نظام داخل الحضارة أو المفاوضة من أجل النظام بين الحضارات أكثر صعوبة. إن غياب دولة إسلامية أساسية والتي بالإمكان شرعيا وعن جدارة مشروعة فيما يخص البوسنيين، على نحو ما فعلت روسيا مع الصرب. وألمانيا مع الكروات قد أجبر و.م.أ على القيام بذلك الدور. وعدم فعاليتها في أي من ذلك قد نتج من افتقار مصالح الإستراتيجية الأمريكية في المناطق من حدود الدول التي كانت مرسومة في يوغوسلافيا السابقة. وغياب أي رابطة ثقافية بين و.م.أ والبوسنة والمعارضة

الأوروبية لإيجاد دولة مسلمة في أوروبا. وغياب الدول الأساسية في كل من إفريقيا والعالم العربي قد عقد إلى حد كبير جهود حل الحرب الأهلية في النظام الدولي المبني على الحضارات.[300]

النظام العالمي الجديد: هو نظام الحضارات

ويقول صاحب فكرة صدام الحضارات أن الدول أثناء الحرب الباردة كانت ذات علاقة بالقوتين العظمتين. كدول متحالفة أو تابعة أو عميلة أو محايدة او غير منحازة. أما في عالم ما بعد الحرب الباردة، فالدول تحدد علاقتها بالحضارة كدول أعضاء (دول أساسية، دول وحيدة، دول منقسمة، ودول ممزقة أو متصدعة، ومثل القبائل والأمم فالحضارات لها بنية أساسية.

- **الدولة العضو:**

هي دولة تحدد هويتها كليا ثقافيا بحضارة معينة مثل مصر بالحضارة العربية الإسلامية، وإيطاليا بالحضارة الأوروبية –الغربية، الحضارة يمكن أن تشتمل على شعب يتقاسم ثقافة تتحدد بها هويته، ولكن هذا الشعب يعيش في دول تسيطر عليها دول أعضاء لحضارة أخرى.

الحضارات عادة لها مكان او إثنين ينظر إليها من قبل أعضائها على انها المصدر الرئيسي أو المصادر الرئيسية لثقافة الحضارة. وهذه المصادر في الغالب تقع داخل الدولة الأساسية (Core State) أو الدول الأساسية (Core States) وهي الدولة أو الدول الأكثر قوة والأكثر مركزية ثقافيا.

إن عدد ودور الدول الأساسية يختلف من حضارة إلى أخرى ومن الممكن أن يتغير مع الزمن، فالحضارة اليابانية تتحدد هويتها واقعيا بدولة أساسية وحيدة، الحضارات الصينية والأرتودكسية والهندية كل منها لها دولة واحدة أساسية مهيمنة بشكل قوي. الدول الأعضاء الآخرون والشعب الذي يتعاطف مع حضارتها في دول يهيمن عليها شعب من حضارة مختلفة (الصينيون فيما وراء البحار، روس الحدود المجاورة، الثاميليون في سيريلانكا)،تاريخيا الغرب يوجد به عدة دول أساسية، والآن به دولتان أساسيتان و.م.أ والأساس الفرنسي الألماني في أوروبا. مع بريطانيا كمركز إضافي للقوة تتأرجح بينهما.الإسلام وأمريكا اللاتينية ،وإفريقيا نفتقر

---

[300] المرجع نفسه، ص ص191، 192.

إلى وجود دول أساسية ،وهذا جزئيا يرجع إلى الامبريالية التي فرضتها القوى الغربية، والتي قسمت فيما بينها إفريقيا ،والشرق الأوسط ،وفي قرون مبكرة وبشكل أقل حدة، أمريكا اللاتينية.

أ- الدولة الوحيدة: Lone country

تفتقر التماثل أو التجانس الثقافي مع مجتمعات أخرى، فإثيوبيا على سبيل المثال معزولة ثقافيا بلغتها السائدة "الأمهرية" التي تكتب بالخط الإثيوبي، ودينها السائد " الأرثدكسية القبطية". إن تاريخها الاستعماري، وتميزها الديني عن الشعوب المسلمة الكبيرة المحيطة بها. وبينما مالت الصفوة في هاييتي تقليدنا لتكوين روابط ثقافية مع فرنسا. فإن لغة هاييتي "الكيرولية" ودينها "القودو" وأصولها الثورة من العبيد وتاريخها الوحشي تجتمع جميعا لتجعل من هاييتي دولة وحيدة أو عزباء.

يقول: سيدني مبنتر أن "كل دولة متفردة، ولكن هاييتي هي صنف بذاته". وكنتيجة فخلال الأزمة الهايتية 1994. لم تنظر دول أمريكا اللاتينية إلى "هاييتي" كمشكلة أمريكية لاتينية وكانوا غير راغبين في استقبال الهايتيين كلاجئين بالرغم من أنهم استقبلوا اللاجئين الكوبيين. "هاييتي" هو "الجار الذي لا يريده أحد" هي فعلا دولة مقطوعة النسب.

إن الدولة الوحيدة الأكثر أهمية هي اليابان، ليس هناك دولة تشترك معها في الثقافة، والمهاجرون اليابانيون هم إما يسو بأعداد هامة في الدول الأخرى أو انه تم امتصاصهم في ثقافات تلك الدول، إن وحدانية اليابان قد ازدادت بالحقيقة القائلة بأن ثقافتها ذات خصوصية عالية. ولا تشتمل على ديانة ذات إمكانية عالمية (كالمسيحية والإسلام) أو إيديولوجية (الليبرالية، الشيوعية) والتي يمكن أن تصدر إلى مجتمعات أخرى.[301]

إن معظم الدول تقريبا غير متجانسة في أنها تحتوي على مجموعتين أو أكثر عرقية، عنصرية، دينية، والعديد من الدول مقسمة بسبب أن الاختلافات فيما بين هذه الجماعات تلعب دورا هاما في سياسة تلك الدولة.

والانقسامات العميقة داخل الدولة تؤدي إلى عنف هائل أو تهدد وجود الدولة، وهذا التهديد الأخير والحركات نحو الاستقلالية أو الإنفصال يحتمل أن يظهر عندما تكون الإختلافات الثقافية

---

[301] المرجع نفسه، ص257.

متوافقة مع الإختلافات في الموقع الجغرافي. وإذا لم تتوافق الثقافة والجغرافيا فإنه –ربما– يتم عمل توافقهما من خلال الإبادة الجنسية أو الهجرة بالقوة.

ب–الدولة المتصدعة "Cleftcaintnes"

التي تتخطى إقليميا خطوط الصدع بين الحضارات تواجه مشكلات خاصة في المحافظة على وحدتها في السودان، استمرت الحرب الأهلية لعقود من الزمن بين الشمال المسلم والجنوب المسيحي –وانتهت بتقسم السودان– ونفس الانقسام الحضاراتي قد أربك –ويربك– السياسة النيجيرية، ونفس الانقسام المسيحي الإسلامي ولد توترات وصراعات في كينيا. وفي القرن الإفريقي، إثيوبيا المسيحية في معظمها وإيريتيريا المسلمة في أغلبيتها الساحقة انفصلتا عن بعضهما سنة 1993.

ومثال تلك الدول المتصدعة: الهند (مسلمون وهندوس)، الصين (صينيين مان، بوذي التبت، المسلمين الأتراك)، سانغافورة (صينيين، مسلمين،مالاويين).

والتأثير الحاسم لخطوط الصدع الحضاراتي كان أكثر وضوحا في تلك الدول المنقسمة التي وضعت معا خلال الحرب الباردة تحت حكم نظم شيوعية ،والتي أضفت عليها الشرعية الإيديولوجية الماركسية، اللينينية، ومع انهيار الشيوعية حلت الثقافة محل الإيديولوجية كقوة جذب ورفض.[302]وتباعدت يوغوسلافيا ،والإتحاد السوفياتي عن بعضهما، وقد تجمعت على خطوط حضارتية: جمهوريات البلطيق (بروتستانت وكاثوليك)، الجمهوريات الأرثوذوكسية، والجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفياتي السابق. ثم جاءت بعدها انقسامات المرحلة الثانية.

في الدول المتصدعة هناك جماعات رئيسية من حضارتين أو أكثر تقول، في الحقيقة "نحن شعوب مختلفة وننتمي إلى أماكن مختلفة". إن قوى دافع الرفض تدفعهم إلى التباعد، وهم ينجذبون نحو قوى جدب حضاراتية في دول مجتمعات أخرى.

الدولة الممزقة –على النقيض من ذلك– لديها ثقافة وحيدة مهيمنة والتي تضعها في حضارة واحدة غير قادتها يريدون تغييرها إلى حضارة أخرى.

---

[302] المرجع نفسه، ص259.

إن شعبها يقول "نحن شعب واحد وننتمي سويا إلى مكان واحد ولكننا نرغب في تغيير ذلك المكان". فهم يتفقون حول من هم؟ لكن لا يتفقون حول أي حضارة بالتحديد هي حضارتهم.

د-الدولة الممزقة: Torn state

ولكي تعيد تحديد هويتها الحضارية بنجاح يجب توفر ثلاث شروط أساسية:

أ- أن الصفوة السياسية والاقتصادية لتلك الدولة يتعين عليها أن تكون مؤيدة ومتحمسة لهذا التحرك.

ب- العامة يتعين عليهم أن يكونوا على الأقل راغبين في القبول أو الانصياع لإعادة تحديد الهوية.

ت- أن العناصر المسيطرة على الحضارة المضيفة، وفي معظم الحالات الغرب يتعين عليهم أو يكونوا راغبين لاحتضان أو قبول ذلك التحول. إن عملية تحديد الهوية ستكون طويلة ومنقطعة ومؤلمة سياسيا واجتماعيا ومؤسساتيا وثقافيا وهي أيضا عن تاريخنا الحالي قد باءت بالفشل.[303]

---

[303] المرجع نفسه، ص262.

المبحث الثالث:

صراع الثقافات:التعريفوالأسباب

لا بد من التذكير بأن الاهتمام بمفاهيم الثقافة والحضارة والدين، قد جاء في إطار تاريخي وجيوسياسي موسوم بعولمة الاقتصاد ،والمال ،والتجارة ،وانتشار المعسكر الشرقي والأنظمة الشيوعية. وهذا ما مهد الطريق لقيام نظام دولي موحد القطب بوضع لم تشهده البشرية في تاريخها الطويل مثيلا له. حيث كان التوازن السياسي والاستراتيجي الدولي أو الجهوي مبنيا على تواجد قوى وازنة. وأدناها قطبان كما كان الحال عليه بعد الحرب العالمية الثانية.

فمن وجهة نظر العلوم السياسية والمؤسسات الدولية وكذلك الرأي العام. لم يعد هناك أدنى احتمال لنشوب حرب كونية بالمعنى الحقيقي للحرب كما عرفتها الإنسانية مرتين في القرن العشرين، أما من وجهة نظر اقتصادية محضة، فاحتمال التصادم بين المجموعات الصناعية والتجارية الكبرى قد بقي واردا نظرا لتنافس ،هذه الأقطاب على مصادر المواد الخام والأسواق. أما من وجهة نظر اجتماعية اقتصادية، فإن الصراع الأصلي والأصل بين رأس المال، والقوى المنتجة ،أي الطبقة العاملة. فإنه مازال متواجدا نظرا لتناقض هذه القوى. إن الإيديولوجية "الشيوعية التاريخية" قد سقطت بالفعل. وتبين لبعض المفكرين أن دورة التاريخ تظهر مع الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق، وبالتالي فإن "الصراع الموضوعي" الذي كان يهدد "السلم الكوني" انتهى كما جاء في "نهاية التاريخ والرجل الأخير" لغوكوياما.

إذ أن الاقتصاد الليبرالي سيتمكن من التوسع وسبط الأمن. وقد رد مفكرون آخرون عن هذه النظرية التفاؤلية لمستقبل العالم بطرح مضاد. يغلب عليه مفهوم الصراع، راع جديد– قديم سمي تارة بصراع الحضارات وتارة أخرى بصراع الثقافات، وتارة أخرى بصراع الأديان. ويقول المهدي المنجرة أن مرحلة الاستعمار كانت موسومة بصراعات اقتصادية. ومرحلة الاستعمار الجديد برهانات سياسية وإن مرحلة ما بعد الاستعمار ستحدد برهنات ثقافية يبرزها بخمسة دوافع ثقافية.[304]

---

[304] علال بن العزمية وآخرون: **أطروحات الصراع والتثاقف، بحث في التمييز ،التواصلوالتثاقف**، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص ص55، 54.

1- بروز الو.م.أ كقوة منفردة لا تسمح بمنافس آخر.

2- كل تطور تكنولوجي خارج الرقعة الغربية يمثل تهديدا للغرب.

3- كل تطور ثقافي في البلدان السائرة في طريق النمو يمثل تهديدا للغرب (العراق مثلا: عرف ثورة ثقافية هائلة قبل الغزو).

4- كل قوة عسكرية غير غربية تهدد الغرب والدولة اليهودية.

5- يجب الاحتفاظ بالدور الفعال للغرب بعد مرحلة الاستعمار.

ومن وجهة نظر "المهدي المنجرة" يعتبر غزو العراق سنة 1991 أول حرب عالمية ثقافية حقيقية. تحالف فيها كل العالم الغربي ضد شعب وحيد لأسباب ثقافية.

وفي نفس الاتجاه، سواء كان ذلك بسابق معرفة أو بدون علم بأشغال المهدي المنجرة. رغم اعترافه بأن هذا الأخير أول من صاغ المصطلح، عرض المفكر الأمريكي "صمويل هينتغتون" نظرية للسياسة الدولية موجهة للباحثين والمؤرخين والسياسيين، مفادها أن الصراعات المقبلة في العالم الجديد لن تقوم على أساس إيديولوجية أو اقتصادية، بل إن أهم مصادر الصراع ستكون ثقافية، وذلك سنة 1993 في كتاب "صدام الحضارات"، وقد انطلق هذا المفكر من مقاربة ثقافية معتبرا أن العالم مر بمراحل جعلته ينقسم بأشكال مختلفة. وفي نهاية الثمانينات من القرن الماضي. أصبحت التمييزات بين الشعوب تأخذ صبغة ثقافية، إنها بداية مرحلة صراع الحضارات.

ويوضح "هينتغتون" أنواع الصراع الحضاري كالآتي:

1- صراع بين حضارتين لها حدود مشتركة.

2- صراع بين حضارتين إحداهما غربية بسبب الهيمنة.

3- صراع داخل الحضارة نفسها على السلطة.

4- صراع داخل بلد متعدد الثقافات. [305]

ويرى "المهدي المنجرة" أن التعددية الثقافية هي مصدر الصراع، وهي وراء ثلاث تخوفات مرضية أو "فوبيا" Phobies لدى الغرب:

---

[305] المرجع نفسه، ص56.

– التخوف من التضخم السكاني في الدول الإسلامية التي سوف تمثل 40% من ساكنة العالم، والتخوف من الإسلام كدين ترتكز عليه الحضارة الإسلامية والتخوف من التطور التكنولوجي الآسيوي الذي لم يسلك سبيل النهج الغربي في التقدم. ويذهب المنجرة إلى القول بأن الغرب وخصوصا الو.م.أ يريد الهيمنة المطلقة على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وكذلك ثقافيا، مما يشكل خطرا على العالم الإسلامي. والخطر يتجلى في ضر القيم الإسلامية ومحاولة تغييرها بقيم غربية– أمريكية أو ما أسماه بأمركة الثقافة. وفي نظره هذا ما حصل فعلا في الحرب الأولي على العراق. والتي وصفها بأنها أو حرب حضارية.

كما يفسر هذا المفكر المبررات الأوروبية لرفض دخول تركيا في الوحدة الأوروبية بنفس نظرية الصدام الحضاري، إذ ان تركيا لم تناقش على الأبعاد الاقتصادية والسياسية، لكن على المستوى القيمي باعتبارها "دولة مسلمة"، ذلك أن الدين أضحى يشكل مصدر خوف ورعب كبير لكونه غير يهودي مسيحي إسلاموفوبيا.

إضافة إلى مظاهر الصراع بين "الدول الإسلامية" والغرب الأوروبي والأمريكي فإن تجليات نظرية "المنجرة". تتمظهر في الإيديولوجيا الأصولية التي تسعى إلى خلق هوة بين الشعوب والشعوب الأخرى غير الإسلامية. وهذه الإيديولوجيا هاجرت إلى كل القارات لتستقر حيث تتواجد الجاليات المسلمة، مما دفع بعض صناع القرار إلى الخلط بين الإسلام والإرهاب، ولتسليم بأن المسلمين لا يمكن دمجهم وهم عنيفين ومعادون للمجتمع. ومن ثم خلق أو اختلاق الحجج لتبرير "المشكل الإسلامي. وهذه هي الملاحظة التي جاء بها "كوفي عنان" قائلا: "إن كثير من الغربيين يعتبرون الإسلام دينا متطرفا وعدوانيا رغم أن العالم الإسلامي والعالم الغربي كانا يتجاوران ويتعاونان ويتجادلان بينهما مما كانا يتصارعان. [306]

أما المفكر الأمريكي "صامويل هينتغتون" فيعتبر أن سقوط الإيديولوجية " الشيوعية" ترك فراغا لدى الأفراد. وبدءوا يرجعون إلى الدين لتكوين هوياتهم. فالتميزات الأساسية تقوم على أسس ثقافية. وكل شعب يكون هويته بتحديدها في الاختلاف عن الآخرين. ولما كانت هناك

---

[306] المهدي المنجرة :**الحرب الحضارية الاولى ,مستقبل الماضي وماضي مستقبل**،شركة الشهاب، الجزائر ،1991 ص 50.

حضارات مختلفة فالاصطدام بينها حتمي، ولا يمكن للثقافات أن تتعايش، أما أسباب الصراع فهي لا تختلف كثيرا عما قدمه المنجرة:

1- التضخم السكاني وتداخل الحضارات.

2- "أوربة العالم" لم تتم بالشكل المثالي مما يجعل الدين أساس الهوية.

3- تنامي الشعور بالهوية الجهوية.

تنطلق الحرب الحضارية، حسب "هينتغتون" بين مجموعات تنتمي إلى حضارات مختلفة، وعلى الأرجح بين مسلمين وغير مسلمين من جهة أخرى، وقد تتطور هذه الحرب لما تتدخل الدول "الإسلامية" القوية إقليميا، تساعد إخوانها في الحرب وحسب نفس المفكر فإن العالم الإسلامي يدخل الحرب لأنه أكثر عدوانية لأنه عانى من الإهانة إبان فترة الاستعمار. "إن العرب والمسلمين أصيبوا بالإهانة والحقد مقارنة مع الماضي المجيد. ثقافيا ودينيا وبالانحطاط الحالي. وكذلك الشعور المحتد باغتصاب الأراضي الفلسطينية الذي يمثل امتداد للاحتلال الاستعماري وحربا صليبية".[307]

ويقول أيضا "إن غياب دولة إسلامية قوية في "الحضارة الإسلامية" يجعل من هذه الحضارة الكبرى "وعي بدون انسجام" ويرى كذلك أن شريحة الأفراد في العالم الإسلامي المتراوحة أعمارهم بين 16 و30 سنة. تصب في تضخيم الأولوية الإسلامية الدولية التي تحارب في أفغانستان والبوسنة وكوسوفو والفيليبين ويضيف آخرون في العراق حاليا.

كما يرى "هنتغتون" أن العالم الإسلامي أحدث تحديثا عمرانيا وتقنيا وإنتاجيا لكنه لم "يتأورب" مما جعله خطرا على الغرب نظرا لثقافته وحضارته. [308]

عوامل صدام الحضارات:

- يعتقد "هينتغتون" اعتمادا على مفاهيم سوسيولوجية وتاريخ العلوم لدى "توماس كون" كونه أن بعد نهاية الحرب الباردة أصبحت ثمة حاجة ملحة لإرساء براديغم جديد يساعد على إدراك، وتفسير وتنظيم التحولات الكبرى التي يعيشها العالم، بما يسمى ببرادايغم الحرب الباردة أصبح متجاوزا ،ولا يستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة، فأثناء مرحلة الحرب الباردة، واحتدام الانقسام

---

[307] علال بن العزمية وآخرون , مرجع سبق ذكره،صص،60,61.

الإيديولوجي بين المعسكرين الشرقي، والغربي استطاع هذا البراديغم تفسير العديد من الظواهر والتطورات الدولية، وأطروحة تصادم الحضارات تحاول طرح براديغم بديل عن براديغم الحرب الباردة. وذلك أن التقسيم العام للعالم إلى البلدان الليبيرالية والشيوعية والعالم الثالث أصبح متجاوزا، كما أن تقسيمه إلى بلدان غنية وفقيرة أو ديمقراطية وغير ديمقراطية هو أمر لا يجدي كثيرا، فالوضعية الراهنة معقدة جدا بحيث لا تقوى هذا التصنيفات الثنائية البسيطة على فهمها وإدراك مختلف أبعادها المتعددة. ولذلك يرى "هينتغتون" أن البراديغم الجديد هو براديغم الحضارة باعتباره "الخلف الطبيعي لعوالم الحرب الباردة الثلاثة" وبالإضافة للقوة التفسيرية لأطروحة "صدام الحضارات" يورد هنتغتون مجموعة من العوامل التي تبرر حسب رأيه اعتبار الانقسام الحضاري فاعلا أساسيا في تحديد طبيعة الصراعات القادمة وهذه العوامل هي كالآتي: [309]

- إن الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقية وأساسية، فالحضارة التي تشمل الدين والثقافة والعادات والتاريخ المشترك هي أقوى الهويات، وهي بذلك تشكل قاعدة الاختلاف الجوهرية بين البشر في انتماءاتهم ورؤيتهم للعالم والأشياء، والتمايزات الحضارية هي أكثر حدة من التمايزات الإيديولوجية والسياسية. فهي كثيرا ما تولد أطول النزاعات، وأكثرها عنفا.
- إن كثافة التفاعلات والاحتكاكات بين الحضارات المختلفة قرب بعضها من بعض، وهذا ما أدى إلى تنامي الوعي الحضاري عبر إدراك الاختلافات العميقة بين مختلفة الحضارات، والشعور بالانتماء الحضاري المشترك داخل الحضارة الواحدة يقول "هينتغتون" "إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تعزز الوعي بالحضارة لدى الناس، الأمر الذي يعزز بدوره الاختلافات والعداوات التي تضرب أو يعتقد أنها تضرب جذورها أعماق التاريخ".
- بفعل التحديث الإقتصادي وتراجع دور الدولة كمصدر للهوية وما نتج عن هذا من تحولات اجتماعية جدرية في كل أنحاء العالم، فإن الشعوب دخلت مرحلة اضطراب في هويتها وانتماءاتها الثقافية القديمة والراسخة، وهذا ما فتح المجال لملء الفراغ. غالبا على شكل حركات أصولية موجودة في كل الفضاءات الدينية والثقافية، في المسيحية الغربية، اليهودية، البوذية، الهندوسية، وفي الإسلام.

---

[309] محمد سعدي :**حول صراع الحضارات حوارت ومقالات مختارة الصامويلهنتغتون**،افريقيا للنشر ،المغرب، 2006 ص30.

وسيشهد "هنتغتون" في هذا السياق ب "جورج ويغل" الذي يقول "إن نزع الطابع العلماني عن العالم هو من الحقائق الاجتماعية المهيمنة في الحياة في آخر القرن العشرين. إن أحياء الدين يوفر أساسا للهوية، والالتزام، يتجاوز الحدود الوطنية ،ويوحد الحضارات".

- في الوقت الذي يوجد فيه الغرب في أوج قوته واكتساحه للثقافات الأخرى يتنامى الشعور بالتمايز الثقافي والحنين للعودة إلى الجذور الحضارية لدى الثقافات غير الغربية، فثمة اتجاهات عودة اليابان إلى أصولها الأسيوية، إحياء للثقافة الهندوسية في الهند، جدل عنيف بين الترويس أو التغريب في روسيا، وإعادة الأسلمة في العالم الإسلامي: "إن غربا في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية ولديها الإرادة، والإمكانيات للقيام بذلك".
- إن المميزات والاختلافات الثقافية غير قابلة للتغيير والتحول، وغير خاضعة للتسويات والحلول الوسطى عكس الاختلافات السياسية والإيديولوجية الاقتصادية، فيمكن للشيوعيين أن يصبحوا ديمقراطيين والأغنياء فقراء. لكن الروس لا يمكن أن يصبحوا إستونيين، ولايمكن للأذربيين أن يصبحوا أرمن. ففي الاختلافات الإيديولوجية يطرح السؤال بصيغة "مع أي طرف أنت؟"De quel cotéétes vous ?

"وفي هذه الحالة يملك الناس الخيار في اختيار مكان الانحياز ويمكنهم تغير المواقف" أما بالنسبة للصراع بين الثقافات فإن السؤال يطرح بصيغة: "من أنت؟" ? Qui étes vous والإجابة هنا مقررة مسبقا ومسلم بها ولا يمكن للإنسان تغييرها ويعتقد "هينتغتون" أن الدين هو العامل الأكثر تمييزا وفصلا بين الناس وهو في ذلك أكثر حدة من العرق الإثني.[310]

- صعود النزعة الإقليمية الاقتصادية على شكل كتل جهوية اقتصادية ناجحة وثمة علاقة تفاعلية بين الاندماج الاقتصادية وواقع الانسجام الثقافي. "فالنزعة الإقليمية والاقتصادية الناجحة ستدعم، من ناحية الوعي بالحضارة، إلا أن النزعة الإقليمية الاقتصادية قد تنتج فقط عندما تضرب بجذورها في حضارة مشتركة". وبالتالي فإن الانسجام والوحدة الثقافية هي شرط ضروري لتحقيق التكامل الاقتصادي الناجح ومثال ذلك الاتحاد الأوروبي، ومنظمة التعاون الاقتصادي التي تضم الدول الإسلامية غير العربية، والسوق المشتركة لأمريكا الوسطى، والتكامل

---

[310] المرجع نفسه،ص ص 31،32.

الاقتصادي القائم وسط شرق آسيا والذي له الإمكانيات ليتحول إلى كتلة اقتصادية هائلة محورها الصين، وبتعبير المفكر الأمريكي فإن "الدول التي تتقاسم فيها ثقافة مشتركة تتعاون بينها سياسيا واقتصاديا. ونلاحظ في هذا الصدد أن المنظمات الدولية كالاتحاد الأوروبي حيث الدول الأعضاء تتوفر على إرث ثقافي مشترك، لها حظوظ أكبر للنجاح من تلك التي ينعدم فيها الانسجام الثقافي. ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن مستوى الاندماج الاقتصادي في العالم له علاقة مباشرة بمفهوم التماسك الثقافي".

- يعتقد "صمويل هينتغتون" أن الصدام الحضاري في شكله الحاد والعنيف سيكون نتيجة للحيوية الديمغرافية في الجنوب مقابل التراجع الديموغرافي للغرب، وهو يركز بشكل أساسي على الديموغرافية الزاحفة للعالم الإسلامي والتي يعتبرها أحد المصادر الرئيسية للصراعات في العالم وفي هذا السياق يؤكد "...حقا إن كل هذه النزاعات ليست من فعل المسلمين الذين قد يتحولون إلى ضحايا مستهدفين، كما كان اليهود من قبل، لكن يبقى من الصعوبة عدم الاعتقاد بأن ثمة شيء في الإسلام يبعث على هذا العنف، وهذا الشيء في نظري هو النمو السكاني الضخم للشعوب الإسلامية في السنوات الأخيرة، المسلمون الذين كانوا يشكلون 18% من مجموع سكان العالم، سيصبحون حسب كل الاحتمالات 23% عام 2000 و31% عام 2025". ويرى صاحب أطروحة صدام الحضارات أن التزايد الديمغرافي الكبير للمسلمين خصوصا الفئة الشابة التي يتراوح عمرها ما بين 16 و30 سنة والتي تشكل دخيرة مهمة في الصراعات ستزيد من حدة النزاعات من بين المسلمين وباقي الشعوب. وسيؤدي التضخم الديموغرافي لدى الحضارات غير الغربية إلى ضغوطات ديموغرافية على الغرب الضعيف سكانيا وذلك عبر ظاهرة الهجرة.

ويبدو أن مجموع هذه المبررات التي قدمها "هينتغتون" حتى يعزز بها تحليله ويقوي فرضيته حول التصادم الحضاري هي مترابطة فيما بينها وتتمحور جميعها حول صعود الخصوصيات الثقافية كرد فعل واستجابة لتحديات الغرب ورهانات العولمة: [311]

---

[311] المرجع نفسه، ص35.

شكل رقم:(5) يوضح عوامل التصادم الحضاري

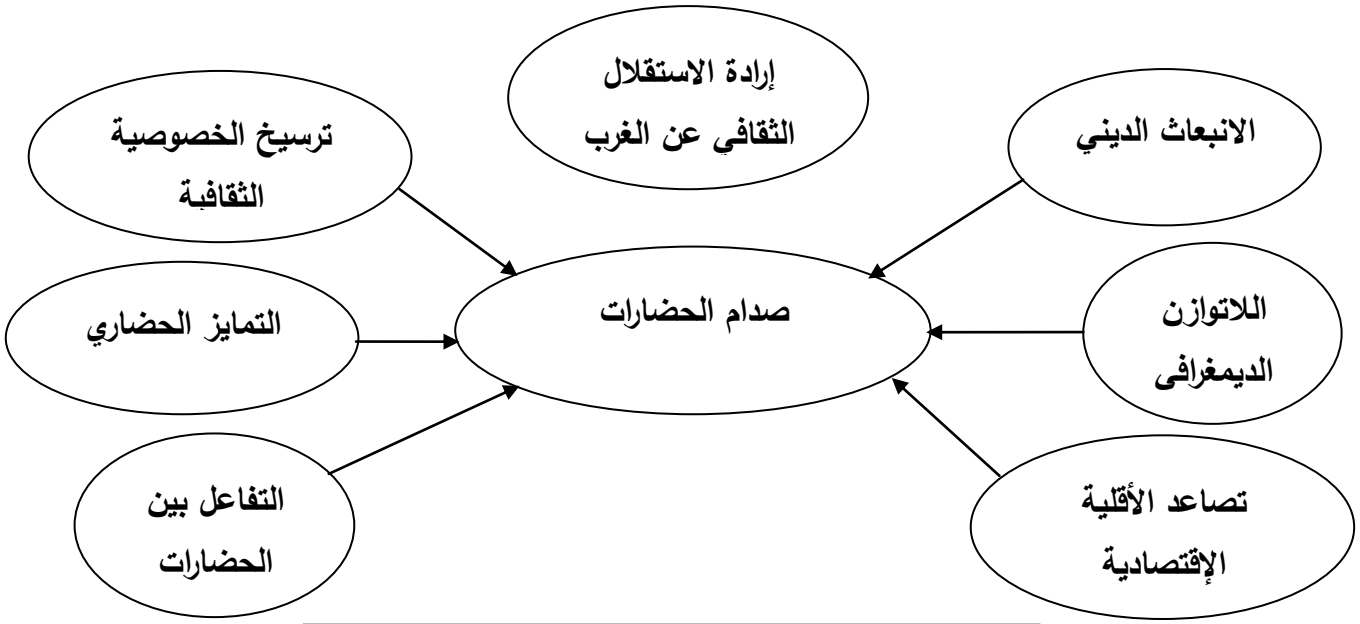

عوامل التصادم الحضاري حسب أطروحة مينيغتون

نحن لا نزال بحاجة إلى استخلاص رؤية تاريخية شاملة من خلال وقائع عصر الحداثة ومبينة من زاوية الصراعات الثقافية. وينبغي أن لا تكون قاصرة على الفترة التاريخية التي توصف عن حق بأنها حرب أهلية عالمية أي النزاع الكوكابي بين الليبيرالية والشيوعية على مدى السنوات من 1917 حتى 1989، إن حقائق الصراعات الثقافية كانت أكثر تنوعا وذات مظاهر وأوجه كثيرة ولا تزال كذلك اليوم. ونحن نعيش الآن مرحلة يسودها في كل مكان تفكك للبنى الكلية المجتمعية، والاقتصادية والثقافية. وسوف يكون من اللافت للنظر حقا أن المجالات الحضارية الكبرى وهي الكونفوشية، والهندوسية والإسلام والمسيحية والأرثوذكسية. والمسيحية الغربية، سوف تصبح هي محددات تطور مناطق أكثر حجما، وأكثر كثافة نتيجة التزايد المطرد للشبكات المادية والمعلوماتية.

أسباب الصراعات الثقافية

I- أولا:

يمكن أن نحدد المعالم المميزة للنمط الأساسي للصراعات الثقافية وثيقة الصلة سياسيا. والمشتركة مع النزاعات (الصراعات) القديمة. وتمثل الظروف التالية على المستوى النظري المجرد الشروط الحاسمة للصراعات الثقافية:

1- تطور علاقات تراتبية هرمية بين المركز والهامش مع إطراد تدريجي في زيادة خلل توازن القوى خاصة خلل توازن قوى الكفاءة أو الأهلية الاقتصادية والتكنولوجية.

2- استمرار المنافسة خاصة في القضايا الاقتصادية والثقافية والتي تفضي إلى افتراس الطرف الخاضع للهيمنة.

3- خطر التهميش الهيكلي الناجم عن هاتين العمليتين، والذي يرغم ضحية التبعية الهيكلية على الإنضواء قسرا تحت نير استعمار صريح، وتبعية غير رسمية، والتدخل وغير ذلك من أوضاع مماثلة، وما يقترن بها من نتائج خطرة اقتصادية، اجتماعية وأيضا نفسية تؤثر في الضحية.

وإن موقفا كهذا من شأنه كقاعدة عامة أن يستثير ردة فعل دفاعية والتي تنشأ عنها مشروعات مضادة. وإن الشيء المرجح جدا أن كلا من هذه النتائج تحدث إذا كان المجتمع الذي نحن بصدده قد بدأ بالفعل عملية حراك وتعبئة موارد اجتماعية أو إذا كان يتحول بسرعة. كأن يتحول على سبيل المثال من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد قائم على تقسيم العمل. أو حين يواجه المجتمع حالة هجرة سكانية من الريف. وتوسع كبير في بناء المدن، وحين يقضي برنامج التعليم على حالة الأمية المنتشرة. ونعرف أن انتشار العمالة المأجورة والحياة في المدن مع توفر مستوى عام للتعليم تمثل جميعها الأسس الحديثة لتعاظم مماثل واسع النطاق للوعي السياسي به. ويعني هذا أيضا مقاومة سياسية ضد الوضع الاستعماري أو شبه الاستعماري المعاش. [312]

---

[312] ديبترسنغاس، ترجمة، شوقي جلال: **الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، ص ص155،156.

II- ثانيا:

الظروف المحيطة وموضوع هذا الوعي السياسي المتنامي يمكن وصفهما باعتبارهما يمثلان نزعة قومية تطويرية Développemental Nationalisme ويتجلى هذا في أشكال متباينة:

تمثل النزعة القومية التطويرية الأولية مجالا من مجالات الخبرة في هذا الصدد وتتضمن هذه مثال: أمريكا وإنجلترا. وهذا نمط لنزعة قومية شاهدناها مع ميلاد مجتمعات منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي. وأدت هذه المنظمة إلى تطور وتنمية "الأمم- الدول" -Etat Nation كما هو حال فرنسا وإلى الدول -الأمم Nation-State- كما هو حال ألمانيا، وحري بنا أن نتأمل تاريخ الدول الأمم ج/=الأوروبية الغربية والشمالية. وتاريخ كل من و.م.ا وكندا وأستراليا ونيوزيلاندا. ونعرف هذا بوضوح أن إقليما منفصلا به حدوده التي تحددها الدولة والثقافة يؤدي دورا مهما في التقدم المرحلي لجميع هذه المجتمعات وتعتبر اليابان أيضا مثالا بارزا في هذا الصدد.

وجدير بالذكر أنه في تلك المجتمعات التي ارتبطت فيما بعد في صورة عالم منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي قدر من التوازن النسبي بين المواقف المناهضة ومشروع قومي مستقل. وكانت المواقف المناهضة موجهة بداية ضد بريطانيا. وهي تاريخيا أول مجتمع وأول اقتصاد أخذ طريقهما في الانطلاق. وطبيعي أن تطور كل لد من هذه البلدان اختلف عن الآخر من حيث التفاصيل وإن عبرنا عنه ف صياغة جديدة لعنوان كتاب كلاسيكي عن نظرية التطور الاجتماعي لمؤلفه "فريدريش ليست" "النظام القومي للاقتصاد السياسي". حيث يبرز هذا الكتاب المحتوى الثقافي لعمليات التطوير الاجتماعي ويعتبر البحث عن وسيلة للإفلات من التهميش أمرا في غاية الصعوبة. وهذه هي الخبرة التي تمثل أساسا لما يسمى "النزعة القومية التطويرية الثانوية" في جنوب غرب أوروبا، وجنوب أوروبا وشرق أوروبا وايرلندا وكذا في البلدان التي اعتدنا تسميتها العالم الثالث. ويمكن القول أن مثال إفريقيا يمثل إلى حد ما هذه الفئة. إن نجاح أو فشل النزعة القومية التطويرية الثانوية. أي مشروعات التطوير لفترة ما بعد الاستعمار هي أمور وثيقة الصلة التعقد الراهن للصراعات الثقافية.

III- ثالثا:

أدى الموقف بوضعه هذا –ظهور النزعة القومية التطويرية والتحديات التي ترتبت عن هذا الظهور– إلى اندلاع صراعات أساسية جديدة بشأن اتجاه المسار الذي يمكن أن يتجه إليه مشروع التطوير. ونلاحظ أن الاهتمام لا ينصب فقط على مسائل تافهة تتعلق بتغيرات شكلية طفيفة بل يتناول مسألة السلطة إجمالا والتي هي على المحك. وتتضاعف المشكلات بسبب تزايد المشكلات الاجتماعية الحاسمة التي لم تعد هناك أمل لحلها. ويمثل هذا الخليط الضخم والتنوع م المشكلات علامة ميلاد الرحلة الثالثة للنزعة القومية التطوير
TertiaryDevelopmentalNationalism كرد فعل إزاء فشل الشكل الثانوي ونقطة البدء في صيغ السياسة بصبغة ثقافية نضالية، ويبدو واضحا أن الأسباب التي تجعل من النزعة القومية التطويرية القوة الدافعة لإضفاء الطابع الثقافي على السياسة هو أنها ترمز إلى أزمة التطوير في مجملها. إذ أن بوسعها أن تظهر كرد فعل دفاعي ضد مؤثرات خارجية قوية، بل وطاغية ولكن يمكن ببساطة أيضا الانطلاق بها بدوافع مكيافيليةوإستراتيجية واضحة ووسائل مؤكدة للتأثير والتحكم.[313]

ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة على نطاق واسع. إذ نراها واضحة في الدول الإسلامية وبخاصة في المنطقة الإسلامية –العربية. وفي الهند، حيث القوى الهندية الخمس عشرة سنة الماضية. اندلعت حرب أهلية دموية في سيريلانكا بين السينغاليين،والناميل نتيجة المرحلة الثانية للنزعة القومية للتطوير.

تجري غالبية هذه الصراعات اليوم داخل دول، ونلاحظ أن بعضها أقل حدة وبعضها الآخر مفرط في متتاليته. ولكن الجميع به عناصر ثقافية. وتثير هذه النزاعات الأقليات التي تعاني من التمييز السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والتي ثارت ضد الغالبية من السكان وتخوض مقاومة من أجل الاستيعاب والتماثل السياسي.

ولماذا يؤدي التجانس الثقافي إلى تسهيل التعاون والترابط فيما بين الشعوب، بينما الخلافات الثقافية تعزز الانقسامات والصراع؟.

---

[313] المرجع نفسه، ص 161.

أولا: كل واحد لديه هويات متعددة والتي يمكن أن تتنافس مع بعها أو تقوي أو تقوي بعضها: هويات القرابة، الهويات الوظيفية أو المهنية، الثقافية والمؤسساتية، الهويات الإقليمية، التعليمية، الوطنية الإيديولوجية وغيرها.

التحديدات على بعد واحد ربما تتصادم مع الأخرى على بعد مختلف: في مسألة شائعة حول العمال الألمان سنة 1914 كان عليهم أن يختاروا بين هوياتهم الطبقية مع الدولية العمالية أو هويتهم الوطنية مع الشعب الألماني والإمبراطورية وقد أصبحت الهوية الثقافية في العالم المعاصر، ذات أهمية متزايدة بشكل قوي بالمقارنة بالأبعاد الأخرى للهوية.

عند أي بعد على حدة الهوية مادة تكون أكثر مغزى على مستوى الوجه –للوجه المباشر– الهويات الأضيق على الرغم من ذلك لا تتعارض بالضرورة مع تلك الأوسع. الضابط العسكري يمكن تعريفه مؤسسيا عن طريق السرية التي يتبعها ملابسه، شعبته وخدماته وبالمثل الفرد يمكن أن يعرف ثقافيا ن طريق عشيرته، جماعته العرقية، الجنسية، الدين والحضارة التي ينتمي إليها. إن السمة الثابتة المتزايدة للهوية الثقافية عند مستويات أدنى من الممكن أن تقوى جيدا سمتها الثابتة عند مستويات أعلى. وعلى نحو ما اقترح بيرك إن الحب نحو الكل لا يقضى عليه بهذه الجزئية الثانوية... أن تكون متعلقا بالفرع، أن تحب الجماعة الصغيرة ... التي تنتمي لها في المجتمع. هو أول مبدأ (الخلية على نحو ما كانت) للعواطف العامة... في عالم، حيث تكون الثقافة هامة، هذه الخلايا هي القبائل والجماعات العرقية، والأفواج هي الأمم، ووسائل الدفاع هي الحضارات.

إن المدى المتزايد لتمييز الشعوب في العالم لبعضها البعض عبر خطوط ثقافية يعني أن الصراعات بين الجماعات الثقافية تتزايد في أهميتها. الحضارات هي الكيانات الثقافية الأكثر اتساعا، وبالتالي فالصراعات بين الجماعات من حضارات مختلفة تصبح مركزية بالنسبة للسياسة العالمية.

ثانيا: إن السمة المتزايدة للهوية الثقافية هي إلى حد كبير على المستوى الفردي حيث يخلق الانفصال والاغتراب الحاجة إلى هويات ذات مغزى أكبر، وعلى المستوى الاجتماعي حيث المقدرات والقوة المتنامية للشعوب غير الغربية تنير إعادة إحياء الهويات والثقافة المحلية.

ثالثا: إن الهوية عند أي مستوى شخص قبلي، عنصري، حضاراتي تستطيع فقط أن تتحدد بعلاقتها ب"الآخر". شخص مختلف أو جنس أو حضارة مختلقة العلاقات بين الدول الكيانات الأخرى من نفس الحضارة قد اختلفت عن تلك العلاقات بين الدول أو الكيانات الأخرى من حضارات مختلفة. قواعد منفصلة تحكم السلوك نحو أولئك الذين "مثلنا" و"البرابرة" الذين ليسوا مثلنا.

إن قواعد دول العالم الغربي المسيحي في تعاملها مع بعضها البعض كانت مختلفة عن تلك المتبعة في تعاملها مع الأتراك وغيرهم من غير "المتمدنين". التعبير الحضاراتي"نحن" والتعبير الخارج عن إطاره "هم" ثابت في التاريخ الإنساني. هذه الاختلافات في السلوك ما بين الحضاراتي وخارج الحضاراتي ينبع من:

أ- مشاعر التفوق (وأحيانا التدني) نحو شعب يعتقد أنه مختلف جدا.

ب-الخوف من أو فقدان الثقة في ذلك الشعب.

ت-صعوبة التفاهم مع ذلك الشعب كنتيجة للاختلافات في اللغة وما ينظر إليه على أنه سلوك حضاري أو متمدن.

ث-فقدان التجانس فيما يتعلق بالمعتقدات والدوافع والعلاقات الاجتماعية والتصرفات الاجتماعية لشعب آخر.

في عالم اليوم التطورات في وسائل النقل والاتصال قد ولدت تفاعلات أكثر تكرارا وأكثر حدة وأكثر تناسقا وأكثر شمولا بين الشعوب من الحضارات المختلفة وكنتيجة فالهويات الحضاراتية تصبح بارزة بشكل متزايد. [314]

رابعا: إن مصادر الصراع بين الدول والجماعات من حضارات مختلفة هي إلى حد كبير تلك التي كانت دائما تولد الصراع بين الجماعات التحكم في الشعب، الإقليم، الثروة، الثقافة والقوة النسبية أي القدرة على فرض قيم وثقافة ومؤسسات مجموعة على مجموعة أخرى مقارنة بقدرة تلك الجماعات على عمل ذلك لها. الصراع بين الجماعات الثقافية على الرغم من ذلك. من الممكن أيضا أن يتضمن قضايا ثقافية، الاختلافات في الإيديولوجيا العلمانية بين الماركسية –

---

[314] صمويل هينتغتون، ترجمة مالك عبيد أبو شهيرة، محمود محمد خلف، مرجع سبق ذكره، صص 242، 244.

اللينينية الديمقراطية الليبيرالية كان من الممكن على الأقل أن يطرح للجدل إن لم يحل الاختلافات في المصلحة الاقتصادية يمكن أن يتفاوض حولها وغالبا ما تسوى بالتوفيق على نحو غير ممكن في القضايا الثقافية، الهندوس والمسلمون من غير المحتمل أن يحلو إشكالية ما إذا كان معد أو مسجد يجب أن يبنى في مدينة أيوديا. ببناء كليهما أو عدم بنا كليهما. أو مبني مشترك يكون معبدا و مسجدا معا. ولا كان بالإمكان حسم ما كان يبدو للوهلة الأولى أنه مسألة إقليمية (حدودية) بين المسلمين الألبان والأرثدوكس الضرب حول كوسوفو. أو بين اليهود والعرب حول القدس بسهولة. حيث أن كل مكان يحمل معنى تاريخيا وثقافيا وعاطفيا لكلا الشعبين التساؤلات الثقافية مثل هذه تتضمن نعم أو لا. خيار المعادلة الصفرية.

خامسا: والانتشار الدائم للصراع. إن البشر جبلوا على أن يكرهوا من أجل التحديد للهوية والحافز، فإن البشر في حاجة إلى أعداء: المنافسون في العمل والمنافسون في الإنجاز المعارضون في السياسة إنهم طبيعيا لا يثقون بهم ويرونهم أخطارا أولئك الذين يختلفون عنهم لديهم المقدرة على إيقاع الضرر بهم.

حلول صراع ما واختفاء عدو من الأعداء يولد قوى شخصية، واجتماعية وسياسية والتي تفسح المجال لبروز آخرين، الاتجاه "نحن" في مواجهة "هم" هو كما يقول "علي مزروعي": "في المجال السياسي تقريبا عالمي". في العالم المعاصر فإن "هم" تميل إلى أن تكون أكثر فأكثر من شعوب من حضارات مختلفة نهاية الحرب الباردة لم تكنه الصراع ولكن على العكس ساعدت على بروز هويات جديدة متجذرة في الثقافة ونماذج جديدة من الصراع فيما بين الجماعات من ثقافات مختلفة والتي عند أوسع مستوى لها هي الحضارات، وفي الوقت نفسه فالثقافة المشتركة أيضا تشجع على التعاون فيما بين الدول والجماعات التي تتقاسم نفس الثقافة. وبصفة خاصة في المجال الاقتصادي. [315]

1 المرجع نفسه ،صص 245،246.

المبحث الرابع:

البعد الإعلامي للصراع الثقافي في عصر العولمة

عندما قررت الو.م.أومن بعدها بريطانيا، الانسحاب من عضوية المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، لم يكن لأن مساهمة الو.م.أ في ميزانية اليونسكو قد أرهقت كامل المواطن الأمريكي. ولا لأن المنظمة تضم دولا لا تتبنى و.م. أ أنظمتها السياسية أو اختياراتها الإستراتيجية، كما أنها لم تنسحب من منظمة اليونسكو لأنها أبعدت من أعمال اللجنة المكلفة بدراسة مشاكل الإعلام والاتصال في العالم، أو لعدم رضاها عن المطالب الثقافية التي نادت بها دول العالم الثالث وتبنتها اليونسكو، ولكنها زمجرت عندما شكلت هذه المطالب الثقافية الخلفية الكبرى للمطالبة بضرورة إرساء نظام اقتصادي عالمي جديد.

وهو الطرح الذي رأى فيه التحالف الأنجلوساكسوني مسا خطيرا بقيم السوق والحرية الليبرالية الاقتصادية، خاصة وأن المدافعين عنه –أي الطرح– جاؤوا من العالم غير المنحاز، حيث الحريات لا تتعدى مستوى الخطاب...[316]

وعلى الرغم من أن "النظام العالمي الجديد" لم يكتمل تشكيله ولم تنجز هيكلته بعد، نظرا لنسبية استقرار مكوناته العضوية، فإنه قد خلق لنفسه نظاما إعلاميا برزت معالمه الأولى في تغطية حرب الخليج الثانية. موظفا في ذلك أقوى ما وصلت إليه تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وأثبتت الوقائع تهميشه الممنهج لمشاكل العالم وتشويهه الصارخ لقضاياه وتطلعاته المستقبلية.

وما يشد المتابع للتطورات العالمية التي واكبت خطاب "النظام العالمي الجديد" هو ملامحه التكنولوجية البارزة التي أهلت و.م.أ لاحتلال مركز الصدارة بامتياز في إعادة تشكيل بنية العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة.

ويوجز علي الدين هلال هذه الملامح في خمسة نقاط أساسية يعتبرها محورية لفهم انتقال العلاقات الدولية من نظام تقليدي إلى نظام جديد.

---

[316] يحيى اليحياوي: **في العولمة والتكنولوجيا والثقافة**،مرجع سبق ذكره، ص64.

الملمح الأول:

ويتمثل في الثورة الهائلة في وسائل الاتصال ونقل المعلومات وسرعة تداولها عبر الدول وما ترتب على ذلك من اختصار غير معهود للزمن والمسافات بين مختلف مناطق العالم. الأمر الذي جعل أفكارنا ومفاهيمنا عن الظواهر والأشياء تتأثر إلى حد كبير بالأحداث الجارية والتطورات المتلاحقة على امتداد هذا العالم... إلى الحد الذي حمل بعض المفكرين مثل "آلفين توفل" إلى التساؤل بشأن مدى قدرة الإنسان على التكيف مع هذه الدرجة غير المسبوقة من السرعة في تداعي الأحداث وتلاحقها.

الملمح الثاني:

ويتجلى في خاصية الثورة العلمية والتكنولوجية التي أغرقت المجتمعات بالسلع والأجهزة والمعدات ووسائل إنتاج وتوزيع واستهلاك العلم والمعرفة: "فإذا كان العالم قد انتظر ما يقرب من 1800 سنة حتى تبدأ الثورة الصناعية الأولى، وأنه لم يدخل في عصر الثورة الصناعية الثانية إلا بعد 100 سنة من ذلك التاريخ. واحتاج فقط إلى ما يزيد عن ربع قرن ليدخل عصر الثورة الصناعية الثالثة. إلا أنه أصبح اليوم وربما في أقل من 10 سنوات على مشارف ثورته الصناعية الرابعة.

الملمح الثالث:

يكمن في تزايد الاعتماد الدولي المتبادل، لا سيما مع تصاعد ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات، إذ أصبح من الشائع اليوم أن نجد العديد من المنتجات الصناعية (سيارات، أجهزة إلكترونية، حاسبات آلية...) يتم تجميع مكوناتها في أكثر من دولة. بحيث تقوم كل واحدة منها بالتركيز على / أو التخصص في صناعة هذه المكونات فقط.

الملمح الرابع:

ويستشرف من الخاصية العالمية (أو الكونية) للمشاكل الكبرى (كالتلوث والإرهاب والمجاعة... حيث لم يعد حلها "على النطاق الإقليمي لمجموعة من الدول، وإنما امتدت هذه الآثار وتلك النتائج إلى دول أخرى متباعدة جغرافيا.

الملمح الخامس:

ويرتبط بالتبدل الكبير الذي طرأ على مبدأ السيادة الوطنية بمفهومها القانوني التقليدي. بمعنى أن القضايا القومية (الإقليمية) أصبحت تتطلب لا معالجة فوق قومية فحسب. ولكن تدخلا مباشرا كالذي حدث في الصومال لإنقاذ شعبه من المجاعة، وخصص له شعارا "إعادة الأمل". وهو التدخل الذي بدئ بتمريره عبر مبدأ "التدخل الولي لإغراض إنسانية".[317]

– إن ميلاد وشيوع مصطلح "النظام العالمي الجديد" قد استمد مشروعيته من بروز عاملين أساسيين هما:

1– إنتهاء مرحلة القطبية الثنائية التي ميزت العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وذلك نتيجة انفجار الاتحاد السوفياتي كقطب وانتصار الأنظمة الليبرالية في الدول التابعة له (أوروبا الشرقية) وهو العامل الذي جعل و.م.أ القطب الأوحد الذي يحدد، على المستوى العسكري –على الأقل– طبيعة وتوجهات العلاقات الدولية.

2– اندلاع حرب الخليج الثانية في أعقاب ضم العراق الكويت إلى أراضيه، وإجباره بالقوة على الانسحاب منها في إطار تحالف غربي–عربي، ماليا وعسكريا وحتى معنويا. بحكم تبني الأمم المتحدة للطرح الأمريكي وشعار "عاصفة الصحراء".

وقد أصبح مصطلح "النظام العالمي الجديد" من أكثر المصطلحات التي لاقت ذيوعا في الأوساط السياسية والإعلامية، وحتى في الأوساط الأكاديمية وكتب عنه الكثير. وتعددت حوله الرؤى والتصورات والتقسيمات لدرجة التناقض والتضارب في وجوده من عدمه. وفي هيكله وبنيته وفي طبيعته ومحدداته.[318]

ويمكن القول أن هذا المصطلح "النظام العالمي الجديد" قد استخدمته دول العالم الثالث. كفلسفة للمطالبة بإعادة النظر في النظامين الإقتصادي والإعلامي السائدين في العلاقات الدولية. إلا أن التحولات العالمية الكبرى التي ميزت نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي (وصول غورباتشوف إلى السلطة، حرب الخليج الثانية، الطفرة التكنولوجية...) قد كيفته مع الواقع الدولي المستجد، وزادت من استخدامه في الخطاب السائد.

---

[317] المرجع نفسه، صص74،75.

[318] المرجع نفسه، صص 69، 70.

ولعل "غورباتشوف" كان من السادة الأوائل الذين طالبوا بصياغة رؤية جديدة للنظام العالمي والعلاقات الدولية مفادها "المطالبة بإقامة نظام دولي جديد يقوم على القيم الإنسانية العامة، وليس على المواجهات والصراعات الإيديولوجية وإعطاء الأولوية للتحديات المشتركة التي تواجه البشرية، مثل مشكلات البيئة والتلوث وغيرها. وتدعيم مجالات الحوار والتعاون الدولي، والاعتماد المتبادل بين الدول والمنظمات الدولية... وذلك لبناء مجتمع دولي أفضل وتجنب استخدام القوة لفض النزاعات بين الدول. وإحلال مبدأ توازن المصالح محل مبدأ توازن القوى. ووقف سباق التسلح على المستوى العالمي.وقبول مبدأ التعدد والاختلاف في الأنظمة السياسية والاجتماعية –والتنوع الثقافي– واحترام حق كل شعب في اختيار الطريق الذي يلائمه".

كما أن مشروع المفهوم ارتبط في جانب منه. بإدارة جورج بوش قبل وأثناء وبعد حرب الخليج الثانية؛ فعلى أساسه فوضت الأمم المتحدة الإدارة الأمريكية للتدخل باسمها. وفي ظله تشكل التحالف الدولي "من أجل تحرير الكويت" وتحت شعاره فرضت العقوبات الدولية على العراق...

وقال جورج بوش مباشرة بعد انتهاء حرب الخليج؛ إن النظام العالمي الجديد، لا يعني تنازلا عن سيادتنا الوطنية، أو .تخليا عن مصالحنا، إنه ينجر عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا، وهو يعبر عن وسائل جديدة للعمل مع الأمم الأخرى من أجل ردع العدوان تحقيق الاستقرار والازدهار... وفوق كل شيء تحقيق السلام. إنه ينبع من التطلع إلى عالم يقوم على التزام كل مشترك بين الأمم، كبارها وصغارها. بمجموعة من المبادئ التي يجب أن تستند إليها علاقاتنا ومنها: التسوية السلمية للنزاعات، والتضامن في وجه العدوان، وتخفيض ترسانة الأسلحة ومراقبتها. والتعامل العادل مع الشعوب... هذا العمل الذي يتسم بالقدرة على العمل المشترك اجتاز الامتحان الحقيقي في حرب الخليج.[319]

هذه الحرب التي يراها المهدي المنجرة "الحرب الحضارية الأولى" في كتابه "الجهاد في مواجهة عالم ماك" 1996 "Jihad Vs.Mc.World" يدرس "بنجامين باربر" عالمين متصارعين بالنسبة للبشرية: عالم الجهاد وعالم "ماك". الجهاد ينطوي على عملية إعادة القبيلة للعالم، بعبارة

---

[319] نفس المرجع، صص 70، 71.

أخرى يصبح عالما تسوده زياد مفرطة في الأصوليات والقوميات العرقية التي هي نقيض حقوق الإنسان الديمقراطية والحوار المفتوح ويطلق "باربر" على ذلك مصطلح "لبننة العالم" بمعنى أن تصبح هناك حالة في داخل القومية: الثقافة فيها ضد الثقافة وأناس ضد أناس وقبيلة ضدقبيلة. وتكون القومية العرقية في كل مكان "القوى التي اعتبرها والجهاد شيئا واحدا تحاول أن تعرف ما إذا كان يمكن أن تكون هناك صربيا أخرى.. كاثالونيا أخر..."المضي عل هذا المسار سوف يقضي على كل أشكال التعاون الاجتماعي ويدمر كل المشاعر والعواطف المتبادلة.

المستقبل الآخر "عالم ماك" Mc.World. يقوم على شبكات كونية من الرأسمالية الاستهلاكية، عالم تقوده تكنولوجيا الاتصال والثقافة الشعبية والنزعة التجارية التي تضم لاعبين رئيسيين مثل شبكة "CNN" و"ديزني" و "ماكنتوش" حيث التأكيد على الوجبات السريعة والكومبيوترات السريعة.. والحياة السريعة بشكل عام.

بعد المعلقين يلاحظون ذلك التشابه بين موديلات التسوق والمساحات المخصصة لأغراض معينة في ظاهرة أصبحت تعرف ب نمط "ديزني" لتسلية العملاء والترفيه عنهم، وبالمثل فإن تليفزيوناتها هي الوسيط الذي نتسلى عن طريقه، كما أنها وسيلة تواصل التسوق من خلالها وهذا واضح في زيادة عدد القنوات المخصصة لذلك. كما أننا مواجهون دائما بمطاعم الوجبات السريعة التي يعلن عنها قبل بدء عرض الأفلام السينمائية.

نتيجة لهذا التسليح الواسع الانتشار يصبح العالم مجرد "تجربة تسلية وتسوق" ضخمة، يتحول البشر أثناءها وتتغير أساليب حياتهم. والواقع أن التسوق أصبح شكلا من أشكال التعبير الشخصي والإستراء وربما يكون أهم جزء في العطل والإجازات.

وكما يشير كل من "ريتزر" Ritzer و Liska فإن الكنديين الذين يذهبون الآن إلى "مول وست إدمنتون" أكثر ممن يذهبون إلى "شلالات نيفارا"، هذا السلوك في رأي "باربر" يعتبر نقيضا للديمقراطية، حيث أن طاقتنا هنا تكون مكرسة لأنماط فردية من الاستهلاك. ولذلك نجده يقدم رؤيتين متنافرتين للعالم، واحدة تدعم فكرة التجانس الثقافي والثانية تسير ضدها. "الكوكب يتداعي ويلتئم على كره في اللحظة ذاتها"، ويتوقع صراعا مستمرا بين هاتين القوتين والقوتان بالنسبة له تفعلان الكثير لتشكيل حقبة العولمة... هكذا يكون "الجهاد" وعالم "ماك Mc" موجودين جنبا غلى جنب ف علاقة جدلية تنتج كل ما هو شاذ وعبثي:

يرى صمويل هنتغتون أن المصادر الرئيسية لصراع أثناء الحر الباردة كانت إيديولوجية واقتصادية بينما بعدها سيكون الصراع ثقافيا مع "صدام الحضارات" ومع التقاليد السائدة في السياسة الكونية على نحو أكثر تحديدا، يتصور "هنتغتون" أن مستقبل العالم سوف يتشكل من خلال تفاعل سبع أو ثماني حضارات رئيسية. الغربية واليابانية والكونفوشية والإسلامية والهندوسية والأرثوذكسية السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الإفريقية...

أهم صراعات المستقبل سوف تحدث على امتداد خطوط الصدع الفاصلة بين تلك الحضارات وبعضها، t عند "هينتغتون" هناك عدة نقاط اشتعال محتملة في آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط، وكثير منها يعتمد على التوترات بين الإسلام والغرب.

وهو بذلك يرفض طرح "فرانسيس فوكوياما" الذي يرى أن انتشار الرأسمالية يوصلنا إلى "نهاية التاريخ"، وبدل ذلك يرى "هينتغتون" أننا متجهون نحو عالم متعدد الحضارات تتصاعد فيها الفوارق والاختلافات ولا تتلاشى، يضاف إلى ذلك أن الفوارق الحضارية مقارنة بالانقسامات الإيديولوجية، لها جذور تاريخية عميقة. وعليه فهي مهمة وذات معنى بالنسبة لنا ولذلك كله فإن احتمالات الصراع في المستقبل تصبح قوية، كما يعتقد هينتغتون أن سبب نشأة ذلك، كون كثير من الموضوعات التي تصدر الأجندة العالمية قضايا بين الحضارات، مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والهجرة، وبينما بإمكاننا أن نغير إيديولوجيات السياسة لا نستطيع أن نغير "من نحن" وبالتحديد لا نستطيع أ نغير خلفيتنا الثقافية.[320]

العولمة في رأي "هينتغتون" تفاقم صدام الحضارات، لأن التفاعل الثقافي المتزايد عن عمليات العولمة المعاصرة يجعلنا أكثر وعيا بما بيننا من فروق واختلافات. وهو يجادل بأن "قوى التكامل في العالم حقيقية، وهي بالتحديد ما يولد قوى مضادة للتوكيد الثقافي والوعي الحضاري، والعولمة حسبه تقوي الانشقاقات الحضارية "الحروب تحدث في معظم الأحيان بين مجتمعات ذات مستويات عالية من التفاعل، والتفاعل عادة يقوي الهويات الموجودة، وينتج مقاومة وردود فعل ومواجهة".[321]

---

[320] بول هوبر ،ترجمة طلعت الشايب ، مرجع سبق ذكره، ص ص183،182.

[1] المرجع نفسه ، ص 183.

على الرغم من التأكيد على أن عملية إضفاء الكوني على ما هو محلي. فإن هذا لا يعني بالضرورة أن المواجهة (الصراع) بين الكوني والمحلي متكافئة. الثقافات الأصلية في الأساس مستجيبة، وهي تتكيف مع المؤثرات الأجنبية، والحقيقة لن تكون هناك ديناميكية كونية/محلية دون المزيد من القوى الخارجية مثل المؤسسات متعددة الجنسيات التي تصنع تدفقات ثقافية، وتدعم مثل تلك المواجهات.

ولكي نؤكد موضوع القوة هذا في علاقته بالمواجهة الكونية –المحلية، ينبغي عدم إغفال إمكانية وجود البنى المسطرة التي تشكل طبيعة هذا التفاعل، حيث نجد أن المبادئ لرأسمالية هي التي تحفز المؤسسات متعددة الجنسيات والعابرة للحدود القومية لتأسيس شركات ومنافذ في أنحاء مختلفة من العالم، بالإضافة إلى توجيهها لكي تتكيف مع الأسواق المحلية، والحقيقة أن المؤسسات متعددة الجنسيات وجدت أن توجهها في تعاملاتها نحو المحلي هو أكثر الطرق كفاءة لزيادة أرباحها.

– يعتبر صامويل هينتغتون الحضارة على أنها "كيان شمولي جوهراني ذو خصائص ومكونات ثابتة متجذرة في التاريخ والتراث والثقافة، وذات تمايزات واختلافات واضحة عن باقي الكيانات الحضارية وبالتالي فإن الحضارة تشكل أقوى الهويات، وقاعدة الاختلاف الجوهرية بين البشر في النظر إلى الأشياء والحكم عليها، وهذا ما يجعل هينتغتون يعتقد أن الثقافة هدف يموت الإنسان من أجله".

وتكمن فرضية هينتغتون على الفكرة القائمة على أننا في طور جديد من السياسة العالمية، ستكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيسي للانقسامات الكبرى بين الشعوب والمصدر المسيطر السائد للصراع الدولي. حيث يؤكد بروز الهوية الثقافية في عصرنا الحاضر كفاعل أساسي سيهيكل الصراع الدولي. وبالتالي فإن ظاهرة التصادم بين الحضارات ستحل محل الحرب الباردة باعتبارها الظاهرة المركزية للتفاعل التصارعي العالمي.

" الفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافة، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وستظل الدول/الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها

حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ذلك أن الخطو الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل".

إذن نحن أمام حقبة جديدة لن تكون فيها الدولة القومية محط الاهتمام، وإن كانت ستبقى كوجود رئيسي على المسرح العالمي، وذلك لأن الناس أصبحوا يميلون للاندماج في كينونة أكبر من دولهم الصغيرة فالألمان مثلا أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم كأوروبيين أكثر منهم كألمان.[322]

وهكذا يقلل هينتغتون من دور الدولة ليضع محلها الحضارة ككيان سياسي متماسكسيهيمن على مسار السياسة الدولية. ويقول في هذا المجال "إن الدول اليوم أزالت مشاكل الفاعل الأساسي في الساحة الدولية، لكن لا بد من إدراك أن تجمعات الدول لم تعد تتشكل في إطار الكتل الثلاثة للحرب الباردة (الشرق، الغرب، العالم الثالث). بل أنها تتطور في ظل تجمعات ثقافية كبرى تتمحور حول سبع أو ثمان حضارات".

ويعتقد أن الصراع بين الحضارات سيكون آخر نمط وحلقة في تطور الصراعات العالمية فيعد أن عرف العالم الغربي مع الثورة الفرنسية نهاية الصراعات بين الأمراء والأباطرة والملوك، انتقلت الصراعات للتخدم الفاصلة بين الأمم، لكن مع بداية القرن العشرين وبالضبط مع الثورة الروسية 1917، تحول الصراع إلى صراع بين الإيديولوجيات والذي استمر حتى نهاية الحرب الباردة. وكان القاسم المشترك بين كل الصراعات السابقة هو كونها صراعات داخل الحضارة الغربية، أما بعد الحرب الباردة فإن السياسة الدولية ستتحرك إلى خارج العالم الغربي لتصبح نتاجا للتفاعل بين الغرب وحضارات غير غربية... لذلك فإنه في فترة ما بعد الحرب الباردة. الاعتبارات الثقافية هي التي تحدد التحالفات أكثر من العوامل الإقتصادية والإيديولوجية وبالتالي فإن المفاهيم التقليدية المنظمة للتوازن العالمي، ستترك مكانا لمفهوم التضامن بين البلدان المنتمية إلى الحضارة نفسها، وهذا ما يسميه هينتغتون ب "تعبئة الحضارات" أو الانتماء المشترك للحضارة. والذي ينتج عنه سياسة الكيل بمكيالين،أي التعامل مع البلدان ذات القرابة الثقافية بمقاييس تختلف تماما عن المقاييس التي يتم التعامل بها مع البلدان الأخرى.[323]

---

[322] صمويل هينتغتون، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة مرجع سبق ذكره، صص 18,17.

[2] المرجع نفسه، ص 20.

وإذا كانت مرحلة الحرب الباردة قد سمحت بفتح المجال للانحياز الإيديولوجي الإرادي لأحد المعسكرين، فإن الأمر لم يكن ممكنا أبدا الآن.

"مرحلة ما بعد الحرب الباردة تؤكد بشكل واضح أن الانقسامات الجوهرية بين الأفراد ليست ذات طبيعة إيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية، بل ثقافية. العالم معرض لأزمة هوية شاملة حيث كل الشعوب والمم تسعى للإجابة على السؤال: من نحن؟ ويجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم، أجدادهم، دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم. وبالتحامهم في جماعات ثقافية في شكل عشيرة، مجموعة إثنية، أمة، وأخيرا على شك حضارة".

من هنا فإن الانتماء الحضاري يشكل العالم الجديد من خلال التفاعل بين عدة حضارات. وهذا سيؤدي إلى تبلور صراعات ستأخذ في صورتها العامة شكل صراع بين الغرب وباقي العالم.

ومن المرجح أن تفاعلات الصراع في العالم ستتحدد وفقا لطبيعة استجابات وردود فعل الحضارات غير الغربية على القوة العسكرية والقيمية الكاسحة للغرب وتتخذ هذه الردود ثلاثة أشكال.

- **الانغلاق:** ويعني الاكتفاء الذاتي والعزلة عن الغرب (بورما، كوريا الشمالية).
- **الاندماج:** أي الانضمام إلى الغرب وتبني قيمه ومؤسساته والمشاركة في المجمع الدولي.
- **محاولة موازنة الغرب:** ببناء قوة عسكرة واقتصادية كفيلة بتحقيق التكافؤ مع الغرب، مع نهج سياسة تعاونية مع الحضارات غير الغربية الأخرى، قصد التحالف ضد الغرب، وسياسة ثقافية مستقلة قائمة على الحفاظ على القيم والمؤسسات والخصوصيات الثقافية المحلية وهذا ما يعبر عنه "هينتغتون" ب..."التحديث من دون التغريب" ويمكن أن يكون رد فعل عبارة عن تمزق حضاري وهذا ما يسميه "هينتغتون" بظاهرة "البلدان الممزقة" ويعني بالتمزق عدم الحسم في تشكيل هوية وطبيعة الانتماء الحضاري عند بعض الدول التي تبقى مترددة وممزقة بين اختيارين ثقافيين كليهما مصيري بالنسبة لها. وهذا هو شأن تركيا بين جذورها التاريخية والثقافية وطموحاتها الجيوسياسية وبين ولائها واندماجها في الحضارة الغربية وروسيا بين الترويس La Russitiation والعودة لقيادة مشعل الحضارة السلافية الأرثودكسية، ودعاة التغريب والاندماج في الحضارة الغربية والأمر نفسه يقال عن المكسيك المحتارة بين امتدادها التاريخي الأمريكي

اللاتيني وبين انبهارها بالنموذج الأمريكي الشمالي، وكذا عن استراليا بين تراثها الثقافي الغربي وطموحها للاندماج مع المجتمعات الآسيوية المتقدمة.

وعدم الحسم في الهوية الثقافية لمجتمع من المجتمعات قد يؤدي في حدوده القصوى إلى نوع من "الانفصام الثقافي" La schizophrénie culturelle

فالثقافة أصبحت عنصر قوة ووحدة وتماسك، ووحدها الدول والمجموعات ذات الانسجام والتماسك الثقافي تستطيع ضمان مواقع سياسية واقتصادية طلائعية.

"إن عدد كبير من القيادات السياسية ستحدث اليوم عن الوحدات الثقافية التي تخترق الحدود: "صربيا الكبرى، الصين الكبرى، أزربيجان الكبرى، ألبانيا الكبرى... أما المجتمعات التي وحدتها الإيديولوجيات أو إرادة التاريخ المنقسمة حضاريا فمصيرها سيكون إما الانفجار (الاتحاد السوفياتي يوغوسلافيا) أو الخضوع لضغوطات خانقة (أوكرانيا، الجزائر، السودان، الهند...) وحسب فرضية "هينتغتون" فالعالم سيطبعه انبعاث مستمر لثقافات وقوى حضارية غير غربية ستنازع الغرب في قوته وهمته على العالم.[324]

[324] عمر سعدى، مرجع سبق ذكره،صص 28، 29.

الفصل الثانـي

المبحث الأول:

مفهوم الهيمنة الثقافية وطبيعتها

..لقد ارتبط مفهوم العولمة بمفهوم الاعتماد المتبادل، وهناك من يرى أن العولمة الثقافية "تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونيا، يتوجب تبنيه وتقليده، وقد استفادت من التطور الهائل السريع الحاصل في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى".

ويمكن القول أيضا أنها "توحيد القيم حول المرأة والأسرة، وحول الرغبة والحاجة، وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكل والملبس، إنها توحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات والآخر، وإلى القيم وإلى كل كما يعبر عنها كسلوك وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة إلى توحيدها".[325]

أما الأصوليون والوطنيون والراديكاليون والخصوصيون، فيتفقون على القول إن العولمة الثقافية إمبريالية ثقافية تسعى إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصياته، وفرض النموذج الثقافي الغربي على شعوب الأرض قاطبة، فالكونية المستقبلية التي تسعى العولمة إليها ما هي في نظرهم إلا كونية استعمارية كاذبة، لا تحترم الإنسان ولا تحافظ على جذوره وحضارته وموارده وتجاربه وثقافاته".

ولعل ما يزيد عولمة الثقافة تأثيرا ، هو أن عولمة الاقتصاد والسياسة ونظم الحكم والإعلام والتكنولوجيا تقضي كلها إلى عولمة الثقافة التي يراد لها أن تصبح نموذجا فكريا وحيدا ترتكز في العقول والضمائر، والأشرطة المتلفزة، وأشرطة الفيديو، أو ذلك الذي تبثه قنوات الفضاء، وتطرق به البيوت وتقتحم الأسر وتقدمه كإحدى وسائل الإيضاح التربوي المعاصر".

يقول الباحث "عبد الإله بلقيز" إن السيطرة الثقافية القريبة تنطوي على علاقة أخرى من السيطرة، تجعل ثقافات غربية عديدة في موقع تبعي لثقافة تتحدد أحكامها على امتداد سائر العالم، أما هذه السيطرة التي تعني، فهي التي يمكننا التعبير عنها بعبارة الأمركة، والعولمة هي الاسم الحركي لها".

والأمركة كما هو معلوم هدف قديم من أهداف و.م.أ حيث صرح "ألبرت بفريدج" عضو مجلس الشيوخ الأمريكي منذ مطلع القرن العشرين قائلا "إن هدفنا أمركة العالم كله".

---

[1] يحي اليحياوي : في العولمة والتكنولوجيا والثقافة ،مرجع سبق ذكره، ص190.

ويمكن ذكر بعض الأهداف للهيمنة الثقافية في النقاط التالية:

1- تطويق الإبداع الفني والأدبي لدى الشعوب ذات الهويات الثقافية بإغراقه في تسويق صناعاتها وإنتاجها، ففي قلب الصناعة الترفيهية- الأفلام والموسيقى والتلفاز مثلا-. تجد سيطرة متزايدة لمنتجات و.م.أ ومع أن الهند تنتج أكبر عدد من الأفلام سنويا فإن هوليوود تصل إلى كل سوق، بحيث تحصل على أكثر من 50./. من إيراداتها من الخارج.

2- تهميش الثقافة الوطنية واللغة القومية، بفرض لغة وثقافة القطب الاقتصادي الذي ينتج وحده ويفرض لغته وطريقته عبر وسائل الاتصال والتواصل وحده.

3- تقليص العلاقة الحميمية بين المثقفين وبين الخبرة المباشرة بعملة بعمله وبالحياة من حوله فعولمة الإعلام تقدم للمتعلم وللمثقف كل ما كان يختبره بنفسه تقدما جاهزا موثقا، فتغنيه عن الانتقال في الزمان والمكان، وعن معاناة تطوير خبرته الجمالية والاستدلالية، فيصبح تلقيه للمعارف والخبرات تلقيا آليا تمهيدا لجعل إنسان المستقبل نسخا متكررة، تفكر وتتذوق وتستدل بطريقة شبه موحدة.

4- السيطرة على وسائل الدعاية والإعلام، وبث ونشر الأفكار الهدامة المعادلة لأماني الأمم، والشعوب لخلق وتثقيف أجيال، تكون منسلخة عن جذورها وتراثها وأخلاقها من خلال السيطرة على الفضاء إعلاميا، وغزوه وامتلاك وسائل التحكم به.

ويمكن تحديد بعض المخاطر والسلبيات الهيمنة الثقافية في النقاط التالية:

1. انعدام الأمن الثقافي: [326]

حيث يتجاوز مفهوم الأمن قضية الأمن الدفاعي -على أهميتها- ليشمل قضايا متنوعة، اقتصادية واجتماعية وثقافية، ترتبط بحياة الدول والجماعات البشرية، كما تتناول محددات الأمن: أمن الدولة وأمن المواطن معا، إذ لم يعد يقتصر الأمن على الدفاع عن أرض الدولة واستقرارها في مواجهة الضغوط والتهديدات الخارجية وإنما بات يشمل أمن المواطن الفرد في الدفاع عن خياراته ومقومات حياته على اختلاف أنواعها.

---

(1) عدنان السيد حسن : **متطلبات الامن الثقافي العربي ،الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل**،مرجع سبق ذكره، ص 300.

ويندرج الأمن الثقافي في عداد المقومات والمحددات الأمنية بمعناها الشامل إنه أمن الثقافة الوطنية والقومية التي يعبر عن مجموع الناس، وأمن المثقف الذي يجسد محتوى هذه الثقافة وهويتها ويسعى إلى تطويرها وإغنائها. [327]

وهناك من يعرفه على أنه يمثل السيادة الثقافية للدولة.

وقد أصبح معروفا أن العولمة تفتح حياة الناس للثقافة وكل ما تنطوي عليه من إبداع، وتدفق الأفكار والمعرفة ولكن الثقافة الجديدة التي ينقلها توسع الأسواق العالمية الجديدة، تدعو إلى القلق، ذلك أن تدفق الثقافة غير متوازن وترجع كفته بشدة في اتجاه واحد، والسلع عديمة الوزن– ذات المحتوى المعرفي العالمي بدلا من المحتوى المادي– تشكل الآن بعضا من أكبر القطاعات دينامية في أكثر اقتصادات العالم تقدما، فأكبر صناعة تصديرية منفردة في و.م.أ ليست الطائرات أو السيارات، بل هي الترفيه، فقد حصدت أفلام "هوليود" أكثر من 30 بليون دولار على نطاق العالم في العام 1997. [328]

وكما هو معروف لدى الباحثين في العلوم السياسية ،والقانون الدولي أن الدولة القومية كانت حديثة النشأة نسبيا، وأركانها هي الشعب، والإقليم والحكومة والسيادة، وهناك من الدارسين من يعتبر السيادة أكثر الأركان أهمية حيث تدخل الدول في صراع مع بعضها البعض في حال تعرض سيادتها للانتهاك من أي طرف خارجي أو داخلي. [329]

وجاء في تعريف السيادة بأنها "السلطة العليا التي تمتلكها أعلى هيئة في الدولة تمارسها باستقلال محدد عن كل سلطة أخرى داخلية أو خارجية". وتعني من الناحية القانونية" حق الدولة في التحكم بإقليمها بكل مشتملا ته دون الخضوع لسيادة من نفس طبيعتها". وإذا كانت ثقافة الدولة وهويتها الثقافية جزء من كيان الدولة وسيادته، إذ أنه الوعاء الجغرافي السياسي الذي تعبأ فيه ثقافة مجتمعه ما فتصبح ثقافة وطنية.

---

[327] المرجع نفسه ,ص320.

[328] بشرى محمود الزوبعي: **العولمة الثقافية المخاطر وأساليب المواجهة ،التواصل والتثاقف**، مرجع سبق ذكره،ص ص14،142.

[329] باسم علي خريسان وآخرون: **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي الكويت، ط 1 ،2001، ص120.

والدولة القومية هي فقط التي لها السيادة على ثقافتها وأي تدخل خارجي يمس خصوصيتها الثقافية هـ تهديد لأمنها الثقافي واختراق لسيادتها عموما وسيادتها الثقافية بشكل خاص، وهذا ما لا تسمح به الدولة القومية.

لكن مع ظهور العولمة برز ذلك الجدل الفكري حول الحظر والتحدي الذي تفرضه العولمة على السيادة الثقافية للدولة القومية[330].وعلى أمنها الثقافي الثقافي، فإذا كانت الدولة القومية وليدة الثورة الصناعية الأولى، ونتيجة لفصل الدين عن الدولة فإن العولمة وليدة الثورة المعلوماتية ونتيجة لفصل الأمة عن الدولة وبالتالي فصل لثقافة الأمة عن السيطرة التامة للدولة بحيث أصبح للآخرين أيضا تأثيرا عليها.

وهذا ناتج أساسا عن العولمة التي لا تعترف بالحدود، ومثلما تدعو إلى سوق بلا حدود في الجانب الاقتصادي، تدعو أيضا إلى ثقافة بلا حدود، وبفضل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، أصبحت الشبكات الجديدة للاتصال الدولي مترابطة بصفة متزايدة، وهي بذلك تتجاوز الحدود وتتخطاها بسهولة لا مثيل لها وهذا الذي يمثل التحدي (–الخطر–) الكبير على السيادة الثقافية للدولة، وقد أدى هذا الوضع للدعوة إلى إعادة النظر بالمفهوم التقليدي للسيادة، على أن أخطر ما تحمله ثورة الإعلام والاتصال هو فقدان الاستقلال الذاتي والهوية الثقافية للبلدان والأشخاص، وإذا كان مفهوم السيادة قابلا للنقاش من حيث ضرورة تغير مفهومه التقليدي لمصلحة جماعة دولية، فإن ثورة الاتصال ستطيح بحق من أقدس حقوق الشعب وهو الحفاظ على هويته الثقافية وحقه في الاختلاف الذي يعطيه شعور بالكرامة والعزة.

ولعل ما يزيد الهيمنة الثقافية، خطورة على السيادة الثقافية للدول هو سيطرة الو.م.أ على وسائل نشر هذه الثقافة، وسيطرة النمط الأمريكي على العالم، فعلى سبيل المثال فإن 80./. من واردات صناديق التذاكر في دور السينما البريطانية تأتي من عرض أشرطة أمريكية، ونسبتها في فرنسا تبلغ 60./. وتصل نسبتها في ثلاث دول أوروبية شرقية إلى 90./. وهي التشيك وبولونيا وهنغاريا، وكما تشير الإحصائيات أن الناتج السينمائي الأمريكي كان يبلغ سنة 1944 60./. من الإنتاج العالمي، وقفز سنة 1985 إلى 76./. ومن المِؤكد أن هذه النسبة قد تنامت طيلة

---

[330]باسم علي خريسانواخرون،نفس المرجع السابق، ص 140.

الأربع عشرة سنة الأخيرة لدى يسعى القادة الأمريكان إلى تعميم الثقافة الشعبية الأمريكية على الشعوب والأمم الأخرى بمختلف السبل. [331]

وهذا ما أشار إليه مستشار الأمن القومي الأمريكي "بريجزسكي" في عهد الرئيس السابق "جيمي كارتر" بقوله:" إن على الو.م.أ وهي تمتلك هذه النسبة الكبيرة من السيطرة على الإعلام الدولي، وأن تقدم للعالم أجمع نموذجا كونيا للأمركة، بمعنى نشر القيم والمبادئ الأمريكية". [332]

وانطلاقا من هذه المتغيرات، ومظاهر أخرى مشابهة، يطلق البعض على مثل هذه الممارسات "الثقافية" صفة الغزو الثقافي الذي يعد نشاطا من أشكال التهديد للأمن الثقافي ومظهرا من مظاهر تهديد السيادة الثقافية للدولة الأمة، ويمكن القول بأن

الغزو الثقافي: اقترن بفترة الهيمنة الأوروبية على العالم ليعبر عن "محاولة من مجتمع ما لفرض قيمه القاموس السياسي حديثا– معبرا– بذلك عن الوعي السياسي للشعوب المتحررة، وإيمانها بدور الثقافة دعامة لبناء اجتماعي حيوي أصيل، و متحدد، ولابد من الإشارة إن هذا المصطلح هو على مجتمع آخر بالقوة "وهذا المصطلح قد تحدد مضمونه في ضوء انجازات العلوم الإنسانية –ودخل مصطلح تقريبي ليعطي معناه المحدد، والمطلوب، رغم أنه ليس هنالك في الواقع غزو فكري تام، بالمعنى المعروف لكلمة غزو– والذي يعني الهجوم الإكتساحي، وفي أغل الأحيان يتم الغزو الفكري بصورة اختراق أو تسلل.

يتمثل هذا المفهوم في الدور الذي قامت به القوى الاستعمارية التقليدية مثل بريطانيا وفرنسا، وإيطاليا في تحطيم الثقافة العربية واللغة القومية، ومحاولة إلغاء الثقافة العربية، وضمان استمرار الوجود الاستعماري فيها، ويرى –عبد الباسط عبد المعطي– أن هذا التعبير جاء قاصرا ومختزلا، لأنه عين المبتدأ، وهو الغزو، وترك الخبر ضمنيا، مع إشارة رمزية إلى الفاعل من دون اهتمام بالفعل والمفعول به، ويرى البعض أن هذا التعبير يراد به تبرئة الذات، وتحميل الآخرين مسؤولية الهجوم من دون إعطاء أهمية للعوامل الداخلية التي مهدت لعملية الغزو، وسهلت نجاحه ويشير مفهوم الغزو إلى الطابع الحركي الذي يظهر استمرار الآليات التي تحقق السيطرة، وامتداد فاعليتها وكذلك قوة التغلغل الثقافي وكثافته مع فقدان المجتمع المغزو للقدرة على

---

[331] المرجع نفسه، ص140.

[332] ريتشارد نيكسون، ترجمة، عبد الحكيم أبو غزالة : **نصر بلا حرب**، مؤسسة الاهرام للنشر، القاهرة، 1988 ،ص، 156.

استيعاب الغزو، والسيطرة عليه، نتيجة ما أصاب هذا المجتمع من تدمير لحضارته، واستلاب لثقافته، بحيث وقف جامدا، ومستسلما للتغيرات التي تحدث داخله. [333]

عندما تلتحق الثقافة بالعولمة، يتبادر إلى الذهن كلمات جديدة أصبحت تتردد كثيرا في المؤتمرات والندوات العلمية، مثل (الأمركة) أي تعميم النموذج الأمريكي للحياة، والسلعنة أي تعميم قيم السوق على الفعاليات الثقافية، أو ما يربط بين أعضاء مجتمع واحد ويجعل منهم جماعة متفاعلة ومتواصلة.

فهل يؤدي إلى الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادية والثقافية والإعلامية إلى السيطرة الأحادية للو.م.أ أم يقود بالعكس إلى تطوير وتعميق التعددية الثقافية.

ليس التفكير في العلاقات بين الثقافات موضوعا جديدا على النقاش العلمي والإيديولوجي العالمي، فقد صاغت الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع الثقافي مفاهيم عديدة وقوية لفهم الآليات التي تحكم صراع الثقافات أو تفاعلها.

ومن هذه المفاهيم: مفهوم التثاقف، ومفهوم الإستيلاب، وعلى هامش هذين المفهومين العلميين، تكاثرت الأبحاث التي تتحدث عن الهيمنة الثقافية، الغزو الثقافي فهل تدخل الآثار التي ستتركها العولمة على الثقافات البشرية في إطار هذه المفاهيم المتداولة، أم أنها تحتاج إلى تطوير مفاهيم جديدة أكثر ملائمة للأوضاع الناشئة عن دمج العالم إعلاميا واتصاليا، وأكثر فاعلية في فهم مستقبل العلاقات بين هذه الثقافات.

العولمة ليست نظاما عالميا للحياة، نشأ نتيجة تفاعل طبيعي للثقافات العالمية، ولكنه نظام جديد من العلاقات بين الثقافات، كما هو الحال بين الجماعات والدول والأسواق نشأ في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية، إنه يعكس هذه الهيمنة في بنيته العميقة، ويكرس الموقع المتميز للو.م.أ بقدر ما يعكس المشاركة الرئيسية للرأسمالية الأمريكية في ثورة المعلومات، وتلعب هذه الهيمنة بما يلحقها من تطورات تقنية، ونبذاتجيواستراتيجية، تعمل على تقريب المسافات وتوحيد أنماط الحياة المادية والفكرية، دورا أساسيا في دمج الدوائر الثقافية

---

[333] محمد أمين العالم وآخرون: **الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003، بيروت، ص161، 162.

المختلفة، وإنشاء فضاء ثقافي مشترك أو قائم فوق الثقافات القومية، يسمح لمنتجات الثقافة الأمريكية أن تروج وتنافس منتجات الثقافات الأخرى إلى حد كبير.

العولمة تعني إذن بالضرورة الأمركة إذا فهمنا من الأمركة إذا فهمنا من الأمركة أرجحية المساهمة الأمريكية في الإنتاج الثقافي، المادي والمعنوي الذي يملأ الفضاء العالمي الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات، لكن لا إذا فهمنا من الأمركة تحويل ثقافات الشعوب والطبقات جميعا إلى ثقافة أمريكية، أو تعميم القيم الأمريكية على جميع شعوب العالم.

والذين يتحدثون عن الأمركة، يتصدون في الواقع ما يمكن أن يؤدي إليه الانتشار الواسع لمنتجات الثقافة الأمريكية، وليس بالضرورة للثقافة –من آثار– مخربة على الهوية القومية أو المحلية الخاصة بالجماعات البشرية المختلفة. [334]

ليست العولمة هي المنشئة لسيطرة ثقافة على ثقافة أخرى، ولكنها منشئة لنمط جديد من السيطرة الثقافية، وليس للثقافات الأخرى أي مستقل بالفعل إلا إذا أدرك أصحابها طبيعة هذا النمط الجديد من السيطرة الثقافية وآلياته، وبلوروا الإستراتيجيات المناسبة التي لثقافاتهم أن تبقى على مستوى المشاركة العالمية الإبداعية والانتقال إلى مجرد ثقافات حرية.

تتبع أهمية مفهوم الهوية الثقافية من واقع أنه لا يمكن أن جماعة مستقلة أي ذات إرادة ووعي مستقلين، ينجم عنهما ممارسة تاريخية مستقلة أيضا أو مشروع جماعي، من دون موارد ثقافية متميزة – فإذا فقدت الجماعة تميزها الثقافي أي مواردها الثقافية الخاصة التي لا يشاركها فيها غيرها، فقدت هويتها كجماعة مستقلة واندمجت في غيرها، من خلال تمثل ثقافة أخرى، أو بالخضوع العملي لها مع الاحتفاظ بملامح ثقافية متكلسة لا تتفاعل مع البيئة، ولكنها تعكس انتماءات تاريخية.

هذا هو ما يمكن أن نسميه (القانون الأول) في الاجتماعات الثقافية فهو الذي يفسر استمرار الثقافات الخاصة، والتمسك بالخصوصيات، والصراع الفعلي الواعي وغير الواعي للحفاظ على هذه الخصوصيات لدى الجماعات المختلفة.

–القانون الثاني:

---

[334] برهان غليون، سمير أمين: **ثقافة العولمة، وعولمة الثقافة**، دار الفكر، الطبعة الثانية،سوريا، 2002، صص 44، 47.

لا توجد ثقافة مستقلة كليا عن الثقافات الأخرى، إن الثقافات توجد بالضرورة في حقل تفاعل يحدد فيما بينها علاقات هيمنة وخضوع على درجات متباينة ومتفاوتة، حسب الثقافات وميادين الإبداع، والنشاط الثقافي المختلفة، فقد تكون الهيمنة كاملة وساحقة، وقد تكون سطحية ونسبية، وقد تتركز في الميادين العلمية والتقنية، وقد تحتل ميادين أدبية، ودينية، وأخلاقية، وفنية، ولغوية.

-القانون الثالث:

الثقافة المسيطرة لا تحتل موقعها المتفوق بسبب تفوق منظومات قيمها الأخلاقية أو دينية أو الفنية، ولكن لأنها ثقافة المجتمعات المسيطرة: إنها نتيجة للسيطرة المادية التي أثبتت استمراريتها النسبية، سواء أكانت عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو جميعها معا، وهذا يعني أيضا أنه ليس لهذه السيطرة أي مضمون أخلاقي أو أنطلوجي متميز بيد أن هذه المساواة الأخلاقية الأصلية بين الثقافات لا تعني أن جميع الثقافات ذات قدرات، وإمكانيات، وحظوظ في البقاء متساوية.

-القانون الرابع:

السيطرة الثقافية لا تعني في كل الحالات، وعند كل الثقافات الخاضعة، سلب الثقافات الأخرى اتساعها الداخلي، وقدراتها الإبداعية، فبإمكان الثقافات، أو كثير منها بلورة استراتيجيات فعالة للحد من هذه السيطرة، أو الالتفاف عليها، أو التعامل معها بطريقة تسمح لها بالاستمرار في البقاء والصراع، كما هو الحال اليوم بالنسبة للثقافات الأوروبية في مواجهة الثقافة الأمريكية، فالثقافات منظومات شديدة التركيب، وقادرة بالتالي على الحركة، والتكيف والتأقلم والتجدد باستمرار، بقدر ما هي قادرة على التوليف والترقيع أيضا

لكن من الممكن أيضا- عند غياب استراتيجية فعالة لمقاومة -الآثار السلبية للسيطرة- أن يحصل استسلام وتسليم من قبل الثقافات التابعة، يقود إلى تخليها عن قيمها، وعناصرها الخاصة لتبني قيم وعناصر الثقافة المسيطرة، أو الثقافات الأخرى السائدة. [335]

---

[335] المرجع نفسه ، ص ص51، 52.

فمن الممكن للثقافات التابعة أن تفقد السيطرة على العديد من النظم المكونة لكل ثقافة حية، كالنظم الرمزية الضرورية للتواصل، مثل الألسنة واللغات واللهجات والنظم المعيارية الضرورية لتحديد الأولويات والأفضليات في أي مجتمع، ونظم إنتاج المعنى، أي ما يقدم أساسا للحياة، ولصلاحية أعمال الإنسان وسلوكه عامة، ومن الممكن كذلك أن تحتفظ الثقافة التابعة بنفسها حية داخل نظم أخرى، لغوية مثلا أو أسطورية معنوية.

والمقصود أن السيطرة الثقافية هي سيطرة تاريخية، أي أنها تخضع لصراعات وتوازنات متغيرة، ومن الصعب أن تكون حاسمة وثابتة ونهائية، وأي تغير في موازين القوى يفتح فرص إعادة بناء الثقافة على أسس جديدة، كما حصل في القرن التاسع عشر للثقافة العربية، التي كانت الثقافة الكسموبولينية الإسلامية قد خفضتها إلى مستوى الثقافة الإثنية، وبعكس أشكال السيطرة الأخرى، ليس من التأكد تمامامن آيات السيطرة الثقافية، فالاحتفاظ بالاعتقادات والعادات مكبوتة أو سرية، والتوليف الدائم بين منظومات القيم والأفكار والقدرة على تعايش المنظومات المنتمية إلى ثقافات وأجيال متباينة، كلها آليات يصعب السيطرة عليها والتحكم بها وهي التي تسير عالم الثقافة وحقوله المتشعبة، إن سيطرة ثقافة على أخرى لا يمكن أن تكون كاملة ولا مطلقة، ولا يمكن أن تمنع المجتمعات الخاضعة من الاحتفاظ بجزء من تراثها ومن الاتكاء عليه في هذه اللحظة أو تلك لرمي الثقافة المسيطرة أو لبدء حملة نقضها والتشهير بها، وهذه هي الفجوة الحتمية في السيطرة الثقافية وفي المعارضة التي يمكن أن تعتمد عليها عندما توجد إرادة التحرر لدى المجتمعات تولد الثقافات المهزومة من جديد.

تواجه الإنسانية عدة تحديات خاصة بالعصر الحديث، أي بعصر انتشار الرأسمالية عالميا عبر موجات متتالية من التوسع الرأسمالي الذي انتح معا سيادة قوانين التراكم الرأسمالي (آليات السوق) والاستقطاب المترتب عليها، وسيادة منظومة القيم الثقافية التي ترافق ثقافة العولمة، بعد سقوط الأنماط التي سادت خلال نصف القرن الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، والتي تعبر عن ملامح مشروع العولمة الليبرالية وهيمنة الولايات المتحدة.

...لقد كانت سيادة العقل الميتافيزيقي في العصور القديمة، نتاج ضرورة موضوعية فرضتها آليات سير النظم السابقة على الرأسمالية، تلك النظم التي يسميها "سمير أمين" نظم خراجية قائمة على الإستلاب الميتافيزيقي– واستنتج من هذا الطرح أن القطيعة الفلسفية– أي

تجاوز هذا النوع من الاستلاب– هي بدورها نتاج تحول كيفي تم على أرضية الواقع الاجتماعي الذي صار رأسماليا.

نشأت الحداثة عندما تخلى الفكر الفلسفي عن هذا الإرث، فدخل البشر في فلك الحرية ومعها القلق، وفقد الحكم طابعه المقدس، وصارت ممارسات الفكر العقلاني تنعتق على الحدود المفروضة عليه سابقا، فأدرك الإنسان منذ هذه اللحظة أنه هو صانع تاريخه، انطلقت الحداثة إذن عندما أعلن الإنسان انعتاقه في تحكم النظام الكوني، وارتأى، وأشرك العديد من الآخرين في هذا الرأي – أن هذه القطيعة كانت أيضا لحظة تبلور الوعي بالتقدم.

فالتقدم –في مجال إنماء قوي الإنتاج أو في مجال تراكم المعلومات العلمية الجزئية – ظاهرة موجودة منذ الأزل، ولكن الوعي بالتقدم، أي الرغبة في إنجازه وربطه بالتحرر إنما هو شيء آخر، حديث النشأة من هنا أصبح مفهوم التقدم وثيق الصلة بالمشروع التحرري، كما أصبح العقل مرادفا للتحرر والتقدم.

ليس هناك تعريف آخر للحداثة في رأي "سمير أمين" غير القطيعة الفلسفية بين الهيمنة الميتافيزيقية وعودة العقل، وعلى ذلك فالحداثة لا تغلق في نمط نهائي بل هي على العكس من ذلك في تطور متواصل ينفتح على المجهول الذي تدفع حدوده إلى الأبعد دون إمكان بلوغها أبدا، فالحداثة لا نهاية لها، بيد أنها ترتدي أشكالا متتالية طبقا لإجاباتها على التحديات التي يواجهها المجتمع في لحظة تاريخية معينة.[336]

يقال الكثير في أيامنا: أن الحداثة أصبحت مفهوما تخطاه التاريخ، ويقول سمير أمين أن هذا القول لا معنى له من حيث المبدأ "فإذا كان تعريف الحداثة هو أن الإنسان" يصنع تاريخه، فإن هذه المقولة غير قابلة للتجاوز بالمرة، إلا أن مراحل الأزمات الكبرى، ونحن نجتاز حاليا مرحلة من هذا النوع– تتسم دائما بميل إلى الردة نحو الماضي– أي قبل الحداثة– وتمثل السلفية الإسلامية المزعومة نمطا متطرفا لهذا الوضع، إذ أنها تدعى أن الخالق هو المشرع الوحيد وبالتالي يجب على البشرية أن تتنازل عن طموحاتها في صنع القوانين التي تريد أن تحكم بها، وهذا الموقف نتاج هزيمة تاريخية كبرى للشعوب المعتبرة وبالنسبة لمقولة (مسألة) التباين الثقافي (التنوع)، فهو ليس فقط واقعا حقيقيا، بل إنه يمثل ظاهرة جوهرية بمعنى أن هذه الخصوصيات

---

[336] المرجع نفسه ،صص 92،91

ثابتة ودائمة، تلغي في نهاية المطاف القاسم المشترك الذي يعبر عن الخصوصية الثقافية، هي خادعة بقدر ما تنطلق من الفكرة المسبقة المذكورة، أي أنها تنظر إلى التباين على أنه يمثل القاعدة، بينما تعتبر تجليات التشابه ناتج مجرد الصدفة، ثم على هذا الأساس تطرح نظريات الثباتية برنامج أبحاثها، ولكن ماذا يحدث إذا أخدنا المبدأ المعكوس؟ أي الفرضية– أن الميل إلى التشابه هو القاعدة في تاريخ البشرية، وأن الاختلافات في مسيرة التطور جزئية ونسبية؟.

إن الخصوصيات المزعومة التي تقدمها هذه النظريات لا تعدو أن تكون قائمة بديهيات سطحية لا غير، ولننظر على سبيل المثال إلى مقال "هنتغتون" المشهور عن "صراع الثقافات": "إن للتباين الثقافي طابعا جوهريا، لأنه يمس العلاقات بين البشر والإله والطبيعة والسلطة". لا يفتح مثل هذا "الاكتشاف" عدا أبواب مفتوحة تماما.

إذ يجعل المشكلة الثقافية ترادف العقيدة الدينية، بل يفترض بالإضافة، أن طروحات مختلفة الأديان في الشؤون المعينة متباينة من حيث الكيف وذلك على الرغم من أن التاريخ الحقيقي يثبت أن هذه المفاهيم الدينية قد تمتعت في واقع الأمر بدرجة عليا من المرونة، الأمر الذي أتاح اندراجها في نظم إيديولوجية تطورت في اتجاهات، بعضها متقاربة والأخرى متباعدة – طبقا لظروف مستقلة عن هيكل– المفاهيم الثقافية المعتبرة فالخصوصية الثقافية التي تفسر لا شيء لا تفسر شيئا.

ألا يتذكر القارئ أن أنصار النظرة الثقافوية قد نسبوا تخلف الصين إلى ثقافتها الكونفوشيوسية، وذلك قبل نصف قرن فقط، ثم انقلب هؤلاء في رأيهم، فأصبحوا ينسبون نجاح الصين إلى هذه الثقافة عينها، ألا يعلن الجميع أن العالم الإسلامي في القرن العاشر الميلادي قد بدأ العديد من المؤرخين أكثر تقدما من أوروبا المسيحية في العصر ذاته.

لا ريب أن الأيديولوجيات –وخاصة الديانات– ظواهر اجتماعية هامة، على أن هذا الاعتراف لهذا الأمر لا يمثل عدا بديهية، فالصعوبة الحقيقية بالنسبة إليها هي في تناول دورها في التاريخ وبالأدق دورها في مختلف الأزمات والأماكن، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية العامة السائدة في تلك العصور، وهنا تجد –على سبيل المثال– أن مختلف الديانات كما فهمتها الشعوب المعنية في العصر الخرابي السابق على الرأسمالية الحديثة، قد قامت بأدوار متشابهة إلى حد بعيد، فالمنهج الذي يقترحه، "سمير أمين"يستهدف الكشف عن أوجه التشابه بالرغم من تنوع الخصوصيات، وعلى هذا الأساس نستطيع كما سمير أمين دائما أن نحدد بالفعل الأقاليم

الثقافية القديمة، وأن نبين أوجه التشابه بينها وأن نضع خصوصيتها ي مكانها الحقيقي ، ولا شك أنه –ظاهريا على الأقل– لا يزال لهذه الأقاليم وجود في العالم المعاصر، إلا أن آليات فعلها قد تحولت تماما بسبب تأثير الشروط التي تفرضها الرأسمالية عليها.

إن التحليل التاريخي العلمي يؤدي بالضرورة حسب سمير أمين إلى اعتبار ما يسود حاليا وعالميا إنما هو "حضارة وثقافة رأسمالية الطابع بالأساس" وليست "الغرب"، كما أن هذه السيادة هي المسؤولة عن التحولات التي حدثت في جميع أقاليم العالم والتي أفرغت من مضمونها الأصلي جميع الثقافات القديمة السابقة، بما فيها ثقافة "الغرب" القديمة (الخراجية)، وعلى هذا الأساس سنكتشف معيار التبويب الصحيح الذي يتصف به عالمنا.

هناك مناطق، حيث حلت الثقافة الرأسمالية محل الثقافات السابقة تماما، وهي المناطق المكونة للمركز الرأسمالي، أي أوروبا وأمريكا الشمالية (المسيحية في أصولها).

واليابان (الكونفوشيوسي أصلا)، هذا بينما لم يلغ انتشار الرأسمالية في توظيف الثقافات القديمة في مناطق الأطراف، ولم تفلح الرأسمالية في توظيف الثقافات السابقة توظيفا شاملا وفاعلا كما صار الوضع عليه في المراكز. هل يرجع هذا الاختلاف إلى (خصوصيات ثقافية)، أي إلى قدرة الثقافات (غير الغربية) على الصمود مثلا ؟ أم يرجع إلى أشكال التوسع الرأسمالي الذي أنتج تفرقة أساسية وتضادا بين مراكز أطراف المنظومة؟.

في هذا الإطار يميل سمير أمين إلى النظرة الثانية، ويؤكد أن الرأسمالي أدى إلى ظهور تناقض جديد بين طموحات أيديولوجية النظام وإعلانها بالعالمية من جانب وواقع الاستقطاب الذي ينتجه هذا التوسع من الجانب الآخر، فيفرع هذا التناقض القيم التي تدعو إليها الرأسمالية الحديثة وهي (الفردية، الديمقراطية الحرية، والمساواة والعلمانية وحقوق الإنسان...) من كل مضمون ملموس حقيقي: حتى تصبح في عيون الشعوب ضحايا النظام، أكاذيب أو على الأقل قيما خاصة بالغرب.

لهذا التناقض طابع دائم يصاحب تاريخ التوسع الرأسمالي منذ نشأته، ولكنه يتفاقم بقدر ما تتقدم مسيرة العولمة ليتخذ في مراحل الأزمة، مثل مرحلتنا الراهنة شكلا قاطعا متطرفا وفي مواجهة هذا التناقض الشنيع، يلجأ النظام إلى جميع الوسائل التي يمكن توظيفها من أجل إدارة الوضع، معتمدا في ذلك على منهجه البراغماتي التقليدي.

وفي هذا الإطار يصبح مبدأ تفخيم الاختلاف مفيدا، طالما أن الاعتراف بالاختلاف يرافق تنازل ضحايا النظام عن طموحاتهم في مجالات الديمقراطية والحرية والمساواة والفردية وإحلال قيم خصوصية مزعومة محلها، تؤدي دائما إلى أن تكون مضادة للأولى، هكذا يستنبط الضحايا موقعهم المرؤوس، الأمر الذي يتيح استمرار الاستقطاب دون أن يتصدى لعائق يذكر.

فالنزعة الثقافوية كما يؤكد سمير أمين تهدم أهداف الاستعمار (الرأسمالي) والخطابات الاستعمارية، والثقافوية يسيران جنبا إلى جنب دون تناقض بينهما من جانب يعلن خطاب الاستعمار بغطرسة دون المعادلة التي اكتشفها الغرب (فالاستعمار يفتخر "بغربيته"). من أجل إدارة الاقتصاد من خلال السوق والسياسة، من خلال الديمقراطية والمجتمع، من خلال الحرية الفردية معادلة نهائية حتى يتعذر تجاوز حدودها، ويجهل هذا الخطاب التناقضات التي يمكن ملاحظتها في كل مكان أو ينسبها إلى قوى "غير عقلانية" لأنها ترفض العقلانية الرأسمالية.104732وفي هذا السياق تصبح الشعوب غير الغربية أمام خيار ثنائي الأطراف لا احتمال ثالث لهما، فإما أن تقبل "القيم الغربية" كما هي في الرأسمالية القائمة بالفعل أو أن تنغلق في خصوصيتها الثقافية الموروثة في تاريخها السابق، أي بمعنى آخر يحدد خطاب الاستعمار شروط الخيار بحيث يضمن لنفسه الانتصار في جميع الفرضيات، إذ أن انغلاق الشعوب غير الغربية على خصوصياتها الثابتة المزعومة يجعلها غير قادرة على مواجهة تحدي العصر، ويبعد الخيار الثنائي المطروح الحل الثالث الصحيح، أي أن تشترك شعوب الشرق في تجاوز حدود الرأسمالية من خلال تطوير مفاهيم نضالية في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة معا.

المبحث الثاني:الامبريالية الثقافية ومحاولات النمدجة

لماذا يرسل بعض السكان الأصليين في استراليا بعضهم إلى بعض بطاقات عيد ميلاد المسيح مبرزة الثلوج؟ولماذا تبين أغلب خرائط العالم بريطانيا في المركز وفي الجزء العلوي؟ لماذا يسمى الشرق الأوسط بهذا الاسم؟ توجد الأجوبة عن هذه الأسئلة في تاريخ الامبريالية وانتشار التغريب. وفي هذا السياق يقول بيتريسي:" أصبح العالم أكثر اتساقا وتطابقا من خلال تزامن تكنولوجي وتجاري وثقافي منبثقا من الغرب، والعولمة مرتبطة بالحداثة، ويرجع مؤيدو أطروحة الإمبريالية الثقافية إلى مرحلة الاستعمار الصناعي في هذه المرحلة عندما وصلت الإمبراطورية البريطانية حدها الإقليمي الأقصى، من خلال الاستعمار انتشرت الثقافة الغربية مدفوعة باختراق

الرأسمالية ودافعة له، ولم تسبب نهاية الاستعمار الرسمي في النصف الثاني من القرن العشرين نهاية الامبريالية الثقافية، وفق هذا الرأي لم تعد الامبريالية الثقافية تستغل بوضوح من قبل الدول القومية، وأصبحت عملية اقتصادية بالإضافة إلى كونها عملية سياسية، فهي مدفوعة من قبل الشركات العابرة للقوميات التي تمثل مصالح النخبة، لاسيما مصالح و.م.أ وتيسر الحكومات الغربية القوية الامبريالية الثقافية، وتعزز أيضا من لدى المؤسسات العابرة للقوميات (صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، منظمة التجارة العالمية على الخصوص)، التي صممت لخدمة الضرورات الرأسمالية.

واعتمدت الشركات والمؤسسات والبلدان القوية التي لها الأثر الأكبر في حكامة النظام المعاصر مباشرة على غنائم الاستعمار، وباعتبار و.م.أ البلد الأقوى بأكبر الشركات فإنها تؤدي الدور الرئيسي في انتشار التغريب، وهي بذلك لها تأثير كبير في طبيعته. [337]

ويقلق أولئك الذين يؤيدون أطروحة الامبريالية الثقافية أن التنوع الثقافي العالمي سيهدد بانتشار التغريب /الأمركة، هناك 300 مليون شخص تقريبا الذين يعينون هويتهم أعضاء في الثقافة الأصلية وهناك أمثلة عديدة من البقاء المهدد و/ أو، تأكل هؤلاء في مناطق حوض الأمازون وشمال أمريكا وأستراليا.

ويمكن رصد بعض الحجج التي تؤيد أطروحة الإمبريالية الثقافية وتناقش الأدلة في أربعة مجالات: اللغة والسياحة، والنزعة الاستهلاكية، ووسائل الإعلام بالإضافة إلى مفهوم الديمقراطية.

أ. اللغة:

هناك 6آلاف لغة تقريبا في العالم، وقد يهبط العدد إلى 3آلاف لغة في العام 2100 نحو 60./. من هذه اللغات لها أقل من 10 آلاف ناطق، والربع لها أقل من ألف ناطق أصبحت الانجليزية لغة العالم، ومع أن اللغة الصينية أكثر انتشارا باعتبارها لغة أولى، لو أخذ في الاعتبار الناطقون باللغة الثانية سيكون العدد الإجمالي للناطقين بالإنجليزية قريبا من مليار ناطق ويرتفع هذا العدد بشكل ملحوظ لو أدخل أولئك الذين لهم معرفة عمل باللغة.

---

[337] ورويك موراي، ترجمة سعيد منتاق، مرجع سبق ذكره ،ص ص281،280.

والانجليزية وسيلة للتواصل في مجالات– مهمة وعديدة بما في ذلك السفر والمالية والانترانت، ثلثا العلماء كلهم يكتبون بالانجليزية و80./. من المعلومات المخزنة في أنظمة الاسترجاع الإلكترونية هي بالإنجليزية، وفي أي وقت يدرس أكثر من 200 مليون طالب بالإنجليزية لغة إضافية وهي لغة رسمية في كثير من دول إفريقيا والمحيط الهادي وجنوب آسيا. وجنوب شرق آسيا.وقد تفسير هذه الهيمنة بالإمبريالية الثقافية البريطانية، والدور المهيمن الحالي للو.م.أ، وتدعم التكنولوجيا الجديدة هذا الاتجاه.

ب–السياحة:

تعتبر السياحة الآن أكبر الصناعات في العالم، واقترنت السياحة الجماعية في أحوال كثيرة بطرق فورد في الإنتاج، وانتشرت عروض الرحلات التي تتوخى البحر والشمس، وغالبا ما تشمل السكن في سلسلة من الفنادق العالمية مثل: هوليداي إن أو شيراطون باعتبارها شكلا من الاسترخاء مرغوبا فيه، ورحلة عديد من البريطانيين إلى "كوستاديل سول" بإسبانيا حيث يمارسون صفات ثقافية مثل شرب الجعة وأكل السمك ويستلقون في شواطئ مزدحمة محاطة ببنايات عالية، هي صورة نمطية تمسك بجوهر هذا النوع من المقايسة. [338]

ج–العلامات التجارية العالمية:

النمو في تأثير الشركات العابرة للقوميات هو ظهور ثقافة الاستهلاك العالمية المرتكزة على العلامات التجارية العالمية، يعمل ماكدونالدز، مثلا في أكثر من 26 ألف منفذ في 119 بلد في العام 1997 كانت تفتح منفذا واحدا في كل أربع ساعات ووصل طول صفوف الانتظار للدخول إلى متجر سفا (في فيجي) الجديد عندما فتح في العام 1997 إلى أكثر من 400 متر، تباع كوكا كولا في كل بلد تقريبا، فهي مادة عابرة للثقافات وإن كانت مرتبطة كثيرا بثقافة و.م.أ هذا النوع من الاستهلاك موحد القياس يعكس عبر قطاعات عديدة و يدام بالنظام الرأسمالي الذي يؤيده وينشأ منه.

د–وسائل الإعلام:

---

[338] المرجع نفسه، ص 282.

حلت مركبات وسائل الإعلام العالمية محل أنظمة وسائل الإعلام القومية، ومع التحرير العالمي خلال عصر الليبرالية الجديدة، وتنظيمات منظمة التجارة العالمية منذ العام 1997، أصبحت وسائل الإعلام ذات توجه توسيعي واستهلاكي أكبر بدلا من استهداف مواطنين بدولة قومية خاصة عند التغطية.

أصبحت هذه الصناعة مرتكزة جدا ومخصصة ومدمجة عموديا وأفقيا ومفترسة تسيطر ما بين 20 و30 شركة عابرة للقوميات تقريبا على صناعة التسلية ووسائل الإعلام العالمية، وكلها من الغرب، وأغلبها من و.م.أ وتشمل عمالقة مثل: تايمز، وورنر، ديزني،نيوكوريورايشن، بي بي سي، يونيو فروسل، ومن حيث وسائل الأخبار كان هناك توحيد لقياس التمثيل مع تركيز كبير على قصص المصلحة الإنسانية، وحياد عموما لا جدال فيه اتجاه الغرب وحلفاءه –موضحة بقوة خلال تغطية CNNوBBCو IBC للحرب في العراق 2003، يرى "هورمن، وتشومسكي" قصدا قويا يعمل في هذا الاتجاه يصطلحون عليه "صناعة الإجماع".

و –الديمقراطية:

كان انتشار الديمقراطية الليبرالية عميقا وهو يمارس الآن في أغلبية كبيرة من الدول القومية عبر الكوكب، ويمكن وراء هذا الانتشار اعتقاد التنوير الغربي أنها شكل الحكامة المرغوب فيه أكثر، ويتضح هذا بانهزام الاشتراكية، وقد انتشرت الأنظمة البرلمانية في كل أركان الكرة الأرضية من خلال الإمبراطوريات الغربية والدول الحليفة، وفي الآونة الأخيرة من خلال مشروطية القروض من صندوق النقد الدولي للبلدان الفقيرة، يحجب هذا تنوع طرق الحكامة التي تعرضها الثقافات الأخرى، التي لها بعض في الحالات جذور تاريخية عميقة. [339]

لقد توصل إيمانويل والرشتين" Wallerstein"في دراسته الشاملة التي خصصها لإيضاح موضوع "النظام العالمي الحديث" إلى أن هذا النظام يتكون من ثلاثة عناصر أساسية تتمثل في:

أ. سوق واحدة يتم في داخلها تقدير الربحية القصوى وهو ما يحدد عبر فترة طويلة نسبيا كمية النشاط الإنتاجي ودرجة التخصص، ونظام دفع الأجور، والسلع والخدمات وجدوى الاختراع التكنولوجي".

---

[339] المرجع نفسه، ص 282.

ب. مجموعة من الدول تتباين في درجة قوتها (سواء داخل حدودها أو في مواجهة الكيانات الأخرى في النظام العالمي".

ت. توزيع فائض العمل على نحو يحقق وجود ثلاث فئات بدلا من وجود فئتين في العملية الاستغلالية.

ويعتقد "هربرتشيلر" أن الشروع في فهم الإمبريالية الثقافية استنادا إلى هذه العناصر الأساسية، فهي تنمو في ظل نظام عالمي ينطوي على سوق واحدة، وشروط الإنتاج وطبيعته تتعدد في قلب هذه السوق ثم تشع على الخارج، وثمة دول وطنية يفرض عليها وجودها أن تصطدم بالأعمال الخالصة للنظام العالمي.

قطاع الاتصالات الثقافية من الضروري أن يتطور في هذا النظام بما يتسق مع أهدافه وغاياته وبما ييسر تحقيقها، ويمثل تدفق المعلومات في اتجاه واحد إلى حد كبير انطلاقا من المركز إلى المحيط موطن القوة فعلا، وكذلك يتعلق الأمر فيما يتعلق بترويج انتشار لغة واحدة هي الإنجليزية، كما تبدل الجهود من أجل إيجاد واكتشاف تكنولوجيا اتصالية سريعة وشاملة، يتم استخدامها عن تماثل وثيق مع بنية واحتياجات القوى المهيمنة في مركز النظام، وثمة عامل آخر يؤثر بوجه خاص على مجال الاتصالات الثقافية في النظام العالمي، فالناتج الإعلامي الثقافي تحدده بقدر كبير ضرورات السوق ذاتها التي تحكم ما ينتجه النظام الشامل من سلع وخدمات في حين في حين أن الناتج الثقافي الإعلامي لا يمثل الوحدات المتعارف عليها من السلع الاستهلاكية الشخصية فحسب، وإنما يجسد أيضا الملامح الإيديولوجية للاقتصاد الرأسمالي العالمي، ويستخدم بصورة جد ناجحة في تعزيز وتطوير الدعم الشعبي لقيم النظام أو لما يصنعه على أقل تقدير.

يمكن التأكيد على أن الوحدة التنظيمية الإقتصادية الأساسية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي الحديث هي الشركة متعددة الجنسية، وتهيمن فئات قليلة من هذه التكتلات العملاقة من رأس المال ومعظمها في الحوزة الأمريكية على السوق العالمية لإنتاج وتوزيع السلع والخدمات، وهذه الهيمنة تمتد إلى إعداد، وتوزيع ناتج الاتصالات الثقافية. [340]

---

[340] هربرتشيللر، ترجمة ،وجيه سمعان عبد السميع:**الاتصال والهيمنة الثقافية**، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2008، ص21.

يصر ريد "read" في تحليله لأنشطة ما يسميه "تجار وسائل الإعلام الأمريكية" على أن العوامل الاقتصادية وحدها هي التي تفسر تغلغل وانتشار المنتوجات الثقافية الأمريكية الصنع على نطاق العالم بأسره، ويقول "يوجد في كل هيئة تجارية، سواء كانت تصنع السيارات أو تنتج الأفلام، ما يسمى بالحد الأدنى، أي السطر الأخير في دفاترها المالية الذي يتبين عنده حد الربح أو الخسارة...وهذا الحد الأدنى، هو الذي يدفع هيئات وسائل الإعلام الأمريكية للسعي للوصول إلى أسواق أجنبية، وتغلب هذه النظرة عندما تحلل هذه الهيئات شروط دخولها إلى الأسواق...ومرة أخرى فإن السعي وصولا إلى الأسواق يعني السعي إلى الحصول على الربح".

غير أن هذه الحتمية الإقتصادية البحتة تتجاهل الكثير من نتائج العملية التي تسعى إلى تحليلها وعلى الرغم من أن الضرورة الاقتصادية تخلق الإطار الثقافي، فإن أثرها يتجاوز كثيرا أهداف البحث عن الربح الذي يسعى إلى تحقيقه بعض احتكارات وسائل الإعلام والتكتلات الثقافية الضخمة التي تكون لها أهمية وقوة هذه الاتحادات، ويمتد التغلغل الثقافي في العقود الحديثة إلى جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المناطق المضيفة التي تفد إليها وعلى الرغم من أن هذا التغلغل يحدث لأسباب اقتصادية في معظم الأحيان، فإن أثره يتم الإحساس به على نطاق الوعي الفردي والجماعي في المناطق التي تسرب إليها.

ثمة عناصر أخرى تشارك في هذه العملية، فهناك توطن الهيئة التنفيذية المغتربة، والتعليم التجاري الذي يقدم في إطار الشركات والمدارس التي أنشئت في البلد المضيف لتوفير المديرين و العاملين المحليين للشركات الدولية، وإقرار اللغة الإنجليزية كلغة متفق عليها للتفاهم في التجارة الدولية، والانتفاع بمواهب وقدرات وكالات الإعلان الدولية وشركات أبحاث السوق واستفتاءات الرأي والسواد الأعظم منها في قبضة و.م.أ.[341]

تفسر هذه الأنشطة والعلاقات المتداخلة والمتشابكة، عن تحقيق السيطرة الثقافية على المجتمع الذي تتغلغل فيه، والقوة الدافعة التي تولد الهيمنة الثقافية تنشأ مع الضرورات التجارية، غير أن هذا لا يضعف التأثير الذي ينصب على الوضع الثقافي الشامل في المجتمع الذي تنفذ إليه، وحتى ولو شرع هذا المجتمع، فعلا، في إعداد تشكيلته الخاصة من المنتجات الثقافية فإنه لا يستطيع تفادي القوة الأولية للحافز الذي يدفع الشركات الرأسمالية للحصول على الربح.

[341] المرجع نفسه، ص21.

من اليقين أن البنية الدولية للهيمنة، أي البنية الاستعمارية، وجدت منذ مئات السنين، وما يجري التطرق إليه هنا هو التحول الذي يطرأ على هذا النظام، فيما يتعلق بإعادة تنسيق مراكز القوى ومصادر الاستغلال المتغيرة والأنماط الجديدة للسيطرة...

ويأتي مفهوم الامبريالية الثقافية، ليصف اليوم، خير وصف، العمليات التي تستخدم لإدخال مجتمع ما إلى النظام العالمي الحديث وكيف تتم استمالة الطبقة المهينة فيه والضغط عليها وإجبارها ورشوتها أحيانا كي تشكل المؤسسات الاجتماعية في اتساق مع قيم المركز المهيمن في النظام، وبناه أو حتى الترويج لها.

وتحتل وسائل الإعلام مركز الصدارة في المشروعات العاملة التي تستخدم في عملية التغلغل ومن أجل تحقيق درجة كبيرة ومهمة من التغلغل فلا بد من أن تستحوذ القوة المهيمنة المتغلغلة على وسائل الإعلام ذاتها ويتم ذلك بقدر كبير عن طريق إضفاء الطابع التجاري على الإذاعة والتلفزيون.

وتمثل أمريكا اللاتينية على سبيل المثال، بلدان المحيط التي غذت فيها الإذاعة تجارية الطابع كلية، وتفي تماما بمتطلبات الشركات متعددة الجنسيات، والشركات المحلية الداعمة لها.

وقد ذكر باحثان أن مضمون فنزويلا التجاري مثلا: يشمل في معظمه، الإعلانات والعنف والأفلام المستوردة، كما أن أوروبا الغربية التي تشكل جزءا من قلب الاقتصاد الرأسمالي العالمي تحركت صوب إضفاء الطابع التجاري على وسائل البث، بما يعكس احتياجات السوق المهمة لنظامها التجاري، وذلك إذا ما تغاضينا عن مكوناتها الأمريكية الأساسية، وحالما تغدو الوسائل تجارية الطابع فإنه يعقب ذلك القيام بسلسلة من الضغوط الاقتصادية تكفل أن تنقل أجهزة البث المنتشرة في كل مكان المواد الثقافية التي أنتجتها المراكز الرئيسية (و.م.أ، بريطانيا، ألمانيا، وحفنة من المراكز الأخرى). وقد تظهر محاكاة لهذه المواد عندما تطلب الصناعات المحلية للإذاعة والسينما والمطابع نصيبا من سوقها الداخلية، وإذا ما سمت إلى ذلك، تكون المحصلة ذاتها، سواء تم الإنتاج مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، حيث يحمل مضمون البرمجة وأسلوبها، رغم تطويعه للأوضاع المحلية، الأثر الإيديولوجي للمراكز الرئيسية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي. [342]

---

[342] المرجع نفسه،ص ص 27,26

في الاقتصاد العالمي الحديث ينظر إلى العملية الإنمائية ، ويجري تطبيقها بوصفها وسيلة تتيح نقل التركيب الطبقي من المركز إلى المحيط وتكراره على نحو مماثل، وتعد السياحة من أنجح السبل التي تفضي إلى تحقيق هذه العملية، وهي تمثل في حد ذاتها قناة اتصالية فعالة، ويجمع المتحدثون باسم المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية المهيمنة على إسداء المشورة لأرباب الشأن في الدول الواقعة على المحيط وتشجيعهم على تنمية الصناعات السياحية في بلادهم وتوسيع نطاقها بوصفها وسيلة مضمونة للحصول على الموارد الناذرة (المحتجبة) التي لا يمكن الحصول عليها بخلاف ذلك.

وتستخدم السياحة التي تنظم في إطار الاقتصاد الرأسمالي العالمي عدة أغراض، تكون مفيدة للنظام المهيمن، فهي توفر تسلية رخيصة نسبيا للطبقات الوسطى والطبقات الوسطى الدنيا في دول المركز الصناعية، والانتقال الجغرافي الذي تتيحه السياحة يضفي على النظام بأسره ما يتمتع به من جاذبية أساسية، فهو يزعم بشكل موفق أن الانتقال الجغرافي مرادف للحرية والتحرر.

وتعد السياحة في الوقت نفسه مصدرا للربح الذي تحققه المشروعات الاحتكارية التي توفر الخدمات لعملية الانتقال، ويوجد مقر معظم هذه المشروعات في بلدان المركز، وفضلا عن ذلك فإنها تحشد وتطور بصورة متزايدة قطاعا صغيرا ونشيطا من الوكلاء التجاريين في البلد المستهدف.

(يضاف إلى هذا العامل)، وعلى نحو مماثل، فإن طابع تنظيم التعليم والبحوث في بلدان المركز والمحيط على السواء، قد فرض عليهما التواؤم مع متطلبات اقتصاد الشركات متعددة الجنسيات وخدمتها، وينظم التعليم في الدول الرأسمالية المتقدمة بغية توفير المدراء والعمال المهرة الذين تحتاجهم هذه الشركات والبيروقراطية الحكومية، وقد أرسيت البنى التعليمية في خارج منطقة المركز، وإن كانت أقل في فعاليتها.

لقد ساهمت أشهر المدارس التجارية في الجامعات الأمريكية، وأحسنها سمعة، مساهمة نشطة في تقديم أرقى مستويات التدريب التي يحصل عليها مدراء الشركات و المسؤولين فيها، وأضفت طابعا دوليا على تعليمهم، توجد مثلا مدرسة للإدارة في لوزان بسويسرا تابعة لمدرسة "هارفارد التجارية". وثمة صلات فكرية أيضا قائمة بين مدرسة أخرى للإدارة في لوزان وبين مدرسة هارفارد، كما نظمت جامعة نيويورك مشروعا مشتركا مع مدرسة لندن التجارية العالمية

الفرنسية التي توجد في باريس، وقد أشارت التقارير إلى أنه "كان من اليسير على الذين أتموا البرنامج في العامين الأولين الحصول على وظائف دون عناء أو مشقة، وقد تم تشغيلهم بمعرفة شركة مثل "وكالة التنمية الصناعية الفرنسية".

"إن الجيل المقبل من كبار المدراء في أوروبا الذين تدرب جميعهم تقريبا على وضع المصالح التجارية لشركاتهم فوق أية اعتبارات أخرى، يتزايد انفصاله باطراد عن الإطار الوطني الخاص، ولا يعبر إلا عن الفلسفة التجارية للمدارس الأمريكية السائدة".

قام فريق من الخبراء، دعمته المشروعات الخاصة، وتم تعينه بمعرفة الحكومة، بدراسة العلاقات الإعلامية والتربوية والثقافية على الصعيد الدولي، وتولى رئاسته "فرانجستانتون" وهو من أكثر المؤثرين في الصناعة الاتصالية في الو.م.أ في غضون الثلاثين سنة الأخيرة والمعبرين رسميا عنها وشرح الدور الجديد الذي يقوم به الاتصال، والإعلام في البيئة الجديدة المتغيرة.

"بينما تملك و.م.أ قوة هائلة، وربما متفوقة في الشؤون الدولية، فإن قدرة أمريكا على التحكم في مجرى الأحداث الدولية قد أصابها الضمور، بما يعني أن الو.م.أ سوف تعتمد أكثر من ذي قبل على الشرح والإقناع وأن الاهتمام البالغ الجديد بعملية الإقناع يجعل الدبلوماسية الثقافية أمرا لا غنى عنه لانجاز أهداف السياسة الأمريكية".

لقد شرعت المؤسسات الخاصة والبرامج الجامعية في دراسة القضايا الأكثر إلحاحا التي تنصب على السيطرة الإعلامية في بيئة دولية تتسم بعدم الاستقرار والانفجار، وأن مستوى الهجوم المتصاعد الذي يشن في أماكن كثيرة على أكثر جوانب الهيمنة الثقافية و وضوحا يتطلب من المهيمنين تقديم معلومات بالغة العمق، وإجابات وافية في هذا الصدد، وتدور الآن مناقشات عميقة، في محافل مثل اليونسكو والأمم المتحدة تتناول موضوعات مثل الإمبريالية الثقافية، والسيادة الثقافية، والثقافة العالمية، وعولمة الثقافة، والتحديات الثقافية...[343]

---

[343] المرجع نفسه، ص40.

المبحث الثالث:

التعددية الثقافية في الو.م.أ.

يتساءل أ.ب.هاريسون الكبير، عالم الكلاسيكيات في كتابه عن "الهوية الثقافية الأمريكية" "لماذا نضع وصفة إعداد كرات الجبن على الأعلام الثورية؟"كان يشير إلى الشعار القومي "Epluribus Unum" أي "واحد من كثير أو من الكثير واحد" الذي يظهر على العملة، والرموز الرسمية في الولايات المتحدة. وحسبما يقول به هاريسون، فإنه مقتبس عن قصيدة "لفيرجيل"، يقدم فيها وصفة إعداد كرة الجبن التي كان يفضلها المزارعون الرومان: يقول فرجيل: "ضع كل مكونات كرة الجبن في برميل واخلطها معا، وبسرعة سيكون عندك واحد من كثير...".

والأمر الغريب أنه لا يكاد يوجد اتفاق حول مصدر هذا الشعار أو معناه، وإذا كان "فرجيل" هو المصدر النهائي له، فإن نص هذه الجملة لا يوجد في أشعار الشاعر الروماني، بل لا يوجد في أعمال أي كاتب لاتيني على الإطلاق، ومؤسسو الخاتم الكبير للو.م.أ الذين أقروا هذا القول، هم "جيفرسون" و"آدامز" و"فرانكلين"، وقد عهدوا إلى فنان فرنسي – سويسري بتصميم الخاتم، فإما أنه هو أو فرانكلين من اقتبس هذه الكلمات عن صحيفة إنجليزية شهيرة اسمها "مجلة السيد"" The Gentleman–Magazine". التي كانت تضع هذه الكلمات "epluribusunum" على صدر صفحتها الأولى، وهذه المجلة بدورها التقطت هذه الكلمات عن دورية قديمة كان يصدرها في لندن البروتستانتي الفرنسي "ألهوغونت" –بيير أنطوان مونتييه– الذي يبدوا أنه ابتكر هذا الشعار، وحين أضاف مونتييه "epluribusunum" إلى صحيفته، فقد كان يعني –على وجه التقريب– عكس ما يتردد الشعار عادة ليعنيه.

كتب مونتييه سنة 1692 مشيرا إلى هذه الكلمات "إن إضافتها إلى مطبوعة منوعات تعني أنه تقبل موضوع واحد فقط من موضوعاتها الكثيرة، فإنها تلقى القبول منكل القراء ... "بالنسبة لمونتييه إذن، فإن الكثير لا يضع واحدا، الأمر بالأحرى. أنه كان يعتقد أن مجلته تعد ناجحة إذا لقي موضوع واحد من موضوعاتها الكثيرة إعجاب القراء.

أما "إدوارد كيف" محرر مجلة السيد " فيبدوا أنه كان يعني شيئا آخر حين تبنى هذا الشعار، فمجلته كانت تقوم غالبا على نشر مواد مختصرة عن مصادر أخرى ومن ثم كان هذا الشعار عنده إعداد موضوع واحد من عديد من المواد المختلفة، وهي ممارسة كانت شائعة وقتذاك، و"إدوارد كيف" الذي كان معتادا على سرقة وتبديل وتزييف الموضوعات المحلية، عرف

بأنه قرصان أدبي، فضلا عن أن "مونتييه" الذي ابتكر الشعار عاش حياة لا يمكن أن توصف بالاستقامة، ولقي حتفه مختنقا في مبنى.

باختصار إن شعار "epluribusunum" المرفوع كشعار للتعددية الثقافية الأمريكية ليس فقط، مفتقدا تراثا كلاسيكيا واضحا أيضا بالغموض والفضيحة، وهذا أحد مؤرخي القرن التاسع عشر، حين بحث في هذا التاريخ الشائك وجده أمرا مخزيا.

"لقد كنا غير محظوظين بشكل استثنائي، في اختيار هذا الشعار، ومن الصعب أن تجد شعارا آخر أكثر ابتذالا وأقل لياقة من "Epeuribus Unum" بالتأكيد ليس ثمة شعار يمكن ثابتا وبلا دلالة مثله...شعار ذو أصل حديث مبتذل لا علاقة له بأصل كلاسيكي ...شعار بلا مستدعيات أدبية أو تاريخية ...شعار مجرد تماما من أي صدق ديني أو أخلاقي ... شعار يمكن أن يعني الإتحاد أو التفكك وفق أهواء كل فرد ...ولسوء الحظ غالبا ما يعني المعنى الأخير لدى واضعيه الأصليين ...وكل مواطن يحمل في قلبه مصالح وطنه، لا بد أن يأسف لسوء اختيار هذا الشعار الذي لا يلاءم جمهورية عظيمة على الإطلاق..."[344]

وعلى أي حال، فإن هذا الشعار غير اللائق، والتعدد الذي يعنيه، أو يعتقد أنه يسيء تقديمه، قد فتن الجمهورية الأمريكية منذ البداية، وحدث ما لا يزال يحدث في زمننا الحديث حين يتحول الاهتمام إلى عصبة قضايا قليلة فقط، هي التي لقيت مثل هذه الحماسة الواسعة للتعدد، وتجلياته في التعدد الثقافي، والتنوع الثقافي والثقافة المتعددة فهذه العبارات تتصدر آلاف الخطب والمقالات، وتظهر في مئات الموضوعات والكتب والمسؤولون في الحكومة، وعمداء الكليات، ومديرو الشركات الكبرى، والقيمون على المتاحف ومسؤولو المدارس العليا، يعلنون التزامهم بالتعددية الثقافية، و، وإحدى الأمارات الحديثة هي أن يصدر "المجلس الأمريكي للتعليم"دليلا لبرامجه ومطبوعاته عن التنوع الثقافي تبلغ صفحاته الأربعمائة". [345]

وحتى المحافظون، الذين يتوقع أن يسحبوا ضد هذا التيار، غالبا ما يلقون بأنفسهم في الجنه. محددين اعتراضاتهم على تشوهات هامشية، لا على الأمر نفسه، وهم في العلن على الأقل– يترددون طويلا في إبداء احتجاجهم القوي على التعددية الثقافية الكبيرة، ولكي يقدموا

---

[344] راسل جاكوبي، ترجمة فاروق عبد القادر : **نهاية اليوتوبيا السياسية والثقافية في زمن اللامبالاة** ،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ماي 2001،ص ص 45،46.

[345] المرجع نفسه ،ص 48

أوراق اعتمادهم أصدرت مؤسسة محافظة مجلة باسم "التنوع"، يقررها أمريكي من أصول إفريقية اسمه:"ديفيدس. بيرنشتاين".

على أن التعددية لم تكن هذا القدر من الشيوع دائما، فقد ذكر هوراس م. كولين. وهو الذي صاغ حرفيا تعبير – "التعددية الثقافية" في العام 1924، أن هذه الفكرة "لم تكن ضائعة في أي مكان من الو.م.أ." وكان يعرف السبب، فالهجرات الواسعة والحرب العالمية الأولى زادت حدة مشاعر الخوف العام من الأجانب، ومن ثم أصبحت كلمات السر، هي الأمركة والتمثل لا التعددية والتنوع، وعند "كولين" فإن انبعاث هذه "الكوكلوكس كلان" وهي جمعية سرية نشأت في الو.م.أ بعد الحرب الأهلية لترسيخ سيطرة البيض على الزنوج" العائدة من جديد جسدت امتثالا أمريكيا كاسحا... كان البديل عند الأمريكيين هو الكوكلوس كلان أو التعددية الثقافية...".

وبعد سبعين عاما، أصبح الجميع – عدا بعض المحافظين القليلين – يشاركون كولن "الإحتفال بالتعددية الثقافية". ويؤكد "ناتانجليزر": "كلنا مؤمنون بالتعددية الثقافية، ويمكن أن تستمر في مناقشة التفاصيل، ولكن التعددية جاءت لتبقى، وانتصارها كان تاما".

ويكتب المؤرخ"دافيذ.أ. هولينجر": "حدث أن كانت التعددية الثقافية حركة صغرى في تاريخ الثقافة الأكاديمية والأدبية الأمريكية...أما في عقد التسعينات فقد حدث تغير هائل". ومنذ المناقشة القديمة فإن أكثر الاختلافات أهمية هو الانتصار المطلق...للإيمان بأن علىالو.م.أأن تغذي– لا أن تضعف – هذا التنوع الهائل من الثقافات المتميزة..."

يمكن التركيز على أن التعددية الثقافية، تقوم بسد ثغرة ثقافية فارغة، فالليبيراليون واليساريون، وقد جردوا من اللغة الراديكالية، والأمل اليوتوبي، تراجعوا باسم أنهم يتقدمون للاحتفال بالتنوع، لأنهم لديهم أفكار قليلة حول الكيفية التي يتشكل بها المستقبل، فقد احتضنوا كل الأفكار، ومن تم يصبح التعدد هو السلة الوحيدة التي تحوي كل شيء. بداية الفكر السياسي ونهايته، وحين يلبس ثياب التعددية الثقافية، صبح أفيون المثقفين الواهمين، إيديولوجية بلا إيديولوجية.

فالمسألة ليست التعددية الثقافية ذاتها، فأفكار التنوع وأقاربها: التعددية والاختلاف، والكثرة الثقافية والتعددية الثقافية ليست أفكارا خاطئة، ولا هي محل اعتراض، على العكس فهي أفكار صحيحة وذات جاذبية، والاختلاف والتنوع يميزان العوالم الطبيعية والفيزيقية والثقافية، ونحن عادة ما نبتهج الاختلافات أكثر من التماثل ومعظم الناس، وربما معظم الفلاسفة كذلك ، يفضلون

التعدد والاختلاف على التعددية والاطلاقية، المسألة إذن ليست تفضيل التعددية، لكن عبادتها، فعبادة الأثر تلك تؤدي إلى تخريب البحث المتزن عن الحقيقة ،عن طريق الميل بها إلى الولع الأمريكي بالكتم، واللغة الخاصة للتعددية هي تأكيد لهذا الإدمان الأساسي المتمثل في أن الأكثر هو الأفضل، أشياء أكثر، عناصر أكثر، سيارات أكثر ثقافات، التعددية الثقافية لا شك أفضل من الأحادية الثقافية، وعالم من الاختلاف يفوق عالما من التماثل...

وعليه أصبحت أفكار التعددية الثقافية، وتعدد الثقافات والتنوع أفكارا مقدسة، لقد أصبحت "شيكات على بياض" قابلة للدفع لأي شخص، وبأي مبلغ، دون معنى أو مضمون، لقد أصبحت لا تعني سياسات فقط لكنها حلت محل السياسات.[346]

إن المناقشات الراهنة حول التعددية الثقافية تتميز بالخصائص التالية:

نذرة التحليل الاقتصادي والاجتماعي وتضخم المناهج الثقافية، وافتراض أن الثقافات تختلف اختلافات أساسية وإخفاق أو عجز تقدير قوى التمثل والتجانس، وافتقاد وجود رؤية أو بديل سياسي، ومن ثم فإن السياسات التي تصدر عنها إما أن تمضي إلى المبالغة في تقدير مشاعر مألوفة (وجديرة بالتقدير) حول احترام كل الجماعات، وإما أن تنحو منحى تدميريا لا يقوم على أساس، وثمة مجموعة حديثة تجسد المفهومات الواهنة والسياسات الجامدة للتعددية الثقافية الليبرالية، ومؤلفو "التعددية الثقافية" يفترضون أن بين الثقافات صراعات أساسية، ويتفكرون كيف يمكن لليبرالية أن توفق بين المطالب المتعادلة، ويتمحور المجلد حول "سياسات الاعتراف". وهو عنوان مقالة لفيلسوف ليبرالي "تشارلس تايلور" حول هذه المسألة.

"فالاعتراف ليس مجاملات يتبادلها أحدنا مع الأخر لكنه حاجة إنسانية حيوية تقوم على أساس أن الحياة ذات طابع حواري وأننا نعين أنفسنا عن طريق الاتصال بالآخرين، ولسوء الحظ فمع قدوم العصر الحديث..."أصبحت الحاجة إلى الاعتراف غالبا لا تلقى الإشباع، والاعتراف الخاطئ يتضمن ما هو أكثر من عدم الاحترام فهو يمكن أن يحدث جراحا خطيرة، ويثقل ضحاياه بكراهية معوقة للذات...".

وثمة ما هو أسوء، فالليبرالية الكلاسيكية تقيم الاعتراف على أساس المساواة، وقد حاولت على الأقل –ونجحت أحيانا– أن تتجاهل اختلافات الطبقة والنوع والعنصر ولسوء الحظ فإن مبدأ

---

[346] المرجع نفسه ،ص 48

المساواة يتصادم وفكرة جديدة أو احتياجا جديدا هو ما يسميه "تايلور" "سياسات الاختلاف" التي وضع أساسها في "عصر الأصالة" الذي يتحدد تاريخه بدءا من روسو، وهردر، وعند تايلور فإن الأصالة هي الفكرة القائلة "بأن هناك طريقة معينة كي أكون إنسانا، هي طريقتي "أنا" فأنا مدعو لأن أحيا حياتي بهذه الطريقة.. ولكي أكون صادقا مع نفسي فهذا يعني أن أكون صادقا مع أصولي...". [347]

على المستوى الثقافي فيعتبر هنتغتون أن التعددية الثقافية بمثابة خطر كبير على الهوية الثقافية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية، فتزايد الانقسام والتعدد الثقافي داخلها قد يؤدي إلى تفككها ونهايتها كقوى عظمى ويقول في هذا الإطار يشجع كل من المطالبة بحقوق لمجموعات خاصة وبالتعددية الثقافية صدام الحضارات داخل و.م.أ". وفي حالة نزع الطابع الغربي والأمريكي عن هوية الولايات المتحدة الأمريكية فقد يؤدي ذلك إلى أن تكف عن الوجود وتتبع الدول الأخرى العظمى التي كانت محددة إيديولوجيا إلى كومة من رماد".

"يجب أن نعرف من نحن قبل أن يكون بإمكاننا معرفة مصالحنا، وبدون منح معنى واضح وثابت للهوية الوطنية الأمريكية سيصبح الأمريكيون غير قادرين على تحديد مصالحهم الوطنية.

والو.م.أ هي أشبه في مصيرها بمصير الاتحاد السوفياتي سابقا، وذلك لأنهما يتشابهان في كونهما لا يشكلان معا الدولة/ الأمة بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، فهما مجرد تجمع لمجموعة من الهويات غير المندمجة وغير المتناسقة، وبالتالي "فإذا سادت التعددية الثقافية، وتفكك التوافق حول الديمقراطية الليبرالية، فإن و.م.أ ستلتحق بالاتحاد السوفياتي إلى ركام رماد التاريخ". ولهذا فهنغتون هو من أنصار ثقافة أمريكية أوروبية موحدة ومنسجمة، وهو يندد بتيار التعددية الثقافية الذي بدأ يزداد نفوذه داخل و.م.أ.

الهوية الأمريكية قائمة على أساس ثقافي هو الانتماء إلى الحضارة الغربية، وأساس سياسي يكمن في تبني قيم: الحرية، الديمقراطية، الفردانية، المساواة أمام القانون، احترام الدستور والملكية الفردية، وهذه الأسس أصبحت منذ أواخر القرن العشرين محل هجوم عنيف من طرف مجموعة من المثقفين وذلك باسم التعددية الثقافية، وفي غياب الوحدة الثقافية قد تتحول و.م.أإلى

---

[347] المرجع نفسه، ص ص73،74.

الأمم المتحدة، ولهذا فإن مستقبلها يفرض ضرورة تجديد، ومنح الحيوية للهوية الغربية، وقمع مطالب تيار التعددية الثقافية".

ويرى "هينتغتون" أن أولويات الغرب الثقافية تكمن في ضرورة استعادة وحدة وتجانس الحضارة الغربية، وذلك بتدعيم التعاون داخل الغرب خصوصا بين الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية، مع إدماج مجتمعات أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ذات الثقافات الغربية في العيان الغربي، ويقتضي هذا مناهضة التعددية الثقافية في الغرب وإحياء ثقافة غربية واحدة متماسكة.[348]

ويدعو"هينتغتون" إلى نهج تكتيكيين متكاملين قصد ضمان تفوق الغرب وهيمنته: من جهة تعزيز التماسك داخل الكيان الغربي، واستقطاب مختلف المجموعات الحضارية إلى صفوفه على أساس أن مستقبل الغرب يتوقف من جزئه الكبير على وحدته، ومن جهة أخرى، إعادة ترتيب وتكوين المنظمات الدولية بحيث تستجيب في إدارتها وسلوكها لقيم ومصالح الغرب، وفيما يخص الإجراءات الغربية على المستوى البعيد، وعلى اعتبار أن السنوات الأولى من القرن 21سيطبعها انبعاث مستمر وقوى للثقافات غير الغربية، فإن هنتغتون يرى "أن الأولوية بالنسبة للغرب في السنوات الخمس والعشرين القادمة تكمن في احتواء هذه التحديات وتطوير وحدته، والتخفيف من كبريائه للتكيف مع القرن الواحد والعشرين"، ومن بين التوجهات التي ينبغي على الغرب إتباعها للحفاظ على هيمنته يقترح صامويل هنتغتون ما يلي:

* تعزيز الإندماج السياسي، الاقتصادي والعسكري وتنسيق السياسات بين الدول الغربية، لمنع استغلال الدول الأخرى للخلافات التي قد تقوم بينها.
* إدماج دول أوروبا الوسطى بالإتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي.
* تشجيع عملية تغريب أمريكا اللاتينية، ودفعها للالتحاق بالغرب.
* الحد من تزايد القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الإسلامية والكونفوشيوسية (الصين، كوريا الشمالية).
* تدعيم التعاون مع اليابان، ومنع كل محاولة لتقاربها مع الصين.

---

[348] محمد سعدي، مرجع سبق ذكره، ص ص47،48.

* اعتبار روسيا دولة رائدة وقائدة للحضارة الأرتدوكسية والإقرار بكونها قوة جهوية رئيسية لها مصالح مشروعة في حماية حدودها الجنوبية .

* الحفاظ على التفوق التكنولوجي، والعسكري للغرب على باقي الحضارات .

* عدم التدخل في شؤون الحضارات الأخرى حيث أن من شأن ذلك أن يؤدي إلى صراعات شاملة في عالم متعدد الحضارات.

والهدف هو دعوة الغرب لنهج سياسة انعزالية لينة، ومحاولة معرفة الحضارات غير الغربية معرفة جيدة قصد التعرف على المبادئ المشتركة التي يمكن أن تتشكل أساسا للتفاهم، والتعايش بين الغرب وباقي الحضارات، فبالنسبة للمستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية واحدة بل عالم يضم حضارات مختلفة ينبغي أن تتعلم كل منها التعايش مع غيرها. [349]

[349] المرجع نفسه،ص ص49،50.

المبحث الرابع:

تكنولوجيا المعلومات والاتصال،كألية للهيمنة الثقافية

في خطاب ألقاه "ليونارد ماركس" المدير السابق لوكالة المعلومات الأمريكية، أمام المؤتمر الذي نظمته وزارة الخارجية الأمريكية سنة 1974: قال: "لا يمكن أن تنهض إستراتيجيتنا على نظام وسائل الاتصال الراهن ... وقبل أن يغدو البث المباشر عبر التوابع الصناعية ممكنا، ستوجد مع ذلك شبكات يطرح الكترونية عالمية _يعمل بعضها بالفعل_ وسوف يطرح وجودها بالفعل مشكلات واقعية بصدد تدفق المعلومات والتكامل الثقافي...وإن التوسع العالمي في نقل البريد إلكترونيا وشبكات المعلومات ونظم استرجاع البيانات عن طريق بنوك المعلومات سوف يؤثر تأثيرا هائلا في السنوات المقبلة على الثقافات بدرجة أكبر من تأثير أي نظام للبث المباشر، ويتعين على استراتيجيتنا لأن تضع في اعتبارها كل هذا."

- لقد توطدت أركان هذه الاستراتيجية، والعرض بتقديم تكنولوجيا متقدمة، ولاسيما تكنولوجيا وسائل الاتصال إنما يعمل على إغراء قطاع عريض من المجتمع الدولي، ولهذا السبب فإنه يبدو من الأمور الملحة اليوم درس الدور الشامل للتكنولوجيا، بوصفها أداة لتحقيق الهيمنة الثقافية، باعتبارها تجسيدا لهذه الهيمنة أيضا... فالتكنولوجيا، وطريقة استخدامها تؤثر على المرافق الأساسية للاتصالالاجتماعي، وبذلك فإن قبول "إستراتيجية إنمائية في إحدى الأمم يجلب معه ما هو أكثر من المعدات والتقنيات الصناعية، فالكيفية التي ترتبط بها البشر سواء في مجال العمل أوفي مجال المجتمع ، أو في الحياة الأسرية تحددها بقدر كبير إن لم يكن بصورة ساحقة، طبيعة التكنولوجيا المستخدمة، وكيفية استخدامها، والعلاقات الاجتماعية التي تنظم استخدامها. [350]

---

[350] هربرتشيللر، ترجمة، وجيه سمعان عبد السميع، مرجع سبق ذكره، ص75.

- على وجه اليقين تعتبر تطور التكنولوجيا على نقيض تطور الأفكار الإبداعية التي لا تتجسد ماديا، يعتمد اعتمادا كليا على موافقة مراكز القوة الاقتصادية صاحبة القرار فضلا عن تشجيعها، ومن غير المتصور ألا يكون الأمر على هذا النحو، وكما يحدد "نيكولاس جارنهام" Garanham.
- "يحسن اعتبار التكنولوجيا بالأحرى هي تلك الإمكانات التي يختار تكوين اجتماعي معين تجسيدها، وإضفاء الطابع المؤسس عليها، وخلاصة القول إن المسائل المتصلة بعلاقة التكنولوجيا بالمجتمع إنما هي مسائل سياسية، وتتعلق بعلاقات القوى داخل المجتمع والأحكام القيمية بصدد شكل ذلك المجتمع، واتجاه تطوره واستخدام الموارد لهذه الغاية". [351]

يرى "رايموندويليامز" أنه من بين أوجه الالتباس السائدة الاعتقاد بأن "التكنولوجيا الجديدة اخترعت كما لو كانت في مجال مستقل ، ومن تم تخلق مجتمعات جديدة أو أوضاعا جديدة والواقع التاريخي مختلف عن ذلك. "إن تاريخ نظم وسائل الاتصال (التلفزيون والتطورات الإلكترونية المتصلة به) لا يمكن أن يتمثل بأي حال في أنها تخلق مجتمعا جديدا، أو أوضاعا اجتماعية جديدة، ولقد خلق التحول الحاسم والمبكر للإنتاج الصناعي، أو أشكاله الاجتماعية الجديدة التي نمت عبر تاريخ طويل من التراكم الرأسمالي، والتحسينات التقنية في ظروف العمل، احتياجات جديدة بل إمكانات جديدة أيضا، وكانت نظم وسائل الاتصال، وصولا إلى التلفزيون المحطة الفعلية التي نبعث منها".

وكما يلاحظ "ويليامز" فإن البث الإذاعي والتلفزيون تم تنظيمه، وتطور سياق مجتمع مجزأ بالفعل، حيث تعيش كل أسرة منعزلة في مسكنها الخاص لا تربطها رابطة بغيرها، وجاء هذا الوضع محصلة لا محيص عنها لتطور يتحكم فيه السوق، عمل على تفتيت الجماعة، وحكم على الأفراد بالعيش في مهاجع مادية وسيكولوجية معزولة، بث الرسائل من مصادر إرسال مركزية إلى متلقين من الأفراد المتناثرين يخدم، ويضاعف التدفق الذي يسير في اتجاه واحد.

تقدم الملابسات المحيطة يتطور التوابع الصناعية للاتصال مثلا تتضح من خلاله المنابع السياسية ،والاجتماعية للتكنولوجيا، فعلى الرغم من أن التكنولوجيا امتدت لقدرتها على توفير

---

[351] المرجع نفسه، ص 72.

تعليم شامل وإثراء ثقافي مع إتاحة إمكانية الوصول على الفور إلى مستودعات المعلومات عبر العالم بأسره، فمن الضروري أن تتذكر أن الأموال التي أنفقت على البحوث الإنمائية والتي أفضت إلى تصور وإنتاج مراكز الإرسال والهوائيات المحلقة عاليا وفرها اتحاد عسكري تجاري أمريكي مبتغيا تحقيق أهداف جلية، ولم يكن هذا السعي عشوائيا يسعى إلى إيجاد وسائل اتصال جديدة، فقد كان تطور التوابع الصناعية منذ بدايته، معبرا عن الجهود الموفقة التي بذلتها شركات الاتصال الخاصة في الو.م.أ لإزاحة البريطانيين عن هيمنتهم على الاتصال الدولي التي حققتها لهم سيطرتهم على الكايلات البحرية المنتشرة عبر القارات، وتحقق هذا الجهد بالتعاون الوثيق بين الشركات التجارية الاحتكارية والقوات المسلحة في الولايات المتحدة التي كانت تبدي اهتماما فائقا بالاتصالات الآنية، بهدف خدمة الإمبراطورية الأمريكية التي تنتشر قواتها في جميع القارات وخضع أول نظام عمل على تحقيق الاتصال عبر التوابع الصناعية للإشراف العسكري.[352]

بعد عقد من الزمان في أوائل السبعينات تكون اتحاد دولي سمي "Inlelasat" ضم 91 دولة (حاليا)، مستخدما نظام التوابع الصناعية في و.م.أ وسيطرت على هذا النظام منذ البداية الشركات التجارية الأمريكية الكبرى Comsat , RCA ,ITT, A.T.8Tالتي تعمل في تعاون وثيق مع وزارة الخارجية الأمريكية على الصعيد الحكومي المشترك، وفي السنوات الأخيرة فإن الدوافع الوطنية لدى الدول الأعضاء في "انتل سات" قد ضغطت من أجل الحد من السيطرة الرسمية للو.م.أ (عن طريق التصويت)، وعلى الرغم من ذلك فإن جميع المشتركين قبلوا مبادئ وإجراءات تشغيل نظام تكنولوجي في تكوينه ومعاييره، ترشيده، ويذكر أحد الذين سردوا تاريخ هذا الاتحاد (انتلسات)، أن القرارات يمكن أن تصدر وفقا للأهداف المالية والتكنولوجية بصرف النظر عن المقاصد السياسية أو المثل العليا "ويقول باحث آخر: فإن جميع الدول الأعضاء في هذا الاتحاد البالغ عددها 91 دولة بما فيها يوغوسلافيا والعديد من دول العالم الثالث، إرتضت حتى الآن سيادة مبادئ الفعالية والوظيفية، وتفوقها على الاعتبارات السياسية والاجتماعية، ولايعد هذا الأمر بالنصر الهين في المجال الايديولوجي، وفي الإطار الإنتاج– الربح، بالنسبة للرأسمالية بوجه عام والشركات التجارية الأمريكية بوجه خاص، لأنه حالما يطبق تعريف السوق "للفعالية" فإن احتمال بل إمكانية تضمين العوامل الإجتماعية في حساب التكاليف أو الأرباح يختفي تماما.

---

[352] المرجع نفسه ، ص77.

ومجمل القول إن التكنزلوجيا، وخاصة تكنولوجيا الإعلام والإتصال، قد تم إدراكها وتطويرها وتشبعها بمصالح الرأسمالية الأمريكية، ومواصفاتها منذ الحرب العالمية الثانية على وجه اليقين ومازالت كذلك حتى الآن.

وإذا ما انطلقنا من التسليم بأن التكنولوجيا، والعمليات المرتبطة بها إنما تبدأ في نطاق الاحتياجات المنتظمة للطبقة السائدة ،فإنه يترتب على ذلك أن الاحتياجات الأصلية للأمم الضعيفة والتابعة والتي تقع في المحيط الخارجي لن ننال اعتبارها من قبل منتجي التكنولوجيا الجديدة ومصدرها، ومن المفيد هنا الاستعانة ببعض الإحصاءات: " هناك 98 ./. من البحوث العلمية والتكنولوجية تجرى في الوقت الراهن في الدول المتقدمة، وتشير هذه البحوث على مدى تجارها الخاصة وأن نسبة 1./. فقط من هذه البحوث يوجه لدراسة المشكلات الخاصة بالبلدان النامية.

كما أن برنامج الفضاء يعد مثلا صارخا على التكنولوجيا التي تخدم الأقوياء – حيث أن تقرير لصحيفة "نيويورك تايمز" أن الأمم المتحدة ذاتها لا تتوفر لديها القوى العاملة الفنية ولا الموارد المالية لمساعدة الدول الأفقر في الانتفاع بالمكتشفات الجديدة.

وفي الوقت الراهن، فإن الميزانية السنوية لبرامج الفضاء التي تبلغ 877000دولار من المفترض أنها تغطي النفقات التي يستلزمها إطلاع 100 بلد على جميع نواحي الاستخدامات الفضائية وعلى سبيل المقارنة، فإن وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) يوجد تحت تصرفها سنويا زهاء 9 مليار دولار، عبر فترة تمتد إلى 15 سنة، وكان لا يزال تحت تصرفها في عام 1985 مبلغ 2,5 مليار دولار ...

وعلى الرغم من أنه لا يزعم الآن أحد الآن بأن الإرسال من توابع الفضاء الصناعية إلى أجهزة الاستقبال المنزلية متوقع على الفور، فإن التكنولوجيا معلومة وقادرة على بناء هذه التوابع، ومن تم لم يكن من المستغرب، أو المزعج أن تعرب أمم كثيرة عن تشديد قلقها بشأن النتائج المحتملة للبث المباشر عبر التوابع الصناعية في وقت ما مستقبلا، فهذا القلق، إنما هو بمثابة تطور طبيعي للوضع الراهن الذي يسيطر فيه حفنة من تكتلات وسائل الإعلام في البلدان الرأسمالية الغنية على تداول الأنباء، والأفلام ،والمجلات ،وبرامج التلفزيون، وغيرها من المواد على الصعيد الدولي.

والجهود التي بذلت في إطار اليونسكو، والأمم المتحدة لعرقلة الاستحواذ الكامل للبث المباشر عن طريق الأقمار الصناعية من قبل هذه المصالح التجارية نفسها، عارضتها بشدة الولايات المتحدة، وقد كان موقفها الذي يعبر تعبيرا مباشرا عن مصالح تكتلات وسائل الإعلام في أمريكا الشمالية هو

أن "أي اتفاق دولي بشأن المبادئ التي يحسن أن تنظم البث عن الأقمار الصناعية هو سابق لأوانه".[353]

ووفقا لهذا الرأي فإن " المهمة المباشرة لا تتمثل في وضع مبادئ لاتفاق دولي، وإنما تتمثل في إجراء تجارب البث عبر الأقمار الصناعية حتى يمكن التوصل إلى كل ما تنطوي عليه من كامل الإمكانات في خاتمة المطاف وتطوير روح وأساليب التعاون الدولي في هذا المجال، ورأت و.م.أ أنه إذا ما تم التعجيل بإصدار القواعد، فإنها يمكن أن تعمل على تجميد تطور البث عبر الأقمار الصناعية .

وباختصار فإنه لا ضرورة لأي قواعد أو تقييم، ولندع التكنولوجيات تنتشر، وإن موضوع التنظيم والسيطرة لا يغدو مشروعا إلا بعد أن خلقت التكنولوجيا لزوميتها التي لا يمكن اجتنابها، وفقا لبنية الهيمنة التجارية السائدة، وبذلك يكون النموذج قد أرسى دعائمه مما يواجه واضعي هذه القواعد بالأمر الواقع اقتصاديا وتكنولوجيا.

لا ريب في أن القاعدة التكنولوجية هي التي تدعم جميع وسائل الإعلام ونظم الاتصال على وجه العموم، ويعد خلق التكنولوجيا الجديدة وإدارتها وتوزيعها بمثابة الاختبار الأخير للقوة الحديثة والمقدرة على الهيمنة، كما يمكن أن تتوقع فإن و.م.أ، اعتمادا على قاعدتها الصناعية الضخمة وإنفاقها الضخم على التنمية والبحوث في المجال العسكري طوال خمسة وعشرين عاما، تتمتع بوضع مهين في هذا المجال الحيوي، زمن المؤكد أنه بنظر إلى هذه الهيمنة بعين الرضا.

"تعد التكنولوجيا المنبع الأساسي لزيادة الإنتاجية والفعالية، ويترتب على نقلها نتائج مهمة بالنسبة للعلاقات الاقتصادية الدولية، ولقد تبوأت الو.م.أ لسنوات طوال مركز القيادة في مجال البحوث وتطبيقاتها من أجل الأغراض التجارية، كما كانت مصدر الكثير من الدراية الفنية في

---

[353] المرجع نفسه،ص ص90,85.

مجال الإدارة والتسويق التي انتقلت إلى الاقتصاد العالمي، وقد بلغت الرسوم والإتاوات التي حققتها تجارة و.م.أ في عام 1973 من تقديم بعض منتجاتها التكنولوجية قرابة 3.5 مليار دولار.

وعلى ضوء هذا الاعتماد الكثيف الذي يكاد يكون تاما في بعض الأحيان على منتجات وسائل الإعلام الأجنبية، والتكنولوجيا وعمليات التقنية الأجنبية، يفهم تماما القلق الذي يتبدى لدى البلدان النامية، والمتقدمة على حد السواء للحفاظ على النزر اليسير من الاستقلالية الثقافية.

على الرغم من الأنماط السائدة في التدفقات الدولية لوسائل الإعلام والعمليات التقنية والقوة الاقتصادية التي تدعمها، فإن التكنولوجيا التي تظهر حاليا يمكن أن تخل من ناحية إمكاناتها على الأقل، بهيكل السيطرة القائم في الوقت الراهن، و ما يحتل مكان الصدارة في هذا المجال هو اتساع التجديدات الاتصالية التي ظهرت في العقود القليلة الأخيرة مثل التلفزيون، الأقمار الصناعية، الحاسبات الإلكترونية...وغيرها.

تتحقق الهيمنة الخارجية في مجالات الاتصالات الثقافية بطرق كثيرة، غير أن الشرط الأساسي والجوهري هو السيطرة على إنتاج الرسالة (الصورة، المعلومات) وقنوات الرسالة في آن معا، وقد درس guback، الآليات التي تكفل سيطرة الشركات الأمريكية الخاصة على تمويل الأفلام وتوزيعها على نطاق العالم بأسره، وكتب قائلا "يشكل المزعون الأمريكيون، على أية حال أكثر المجموعات أهمية في أوروبا، إن لم يكن في العالم بأسره، وأكبر شركات الأفلام في أوروبا هي شركات أمريكية، ومن الناحية الإنتاجية فإن السيطرة الأمريكية لا تخفى عن العين أيضا، وفي عام 1969 قدمت الشركات الأمريكية استثمارات في 185 فيلما بلغت تكاليفها إنتاجها حوالي 235 مليون دولار، مقابل 142 فيلما أنتجت في أمريكا بمبلغ 228مليون دولار.

تجعل الحقائق المتعلقة بالحياة الصناعية المعاصرة الاعتماد الواعي على الإقناع وصناعة الصور سمة أساسية ومتنامية من سمات الرأسمالية الحديثة، ومن المتوقع أن يبلغ العائد السنوي من الصناعة الإعلانية في و.م.أ في عام 1975 ما يربو عن 28 مليار دولار، ويتم استيعاب هذه النفقات الضخمة في تنظيم وتوجيه الطلب الاستهلاكي، ولا تتيح المؤشرات الاجتماعية المتنوعة معلومات عن الأشكال الأخرى للتدليك السيكولوجي الذي يحتل الآن مكانة مرموقة في عمليات المشروعات الحكومية والصناعية، وتعد المعلومات الحكومية والعلاقات العامة واستقصاءات الرأي العام ومنتجات وسائل الإعلام بصفة عامة، المكونات الراهنة للجهود المنتظمة التي تبذل في عمليات المداهنة والإقناع والتلاعب والسيطرة.

ظهر الجيل الأول من الحاسوب (الكومبيوتر) عام 1948 وقد اتسم بكبر حجمه واستهلاكه الكهربائي الكثيف، وعرف الكومبيوتر تطورات متلاحقة خلال العقود الخمسة التالية، وأصبح الجيل الخامس الراهن متميزا بصغر حجمه وكفاءته العالية وسرعته المذهلة، وتخضع تقنيات الصناعة الإلكترونية لتطورات مذهلة، هذه التقنيات تقوم على إنشاء ذاكرة إلكترونية عبر وسائل تتحسن تدريجيا (من الإلكترون إلى الفوتون، ومن أسلاك النحاس إلى الألياف الضوئية) وتسمح هذه الذاكرة بتخزين كثيف للمعلومات من خلال آليات البرمجة وما تمكنه من أنماط استفادة وتبادل واسعة.

وقد مكنت هذه التقنيات من إرساء شبكات اتصالية عالمية لتبادل المعلومات على نطاق كوني بصفة مبسطة وسريعة عبر أجهزة صغيرة وفعالة، وأبرز هذه الشبكات هي شبكة "الانترنيت" التي تعود جذورها إلى مبادرة سعت إليها وزارة الدفاع الأمريكية عام 1969 لإنشاء شبكة تربط بين الجامعات ومراكز البحوث لتأمين التنسيق بين الخبراء وصناع القرار العسكري والسياسي في أفق قيام حرب نووية محتملة، وتحولت الشبكة إلى الاستخدام العمومي وامتد انتشارها إلى مختلف أقطار العالم تقريبا، ويتوقع أن يبلغ عدد المشتركين فيها في حدود مطلع القرن القادم مليار مشترك.

في كتابه الذي صدر بعنوان "الطريق إلى الأمام" يتحدث "بيل غيتس" رئيس شبكة "ميكروسوفت" الشهيرة، عن الآفاق الرحبة التي يدشنها عصر "الأنترنت" الذي سيفضي حسب اعتقاده إلى تغيير جذري في شكل العالم من حيث أوجهه المختلفة.

وينتهي "بيل غينس" من استعراضه لثمار ونتائج الإنترنت أن سيادة حقبة المعلومات المفتوحة سيؤدي إلى تحقيق أبعد أحلام البشرية مثالا منها على الخصوص: العدالة الاجتماعية والديمقراطية والمساواة الاقتصادية.

هكذا عوضت الثورة "السيبرنتيقية" الجديدة الاكتشافات السمعية البصرية الهائلة التي صاغت المجال التواصلي الحديث، حيث عبر المنبهرون بالحضارة الالكترونية على أنها عقيدة تقوم مقام المرتكزات الفكرية والعلمية للمجتمعات الصناعية الغربية المعاصرة ومن بين هؤلاء عالم المستقبليات "جون بري بارلو" الذي أصدر إعلانا باستقلال المجال السبرنتقي" موجها إلى

حكومات العالم مدعيا فيه بالخصوص أن مقولات الملكية والهوية والتعبير لم تعد تلائم هذا الأفق الجديد لأنها مقولات مادية، تناقض "روحانية" الفضاء المعلوماتي الجديد.[354]

والواضح أن هذه الإيديولوجيات المعلوماتية يجري توظيفه في الشأن الاستراتيجي والسياسي الأمريكي, فزعيم اليمن المحافظ في و.م.أ "نيوتغينغرس" الذي أصدرته 1995 كتابا مثيرا عنوانه"نهوض أمريكا" تحدث فيه عن عناصر التفوق ألمعلوماتي،التي ستضمن لبلاد السيطرة على العالم التحكم فيه.أيضا ووفق هذا المنظور كتب مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق"جوزيفثياي" دراسة هامة يؤكدان فيه أن الدولة التي ستضمن التفوق في المجال ألمعلوماتي ستنزع مركز القوة العظمى، وهذه الدولة هي و.م.أ. حسب كل المؤشرات "إذا كان السلاح الردع النووي معيار الحسم الإستراتيجي في حقبة الصراع القطبي المندثر. فإن القدرات المعلوماتية هي التي عوضت هذا الدور. فالإعلام هو العملة الجديدة للمملكة العالمية، والولايات المتحدة مؤهلة أكثر من غيرها للاستفادة من إمكانياتها المادية والإلكترونية عن طريق الإعلام".

أما"دافيدروتكوب" المقرب من إدارة كامينتون فقد كتب مقالة شهيرة مثيرة بعنوان "مدح الإمبريالية الثقافية" تنبأ فيها بقيام "قرن أمريكي" قائم على القدرات الاتصاليةوالإعلامية."بالنسبةللو.م.أيتعين أن يكون الهدف المركزي لسياستها الخارجية في عصر الإعلام هو تحقيق الفوز في معركة تدفق المعلومات على النطاق العالمي".

وبالنسبة لهذا التيار النافد في دوائر القرار ومراكز التخطيط الإستراتيجي تشكل و.م.أ مصدر الاستقرار في العالم وقاطرة التقدم والنمو فيه، كما تتمتع به من موقع ريادي في مجال التقنية المعلوماتية، وعلى بقية الدول اعتداء النمو بها الثقافي والسلوكي للاندماج في عصر"القربة الإلكترونية المسجمة".ويعتبر نائب الرئيس الأمريكي "آل غور" من ممثلي هذا الاتجاه، وقد أحاط نفسه بكبار مسؤولي شركات الصناعة الإلكترونية في إطار دائرة التفكير المستقبلي في مشاكل الاقتصاد الأمريكي وطرق حلها في أفق قيام العصر ألمعلوماتي الجديد.

فشبكات الاتصال الإلكتروني الدولي السريع وأبرزها الإنترنيت، شكلت نقطة ارتكاز سيطرة القوة العظمى المتحكمة في مسار الإنتاج العلمي والتقني

---

[354]السيد ولد أباه، مرجع سبق ذكره، ص 8.

يفيد تقرير الإتحاد الدولي للاتصالات التابع لمنظمة الأمم المتحدة أن نسبة90 من سكان العالم كان لديهم خدمات إذاعية(راديو) في سنة 2002، بينما كان الرقم بالنسبة للتلفزيون 76، كذلك يقترب الكوكب من تحقيق تواصلية كاملة في هيئة إمكانية الوصول الأساسي إلى شبكات اتصال الهاتف المحمول، ولحسب الإتحاد الدولي للاتصالات أيضا فإن عدد خطوط الهاتف الرئيسية زاد من 634 إلى 1،207 مليون بين عامي 1994و2004، كما زاد عدد المشتركين في الهاتف الخلوي من

65إلى 1،758 مليونا. وقفز عدد مستخدمي الإنترنيت من 21 مليون إلى 863 مليون، وبالنسبة للاتصالات التلفزيونية الدولية (محسوبة بالبليون) كان هناك بالمثل زيادة كبيرة خلال تلك الفترة، حيث كانت أرقام 1994 و2004 هي 57 و145 على التوالي.[355]

عززت الزيادة التي طرأت على امتلاك أجهزت الراديو والتلفزيون في أرجاء العالم منذ ستينيات القرن العشرين، عولمة الميديا، وبحسب مجلة scveen digest"" ماي 1998 . كان هناك بالقرب من أواخر الألفية أكثر من بليون جهاز تلفزيون حول العالم، برغم وجود تباينات إقليمية في مستويات الملكية بالطبع.

في سنة 1996 على سبيل المثال. كان في أوروبا 442 جهاز استقبال تلفزيوني لكل ألف شخص مقارنة بعدد 50 جهازا لكل ألف شخص من إفريقيا.

أحد المؤشرات العالمية الواضحة هو ذلك الهبوط في نسبة المشاهدة لمحطات الخدمات العامة،وهذا يعود في جزء منه إلى إدخال الأقمار الاصطناعية والتكنولوجيا الرقمية. مما أدى إلى زيادة هائلة في عدد القنوات التلفزيونية التلفزيونية، ومحطات الإذاعة وساعات البث،وتعدد البرامج المنزلية، ونتج عن ذلك كثر أن أصبحت مشاهدة التلفزيون تجربة أكثر نشطا وفردانية. وفي هذا السياق فإن الكثير من محطات التلفزيون والراديو أصبحت تستخدم هذه القنوات لخدمة أذواق وثقافات وعرقيات بعينها لتكون في واقع الأمر "بنا محدودا" أكثر منها بنا عريضا المدى ألمانيا على سبيل المثال. شاركت في هذه التطورات بتخفيض حصة السوق من زمن مشاهدة مؤسسة الخدمة العامة من 100% سنة1975 إلى 39% في 1995 وقويت بالمثل عولمة

---

[355]بول هوبر، ترجمة طلعت الشايب، مرجع سبق ذكره، ص 88

الميديا. بظهور عدد من مؤسسات الميديا العملاقة متعددة الأنشطة مثل " ديزني"و "سوني" و"برتلزمان" و"جنرال إلكتربك" و"نيوز كوربوربشك" و"تيم وارنر"، كما أن تركيز ملكية هذه المؤسسات في أبدى قلة من المؤسسات. والتكتلات العملاقة يمكنها من اقتسام صناعة الثقافة والترفيه من خلال قدرتها على التمويل والإنتاج والتسويق والتوزيع لمنتجاتها السينمائية والتلفزيونية.[356]

تعتقد"كريس باركر 1997. أن مؤسسات الميديا العابرة للحدود القومية تطوق القواعد والنظم القومية والوطنية ومن ثم تضعف من إجراءاتها التنظيمية وهو توجه يدعمه النظام الدولي المتجه نحو السوق، الذي وضعه كل من منظمة التجارة العالمية. والإتحاد الدولي للاتصالات، وهناك قلق يتم، التعبير عنه كثيرا من أن هذه التطورات تؤدي إلى أنماط مشاهدة "متجانسة" ،أو معولمة بأشكال البرامج التلفزيونية نفسها مثل الأخبار والمسلسلات، وبرامج المسابقات وتلفزيون الواقع. التي تجدها في كثير من دول العالم، وقنوات بعينها وعلى نحو أكثر تحديد، هناك وجهة نظر، تتردد دائما، مفادها أن أمريكا تسيطر على الميديا العالمية ببرامج تلفزيونية، ونماذج أمريكية أخرى تغمر دولا في أوروبا وأمريكا اللاتينية وغيرها.[357]

في المقابل، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستورد سوى القليل من البرامج 1% من البرامج الإعلانية، و2% من برامج الخدمة العامة، بالإضافة إلى ذلك يرى النقاد أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت تحاول دائما التحكم في الإطار التنظيمي الدولي لصناعات الثقافة والإعلام، وذلك لكي تؤّمن لصادراتها الثقافية إمكانية الوصول إلى أسواق الدوّل الأخرى، ولتحقيق هذا الهدف فإن الولايات المتحدة الأمريكية، كما يرى البعض، تستخدم لغة وإيديولوجية السوق الحرّة لانتقادها ما تزعم أنه سياسات حمائية من قبل الحكومات الوطنية، وعلى نحو أوسع هي الحالة نفسها التي تبرهن على أن المؤسسات الإعلامية المسيطرة كلها مؤسسات غربية باستثناء الجزيرة، وهو ما يؤكد أن أجندة العالم الإخبارية مركزها "غربي" وتدار" غربيا" إلى حد كبير... مثل هذه التطوّرات من وجهة نظر اليسار السّياسي يتم تفسيرها باعتبارها شكلا من أشكال الاستعمار الإعلامي الذي ينشر القيم الرأسمالية الغربية... الأمريكية، أو إحداهما.

---

[356] المرجع نفسه، ص 90.

[357] المرجع نفسه ،ص 92.

لكن في المقابل يثير بعض المشككين عن اعتراضات على الزعم بعولمة الميديا العالمية، ومن المهم جدا أن نعرف أنه على الرغم من أن المؤسسات الإعلامية الغربية المتعددة الجنسية تبت باللّغات القومية على نحو متزايد، يظل حضورها خارج أمريكا الشمالية، وأوروبا وأستراليا محدودا نوعا ما. بالإضافة إلى ذلك فإن توزيع البرامج يقيده كون حقوقها مقسمة، أكثر من أنها تباع بالجملة، وذلك بهدف تعظيم الدخل، حتى ال(CNN). على الرغم من أسلوب عملها الدولي_ موجودة في أكثر من 200 دولة فإنها في النهاية شبكة أخبار أمريكية بالكامل، وكانت تنتقد أحيانا لأنها تسير على خط واشنطن، وهو انتشار قلص انتشارها العالمي.

وفي حين توجد قوى قادرة مثل المؤسسات الإعلامية العابرة للحدود القومية التي تقود عولمة الميديا، ولى الرغم من وجود تطورات تسهل هذه العملية، وبخاصة التوجه العالمي للتحرر من القيود والقوانين، فإن عدم انقسامها يتأكد بسبب عوامل مثل مدى التنوع الثقافي واللغوي في العالم، وعدم المساواة في فرص الوصول إلى تكنولوجيا الميديا، (وسائل الإعلام)، ووجود أنظمة إعلامية مختلفة، والعدد الإجمالي لمحطات الراديو المحلية والإقليمية، والصحف والقنوات التلفزيونية، والدور التنظيمي الذي تمارسه الدول، كذلك فإن أحد المحددات المهمة للعولمة الإعلامية، هو طبيعة رد الفعل المحلي على الميديا العالمية الذي سوف يتوقف على ظروفنا وأطرنا الخاصة، أحد العوامل الأخرى التي تسهم في عدم اتساق العولمة وانتظامها هو اختلاف قدرات الدول في السيطرة على المؤسسات الإعلامية العابرة للحدود وفرض قواعدها المنظمة.

... لا ينبغي التفكير في "عولمة الإعلام"، الميديا باعتبارها حالة مستقرة، وإنما باعتبارها مشروعا في حال استمرار، تسهم فيه عمليات أخرى كثيرة وتدفقات متعددة الجوانب، ليست كلها كونية من حيث درجة وصولها وإن كانت كلها تولد تفاعلات معقدة في اطر مختلفة.[358]

لقد سيطرت لمدة ربع قرن من الزمان نظرية واحدة على التفكير العالمي الخاص بالاتصالات والعلاقات الثقافية، وتتمثل هذه النظرية في الفكرة القائلة إنه لا ينبغي أن تحول أي حواجز دون تداول المعلومات بين اللأمم، وتتوافق تقريبا نشأة مفهوم حرية تدفق المعلومات واتساع نطاقه مع الفترة الوجيزة أي المجموعة للهيمنة العالمية للولايات المتحدة، وحالما نلقي

[358] المرجع نفسه، ص 93.

نظرة إلى الوراء، فإنه يتضح الآن، أنه لم يكن من قبيل المصادقة حدوث التزامن التاريخي بين طاهرتين: الصعود الضخم للولايات م.أ. وسياسة التدفق الحر للمعلومات.

لقد كان الاندفاع الخارجي للشركات التجارية الأمريكية اقتصاديا في أساسه وجوهره غير أن جدوى العامل الثقافي، الإعلامي في عملية التوسع نالت حق قدرها في مرحلة مبكرة للغاية من هذه الدراما، وأن التقدم الدولي السريع للرأسمالية الأمريكية الذي بدأ يشق طريقه فعلا في أوائل الأربعينيات، وجد تبريره بوصفه تعبيرا فريدا مفيدا للغاية عن الحرية النامية في الساحة الدولية، حرية رأس المال، والموارد وتدفق تداول المعلومات.

وقدم جون نايت J.Knigt مالك مجموعة من الصحف في و.م.أ (وكان رئيس الجمعية الأمريكية لمحرري الصحف) سنة 1946، فكرة لم تنل حقها من الشرح والتفسير، وكان الكثيرون يعبرون عنها في ذلك الوقت: "لو لم تستول القوات النازية والفاشية في ألمانيا وإيطاليا وتسيطر على الصحافة وجميع المرافق الاتصالية منذ البداية لكان ممكنا منع هذه الديكتاتوريات السامة من النمو والاستحال تطعيم الفكر الوطني بالاتجاهات المتشربة بالكراهية وسوء الظن".[359]

وصرح "بالمرهويت" "Palmerhoyt" وهون شر أمريكي، عقب انتهاء الحرب بعدة أشهر "إنني على يقين تام من أن العالم لا يستطيع تحمل حرب أخرى إلا أنني أعتقد اعتقادا جازما بأن العالم يتجه إلى مثل هذه الحرب، وذلك التدمير ما لم تتخذ تدابير فورية تكفل الشروع على الأقل في إرساء حرية الأنباء بين شعوب الكرة الأرضية والحضارة المحرومة من المعلومات لا يمكن أن تكون حضارة حرة، ولا يمكن أن يكتب الدوام لعالم غير حر"، ولم يغب عن البال في و.م.أ الدور الحاسم الذي اضطلعت به شبكة الاتصالات العالمية البريطانية، سواء في سيطرتها على أجهزة الكابلات المستمرة عبر المحيط، أو في تنظيمها الإداري للأنباء والمعلومات، وقد ربطت هذه الشبكة النظام الاستعماري معا وعززت مزاياه وعزلته عن الهجوم الخارجي.

لقد سعى "كنت كوبر" "kentcooper" المدير التنفيذي لوكالة اسوشيتدبرس" إلى تحطيم القبضة الدولية لكارتلات الأبناء الأوروبية، وفي مقدمتها روتيرزوهافاس وولف، ووصف في كتابه "لتسقط الحواجز" التقسيمات الإقليمية على نطاق العالم التي نظمتها الكارتلات والقيود التي فرضتها على أنشطة الأسوشيتدبرس، كما أفرز "كوبر" بأهمية السيطرة البريطانية على الكابلات

---

[359] هربرتتشيللر، ترجمة، وجيه سمعان عبد السميع، مرجع سبق ذكره، صص 47,46.

المعقدة عبر المحيطات وقال: "لقد جلب الكابل استراليا وجنوب إفريقيا والهند والصين وكندا والعالم البريطاني بأسره إلى لندن الواقعة على نهر التايمز .. لقد ركزت بريطانيا على مهنة الكابل وعملت في البداية على ربط إمبراطوريتها ثم توسعت وربطت بها أمما أخرى، وفي اتساق مع الأعمال الفيكتورية فإن الأنباء التي تدفقت عن طريق هذه الشبكة المتسعة من الكابلات أضفت على القضية البريطانية البهاء والرونق.

وكان يناقش ما إذا كان ينبغي للأسوشيتدبرس ألا تبدل جهدا كي تخترق سيطرة هافاس (الفرنسية) على أراضي أمريكا الجنوبية الشاسعة، وحسب تقديره سعت رويترز وهافاس إلى تحقيق أهداف ثلاثة، باستعداد السوشيتدبربرس من نشر الأنباء في الخارج.

1- تجنب منافسة السوشيتدبربرس.

2- استمتع بحرية عرض الأنباء الأمريكية بصورة منقضة في و.م.أ.

3- عرض الأنباء الخاصة ببلادهما على نحو أكثر إطراء دون تقديم ما يناقضها مع العمل على تمجيد بلادهما.

لقد وجد منظمو الاتصالات الحكومية ورابطات الصحافة الأمريكية من يشاركهم في هذا البلد في الاعتراف بالمزايا التي تضفيها السيطرة العالمية على وسائل الاتصال على التجارة الخارجية وأسواق التصدير، حيث ذكرت مجلة Busine Week "تسلم واشنطن بأهمية وسائل الاتصال التي تتمتع بحرية أكبر في فترة ما بعد الحرب بوصفها حافزا على تبادل السلع والأفكار".

ما يعني، أن يحاول الموظفون الاتحاديون تخفيف حد القبضة التي أمسك بها البريطانيون طويلا عن طريق نظام الكابل، والتي أحكموها عقب الحرب من خلال الاستيلاء على الممتلكات الألمانية، وفي وقت السلم فإن انخفاض تكلفة الرسائل سوف يعمل على تنشيط تجاربنا وتدعيم الأنشطة التجارية، وأوجزت المجلة وجهة النظر التجارية باقتباس تعليق ورد في "الاستاندرد" البريطانية، مبدية موافقتها عليه "إن السيطرة على وسائل الاتصال، تضفي قوة تكمن في مراقبة التجارة العالمية، تيسر القيام بأنشطة تكون في مصلحة من يسيطرون عليها".[360]

---

[360] المرجع نفسه ،ص ص49,48.

لقد قام فريق من الخبراء الأمريكيين بصياغة الاقتراحات المبكرة لإنشاء اليونسكو ثم راجعتها وزارة الخارجية، ودافعت هذه الاقتراحات بجلاء عن التدفق الحر للمعلومات بوصفه هدفا من أهداف اليونسكو، وعندما نستعرض اجتماعات الوفد الأمريكي في المؤتمر التأسيسي لليونسكو في واشنطن ولندن في أكتوبر ونوفمبر 1945 نجد أن رئيس الوفد "أرشيبالدماكليس"، أكد مرارا اقتناع (واقتناع وفده) بأن التدفق الحر للمعلومات مبدأ أساسي، ولا يوجد ما يبرر الارتياب في هذا القول فقد حظي مفهوم التداول الحر يتأييد تام من قبل كثيرين في و.م.أ ولاسيما في الأوساط الأدبية والفنية ذات النزعة الإنسانية غير مبالين بالغرض الأساسي الذي تخدمه هذه النظرية.

لقد اهتمت اليونسكو منذ بداية عملها وبمبادرة من وفد الولايات المتحدة بالتدفق الحر للمعلومات، وكان من بين مشاغلها الأساسية، وعندما سرد وفد و.م.أ ما دار في الدورة الأولى للمؤتمر العام لليونسكو الذي عقد في باريس نوفمبر / ديسمبر 1946، ذكر أنه اقترح على اللجنة الفرعية المختصة بوسائل الاتصال الجماهيري بأن تتعاون اليونسكو مع اللجنة الفرعية المختصة بحرية المعلومات التابعة للجنة حقوق الإنسان في إعداد تقرير للأمم المتحدة عن العقبات التي تحول دون التدفق الحر للمعلومات والأفكار، "ولقد أنشئت بالفعل شعبة للتدفق الحر للمعلومات في إدارة وسائل الاتصال الجماهيري التابعة لليونسكو ذاتها.

لقد برز واضحا في المجتمع الدولي في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات اتجاه جديد بصدد مبدأ التدفق الحر للمعلومات كرد فعل بدرجة كبيرة لفيضان المادة الثقافية الأمريكية واغتصاب شبكات وسائل الإعلام الوطنية التي لا نجد مناصا من نشر هذه المادة، وإلى جانب نظرة التدفق الحر للمعلومات، بدأت تتكرر الإشارة إلى السيادة الثقافية والخصوصية الثقافية، والاستقلال الثقافي، وحتى التسليم بإمكانية الإمبريالية الثقافية.

الجدول (09)يوضح توزيع السوق العالمي لتكنولوجيا الاعلام والاتصال وفق الجهات الجغرافية الكبرى ما بين 2000 و 2005 (بمليارات اليورو)

الجهة الجغرافية	2000	2001	2002	2003	2004 – حزايران/يونيو 2005
أروبا الغربية	637	667	678	702	726
فرنسا	95	103	103	108	113

المانيا	133	142	142	145	148
ايطاليا	76	76	79	81	83
بريطانيا	135	139	132	146	150
امريكيا الشمالية	1059	1061	1072	1101	1141
الولايات المتحدة	977	975	988	1013	1049
آسيا / الباسفيك	618	655	714	757	804
اليابان	363	368	373	393	411
باقي دول العالم	256	307	321	357	397
اوروبا الشرقية	78	101	116	131	147
امريكيا اللاتنية	129	139	133	143	164
افريقيا ,وسط وغرب	58	66	72	78	86
المجموع	2579	2690	2785	2916	3068

الجدول(10) يوضح السوق العالمي لتكنولوجيا الاعلام والمعلومات والاتصال (2000 و 2005) (بمليارات اليورو).

القطاع	2000	2001	2002	2003	2004 – حزايران/يونيو 2005
تجهيزات الاتصالات	334	296	268	203	245
خدمات الاتصالات	918	1012	1067	1122	1172
اجهزة معلوماتية	278	294	312	344	379
برمجيات وخدمات معلوماتية	517	544	545	570	603
خدمات سمعية /يصرية	295	304	328	350	369
الكترونيات جماهرية	237	252	266	277	290
المجموع	2579	2690	2785	2916	3068

الفصل الثالث

المبحث الأول

- **التنوع الثقافي في عصر العولمة:**

لما كانت الثقافة هي مجموع السمات الروحية والمادية، الذهنية والنفسية التي تميز مجتمعا ما أو جماعة بشرية ما. وتضم الفنون والآداب وأنماط الحياة، وطرق العيش المشترك، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. فإن تغيب مبدأ التنوع الثقافي (وفي صلبه مبدأ التعدد والاختلاف). إنما هو تغيب لكل هذه المظاهر لفائدة مظاهر أخرى أقوى أو تدمير المقومات ذات التنوع لاعتبارات فوق– ثقافية أو على خلفية من مواقف طائفية أو إثنية أو لغوية أو تاريخية أو غيرها.

ولما كان التعدد الثقافي هو مجموع العارف التقليدية ومختلف أشكال الإبداع والممارسات التي تعتمدها المجموعات والهويات الترابية والمحلية، فإن الحفاظ على ذات التعدد هو الحفاظ على التنوع البيولوجي الذي يضمن البقاء للكائنات.

وليس من المبالغة في شيء بأن الاعتقاد بالمطالبة بصيانة مبدأ التنوع البيولوجي إنما هو من المطالبة بصيانة مبدأ التنوع الثقافي والعكس بالعكس. فهما معا إشكالات لمسألة واحدة، مسألة التنوع التي ترهن حاضر البشرية ومستقبلها.

وعلى هذا الأساس فلو سلم المرء بأن التنوع الثقافي إنما هو حق لا يقبل التجزيء في قناعة الأفراد والجماعات، فإن صيانته والمحافظة على بقائه يبقى رهين قدرة هؤلاء على ترويجه وإشاعة منظومته في الزمن والمكان.

فضمان حرية تعبير مختلف أشكال الممارسة الفنية والثقافية والاجتماعية والدينية والفلسفية هو ضمان الحق في التنوع الثقافي تماما كما هو الشأن فيما يتعلق بإسناد الممارسات الثقافية التي من شأنها إبراز وتوسيع مجال الهويات الثقافية وانفتاحها على ما سواها من هويات.

نفس الشيء أو أكثر فيما يخص الحفاظ على الإرث المادي واللامادي بكل مكوناته وعناصره ومواجهة شتى ضروب الإدماج القسرية التي قد تسلكه ثقافة ما غالبة "على ما سواها من ثقافات قد تبدو "مغلوبة".[361]

---

[361] يحيى اليحياوي: **كونية الاتصال، عولمة الثقافة ،شبكات الارتباط والممانعة**، منشورات عكاظ، ط1، المغرب 2011، ص ص140، 142.

مثلما أثار مستقبل السيادة الثقافية للدولة القومية في ضوء العولمة، اهتمام المفكرين والكتاب، فإن موضوع التنوع الثقافي كان موضع اهتمامهم، فالتجانس الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية، وانقراض للإنسان ثقافيا، لذلك فالتعددية الثقافية تعتبر ثروة كبيرة يجب على الإنسانية الحفاظ عليها، وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانة لقدرة الإنسان على إبداء أجوبة مناسبة للتحديات المختلفة.

- بما أن هناك منظمات دولية أنشأت للدفاع عن البيئة وعن بعض النباتات وبعض الحيوانات، يجب أيضا الدفاع عن الحضارات وعن الثقافة، وعن التعددية الثقافية، والتعددية الحضارية.

ويمكن الإشارة إلى أن موضوع المحافظة على التنوع الثقافي أشارت له "اليونسكو" في إعلانها الصادر في 04-11-1966 حيث نصت المادة الأولى منه على أن "لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها ومن حق كل شعب ومن واجبه أن ينتمي إليها، وتشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع، وما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا. فالتنوع الثقافي مصدر من مصادر قوة الإنسانية.[362]

فالمحافظة على التنوع الثقافي يمثل ضرورة من ضرورات الحياة يجب على المجتمع الإنساني أن يعمل من أجل المحافظة عليه في كل زمان ومكان، واليوم في زمننا هذا نجدها أكثر بروزا خاصة في ظل العولمة: حيث نجد (أن الإنتاج الثقافي واحتكار الرموز القيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الراهن على مستوى إنتاج وتوزيع الثقافة، ولقد انتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية الرأسمالية، ومن طور الأنظمة الاقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع العربي بوصفه –أي التعميم– آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي على الصعيد العالمي، ولقد استفاء النظام الرأسمالي جيدا من الثورة الإعلامية المعاصرة، ووظفها أمثل توظيف في سبيل تحقيق، تعميم أو عولمة للقيم الثقافية الغربية، فالمؤسسات الإعلامية الضاربة، تكلف بتحطيم الحدود القومية والحواجز والسياسات الثقافية الحمائية، لكي تكتسح المجال العالمي بالصوت والصورة. وتوحد الرموز والأذواق والمعايير والقيم).[363]

---

[362] المرجع نفسه ، ص140.

[363] عبد الإله بلقيز: **الثقافة العربية أمام تحدي البقاء**، مجلة شؤون عربية، عدد 79، 1994، ص86.

مما قد يؤدي إلى القضاء على التنوع الحضاري، والتعددية الثقافية التي تثري الحضارة الإنسانية.

ويرى "لستر ثرو" "Lester Thurow" أستاذ الاقتصاد في معهد "ماساشوستي"، يرى (العكس) –من الوجهة الاقتصادية– أن ثمة رأسمالية عالمية شاملة تنزع إلى أن تفرض نفسها على العالم، ولكن إلى جانبها أنماط أخرى من الرأسمالية (في جنوب شرق آسيا حيث تسود المؤسسات الاقتصادية الكبرى وحتى في أوروبا نفسها) ويرى بوجهة أشمل أن العولمة ليست مجرد سيطرة أمريكية على العالم، فسيطرت أمريكيا على العالم بعد عام 1945 وبعد 1960، ولاسيما سيطرتها الاقتصادية، كانت أكبر بكثير من سيطرتها على العالم اليوم، ويضيف قائلا أن الاقتصاد الأمريكي رغم أن اللاعب الأول في العالم، لا يستطيع أن يفرض قواعد اللعبة.

وفي ميدان الثقافة أن الذي يفرض نفسه على العالم هو ضرب من الثقافة العالمية، وليس الثقافة الأمريكية (والجمهور في و.م.أ ينتابه القلق لأن التلفزيون والسينما وغيرها تهدم القيم العائلية).

ويذهب "صامويل هينتغتون" يذهب إلى القول أن الثقافة الغربية لا يمكن أن تكون ثقافة عالية، تعمل على إلغاء التنوع الثقافي –كثيرون في الغرب يعتقدون أن العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة، واحدة هي ثقافة غربية أساسا، ومثل هذا الاعتقاد متغطرس، زائف وخطر، فانتشار السلع الغربية، واحتساء الكوكاكولا لا يجعل الروسي غربيا، كما أن تناول طبق الشوش "الياباني" لا يحول الأمريكي إلى ياباني.[364]

ألفين توفلر يرى أيضا أن العولمة لن تؤدي إلى تحقيق تجانس ثقافي، متخذ من الفشل الذي أصيبت به نظرية الرواج الدولي دليل له (فهذه النظرية الذي يساهم في تقديم الأساس المنطقي لها (أستاذ التسويق –نيودورليفيت– جامعة هارفارد الذي بشر أن "احتياجات العالم، ورغباته قد تجانست بشكل نهائي، وهلل بمجيء المنتوجات، والأصناف الدولية ملحا إلى أن نفس المنتج المستورد من قبل نفس الإعلان والذي كان يباع سابقا محليا، يمكن أن يبيعه الآن العالم كله.

---

[364] المرجع نفسه، ص 143.

في حين أنه في بعض المناطق في العالم يطالب المستهلكون بمنتجات ذات طابع فردي وخصوصي.[365]

الحقيقة أن الثقافات أيضا، باستثناء بعض الحالات، أخذت جماعتها تتفكك، شأنها في ذلك شأن المنتجات، وتعمل تعددية وسائل الإعلام نفسها على زيادة سرعة هذه العملية، إن النظام الجديد لوسائل الإعلام الدولية قد يعمق تنوع العالم بدلا من جعله متجانسا، كما فعلت وسائل إعلام الموجة الثانية، إذن فالتدويل لا يعني التجانس.

وبدلا من القرية الكونية الواحدة سنرى على الأرجح عددا وافرا من القرى الدولية. والتي ستكون جميعا متصلة بنظام وسائل الإعلام الجديد، غير أنها ستجاهد جميعا لاستبقاء أو لتحصين فرديتها الثقافية، أو العرقية أو الوطنية أو السياسية.

لكن لا يستطيع أحد أن ينكر التأثير العالمي للثقافة الغربية على العالم، وإذا كان هذا التأثير سطحيا، متمثلا في الألبسة والمواد الاستهلاكية، لكنه تأثير يحمل معه أيضا تأثير على الفكر والثقافة بصورة عامة، إن خطر العولمة لا يقتصر على التأثيرات السطحية، ولكنه يتعداه إلى وضع الثقافة والهوية محل –خطر– وقد تطيع بحكم.[366]

أ– إلغاء الاختلاف الثقافي والحضاري.

ب– إلغاء تعدد الاختلاف الإنساني وحصر وتضييق الخناق عليه.

ت– تماثل البشرية وانتقاء الاختلاف بينهما وفق ما هو مخطط له في الاستراتيجيات المهيمنة.

– يقول "لادوارغاليتو": في العولمة، تحل الأسواق محل الشعوب، والمستهلكين محل المواطنين، والمشروعات الصناعية محل الأمم، والتجمعات محل المدن، والمزاحمة التجارية محل العلاقة الإنسانية، ثم إن العولمة تصميم قسري لنموذج معادي للتعددية، والتنوع الثقافي، يلغي التمايز والشخصية الثقافية، ويروج عن طريق وسائل الإعلام لقيادة قوانين السوق، وقيم المجتمع الليبرالي الرأسمالي، ولفرض ديكتاتورية الكلام الوحيد والصورة الوحيدة، النمط الواحد من الحياة، ويحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستلم ومشاهد متلف، يتم تصنيعه وترويضه جماعيا.

---

[365] صامويل هينتغتون: **الغرب، إنه فريد لكنه ليس كليا جامعا**، ترجمة فاضل جنكتر، مجلة الرسالة، عدد 4، أوت 1997، ص6.

[366] ألفين طوفلر،ترجمة لبنى الزيدي، مرجع سبق ذكره، ص147.

– و بدوره يصرخ "لإدكار بيزاتي": "لنقف معا ضد العولمة، لأنها تتجاهل العلاقة بين الدول، والأمة والأرض والوطن واللغو والثقافة... إذا قيل للفرنسيين إن بناء أوروبا ينبغي أن يؤول إلى زوال الأمة الفرنسية فإنهم لن يقبلوا لأنهم يتطلعون إلى مستقبل يتحقق فيه التوازن الكامل بين ما هو سياسي وما هو ثقافي، ومحصن ضد العولمة التي تخلق وحدة زائفة تتجاهل التعددية والتنوع..."

المسألة ليست التعددية الثقافية ذاتها، فأفكار التنوع (وأقاربها، التعددية والاختلاف والكثرة الثقافية والتعددية الثقافية) ليست أفكارا خاطئة، ولا هي محل اعتراض على العكس، هي أفكار صحيحة، وذات جاذبية، والاختلاف والتنوع يميزان العوالم الطبيعية والفيزيائية والثقافية، ونحن عادة ما نبتهج للاختلافات أكثر من التماثل، ومعظم الناس، وربما معظم الفلاسفة كذلك، يفضلون التعدد والاختلاف لى الكلية والإطلاقية.

المسألة إذن ليست تفضيل التعددية، لكن عبادتها، فعبادة الأثر تلك تؤدي إلى تخريب البحث المتزن عن الحقيقة عن طريق الميل بها إلى الولع الأمريكي بالكم، واللغة الخاصة للتعددية هي تذليل لهذا الإدمان الأساسي المتمثل في الأكثر هو الأفضل أشياء أكثر، عناصر أكثر، سيارات أكثر، ثقافات أكثر.

التعددية الثقافية لا شك أفضل من الأحادية الثقافية، وعالم الاختلاف يفوق عالما من التماثل، ولكن ما هي بالضبط التعددية الثقافية؟.[367]

إن التعددية الثقافية لا تعني رؤية ما، وثمة تعبير يتم تقادفه في منافسة التعددية الثقافية هو "الشمولية" الذي يعني المطابقة أو التطابق.

"آخر شيء يمكن أن أدافع عنه هو أن تنتصر هذه الأفكار علي! إنني أعرف هذه القمامة من عام 18... الأخوة... المساواة... الحرية... الجمال... الكرامة... لا... فليضلوا بعيدين عني مع فوضاهم الإيديولوجية تلك... إنني أطلق عليهم الرصاص الحي حين أسمع كلمة "الثقافة" أزيح صمام الأمان عن البراونج.* وتصوب كل الأطراف طلقاتها نحو ما يمكن أن نسميه الفكرة

---

[367] راسل جاكوبي، ترجمة فاروق عبد القادر ،مرجع سبق ذكره، 48.

* البنادق الآلية ونصف الآلية التي صممها الأمريكي جون م. براونج.

[1] المرجع نفسه، ص 50

الكلاسيكية عن الثقافة التي بزع عن التنويع، فالأفكار الخاصة بالتعليم والحضارة والتقدم قد أشبعت مفهوم الثقافة التي كان ينطوي على فكرة "التقدم".

كتب موسيسماندیلسون سنة 1784، إن كلمات التنوير والثقافة والتعليم من الوافدات حديثا إلى لغتنا، والاستخدام اللغوي الذي يبدو أنه يميل إلى التمييز بين هذه الكلمات المترادفة، لم يأخذ الوقت الكافي بعد كي يقيم الحدود بينها...".[368]

إن الرجوع إلى مفهوم تراتبي للثقافة أمر غير مطلوب، لكن التقدم نحو شيء من الدقة والتحديد قد يكون مطلوبا، ما لم نضع في الاعتبار ما يميز ثقافة عن أخرى، سيهوي الحديث عن التعددية الثقافية إلى مهاوي الخرافات والأوهام، وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد ما يميز ثقافة ما، فكيف يمكننا أن نفهم العلاقة بين ثقافتين أو أكثر أو التعددية الثقافية؟.

إن التعددية الثقافية تقوم على أصل ثقافي، هو الرفض او العجز عن تحديد ما الذي يشكل الثقافة.

لقد أصبحت الثقافة هي ما تريد أي جماعة أو أي باحث أن تكون، ولا أحد يجادل في أن أي جماعة من الناس تشكل ثقافة مستقلة، في الوقت ذاته، فإن الرطانة حول التنوع الثقافي تؤدي إلى تعقيم الحقائق الاجتماعية والاقتصادية، فالقائلون بالتعددية الثقافية وحدها، ولا يكادون يلقون بالا للحاجات والشؤون الاقتصادية، وكيف يمكن للثقافة أن تتغذى وتبقى بعيدا عن العمل وإنتاج الثروة؟ وكيف يمكن فهم الثقافة من دون أن نضع في الاعتبار تشابكها مع الحقائق الاقتصادية؟[369]

إننا ننتقل دون أن ندرك من عالم سيطرت فيه العزلة الثقافية إلى عالم آخر يسوده التبادل الثقافي، من عالم يتميز بالاستقلالية الثقافية لجماعات معزولة تقليدية إلى عالم آخر هو عالم يسوده تعميم العلاقات المتبادلة والتواصل، وعلينا أن نحرك حقل التحليل لكل التطورات الاقتصادية وصولا إلى العولمة الثقافية، إن العولمة الاقتصادية هي توسع السوق العالمية، تصميم وتقوية الروابط بين الشعوب والأمم والمجموعات البشرية، وتمثل العولمة الثقافية بشكل ما الحالة النهائية للعولمة الاقتصادية. إنها البعد السياسي، الثقافي، الديني، والإيديولوجي لظاهرة تم التطرق إليها في غالب الأحيان من زاوية الاقتصاد والجغرافيا السياسية.

---

[369] المرجع نفسه، ص 55.

يمتاز عصرنا بامتياز تاريخي لا شك فيه، إذ يقوم على إمكانية الانتقال من عالم حضارات معزولة تأسست بشكل ما في أمكنة وأزمنة مختلفة، إلى عالم واحد يمتاز بمكان واحد (السوق العالمي)، وزمن واحد (تزامن كل الأحداث) وولادة تواصل وجماعة عالميين.

عالم تم فيه الانتقال من كوكب حضارات مغلقة إلى عالم تحدث عنه "فاليري" "عصر العالم المتناهي" هذا العالم مفتوح لكافة الناس من خلال الرحلات ووسائل الإعلام وأجهزة التواصل الإلكترونية...

- **صور التنوع الثقافي في العالم المعاصر:**

نحن بصدد صورة زلزال ثقافي يطيل عمليا كل زاوية من زوايا العالم، وحين يضرب الزلزال ضربته، تأتي ردود الناس المختلفين متباينة، ثمة حالات من القبول الخامل كما أن هناك محاولات رفض كفاحية من منطلقات دينية أو بدوافع قومية، كما أن هناك أشكالا أقل شمولية من الرفض تمارسها نموذجيا حكومات معينة عبر السعي إلى تحقيق التوازن بين المشاركة الاقتصادية من ناحية ومقاومة الثقافة الكوكبية من الناحية المقابلة –لأن القطيعة الكاملة مع الثقافة الكوكبية تنتج بالضرورة عزلة شبه كاملة عن الاقتصاد الكوكبي، وتكاليف مثل هذا الموقف باهظة جدا.

أ. الإقليمية (المحلية) الثقافية:

كما يقول "جيمس واطسن" أنه ما من مكان تقريبا إلا وفيه "الأقلمة" (يعني إضفاء الصفة الإقليمية أو المحلية)، حيث يتم قبول الثقافة الكوكبية لكن مع تعديلات محلية ذات شأن. يشير واطسن دائما لشرح هذه الفكرة: لمطاعم ماكدونالد في أمريكا (مثلا)، عقد مضمر مع زبائنها، تقدم وجبات طعام نظيفة غير باهظة الثمن. يتناولها الزبائن وينصرفون فورا (تلك هي آخر المطاف ما تعنيه الوجبات السريع وفي شرق آسيا (مثلا)، تعرض هذا العقد إلى تعديل لأن الزبائن يسترخون (يجلسون ولا ينصرفون فورا)، فئتان من الناس يفعلان هذا: ربات البيوت وفئة تلاميذ المدارس قبل العودة إلى البيوت. أما عوامل الجدب فهي: الأماكن النظيفة، دورات المياه السهلة، والحماية من المعاكسات الوقحة.

وكثيرا –أيضا– ما تتمخض التأثيرات الكوكبية المتصادمة عن نوع من إعادة تنشيط أو تفعيل أشكال ثقافية أصلية، فبدعة الوجبة السريعة ذات الجذور الغربية ما لبثت أن أفضت في

الهند واليابان إلى تطوير منافذ وجبات طعام سريعة للأطعمة التقليدية، كما أدى غزو الأزياء الغربية لليابان إلى تطوير صناعة أزياء محلية مطبوعة بالجماليات اليابانية المميزة.

ولا تلبث الأقلمة أن تفرز ردا آخر "التهجين"، إنه المسعى المتعمد الهادف إلى تحقيق نوع من التزاوج بين النزعات الثقافية الأجنبية ونظيراتها المحلية، وقد ظلت اليابان مند عودة سلالة الميجي، الطليعة الأنجح على صعيد هذا النوع من الرد.

غير أن هناك عددا كبيرا من الأمثلة الأخرى، فتطوير ثقافة أعمال صينية خاصة بما وراء البحار ثقافة تجمع بين تكنولوجيا الأعمال الأحدث والنزعة الشخصية الصينية التقليدية مثال بالغ الأهمية في هذا المجال نظرا للنجاح الاقتصادي الكبير المتحقق للشتات الصيني في سائر أرجاء العالم. وتشكل قصة مهندسي برمجيات "السوفتوير" في بنغالور الذين يحرصون على تزيين كومبيوتراتهم بالطقوس الهندوسية مثالا استثنائيا عن الظاهرة، وعلى مستوى أدنى بكثير من الحذلقة. ليس تزاوج المسيحية مع سلسلة من الديانات التقليدية فيما يعرف بالكنائس الإفريقية المحلية نموذجا مدهشا.

غير أن هناك فروقا بين الثقافات من حيث القدرة على التكيف الخلاق. يبقى التمييز بين ثقافات "قوية"، وأخرى ضعيفة، كما يقول هينتغتون، فثقافات آسيا الشرقية والجنوبية ولاسيما ثقافات: اليابان، الصين، الهند (قوية) بصورة ملحوظة، في حين كانت الثقافات الإفريقية وبعض ثقافات أوروبا "ضعيفة".[370]

بالإضافة إلى ردود الفعال السابقة (الأقلمة والتهجين) على تحدي عولمة الثقافة، الثقافة الكوكبية الناشئة، ثمة ظاهرة:

العولمات البديلة:

التي تتزايد أهميتها باضطراد، ظاهرة انبثاق حركات ثقافية ذات أبعاد كوكبية بابعة من خارج عالم الغرب، وقادرة بالفعال على ترك بصماتها على الغرب (والعالم)، ففي مناقشتها ل "معانقة القدر" المرجوة من جانب الهند، تقوم تولاسيسرينيغاس باستخدام عبارة "إصدارات" للدلالة على الظاهرة نفسها، وهذا مهم ليس فقط لأنه يصوب الفكرة القائلة بأن الثقافات اللاغربيةواللاأمريكية

---

[370] بيتر إل–بيرغر، صامويل بي هينتغتون، ترجمة فاضل جتكر:**عولمات كثيرة، التنوع الثقافي في العالم المعاصر** مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2004، ص ص24، 30.

تكتفي برد الفعل البسيط على قوى العولمة الثقافية، بل ولأنه ينطوي أيضا على احتمال وجود أكثر من طريق إلى الحداثة (العولمة)، وهذه ليست فكرة جديدة كليا، فقد تم إحيائها في السنوات الأخيرة في كتابات السوسيولوجيا (تووايمنغ). وجود عولمات بديلة يعني إمكانية وجود حداثات بديلة.

ويمكن لهذه الحركات أن تكون موجودة أيضا على الصعيدين النخبوي والشعبي كليهما فعلى المستوى النخبوي كانت ثمة حركات عولمة بديلة علمانية من جهة وأخرى دينية من جهة ثانية، وعلى الرغم من تعرض هذه الجاذبية الخاصة للتضاؤل في السنوات الأخيرة (خاصة منذ تفجر الصعوبات الاقتصادية في آسيا). فإن أوساطا غربية في ميادين الأعمال والتخطيط ظلت، لبعض الوقت ذائبة بشغف على محاكاة أساليب وتقنيات التخطيط والإدارة الصناعيين لدى اليابانيين.

ولعل أحد الأمثلة الدينية الجيدة هو مثال منظمة أوبوس دي "Opus Dei" التي يقال أنها المنظمة الكاثوليكية الأكثر نفوذا في عالم اليوم، فقد بدأت في إسبانيا وأصبحت ذات نفوذ كبير جدا في أمريكا اللاتينية، إنها محافظة كفا حيا في لا هوتها وأخلاقها غير أنها شديدة الإيجابية في موقفها من الرأسمالية الكوكبية الحديثة.

من الواضح أيضا أن الحركات الإسلامية في تركيا كما في سائر أرجاء العالم الإسلامي تعتزم إجتياح حداثة بديلة، غير رافضة للحداثة على طريقه الطالبان في أفغانستان أو حتى بعض الزمر في النظام الإيراني، بل ساعية بالأحرى إلى بناء مجتمع حديث يدلي بدلوه الاقتصادي والسياسي في بئر النظام الكوكبي، ولكنه مفعم بالروح النابضة للثقافة الإسلامية.

وعلى المستوى الشعبي (على مستوى الثقافة الشعبية)، ظلت اليابان "المصدرة" الأنجح فالمنتجات اليابانية من السيارات والأجهزة الإلكترونية اكتسبت شهرتها وجدارتها بالثقة، مما أدى إلى تمكين مفاهيم وتقنيات التحكم الممتاز من ممارسة قدر كبير من التأثير على الصناعة الأوروبية والأمريكية كما على سلوك المستهلك.[371]

---

[371] المرجع نفسه، صص 30، 32.

العولمات الفرعية:

ولا بد من إضافة تعقيد آخر إلى صورة "التنوع الثقافي في عصر العولمة" نظرا لوجود ما يمكن أن يطلق عليه اسم "العولمات الفرعية"، وهي حركات ذات نطاق إقليمي لا كوكبي، غير أنها وسائل تساعد على إقامة الجسور بين المجتمعات التي تحتك بها وبين الثقافة الكوكبية الناشئة، ربما كانت "الأوربة" هي الأهم على هذا الصعيد خصوصا في بلدان الكتلة السوفييتية السابقة فالتأثيرات الألمانية والنمساوية في المجر مع بلدان شيوعية سابقة أخرى، والتأثيرات الإسكندلافية في دول البلطيق، والتأشيرات التركية في آسيا الوسطى تساعد كل من "الأوربة" والعولمة على حد سواء، ثمة أيضا ذلك المشروع الإيديولوجي القائم على صيغة أوروبية مميزة من صيغ الرأسمالية الحديثة، صيغة ترى بالطبع مناقضة لما يتصور أنها صيغة أنجلو– ساكسونية، فمع دوبان البلدان في بوتقة "المشروع الأوروبي" يبدو أن صيغة "علمانية– أوروبية" مميزة ما تشكل جزءا من الصفقة، ولعلها متجلية الآن في كل من بولونيا وإيرلندا.

هناك حالات أخرى: مثل انتشار وسائل إعلام هونغ كونغ وتايوان في جنوب شرق آسيا والقارة الصينية، والثقافة الشعبية اليابانية في تايوان، وقيام الإعلام المكسيكي والفنزويلي باختراق بلدان أمريكا اللاتينية والكتل السكانية ذات الجذور الإسبانية في الو.م.أ ثمة أيضا تأثيرات أمريكية إفريقية في جنوب إفريقيا... ما من حاجة من هذه الحاجات الثقافية هي جزء من الثقافة الكوكبية الناشئة بحد ذاتها، غير أنها تتوسط فيما بين الأخيرة والثقافات الأضيق التي تحتك بها.

ومن الواضح أن من شأن التوترات بين الثقافتين الكوكبية والأصلية– المحلية–) أن تتمخض في ظل ظروف سياسية معينة. كما أطلق عليه "هينتغتون" اسم "صدام الحضارات".

غير أن هناك أيضا صراعات ثقافية حادة داخل المجتمعات "صراع داخل الحضارات"، فالنزاع بين نخبة متعلمنة والحركات الدينية المنتعشة مثال بالغ الأهمية (تركيا، الهند، إسرائيل) كذلك التوترات الثقافية بين المفتونين بالغرب (الغربيون) والمسحورين بالشرق (الشرقيون) أضف إلى ذلك أن "الحروب الثقافية" الغربية يتم تصديرها كجزء لا يتجزء من عملية العولمة، وبالتالي فإن أي مجرى يتطلع نحو الغرب –مثلا– التماسا لإلهام ثقافي يجد نفسه أمام إيديولوجية حرية السوق في مواجهة حركة البيئة، حرية الكلام في مواجهة شرائع الكلام (المضبوط سياسيا)، ذكورية هوليود في مواجهة الحركة النسوية، الأطعمة الأمريكية المضرة بالصحة في مواجهة

الوجبات الأمريكية السلمية...، بعبارة أخرى ناذرا ما يكون "الغرب" كيانا ثقافيا متجانسا، وبالتالي فإن عولمته لا تأتي إلا وهي متصلة بتنافره الزاخر بالمعارك.

أضف إلى ذلك أم مشكلات العولمة الثقافية تأتي متشابكة مع مشكلات العولمة الاقتصادية الاجتماعية، خصوصا، مشكلة كيفية "إدارة" الخاسرين في النظام الكوكبي، فأشكال الاستياء الاجتماعي قد تتحول إلى معارك مقاومة ثقافية، ومثال ذلك الحملة التي قام بها الفرنسيون ضد الماكدونالد الأمريكي إلى درجة الدفاع والرفض للبربرية الأمريكية.

وهذه الصورة التي قدمها –بيتر إل– بيرغر– كما يقول: هي صورة معقدة، تأبى التلخيصات السهلة، باستثناء الاستنتاج الذي ينطوي على قدر غير قليل من الأهمية، والذي يقول بأن العولمة الثقافية ليست وعدا عظيما منفردا ولا تهديدا كبيرا واحدا، ويشي الاستنتاج أيضا بأن العولمة ليست أساسا إلا استمرارا، ولو بصورة مكثفة ومسرعة التحدي التحديث المقيم والراسخ، على المستوى الثقافي تمثل هذا بتحدي التعددية العظيم...[372]

يعتقد صامويل هينتغتون أن العلاقات الدولية لم تعد فقط مجالا خاصا للدول الغربية ولكن حضارات أخرى ستصبح فاعلة ومهيمنة بشكل قوي في معترك المنتظم الدولي، لذلك فإن من مصلحة الغرب أن يوحد ويقوي تماسكه ووحدته وأن ينجو للتعاون مع حلفاءه والتعايش مع باقي الحضارات، والهدف الرئيسي لهينتغتون هو كيف يضمن الغرب هيمنته في مجال أصبح فيه مهددا بحضارات منافسة ترفض القيم الغربية.

ينطلق صاحب أطروحة "تصادم الحضارات" في محاولة الجواب عن هذا السؤال من سعيه لتنفيذ الفكرة الخاطئة الكثيرة الشيوع في الغرب حاليا وفي و.م.أ بشكل خاص والتي مفادها أن العالم برمته يسير نحو ثقافة عالمية شاملة منسجمة بقيادة العالم الغربي، فعكس ذلك يدافع الأكاديمي الأمريكي وبشكل مثير عن الأطروحة التي مفادها أن الغرب فريدولس كونيا ويوح افتراضه على الشكل التالي:

إن فكرة اعتبار الثقافة الغربية هي أو بالأحرى يجب أن تكون هي ثقافة العالم تتبلور من خلال فكرتين:

---

[372] المرجع نفسه ص35.

أ- أطروحة استعمار الكوكا COCA –ClonizationThesis والتي يعتقد معتنقوها أن الثقافة الغربية وبخاصة الأمريكية سوف تغطي العالم بأكمله فالمأكولات الأمريكية، الألبسة، الموسيقى، الإعلام والسلع الاستهلاكية تلقى إقبالا حماسيا من لدن أفراد وشعوب كل القارات.

ب- أطروحة تتعلق بالتحديث وتدعي ليس فحسب أن الغرب قاد العالم إلى الحداثة بل كذلك أن الأشخاص في الحضارات الأخرى غير الغربية حين يأخذون بالحداثة فهم كذلك يتغربون ويهجرون قيمهم التقليدية ومؤسساتهم وعاداتهم متبنين مثيلاتها المنتشرة في الغرب.

وكلا الأطروحتين تعكس صورة عالم غربي كوني متجانس، ومؤيدو أطروحة "استعمار الكوكا" يحددون مجال الثقافة باستهلاك السلع المادية، غير أن روح ثقافة ما حسب هنتغتون تشمل اللغة، الدين، القيم، التقاليد والعادات، وشرب الكوكا من طرف الروس لا يجعلهم يفكرون مثل الأمريكيين كما أن أكل السوشي (أكلة يابانية) من طرف الأمريكيين لا يجعلهم يفكرون مثل اليابانيين، وبعض الشباب في الشرق الأوسط مثلا قد يكونون بسراويل الجينز يشربون الكوكا ويسمعون موسيقى الروك، لكن رغم المظاهر، فإنهم يكونون بصدد صناعة قنبلة لتفجيرها في إحدى الطائرات الأمريكية (هذا ينطبق إلى حد كبير على الأشخاص الذين قاموا بتفجيرات 11 سبتمبر.[373]

وبالتالي فغن هينتغتون يعتقد أن انتشار وانتقال السلع الاستهلاكية من مجتمع إلى آخر لا يحدث تغييرا مهما في الثقافة الأساسية للمجتمع المتلقى، واعتبار انتشار الثقافة والسلع الاستهلاكية الغربية عبر العالم انتصارا للحضارة الغربية هو في الواقع استخفاف بقوة الثقافات الأخرى و"تتفية" "trivialization" للثقافة الغربية ذاتها بتحديدها واختزالها في السلع والموضة والمشروبات، وهي مظاهر سطحية ليس لها تأثير عميق على المجتمعات التي تستفيد منها، كما أن العولمة الاقتصادية والتكنولوجية التي يعيشها العالم من خلال الانتشار السريع للتقنيات والإعلاميات ووسائل الاتصال لا تخلق اندماج الدول غير الغربية في القيم الغربية، كما عارض هينتغتون فكرة اعتبار اللغة الانجليزية أداة لتدعيم كونية القيم الغربية، فهي لغة لا يتحدثها إلا النخبة في الدول غير الغربية ولغة لا يتكلمها 92% من سكان العالم لا يمكن أن تشكل لغة كونية.

---

[373] محمد سعدي، مرجع سابق،ص ص51، 52.

أما بخصوص أطروحة "التحديث يساوي التغريب" والتي يعتبر مؤيدوها أن التحديث هو السبيل لكي تصبح الثقافة الغربية الثقافة الكونية للعالم وذلك عبر تحديث مختلف المجتمعات، فهي حسب هينتغتون مغلوطة وخاطئة، فالتحديث الاقتصادي لا ينتج التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس يؤدي بها إلى مزيد من التمسك بثقافاتها الأصلية.

ويرقيان بالانبعاث الثقافي والاعتزاز بالثقافات الأصلية يستخلص بذلك أن ما يراه الغرب كقيم عالمية، تراه الشعوب غير الغربية كقيم غربية خالصة يريد الغرب أن يفرضها عليها.

ويحذر "هينتغتون" من الانهيار الأخلاقي المتزايد في الغرب والذي يحدد أهم مظاهره في ما يلي:

أ- انتشار الإجرام، المخدرات، العنف...

ب-انهيار مؤسسة العائلة، تزايد نسب الطلاق والولادات غير الشرعية.

ج-انهيار الرأسمال الاجتماعي أي تراخي علاقات التعاون والتكافل والثقة في المجتمعات الغربية.

د- عدم الاهتمام بالمعرفة والأنشطة الفكرية والتي تظهر في و.م.أ من خلال تراجع مستوى التعليم.

والنتيجة التي يوجهنا إليها هنتغتون هي أن الانبعاث الحضاري غير الغربي على الساحة العالمية من شأنه أن يهدد الحضارة الغربية، لذلك فإن على الغرب أن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة الحضارات الأخرى.[374]

وإلا فإن كل قيمه وثقافته آيلة للزوال والانهيار، وهذا مع عبر عنه بقوله "إن القرن والواحد والعشرين من المحتمل أن يطبعه انبعا مستمر لقوى وثقافات غير غربية، وصدام بين الحضارات الغربية وغير الغربية... وبالتالي لن يكون فيه الهيمنة للغرب، ذلك انه سيكون حقا متعدد الأقطاب ومتعدد الحضارات.

إن النقطة الأساسية لأطروحة "صدام الحضارات" في هذا الإطار تتمحور وحسب تعبير "أوليفسيرفواز" حول أن "الغرب في نهاية هذا القرن أصبح يجد نفسه منعزلا أمام الحضارات الأخرى التي تنازعه في هيمنته وفي إعادته الكونية... إن القرن العشرين ينتهي بمحاكمة الغرب

---

[374] المرجع نفسه ، ص54.

من طرف الحضارات الأخرى".[375]ومن أجل تلافي حرب عالمية حضارية يرى هينتغتون أنه من الضروري امتناع الدول الكبرى داخل كل حضارة عن التدخل في الصراعات التي تجمع الحضارات الأخرى، واتخاذ الوساطة كأساس لاحتواء النزاعات الحدودية بين الدول ذات الحضارات المختلفة وتشجيع نشر القيم والمبادئ المشتركة بين الشعوب قصد تحقيق السلام العالمي

من المستحيل تبين عدد من وجهات النظر في قضية الثقافة الكونية دون دراسات العولمة، وبينما يعتبر دعاة العولمة تفصيل عولمة الثقافة أمرا ضروريا، هناك مشكوكون مثل "هيرست" و"طومسون" يرون أن من المرجح عدم وجود ثقافة كونية بدون اقتصاد معولم. رغم أنهما لقيا انتقادات كثيرة، لفشلهما في تقديم تحليل عن العلاقة المتبادلة بين الثقافة والاقتصاد، وإهمالهما البعد الثقافي للعولمة بوجه عام.

ردا على ذلك المشككون إلى أن التصاعد الحديث للتوترات والصراعات بين الثقافات المختلفة على مستوى عالمي، قد يوحي بأننا مازلنا بعيدين عن العيش في عالم متجانس ثقافيا. ومن منظور تحويلي، فإن مفهوم الثقافة الكونية غير قادر على أن يحتوي داخله تنوع وتعقد التدفقات الكونية المعاصرة وردود الأفعال التي تثيرها بدءا من المقاومة الثقافية وانتهاء بتأسيس شبكات عالمية جديدة.

تصور الثقافة الكونية باعتبارها أو "غربنة" لا يعبر عن تعقد عمليات العولمة المعاصرة، التدفقات الثقافية العالمية لا تبعث بشكل أساسي من و.م.أ أو الغرب في أي لحظة، الصور والرموز والأفكار والإعلانات والأفلام وغيرها من الأشكال الثقافية سوف تنبعث من مصادر أخرى متعددة وتنتقل في اتجاهات مختلفة عبر العالم. ولن يكون لكثير منها علاقة كبيرة، أو أية علاقة بالغرب أو أمريكا. هناك أشكال من التفاعل الثقافي تحدث بين مناطق من إفريقيا وآسيا، وكذلك بداخل تلك القارات، هذا إلى جانب أن فكرة "الغربنة" أو الأمركة تتجاهل إمكانية التدفقات الثقافية المضادة في هيئة الأطعمة والأزياء والعقائد والموسيقى والأفلام، ومؤثرات أخرى تنتقل من بلاد مختلفة إلى الغرب الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال مستمرة في تمثيل ثقافات

---

[375] SERVOISE OLVIER, "**Le réveil des civilisation, surle choc des civilisations**", futuribles, N 198, Janvier 1995, P 63.

أخرى على مدى تاريخها وهو أكثر ما يكون وضوحا في الدستور الذي استمد الكثير من الأفكار الثورية والأوروبية باختصار أمريكا بمثابة "إسفنجة ثقافية" وعليه فهي مجتمع دائم التغير.[376]

التدفقات العديدة والاتصالات المتبادلة التي تمثل العولمة ليس من المرجح أن تعمل كقوة مجانسة.و توحيد، ونمذجة، فلا يمكن لأي قوة أن تتسيد التدفقات والعمليات الثقافية العالمية

الحجم الإجمالي للتدفقات العالمية المعاصرة في المعلومات والصور والأفكار لم يعد بالإمكان احتكارها. بالنسبة لكثير من الجماعات الثقافية، ليست "الأمركة" أو الغربنة هي التي تهدد استقلالها وهويتها الثقافية، وإنما قوة إقليمية أو تأثير محلي، أهالي "التبت" على سبيل المثال، يجاهدون لكي يؤكدون ثقافتهم وهويتهم الدينية البوذية نتيجة لمحاولة الصين "تصيين" بلادهم (Sionization). في حقبة ما بعد الحرب الباردة، كانت دول كثيرة في الإتحاد السوفيتي تحاول الحد من مستوى التأثير الثقافي والسياسي الروسي في مجتمعاتها، إلا أن الضغوط الثقافية خارج "العالم الأول" هي كذلك عملية ذات اتجاهين، فالصين والهند مثلا قوى إقليمية كبيرة تمارس نفوذا ثقافيا هائلا على الدول المجاورة، بينما هي نفسها ليست محصنة ضد التدفقات المضادة.

بالنسبة لمسألة التعددية الثقافية، ليس من المؤكد م إذا كنا نستطيع أن نفكر في الأمر بالأسلوب نفسه وبالصيغة نفسه.. عولمة– أمركة– غربنة– آسينة. ووصف التطورات الكونية عند "جي تايلور" على هذا النحو يعد عملية إشكالية وينبغي تجنبه لأنه يوحي بأن العملية أخذت شكلها النهائي، فصبغة الفعللة (أي إضافة اللاحقة lzation إلى الكلمة الإنجليزية) تنطوي على حتمية.فهي بذلك تنكر التعدد وتنفي إمكانية مسارات بديلة، وهناك سبب إضافي للحذر من تأكيد أن الثقافة الكونية تعني الأمركة أو الغربنة أو أنها نتاج للرأسمالية العالمية. وهو ما يوجد في التحدي النقدي الذي تواجهه هذه المفاهيم الآن، فهناك توجه متزايد في الوسط الأكاديمي للنظر في المفاهيم على أساس أنتربلوجي، على ضوء الخبرات والتجارب المحلية وعليه يصبح بالإمكان القول بوجود حداثات متعددة، ورأسماليات متعددة وعولمات متعددة، وثقافات متعددة.

---

[376] بول هوبر، ترجمة طلعت الشايب ، مرجع سبق ذكره، ص ص 137،138.

لكن علينا أن ننسى الدور الذي يلعبه المال والنقود في تشكيل العولمة الثقافية فعلى الرغم من وجود أشكال مختلفة من الرأسمالية، فإن مبدأ تعظيم الربح موجود في أساس كل منها. وبهذا المعنى يصبح بالإمكان أن نتحدث عن شكل كوني من الرأسمالية[1].

يضاف إلى ذلك أن بعض المعلقين من أهمية الأشكال المختلفة من الرأسمالية مصرين على أن النموذج الانجلو– أمريكي الليبرالي الجديد، هو المهيمن لأنه يجمع بين القوة – الإنجلو– أمريكية والإيديلوجيا وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة ودعم المؤسسات الدولية مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، لكن إذا كان علينا أن نتخلى عن ذلك كله ونجري تقويما عاما لما يحدث بالنسبة للرأسمالية في المرحلة المعاصرة، فسوف تكون أمامنا أشكال التعدد (التنوع) والمجانسة (المماثلة) في كفتين متساويتين.

الاعتراف يتزايد بأن "الغرب" و"أمريكا" مفاهيم ‘أمة– "مطلة" يندرج تحتها تنوع هائل، فعندما نتنقل في و.م.أ على سبيل المثال نجد أن هناك أكثر من أمريكا وفي حالة الغرب درجة التنوع أكثر وضوحا.

هناك نقد آخر يوجه إلى التركيز على الثقافة الكونية فيما يتعلق بعمليات العولمة، وهو أنه يتجاهل الطرق المختلفة التي تتأصل بها هذه الثقافة، أو رفضها ومقاومتها إذا افترضنا حدوث ذلك، هذا التركيز يفترض أن "المحليين" مجرد متلفين سلبيين لمثل تلك الثقافة، بدلا من قيامه بدور في تشكيلها على نحو نشط، ولهذا السبب هناك اعتراف متزايد في إطار دراسات العولمة بأن الكوني والمحلي موجودان معا في عملية تفاعل مستمر، هي مواجهة تتضمن العنصر البشري ولا تنطوي على مجرد الهيمنة من جانب الثقافة الكونية والقوى البنائية. "فرولاندروبرتسون" يتبنى فكرة إضفاء الطابع الكوني على ما هو محلي، ليوضح الأسلوب الذي يتفعلان به ويتداخلان ليثرى كلاهما الآخر.إضفاء الطابع الكوني على ما هو محلي أو "المحلية الكونية" هي رؤكية كونية مكيفة حسب الظروف المحلية، وكانت في الأصل مفهوما شائعا في دوائر العمل التجاري الياباني كما يقر بذلك روبرتسون، واكتسب اعترافا عالميا عندما تبنتها "سوني" إستراتيجية للتسويق، والآن تستخدمها مؤسسات كبرى في أرجاء العالم. بشكل جوهري تحاول الشركات تكييف منتجاتها حسب أذواق وتوجهات الأسواق المحلية. تقوم شبكة MTVمثلا.ببث موسيقى صينية في الصين، وأغنيات شعبية هندية في الهند، حتى "ماكدونالدز" والمفترض أنها

أكبر"مجانس" (موحد) ثقافي، تستشعر الظروف الثقافية المحلية وتكيف منتجاتها حسب الأخر التي تعمل فيها.

الحقيقة أنه على ضوء المدى الذي وصل إليه اتساع التنوع الثقافي الإنساني، ربما تكون "ثقافة" كلمة كبيرة وقوية لكي تستخدم على المستوى الكوني، ولعل الأرجح في حال استمرت الأنماط الحالية، أن نرى المزيد من الناس يطورون استعدادهم وقدراتهم على التفكير في ما هو أبعد من المحلي والخاص. ويكسبون الشعور بأنهم موجودون في العالم. وأنهم جزء منه. في النهاية وعلى الرغم من ذلك. لكي نقرر ما إذا كان توجد أو تنبثق ثقافة كونية، نحن مرة أخرى بحاجة للتفكير في ما إذا كان اهتمامنا بتحديد ثقافة كونية موحدة دليلا على ميلنا للدولة – الأمة، الأمر الذي يصبح على نحو متزايد– غير ملائم في المرحلة المعاصرة من العولمة. وهكذا فإن الاستقرار والتجارب المشتركة المطلوبة لتكوين مثل هذه الثقافات في حالة صراع مع كل من اتساع التدفقات الثقافية المعاصرة وعدم القدرة على التنبؤ بها.

هذا السياق بقول "Anthony smith" أن الثقافة الكونية مقارنة بالثقافات المحلية (القومية). هي "ثقافة بلا ذاكرة أساسا" بالنسبة له ليس هناك "ذاكرات كونية" تستطيع أن توحدنا جميعا، وكل ما يمكن أن تفعله" أكبر التجارب الكونية "حتى الآن – الاستعمار والحروب العالمية– هو تذكرنا بانقساماتها التاريخية من المرجح كذلك أن نفهم الأحداث التاريخية من خلال عدساتنا القومية، وبذلك نستبعدها من أن تكون ذاكرات عالمية أو أساسا لثقافة كونية، عمليات التطبيع الاجتماعي والقيم المشتركة، والشعور بتجانس الجماعة، وهي الأمور المطلوبة لتأمين نطور مثل هذه الثقافة– كلها غائبة، يضاف إلى ذلك الكثير من موجهاتنا الكونية سيكون من النوع الإفتراضي الذي يدور في الفضاء الإلكتروني وبالتالي من غير المرجح أن تكون ذات معنى مثل حياتنا المحلية الحقيقية" وخبراتنا اليومية التي تحدث في حدود مناطقنا القومية الخاصة.

لكي تطوي ثقافة كونية صفحة ثقافتنا القومية، فإن الأمر يتطلب حالة كونية، أو على الاقل مؤسسات عالمية أكثر تطورا تسمح بأشكال من المشاركة العامة.

مقارنة بثقافتنا المحلية، نحن نشعر بقدر قليل من الارتباط، أو ربما لا نشعر على الإطلاق، بثقافة كونية،حيث أنها لا تشبع حاجة عاطفية أو عملية لدينا من منظور" سميت" على

ضوء وثقافة الصلة بالثقافات القومية "المحلية" فإن أفق توقع تغير هذه الأوضاع في المستقبل المنظور ضئيل."سميت" يذهب إلى أبعد من ذلك مجادلا أن فكرة وجود ثقافة كونية(عالمية) مستحيلة عمليا وذلك لأننا إذا فكرنا بالثقافة باعتبارها "أسلوبا جمعيا للحياة" أو مستودعا للمعتقدات والأنماط والقيم والرموز، سيكون بالإمكان حينئذ فقط أن نتكلم عن ثقافات وليس عن مجرد ثقافة.

هناك عقبة أخرى أمام تكوين ثقافة كونية موحدة، وهي عدم وجود آخر لتكون الثقافي والتضامن الجمعي يدعمها إمكانية المقارنة المضادة بجماعة ثقافية أخرى جماعة ينظر إليها باعتبارها مختلفة، غريبة، لا تنتمي أو باختصار "خارجية"

هناك عوامل كثيرة تعمل ضد بلورة ثقافة كونية في أي شكل وذلك على نحو خاص في وجود الأساليب المعقدة التي تعمل بها عمليات العولمة التي تتضمن مدى التغلغل بين المحلي والكوني، فمن غير المرجح تماما أن تنبثق ثقافة كونية موحدة، وكما أشار "مايك فينرشون" أننا بدلا من التفكير بثقافة كونية عامة، علينا أن نتصورها ميدانا تظهر فيه الفوارق وصراعات القوى، وبينما هناك ضغوط من أجل التجانس تمارس تأثيرها في المرحلة المعاصرة، هناك في الوقت نفسه قوى مغايرة تعمل على إحداث العكس (التنوع).

ربما يكون من الأجدى أن نفكر بالثقافة الكونية بصغة الجمع...يعني أن هناك ثقافات كونية، أو على الأقل ثقافات في حالة تعول- نحن نشهد على سبيل المثال- ظهور عدد من الثقافات الكونية في المرحلة المعاصرة بما في ذلك إسلام معولم، أو بوذية أو مسيحية، وحركات مناهضة للعولمة منتشرة في العالم، وحركة بيئية عالمية، ومجتمع موسيقي عالمي، وثقافة كرة قدم عالمية المشترك بين هذه الحركات، إلى جانب اتساعها الكوني، هو أن المؤيدين والمتحمسين والتابعين لها يتوحدون مع شكل ثقافي خاص يميزهم عن سواهم، ومن ثم يكون لديهم شيء مميز يرتبطون به والمرجح أن يقوي هذا الارتباط فكرة الثقافات الكونية هي كذلك اعتراف بحقيقة أننا نعيش ثقافات متعددة بما في ذلك تلك على المستوى الكوني، فالمسلم على سبيل المثال، سوف يتوحد مع الأمة أو المجتمع الإسلامي العام الذي يمتد في كل أجزاء العالم، ولكنه في الوقت نفسه قد يكون مهتما بكرة القدم العالمية ومن ثم مرتبطا بثقافة كونية أخرى، هذا الأسلوب من الاستشراف يعني كذلك أننا يمكن أ، نرى أشكال التجانس مغطاة هنا.

مثل الغربنة والأمركة التي قد انتشرت بالتأكيد عبر الحدود الجغرافية وفي مناطق أخرى باعتبارها مجرد ثقافات كونية متناسقة أكثر من كونها ثقافة كونية موحدة.والحقيقة أن تصور الثقافة الكونية بالمعنى الأخير فيه تجاهل للتنوع الكبير الموجود في العالم، بالإضافة إلى كونه تقييما غير واقعي لأساليب عمليات العولمة المعاصرة، يضاف إلى ذلك أنه بتناول هذا الموضوع على هذا النحو فإننا نعترف بأنه بينما لا توجد قوة تجانس(توحيد) ثقافة مسيطرة، فإن ذلك لا يعني أن قوى التجانس لا وجود لها. وأنها تمارس بواسطة أناس مرتبطين بها في أرجاء الكرة الأرضية.

المبحث الثاني:

- حوار الثقافات في ظل التنوع و التعدد

مفهوم الحوار:

جاء في لسان العرب في معنى كلمة الحوار: "سمت المحاورة: المجاوبة، والتحاور، التجاوب، وتقول: كلمته فما أحار جوابا، وما رجع إلي حوارا، أي ما رد جوابا واستحارهواستنطقه". ومنه قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: "فقال لصاحبه وهو يحاوره". أي يخاطبه ويخاصمه ويجادله.

ومن المصطلحات التي استعملت في مفهوم الحوار أيضا مصطلح "الجدل" الذي هو في الأصل "فن الحوار والمناقشة" والجدلي عند الفلاسفة هو الذي "يحسن السؤال والجواب" والجدل في رأي بعض الدارسين والفلاسفة، هو الحركي الديناميكي، والتقدم الفعال، التطوري الحضاري، وقد أشار القرآن الكريم إلى استراتيجية الجدل في عدة آيات، منها قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" سورة النحل الآية 125.

وقوله تعالى أيضا: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" سورة العنكبوت: الآية 46. وكذلك قوله تعالى "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير" سورة المجادلة: الآية 01.

وقال الفيلسوف اليوناني "أفلاطون": "لو لم يكن فورغوريوس يسألني لما كانت لدي اعتراضات أقوم بحلها، وبالتالي لا يكون لدي ما أقوله". فالفلسفة فن الحوار أيضا، والحوار يكون بين اثنين أو بين مجموعتين، وهذا الحوار ينطلق بشروط الإقناع، أي إقناع الذات من جهة،

وإقناع الآخر من جهة أخرى وهذا الأخير يكون فيه الحوار عن وعي حقيقي مبني على شروط موضوعية عقلانية.[377]

وقد وضح "يورغنهايرماس" الفيلسوف الألماني معايير للتواصل والحوار.

1- معيار الصدق أي الصدق في الكلام او الحديث.

2- مصداقية المتكلم أي الصدق في نية المتكلم.

3- الصحة المعيارية: أي أن عبارات المتحدث أو المتكلم تتماشى مع اللغة المستعملة داخل المجتمع.

إن آخر ما توصل إليه "هابرماس" في فلسفته هو التواصلية الجديدة التي تهدف إلى تأسيس عقلانية تواصلية لغتها الحوار والتفاهم والمناقشة والوصول إلى نتيجة موحدة يتفق عليها الجميع، إذ يؤكد دائما في كتاباته على طرح فكرة التفاهم وذلك من أجل تحقيق التوازن بين المعرفة والسلطة واستبعاد القوة والسيطرة لتحقيق الأمن والاستقرار والاعتراف بالآخر في ظل المجتمع الأخلاقي.[378]

المقصود بالحوار هو تبادل الآراء والأفكار بأسلوب سلمي وهادئ يجري بين طرفين يسوق كل منهما ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقته وفكره قاصدا تبيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره.[379]

فالحوار هو تقبل الإصغاء إلى الآخر، والابتعاد عن روح التعصب يكون الكلام فيه على سبيل طلب الحق، وتلاقع أفكار الفريقين واستفادة كل طرف من الآخر وليس بالضرورة أن يكون فيه طرف غالب وطرف مغلوب عليه. وعليه فإن الأصل في الحوار هو اختلاف الرؤى، وفي قبول هذا الاختلاف يتجلى التفاهم الذي يمليه احترام الآخر المختلف واستقلاليته عملا بحرية

---

[377] عبد المجيد عمراني وآخرون: **الديمقراطية والتحديات الكبرى من الحوار إلى التحالف: التواصل والتثاقف**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، 2010، صص 41، 42.

[378] المرجع نفسه، ص51.

[379] عبد الستار الهيتي: **الحوار..الذات والآخر**، سلسلة كتاب الأمة، عدد99، وزارة الأوقاف، القطرية، الدوحة2004،ص40.

الفكر كمعطى وجودي وأخلاقي ضمن ما يميز التحضر والتمدن على عكس التعصب والتعنيف.[380]

يعد الحوار أحد الأساليب المستخدمة في أي خطاب إنساني، ويقصد هنا بالخطاب النسق الفكري العام الذي يجمع بين اللغة وممارستها، أي بين المبادئ والأفكار وبين تطبيقاتها في إطار السياق أو الواقع بكل تفاعلاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الخطاب نظام فكري يتضمن منظومة معينة من التشكيلات والتكوينات الخطابية. أي من الموضوعات والمفاهيم والعبارات والمقولات والتصورات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي. ومن ثم يمكن الحديث عن أصناف خطاب: ديني وتاريخي وفلسفي وقانوني وسياسي وثقافي، أي منظومة من المفاهيم والمقولات المتعلقة بالدين والتاريخ والوجود والفلسفة والسياسة والثقافة...إلخ.

فالحوار يعتبر أحد الأساليب الخطابية التي تتصف بنوع من التبادلية والتفاعلية والتواصلية، خاصة في ظل مقولة (صراع/ حوار الحضارات أو الثقافات) وما تستدعيه من قضايا وأفكار ومفاهيم تتعلق بشكل عام بمسألة العلاقات الثقافية/ الحضارية في مجملها، وبأبعادها المتنوعة، وأيضا بسياقاتها وشبكاتها ومجالاتها الثقافية المختلفة، باعتبار أن أي حضارة هي على خد قول F.Braudee في كتابه Grammaire des civilisations حقيقة عالمية.

– يمثل الحوار أو "الديالوج" "Dialogos" وهو مشتق "Dia" والتي تعني "من خلال" و"logos" والتي تعني "الكلمة" أي "معنى الكلام" وتأثيراته المتبادلة سواء أكانت جماعية أم فردية" أحد أنواع الاتصال بين الأفراد، وهو يقوم على تبادل الحجج والمعاني دون عنف أو قوة، بعبارة أخرى هو التجربة المعيشة بالكلمات. وإذا كان الاتصال قائما بين جميع المخلوقات، فالحوار هو الشكل الوحيد للاتصال الذي يقتصر على الجنس البشري، وأي حوار يبدأ بالسؤال التالي: هل تفهمت جيدا وجهة نظري؟[381]

---

[380] محمد مصطفى القباج: **مقاربات في الحوار والمواطنة ومجتمع، ما بعد الحداثة**، فاس، 2006، ص17.

[381] منى أبو الفضل وأخرون: **الحوار مع الغرب ، آلياته وأهدافه ودوافعه** ، دار الفكر ، دمشق ،ط1، 2008، ص 69.

والحوار باعتباره أحد ديناميكيات التفكير هو خطوة لفهم الآخر ومشاركته في القناعات المختلفة، بشكل موضوعي أو اقترب إلى الاعتراف وإدراك ما بين الذوات، وهذا ما يدفع بدوره إلى مزيد من "عالمية المعرفة"

ويرى "هابرماس" أن الفعل التواصلي هو الفعل الإنساني، وأن أي اتفاق هو الاتفاق حول هذا الفعال، لأن الفعل الإنساني التواصلي هو الفعل الوحيد الذي يوجه أطرافه الاهتمام إلى مصالحهم الخاصة، وأهدافهم الفردية التي ترتبط بشكل أساسي بتحقيق نوع من التفاوض، وذلك للوصل إلى قدر من التوافق حول مواقفهم المشتركة من دون استخدام أي شكل من أشكال العنف، وهنا يقسم "هابرماس" الأفعال الإنسانية إلى الفعل المتعلق بالهدف أو بشيء بعينه. وهو الفعل الأداتي، وإلى الفعال المتعلق بشخص آخر وهو الفعل الإستراتيجي، أما الفهم أو التفاهم المشترك مع الآخر هو الفعل التواصلي وهو الفعل الوحيد الإنساني، لأنه من الصعب التعامل مع الآخرين دون التواصل معهم وهذا يتم بشرط وجود نوع من الدافعية والعقلانية بعيدا من أي أحكام مسبقة أو عنف أو أحكام غير عقلانية.[382]

ازداد الحديث عن (الحوار بين الثقافات) في السياق الراهن، باعتباره أحد الأساليب المضادة لعولمة الليبرالية الجديدة، ويعد الخطاب في إطار هذا السياق مجرد مشروع وليس حقيقة قائمة، وتهيمن عليه من جهة أخرى القوى الدولية المهيمنة والمسيطرة ويشير هذا الحوار إلى منطق الحضارة المختزلة في حضارة واحدة تحكم التنظيمات المعاصرة وتلقي بظلالها على أي حوار ما بين الثقافات، ويرى البعض أن الحوار ما بين الحضارات هو مشروع لإعادة هيكلة العلاقات بين الأفراد وثقافاتهم من أجل عولمة مبادئ الاستقلالية المشتركة بين الأفراد، والسيادة المشتركة بين الثقافات كأنماط مختلفة للحياة. وتجسيد لحرية الجميع، مما يجعل من هذا الحوار مضادا ومعارضا لإستراتيجية العولمة الليبرالية الجديدة من خلال تقديم بديل للعالمية التي تأتي من كل أنحاء العالم. ومن أسفل بصفة خاصة، ومن خلال الافتراض بأن مفهوم الجنس البشري أو الإنسان هو الحقيقة الوحيدة العالمية، في ظل سوق عالمي تحول كل شيء فيه إلى لعبة أو

---

[382] المرجع نفسه،ص74.

سلعة استهلاكية قابلة للتداول، وليس إلى معنى حقيقي، بما في ذلك الحوار وحججه، وبراهينه، وموضوعاته، وأطرافه.[383]

وتعد العولمة إحدى الظواهر الكبرى التي تحكم عالمنا في الوقت الحاضر، والتي لم ينجو أحد من آثارها التاريخية، ويجهل أنصار العولمة، وأعداؤها الاعتبارات الخاصة بالقوى التاريخية الأخلاقية التي تسير حقبتنا المعاصرة، أحد هذه الاعتبارات غير الواضحة هو فكرة إنشاء مجتمع دولي للأمم والثقافات، أي مجتمع دولي حقيقي من أهدافه تحقيق حياة أفضل للجنس البشري، ولكن يرى بعضهم أن شروط تحقيق هذا المشروع الحواري من أجل بناء مجتمع إنساني عالمي أكثر عدالة غير قائمة، ويصبح هنا "الحوار" ليس حول أساليب العمل أو البحث الجماعي من أجل تحقيق الحياة والعيش الجيد للجميع، بل حول المشاركة في خلق وإيجاد هذه الشروط من أجل تحقيق (حوار متعدد الثقافات)، من أجل فهم الشروط التاريخية التي يمكن أن تشكل المعوقات الحالية لإنجاز هذا المشروع العالمي، ثم بعد ذلك كيفية إقامة مثل هذا الحوار الذي لا ينفصل عن مكونات سياقه، وهي اللغة والتاريخ والثقافة.

ويرى بعضهم أن العقبة الأساسية أمام أي حوار هي اللغة، واللغة هنا بمعنى الثقافة وليس مجرد رموز أو قواعد نحوية. فاللغة قد تكبل أو تدفع نحو نمط حياة معين، إي مجموعة من الممارسات والتقاليد أو منظومة من المعايير الخاصة بالرشادة والعدالة أو تصور خالص عن الأخلاق والدين والسياسة والاقتصاد... وإذا جردنا اللغة من سياقها القافي تصبح جنة هامدة أو إطارا أجوف.[(384)]

أصبح الحوار بين الثقافات مطلبا حيويا لدى الشعوب لتحقيق التعايش السلمي وتحويل الثقافات إلى أدوات لتحقيق التنمية، وإذا كان جدار برلين قد سقط، فإن جدار سميكا تشيد على أساس الاقتصاد والكراهية وقلة الحوار أصبح يفصل بين سواحل الشمال والجنوب فالهوة الثقافية، الاقتصادية والاجتماعية بينهما أصبحت عميقة جدا بشكل لم يعرفه العالم من قبل.

ثمة على سبيل المثال مجموعة مبادرات وتصريحات تسير باتجاه خلق أجواء الحوار والتعاون بين العالمين الإسلامي والغربي، ففي خطاب ألقاه بواشنطن في 2 يونيو 1992 مساعد

---

[383] المرجع نفسه،ص ص88،89.

[(384)] المرجع نفسه، ص90.

وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا: إدوارد حيرجيان "حكومة و.م.أ لا تعتبر الإسلام المذهب القادم الذي يواجه الغرب أو يهدد السلام العالمي فتلك استجابة شديدة البساطة لواقع معقد، إن نهاية الحرب الباردة لا يتم بها استبدال منافسة جديدة بين الإسلام والغرب، ومن الواضح أن الحملات الصليبية قد انتهت منذ زمن بعيد... والأمريكيون يعترفون بالإسلام كواحد من أعظم عقائد العالم ونحن كغربيين نعرف الإسلام كقوة حضارية تاريخية بين القوى الكثيرة التي أثرت في ثقافتنا وأثرتها".

كما صرح الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في محاضرته الشهيرة بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بأن:" العالمين الإسلامي والغربي قد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق في علاقاتهما، ولا يجوز أن ندعهما يتفرقان، وأنا لا أوافق على أنهما يتجهان نحو صدام في عهد جديد من الخصومة والعداء، بل أنني على قناعة تامة بأن لدى عالمينا الكثير لكي يقدماه إلى بعضهما البعض".

كم أدى الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" أمام البرلمان الأردني في 26 أكتوبر 1994 وذلك في تعليقه على أطروحة "صدام الحضارات": " أن هناك من يصر على أن بين و.م.أ والشرق الأوسط عقبات في طريق التوافق دينية وغير دينية لا يمكن تجاوزها وبأن معتقداتنا وثقافتنا لا بد أن تتصادم بشكل ما، ولكنني أعتقد أنهم مخطئون، فأمريكا ترفض قبول المنطق القائل بأن حضاراتنا لا بد أن تتصادم".

وقد تم في سنة 1998 وبمبادرة من إيران وبتوصية من الجمعية العامة للأمم المتحدة، إعلان سنة 2001 سنة الأمم المتحدة لحوار الحضارات[385].

وتدعو التوصية: "الحكومات منظمات الأمم المتحدة بما فيها اليونسكو إلى إعداد وتنفيذ ل التفاهم بين برامج ثقافية وتربوية واجتماعية للنهوض بالحوار بين الثقافات وخصوصا عبر تنظيم المؤتمرات والدورات الدراسية ونشر المعلومات والمؤلفات النظرية حول الموضوع". لهذا ينبغي تفعيل التفاهم بين الثقافات والبحث عن أفضل السبل لنشر قيم التسامح والحق في الاختلاف داخل المجتمعات وفيما بينها، بحيث تصبح الثقافات فاعلا للنهوض الاجتماعي وحافزا على التنمية وترسيخ قيم المواطنة.

---

[385] عمر السعدي ،مرجع سابق ،ص 98.

وفي المائدة المستديرة التي نضمتبموزاة مع قمة الألفية بنيويورك في 6 سبتمبر 2000. والتي خصصت لموضوع حوار الحضارات. أكد محمد خاتمي على أن النهوض بالحوار داخل المجتمعات المختلفة ينبغي أن يكون إحدى أسس التفاهم بين الثقافات والحضارات...وبإيماننا بالحوار تفتح الطريق لأمل كبير، أمل العيش في عالم يكون فيه مكان للفضيلة والتواضع والحب، وحيث لا تسود فقط المؤشرات الاقتصادية وأسلحة الدمار، إن الدول الأعضاء في الأمم المتحدة عليها أن تبدل جهود لتفسح الطريق للحوار بين الثقافات والحضارات كما عليها احترام الشروط المسبقة لكل حوار، ألا وهي التخلي عن كل الإكرامات واعتبار أن كل أطراف الحوار هم على قدم المساواة."وفي نفس هذه المناسبة أكد كوفي عنان."...إن التنوع يشكل قيمة عالمية وشعوب العالم هي أكثر وحدة بفعل مصيرها المشترك، وأقل انقساما بفعل هويتها الخاصة، وبجانب التنوع ألانهائي للثقافات توجد حضارة شاملة تتلاقى داخلها وتنمو بشكل سلمي ومنتج أفكار ومعتقدات الإنسانية".

وفي خطابه بمناسبة افتتاح سنة الأمم المتحدة لحوار الحضارات ستة 2001 صرح كوفي عنان بما يلي"بأي معنى يمكن لمفهوم حوار الحضارات أن يكون مفهوما عميقا؟ أولا هو مناسبة وضرورة على فكرة الصدام الحتمي للحضارات ويمكن له أن يشجع على تدعيم التعاون، والحد من الصراع، ثانيا يساعد على التوجه نحو الجذور العميقة، والقديمة للثقافات والحضارات لإيجاد ما يجمعنا جميعا بعيدا عن الانقسامات..وفي نفس الإطار أكد جياندومينيكوبيكو الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة لمواد الحضارات أنه." ليس التاريخ هو ما يقبل، ليست الديانات هي التي تغتصب النساء، وليس نقاء الدم هو الذي يهدم البيوت... فقط الأفراد هم من يفعلون ذلك".

ويبدو أن إرساء حوار حقيقي بين الأفراد، الشعوب والحضارات(الثقافات بغرض الإيمان بمجموعة مبادئ أساسية.

***التواضع:**

إن التكبر واعتقاد امتلاك الحقيقة المطلقة وتمثيل الخير المطلق لا يساهم في تشجيع الحوار بل يؤجج الحقد والعداء، ومنطق "الآن ضد الباقي" منطق شوفيتي يرفض الاعتراف بحقيقة التكامل والاعتماد المتبادل بين كل شعوب العالم، وسياسة استعمال القوة كل مختلف الأزمات، سياسة لا أفق لها ولا تنتج إلاّ المزيد من الصراعات والتوترات، لهذا ينبغي أن يتعلم

الأفراد والشعوب قيم التواضع والتسامح واللجوء للحلول السياسية للتمكن من التواصل والتفاهم والتعايش.

***الرأفة:**

أي الإحساس بآلام ومآسي الآخرين والتعاطف معها، وهذا هو المنطق للوعي بإنسانيتنا أي يكون أنه رغم كل الاختلافات الحقيقية المتواجدة بين الأفراد في العالم كله، إلا أنه كل من يسكن ذوات ودواخل الآخرين يشاركوننا في إنسانيتنا"

وبعد ذلك علينا أن يمتلك القوة الأخلاقية، والقدرة النفسية لكي نضع أنفسنا في مكان الأفراد والشعوب التي تعاني من عدة مآسي.

***الرضى والحب**

قبل كل شيء على الأفراد أن يتمكنوا من الرضى أنفسهم وحب ذواتهم قبل أن يحبوا الآخرين، فلا يمكن لمن هو غير راض عن حياته الشخصية، وغير واثق في مؤهلاته وغير مستمتع بحريته أن تتفتح شخصيته لحب الآخرين والتعاون والتحاور معهم لذلك ينبغي تنمية مؤهلاتنا بالقدرة على الحب. حب الحياة، حب الغير، حسب العمل حب الخير، حب الحقيقة والمعرفة وحب الإنسانية.

***التعايش والتسامح:**

واقع العولمة وتزايد الاحتكاكات والتفاعلات الثقافية بين مختلف الأفراد والشعوب بفعل ثورة الاتصالات، وتزايد حركات الهجرة، خلف ديناميكية اجتماعية دولية جديدة أساسها تراجع الأحادية الثقافية لصالح تصاعد واقع التنوع الاجتماعي والتعدد الثقافي، وهذا ما أصبح يفرض على مختلف المجمعات الإنسانية تعلم التسامح والتعايش السلمي على المستوي الثقافي والدّيني بين مختلف الأفراد والجماعات والشعوب.

***الحوار الداخلي:**

إن الحوار لا ينبغي أن يكون ترفا زائدا مخصصا للمنتديات والمؤتمرات.فعليه أن يتحول إلى حاجة أساسية لاتهم فقط العلاقات بين الحضارات والشعوب والدّول بل تشمل المجتمعات من داخلها، فمن العبث التفكير في حوار الحضارات والثقافات إذا لم يكن هناك حوار داخل الثقافات والدّيانات والمجتمعات".من المهم في الحياة اليومية ومحاورة الذات وساءلتها من جهة وفتح

الحوار بين أفراد المجتمع ومكوناته الثقافية والسياسية من جهة أخرى، وبهذا يتحول الحوار إلى سلوك يومي يقي المجتمعات من التعصب واللّجوء إلى العنف لتسوية الاختلافات.

*الإيمان بقوة بقدرة الإنسان على إدارة الصّراعات وتحقيق السلم والتحرّر من النظرة التشاؤمية التي ترى في الصّراع حتمية تاريخية تحكم الإنسان منذ القدم وكما أوضح ذلك بيان اشبيلية حول العنف سنة 1986، والذي صاغه مجموعة من علماء مختلف التخصصات، فإن السلام ممكن والحرب ليست حتمية بيولوجية بل هي ابتكار اجتماعي ينبغي أن يترك مكانه لابتكار السلام، وإذا كانت مرحلة الحرب الباردة قد طغى عليها الشعار الروماني"إذا أردت السلام عليك أن تعد للحرب" فإن اليوم أصبح من اللازم تغيير الشعار ليصبح"إذا أردت السلام فعليك أن تعد للسلم".

***البحث عن الحقيقة:**

السعي لمعرفة الحقيقة شرط أساسي للحوار، فالحوار هو اكتشاف الغير واحترامه كما هو وكما يريد أن يكون، ومعرفة الاختلافات والقيم المشتركة للممكن من التبادل والتفاهم، وكما يقول "ميشال لولون" لحسن الحظ فإن عصر الحروب الدينية قد انتهى، ولكن عصر الحقد والاحتقار سيستمر ما دامت كل جماعة تنظر إلى الأخرى لا كما هي، وكما تريد أن تكون وكما تشعر بوجودها بل من خلال صورة مشوهة، أول عمل لتحقيق المصالحة الحقيقية بين الجميع هو البحث عن الحقيقة".

إن السعي لمعرفة الحقيقة مسار طويل يتطلب الإدارة والعمل الدؤوب، والبحث عن الحقيقة من شأنه أن يجعلنا نؤمن بتعدد الرؤى وتعقد العالم وبضرورة تحديد مختلف الثقافات لرؤاها ومرتكزاتها حتى تتمكن من خلق حوار ثري وفعّال بين مختلف الثقافات والشعوب.

***القيم المشتركة:**

ثمة مجموعة قيم إنسانية أساسية مشتركة بين كل الفضاءات الثقافية والدّينية في العالم وينبغي استثمارها والتركيز عليها لتكريس وحدة الإنسانية ووحدة الجوهر الإنساني وحسب قول شيخ المتصوّفة "ابن العربي" الإنسانية واحدة العين في كل إنسان وإنما يتفاضل الناس بالمنازل لا بالعين.إن قيما مثل.العدالة، رفض العنف، رفض الظلم الإيثار، المساواة،التعاون،

المحبة..وأحاسيس مثل المعاناة،الألم، الإحباط، الغيب، الرأفة، جزء من إنسانية كل إنسان. ولذلك فالجوهر الإنساني حاضر في كل التقاليد والدينية لكل الشعوب عبر التاريخ الطويل للإنسانية."

*-إرساء أخلاقيات كونية تسعى لخدمة الإنسان والإنسانية بروح مسؤولية متفتحة على العالم وتعقده، ودعا في هذا الإطار عالم اللاهوت هازنزكونغ إلى إنشاء إعلان عالمي للأخلاق على غرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتركيز هذه الأخلاقيات العالمية على ثلاثة أسس.

- لا يمكن للإنسانية العيش والبقاء بدون أخلاق عالمية.
- لن يكون هناك سلام عالمي بدون سلام بين الأديان
- لن يكون هناك سلام بين الأديان بدون حوار بينهما.

لقد عقدت ندوات ونظمت مؤتمرات عالمية كان صدام الحضارات أو حوارها محورها، ففي تبليسي عاصمة جمهورية جورجيا عقدت ندوة تحت عنوان "من أجل التضامن وضد التعصب وفي سبيل حوار بين الثقافات" في 13 جويلية 1995، وقد تمت تحت إشراف كل من مدير اليونسكو "فريدريك مايو"، والرئيس الجورجي "إدوارد شيفاردنادزه" وقد صدر عنها في العام التالي أعمال الندوة تحت عنوان "لقاء بين الحضارات": صراع أم حوار" ولقد أكدت هذه الندوة على ضرورة التفاهم والحوار بين الثقافات لأنه مفتاح السلام"، كما عقدت ندوة أخرى نظمها مركز الدراسات الجهوية بجامعة بونستون بالولايات المتحدة الأمريكية ما بين 5 و7 ماي 1995 وقد ضمت 50 شخصية علمية يمثلون جميع الحضارات من أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا وأفريقيا وآسيا وأستراليا، هذا إلى جانب العديد من الندوات الأخرى، بل أن الأمم المتحدة قد أقرت عام 2001 عام "الحوار بين الحضارات" بناءا على دعوة وجهها الرئيس الإيراني "محمد خاتمي"، وبمناسبة ذلك عقدت ندوة في طهران تحت عنوان "الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات" في 3 و5 ماي 1999 وقد دعت هذه الندوة الأمم المتحدة لأعداء "ميثاق عالمي للحوار بين الحضارات المعاصرة".[386]

إن الحوار لا يطرح نفسه كفاية أو كحاجة، ينبغي تحقيقها لاستكمال عملية التجميل التي يتطلب إجراءها على الخطاب، بل الحوار يعني خلق المناخ الملائم للتفاهم والتعاون الذي يساعد

---

[386] رضوان جودة زيادة: **صدى الحداثة**، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص 127.

الجميع على توليد توجهات إيجابية أكثر ويضعف بدوره الميول القائمة أو الكامنة لتغذية روح النزاع والعداوة، وبدوره يغدو الحوار بمثابة القدرة على إحداث تغيرات عميقة في طرائق نظر كل طرف إلى الآخر.

وبذلك يصبح الحوار الأداة المشتركة التي يمكننا من تحقيق فهم أعمق للذات وللآخر الشريك والمشترك معنا في الحوار.

إن العلاقات القائمة بين الحضارات مكونة على أساس توازن القوى والمصالح، والحوار إذا تم تاريخيا فإنه كان عبارة عن تبادل التأثير بفعل التطور التاريخي، وحوار الحضارات هذا أو لقاءها ليس بحاجة إلى دعوة أو التخطيط كونه يجري بصورة عفوية وتلقائية. [387]

إن توازن المصالح هو الذي يفرض نوع الحوار أو حتى قيامه أساسا، فالتجاور المنسجم يكمن في اعتدال القوى المتنازعة والتجانس البنيوي بين الأفكار المتصارعة، وإذا كان التفكير اليوم ينصب في الحضارة العالمية كما سماها "هنغنتون" أو الحضارة المشتركة، فعلينا أن نسهم جميعا في العمل على بناءها وصنعها، وذلك لن يتم إلا بالحوار المؤسس على الشراكة، وإذا كان البعض لا يرى في حوار الحضارات إلا شكلا من أشكال الالتفاف على الصراع بين ثقافات مفترض أنها متساوية، فلذلك يجب الانتقال من إشكالية حوار الثقافات إلى إشكالية الحوار بين المصادر الثقافية، ومستقبل الثقافة البشرية، أو فرص تثقيف الجماعات الإنسانية ووسائل حماية الثقافات المحلية. [388]

إن تحقيق حوار حقيقي بين الحضارات يقتضي أولا تأسيس لغة تستوعب المختلف ولا ترفضه أو تنبذه، أما إذا بقيت لهجة الاستعلاء حاضرة بما تعنيه من مصادرة الثقافات والحضارات الأخرى مسبقا بحجة الوصاية عليها "نحن عمالقة ولهذا نرى أبعد مما ترى الأمم الأخرى" كما قالت "مادلين أولبرايت" وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، أو كما عبر "هنتغتون" إن الغرب ينفرد بتوليفة خاصة وهي التي منحته خاصيته المتميزة، وكما نجد لدى الطرف الآخر "إن العالم الإسلامي هو الوحيد الذي يملك ورقة تعريف بهوية خاصة يستطيع أن يقدم البديل المفتقد"، إذ يبقى مثل هذا الجو المشحون بهاجس الصراع ومفرغا في خطاب النفي للآخر فإن

---

[387] المرجع نفسه، ص ص132،133.

[388] برهان عليون: **حوار الحضارات أو في أصل التفاهم بين الأجناس**، مجلة الاتحاد، 10 يوليو 1999، عدد ، ص 90.

الحوار عندها يبقى مجرد ألهية أو التسلية نرفعه عندما نكون بحاجة إلى استثمار مدلوله الرمزي.[389]

المبحث الثالث

التبادل الثقافي في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال

النظام العالمي الجديد الذي انبثقت منه العولمة الثقافية يمكن وصفه بعصر تعدد الحضارات عصر يرتكز على التعايش المتبادل بين الثقافات وزيادة التفاعل بينها والإفادة من بعضها البعض في جو من التعايش الحضاري، بعيدا عن سيطرة أي ثقافة على أخرى أو غزو وثقافة لهوية وخصوصيات ثقافة أخرى بحجة عراقة تاريخها الحديث أو قوة اقتصاديتها أو قدرتها على الحداثة العلمية والتكنولوجية فالمساواة بين الثقافات واحترام سيادة دولها، وتدعيم حقها في الاحتفاظ بثقافتها هي أساسيات أخلاقية في التعامل بين الثقافات.

والدعوة إلى ضرورة التبادل الثقافي العالمي في عصر العولمة الثقافية تفرض أن الحضارات متعددة ومتنوعة وكل حضارة تختلف عن الأخرى، وتتميز بخصوصياتشكلتها على مر العصور عوامل جغرافية وتاريخية إنسانية، ولكي يترسخ التبادل الثقافي في عصر العولمة الثقافية يجب أن تراعى الأساسيات التالية:

---

[389] رضوان جودة زيادة،مرجع سابق، ص 127.

1- ألا تفرض أي دولة أو مجموعة من الدول نظام ثقافي أحادي على ثقافات الشعوب الأخرى، بل إن كل دولة يجب أن تحترم ثقافة الدول الأخرى ولا تتدخل في شؤونها بحجة تفوقها الحضاري أو الاقتصادي أو العلمي أو التكنولوجي.

2- أن تعمل الدول المتقدمة صناعيا على تحقيق أكبر قدر من تداول المعلومات والمعرفة مع الدول الأخرى حتى يمكنها استيعاب التقنية الحديثة وتطويرها بما يناسب احتياجاتها ومتطلباتها مع التنمية البشرية والمادية، وبذلك تتقلص الفجوة المعرفية والمعلوماتية بين المجتمعات.

3- أن تحتفظ كل دولة بخصوصيتها الثقافية من دون التعرض لأي تهديد أو غزو لعقائدها وتقاليدها أو افتراق لتراثها يؤدي إلى تسلط ثقافة على أخرى.

- ضرورة إجراء حوار موضوعي خلاق بين الثقافات، يتميز بالإيديولوجية لإبراز عناصر التلاقي بين الحضارات وإيجاد المساحات التي يمكن للثقافات أن تجد طريقها للتعايش مع بعضها البعض بعيدا عن الصراعات والندية والسيطرة. [390]

لقد تغيرت الثقافة العالمية تغيرا جذريا في هذا العصر، وتمظهرت في مشروع ثقافي واسع، وأخذت تشكل نموذجا شموليا موزعا على العالم عبر وسائل الاتصال المختلفة، وأصبحنا نعيش عالما ثقافيا جديدا، لا يعطي للإنسان فرصة للتفكير بل يفرقه في فيض من الأفكار تدفعه مضطرا للانسياق وراء ما يحدث، وقد ساعد على هذا التحول عاملان أساسيان:

1- ثورة المعلومات التي أحدثت تغيرا شديدا في الثقافة وأثرت في الكتابة وغيرت طابعها وشكلها، كما أثرت في المتلقي وأعادت تشكيله من جديد ليتجاوب مع المستحدثات الجديدة، والتي تسعى إلى توحيد الوعي والقيم وطرائق السلوك وأنماط الإنتاج الفكري والثقافي.

2- أصبحت هذه الثورة المعلوماتية في يد مؤسسات ثقافية واقتصادية عالمية تحاول فرض وتوجيه الحضارة المعاصرة وتعمل على الإطاحة بالمرجعيات التي شكلها الفكر الإنساني عبر تجارب العصور الطويلة، وتخلق في الوقت نفسه مرجعيات حلم التعاطف الإنساني، وسلم قيم العدالة.

---

[390] محمد الشبيني: **صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة**: دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 2002، صص 316، 317.

غير أن سيطرة هذه الثقافة لا يعني بأي حال من الأحوال وجود ثقافة مستقلة كليا عن الثقافات الأخرى، فالثقافات توجد بالضرورة في حقل تفاعل يحدد فيما بينها علاقات الخضوع والهيمنة وعلاقات الحوار والتبادل والتثاقف. [391]

إن التبادل الثقافي أو التثاقف هو مجموعة الظواهر الناتجة عن الاحتكاك المستمر والمباشر بين جماعات وأفراد منتمين إلى ثقافات مختلفة، والتثاقف يدخل مباشرة مع التعامل مع ثقافة الآخر ويشكل أساسا فيها، ويعني الاستفادة من الثقافة الأخرى واستخدام بعض أدواتها المعرفية والإجرائية في تفعيل الثقافة الذاتية، قصد تحليلها وتفكيكها وإعادة تصنيفها وتركيبها، بل يصل الحد إلى درجة إنتاج معرفة جديدة تتداخل ملامحها مع تطورات المعرفة الحديثة. [392]

يرتبط التبادل الثقافي بالتكنولوجيا الحديثة للإعلام وثورة المعلومات، حيث يمكن استخدام وسائلها، والانتفاع بخدماتها مما يسهم في تقدم الثقافة المحلية وتفعيلها وتطويرها، إذ ليس لأي ثقافة مهما بلغت من الرقي "أن تبلغ هويتها ونضجها إلا عبر علاقة مكثفة مع الآخر" على حد تغير عبد النبي ذاكر.

فاليوم يستطيع الجميع الاتصال بالانترنت ونشر أفكارهم وآرائهم الخاصة بالإضافة إلى الصور وتسجيلات الفيديو، وبإمكانهم الإطلاع على أفكار وآراء الآخرين، ليس ثمة هواجس من سلبية المستخدمين بما أن أفعالهم يراها كل فرد ومشاركتهم يفهمها جميع الأفراد، لقد أدى هذا التوسع في المشاركة بالبعض إلى القول بأن شبكة الانترنت تنطوي على ديمقراطية كاملة تستفيد منها الثقافات المحلية والقومية المستثمرة في العالم من أجل التفاعل مع الثقافات الأخرى. [393]

ويرى البعض أن العولمة تعبر عن الترابط بين مجموع التنوعات الثقافية ومما يعزز من هذا الترابط التطور التكنولوجي في مجال الاتصال والمعلومات الذي ساعد على تقارب الثقافات مع بعضها البعض وزاد من مستوى التفاعل بينها وهذه التفاعلات المتزايدة عمقت الوعي

---

[391] علي فخري: **مخاطر التثاقف ومكاسبه في زمن العولمة، التواصل والتثاقف**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاءط1، 2010، ص 175.

[392] نفس المرجع، ص 172.

[393] يوجينا سيابيرا، ترجمة أحمد المغربي: **التنوع الثقافي والإعلام العالمي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2012، ص 303.

الحضاري والإحساس بالفروق بين الحضارات أي أصبحت كل ثقافة تدرك بأن لها خصوصية تميزها عن غيرها من الثقافات والحضارات الأخرى كما يشير إليه صامويل هينتغتون.

كما يؤكد تقرير اليونسكو حول ثقافة القرن الواحد والعشرين فإن التربية الأولية يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهم أفضل لثقافتهم الخاصة بالماضي منها والحاضر في نطاق مجتمعي أوسع، مجتمع عالمي يعتبر فيه انفتاح الثقافات الخاصة بعضها على بعض، وحوارها فيما بينها هما الوسيلة الوحيدة لازدهار أي منها والايجابية تعاملها مع غيرها من الثقافات. [394]

وإذا كانت الثقافة هي تنبؤات المعنى كما يعرفها الأنثربولوجي "كليفوردهيرتر" التي يغزلها الإنسان حول نفسه، فإن التواصل، اللغة والفنون والموسيقى والنصوص المدونة والأفلام والتسجيلات وبرامج الحاسوب، هو الأداة التي نستخدمها نحن البشر في تفسير هذه الشبكات المهمة وإكثارها والمحافظة عليها وتحويلها فالاتصال/التواصل بشكل مصور الثقافة. [395]

---

[394] محمد جواد رضا: **العرب في القرن الواحد والعشرين، تربية ماضوية وتحديات غير قابلة للتنبؤ**، مجلة المستقبل العربي، عدد 230، 1998، ص 63.

[395] هيرفيريفكين،ترجمة مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص 175.

المبحث الرابع

تأثير الصناعة الثقافية و منطق السوق على التنوع الثقافي في العالم

لو كان لنا أن نستطرد المظاهر الكبرى لما يجري نهاية هذا القرن لقلنا دون تردد إن ما يطبعها بجلاء وامتياز إنما يكمن في الهيئة شبه المطلقة والمتزايدة للسوق وقيمه ومعتقداته ومرجعيته، وهناك فيما تعتقد سبع حقائق كبرى ستجعل من دكتاتورية السوق حاليا إحدى مراحل التوتاليكارية التي عانت من جرائها الشعوب وضاع جراء إيديولوجيتها المركزية الأفراد والجماعات.

الحقيقة الأولى ومضمونها أن السوق لم يعد فضاء لتحديد قيمة الأشياء سلعا وخدمات أو قوى عمل بقدر ما تزايدت مرجعيته في زمن العولمة والليبرالية الجديدة كمعيار للخلاص ومقياس للإقصاء.

الحقيقة الثانية ومفادها أن مجال الدولة الأمة ومفهومها لم يكن يوما عرضة للتآكل والتضاؤل والتقزيم كما هو عليه الحال في زمن العولمة ، وتآكل مجالها لا يأتي فقط من أزمة إعادة هيكلتها بل أيضا من التوظيف المادي والرمزي الذي تخضع له جراء تواطئها وسلطات العولمة ، وأي سياسة اقتصادية للدولة الأمة . يتواجد شركات يفوق رأسمالها ورقم معاملاتها الدخل الإجمالي العام لهذه الدولة أو تتعدى أرباحها الدخل الوطني حجما ونوعا ؟ .

الحقيقة الثالثة ومغزاها أن تراجع مرجعية الدولة الأمة بتقدم مرجعية السوق وشموليته نهاية القرن إنما هو من تراجع قيمة المواطنة بانتصار قيم الاستهلاك وانبهار الأفراد والجماعات بها ، فلم تعد معايير المشاركة في تدبير الرأي العم هي الأهم بقدر ما أصبحت معايير ولوج المجتمع الاستهلاكي هي الأساس والمركز.

الحقيقة الرابعة ومحتواها أن قيم المواطنة التي يروج لها دعاة "المجتمع الاستهلاكي" تنظيرا وتأطيرا لا تعبر في حد ذاتها إلا عن طبيعة الديمقراطية (الليبرالية) التي يعمل هؤلاء الدعاة على تمرير وتحديد قواعد لعبتها وأدوار فاعليها، فليس غريبا أن تكتب "مارغريت تاتشر" أنها لا تعرف في الديمقراطية واقتصاد السوق إلا الأفراد والوحدات.[396]

الحقيقة الخامسة وتكمن في اعتبار الفكر الليبرالي الجديد محط توافق الأفراد والجماعات لا مجال خلاف واختلاف ، ومادام السوق الواحد هو مركز المواطنة وكمن الديمقراطية الليبرالية وما دام هو مرجعية الاحتكام الاقتصادي السياسي والثقافي وهو الأصل لا الفرع فإن الاجتهاد الصحيح أنما يأتي من داخله وفي إطاره وما عداه فهو باطل.

الحقيقة السادسة تتمثل في القول بأن ديكتاتورية السوق المتشكلة لا تعتمد على الوسائل والأدوات التقليدية في نشر قيمها ومعتقداتها بقدر ما تعتمد على وسائل جديدة وفي مقدمتها التكنولوجيا وأهم هذه التكنولوجيات تكنولوجيا وسائل الإعلام والمعلومات.

الحقيقة السابعة ترتبط بالاعتقاد بأن ما قد يفعله البعض جبروتا من لدن السوق وفاعليته لا يعدو أن يكون في حقيقة الأمر من طبيعة الأشياء والكون لن يفتأ أن يزول بزوال مسبباته الأولى أي بزوال قدسية الدولة الأمة وشمولية الأنظمة الاقتصادية المبنية على أساسها.[397]

إذا وضع الهيكل الاقتصادي للثقافة على الطاولة فربما توقفت الثرثرة حول التنوع سوف يتضح أن الثقافات المتنوعة تعتمد على البنية التحتية نفسها. فماذا يعني أن ثقافتين مختلفتين تتشاركان في أنشطة اقتصادية متطابقة؟ ما الذي يعنيه التعدد الثقافي في غياب التعدد الإقتصادي؟

إن البناء الإقتصادي للمجتمع الصناعي المتقدم، الرأسمالي القائم على اقتصاد السوق، هو العامل الثابت غير المتغير، فقلة هم القادرون على تخيل مشروع اقتصادي آخر، والموافقة الصامتة على هذا تقول الكثير عن التعددية الثقافية، وليس ثمة رؤية سياسية أو اقتصادية أخرى تغدي التنوع الثقافي، من أكثر المدافعين صلابة عن الأفارقة، إلى أكثر المدافعين صلابة عن حقوق المرأة، كل الفرقاء لديهم معتقدات متشابهة فيما يتعلق بالعمل والمساواة والنجاح إن سر

---

[396] يحيى اليحياوي: **العولمة الموعودة، قضايا إشكالية في العولمة والسوق والتكنولوجيا**، منشورات عكاظ، الرباط ط2، 2002، صص 161، 162.

[397] المرجع نفسه ، ص 163.

التنوع الثقافي كامن في التماثل السياسي والاقتصادي والمستقبل مثل الحاضر مع مزيد من الاختيارات والتعددية الثقافية تعني موت اليوتوبيا.

ولا يعترض أحد على أهمية الوظائف والأجور في الحياة اليومية. ولكن حتى بقايا الماركسيين لم يعودوا يأبهون بهذه الأمور لعقود متتالية ظل النقاد ينعون الماركسية ماديتها الضيقة، وكثير من هذا النقد كان صوابا. وقد نجح هؤلاء النقاد لأكثر مما دار في أحلامهم. فأصبحت الماركسية الاقتصادية ماركسية ثقافية، وخارج الماركسية تسود الاتجاهات ذاتها، فالثقافة أصبحت ذات طابع جنسي،وأصبحت الإقتصادات شيئا مبتدلا، والصراعات حول الشواذ، أو السحاقيات أو المرأة تستثير الاهتمام والنقاش، ويتساءل "دفيدبروموبتش" مندهشا عما إذا كان مثقفوا اليوم يمكن أن يعارضوا العبودية الاقتصادية إذا كانت تفتقد بعدا عنصريا أو ثقافيا، ولا يكاد يناقش الموضوع باعتباره ظلما اقتصاديا قاسيا وخشنا.[398]

بالقدر الذي تصنف فيه الثقافة كل شيء تفقد السياسة معناها، وبطبيعة الحال فإن أنصار التعدد الثقافي يكتبون دائما حول سياساته، إنهم يرددون دون توقف قضية أن المجتمع وكل أبنيته سياسي: النصوص، السياقات، القراءة، المؤلفين، المناهج...

ولكن حين يكون كل شيء سياسيا، فلا شيء أكثر سياسة من أي شيء آخر، وواضح أن التعددية الثقافية بشأن سياسي، لأن كما ذكر الراديكاليون والأكاديميون، السياسة تصبح ببساطة سلسلة من الشعارات حول التهميش والسلطة والخطاب والتمثيل هذه المصطلحات تشير إلى مشكلات حقيقية، ولكنها تمثل في تحديد أي سياسات معنية الجماعات الهامشية والمهمشة تطالب بالسلطة أو التمثيل؟

من جهة أخرى لا يمكن الفصل بين التاريخ الثقافي والتاريخ السياسي أو الاجتماعي فنهوض النازية في الثلاثينيات ونشوب الحرب الباردة في الخمسينيات قد أثر على مصير فكرة التعدد، فقد صعدت هذه الأحداث بالتعدد إلى السطح من حيث هي نقيض لمصطلح جديد أو حقيقة جديدة هي الشمولية.

حيث أعاد الممثلون اكتشاف التعدد والتنوع كجوهر الليبرالية التي تقف على نقيض "الواحدية" الصلبة في النظم الشمولية (النازية والشيوعية)، واعتبر أحد المتحدثين في حلقة دراسية

---

[398] راسل جاكوبي، ترجمة فاروق ابو زيد ، مرجع سبق ذكره، ص ص55، 56.

سنة 1939في فيلادلفيا أن "عادلة التعدد" مبدأ من مبادئ الدول الشمولية "فالتعدد وهو المبدأ الذي يدافع عنه الليبراليون، ينفي الطابع ذاته الذي يميز الدول الشمولية..." وخلال العقود العديدة المتتالية سادت هذه النظرة إلى الشمولية والتغني بالتعددية الغربية. وحققت نجاحا هائلا، وأعان على إحداث هذا التأثيرحقيقة أن كبار قادتها كانوا بالفعل من لاجئي النازية الأوروبية والشيوعية الأوروبية ومتعلمين وذوي ثقافة وشهرة: (مثل هانا أرندت، كارل بوبر هايلك وجاكوب تالمان، إشعيابرلين...)

ولأسباب عدة ظلت معظم الكتابات عن الشمولية نوجه نيرانها نحو الماركسية والشيوعية، لا النازية فالماركسية تحظى بمصداقية ونقل ثقافيين غائبين في النازية التي هي ليست سوى خليط مضطرب من الأفكار القومية ومحادات السامية. وبالنسبة للدارسين الذين يحللون مصادر الشمولية تقدم الماركسية شيئا يمكن الإمساك به. أما الجوهر الثقافي للنازية فكان معدوما فضلا عن أن الشيوعية سبت النازية وبقيت بعدها، فبعد سنة 1945 ونشوب الحرب الباردة كانت الشمولية تعني الإتحاد السوفياتي، والنازية كانت قد اختفت.[399]

في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي كان الحكمة السائدة تقول أن التنوع والتعدد هما السمات المحددة للمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص وللتراث الواسع لليبيرالية الأنجلو–ساكسونية على وجه العموم، والمجتمعات الشمولية على وجه العموم، والمجتمعات الشمولية القائمة على "الإيديولوجيا" و"اليوتوبيا" هي دكتاتورية بالأصالة، في حين أن "التعدد خصوصية تميز الديمقراطية" التي تعادي المجتمعات "المتماثلة والواحدية والشمولية...".

وكلما تراجعت الحرب العالمية الثانية إلى الماضي، زاد تركيز تحليل الشمولية على الماركسية والاتحاد السوفياتي، ثم جاءت الحرب الباردة لتريق فكرة التعدد. حيث شكلت التعدد الأمريكي ولونته، وحسب التفسير النموذجي فإنه في مواجهة الشمولية، قامت سلسلة من الجماعات المناضلة والمتنوعة بتشكيل ما يمكن تسميته بالروح الحارسة للمجتمع الأمريكي المتمثلة في التعدد المرموق، هذا القول الذي يتردد دائما يفسر لماذا تحول نقاد ودارسوا الستينيات نحو التعددية بهدف الثأر، أصبحت التعددية متوحدة بالنظام أو المؤسسة، ومع قيام حركة

---

[399] المرجع نفسه، ص58.

الحقوق المدنية وحرب الفيتنام، اعترض النقاد من الجيل الشاب على صورة أمريكا المعتدلة التي تدافع على العالم ضد الشمولية

لقد بدا أن فكرة التعدد ونقيضها الشمولية ليستا شن يتعلق بالنظرية بقدر ما هو دفاع ملائم عن المجتمع الأمريكي، وبالتحديد حين قامت الاحتجاجات عن العنصرية وضد الحرب يتحدى الاستقامة الأخلاقية الأمريكية، وقد كتب "ألفريد.ج–ماير" المتخصص في الشؤون السوفيتية "من الواضح ان استخدام نموذج الشمولية من جانب الباحثين الأمريكيين إنما كان دفاعا عن "الأمريكية" وخضوعا في الوقت ذاته لهستيريا الحرب الباردة" كما قدم "أبوت جليسون" تفسيرا نشوئيا لتحرر إيديولوجية التعدد من الوهم وكتب "بدأ رفضي الأساسي لهذه الأفكار عن (الشمولية والتعدد) في الجامعة ثم اتخذ قواما أكثر تماسكا من حركة الحقوق المدنية واستمر خلال معارضة حرب فيتنام".

وقد وصل الطلاب المحتجون إلى الاقتناع بأن القوى المالية والسياسية الكبرى في الغرب –الرأسمالية ذاتها– تنتزع القوة من فكرة التعدد.[400]

يذكر "هنري س. كاريل" في كتابه "سقوط التعددية الأمريكية" الصادر سنة 1961 أن الدولة والشركات الكبرى قضت على التعددية. ويفتتح "ميشيل روجن" وهو عالم سياسي دراسته عن الماركثية الصادرة سنة 1967 بالهجوم على فكرة التعدد. ويلاحظ أن المثقفين الأمريكيين قد انجذبوا نحو التعدد تحت تأثير ما ساد في الخمسينات من نزعة إلى التماثل وعداء للشيوعية. وفكرة "التعددية" تعني التراجع السياسي.

أما المؤرخ جون هيجهام فقد لاحظ. في المسح الشامل الذي قام به، أن أولئك الراديكاليين الذين اهتموا بنظرية التعدد قد أنكروها، "لعدة عقود عملت فكرة التعدد على نشر التماثل السياسي والعداء للشيوعية المرتبط بالحرب الباردة على أوسع نطاق وجاء جيل جديد من الدارسين، بلغ سن الرشد في الستينات، فأدانها.

لقد ساد تفسير الشمولية الذي أدان اليوتوبية جنبا إلى جنب مع النازية والشيوعية، كانت صيحة الحرب من أجل التعددية التي اجتاحت بيسر جميع المحطات، لم يكن ثمة سجناء ولكن لم يكن ثمة جنود كذلك، أما نقاد التعددية الذين أفرغوا في الستينات فقد تلاشوا دون أثر، ليس

---

[400] المرجع نفسه ،ص62.

هناك من سبب مفرد يفسر تعدد شيوع التعددية، فالموت السريع للاشتراكية قطع الأنفاس الثقافية لليساريين. فافتقدوا الثقة أو الاعتقاد بأن إعادة بناء المجتمع كله أمر ممكن، ومن ثم تراجعوا إلى الاقتناع بأمور جزئية، بثقافات جزئية، أي بالتعددية. أما الليبراليون فلم يكونوا في حاجة إلى دفعة صغيرة فهم مجندون دائما نحو أفكار التعددية، وقد تحرروا من النقد الحاد لهم من جانب اليسار فضاعفوا انتمائهم.

وأصبحت التعددية التي هي إيديولوجية السوق والفرد، هي المبدأ الأساسي العميق لليبراليين والسياسيين، تعود التعددية حين تنحصر الراديكيلية، وليس بوسع كل عصر أن يقدم أفكارا جسورة عن المجتمع. وربما كانت التعددية في صورها المتنوعة هي أفضل ما يقدر عصرنا على تقديمه، وعلى الرغم من أن هذا التراجع يصور كما لو كان تقدما مذهلا. التعددية فكرة عادية وإن لم تكن مبتذلة، وهي حافة قاطعة ناعمة الملمس وإذا زينت الثقافة، أو عمدت باسم التعددية الثقافية أصبحت أسطورة زماننا.[401]

عندما تصبح أشياء ثقافة ما وأفكارها وسماتها جزء من نظام رأسمالي للتبادل وتباع وتشتري تبدأ عملية التيليع الثقافي بالحدوث ويقول "لادوارغاليثو" في عصر العولمة نقل الأسواق محل الشعوب والمستهلكين محل المواطنين والمشروعات الصناعية محل الأمم والتجمعات محل المدن والمزاحمة التجارية محل العلاقات الإنسانية ثم إن العولمة تصميم قسري، ونموذخ معادي للتعددية والتنوع الثقافي، وهذا نموذج يلغي التمايز والشخصية الثقافية، ويروج عن طريق وسائل الإعلام لقيادة قوانين السوق، وقيم المجتمع الليبرالي الرأسمالي ويفرض ديكتاتورية الكلام الوحيد، والصورة الوحيدة، والنمط الواحد من الحياة ويحول الإنسان أي مجرد مستهلك مستسلم ومشاهد متلقي،يتم تصنيعه وترويجه جماعيا عن طريق وسائل الإعلام التي تسيطر عليها شركات وإمبراطوريات عابرة للقوميات.[402]

---

[401] المرجع نفسه،ص63.

[402] صامويل هينتغتون: **الغرب إنه فريد لكنه ليس كليا جامعا** ، ترجمة فاضل جتكر ، مجلة الرسالة ، عدد 4 أوت 1997 ، ص 6 .

ليس ثمة شك فيما يتراءى لأول وهلة، أنه في حين أن طفرة تكنولوجيا المعلومات والثورة التي حملتها الشبكات الإلكترونية (خاصة الإنترنت)، إنما من شأنها المساهمة في صيانة ذات التنوع (عبر تجميع المخزون الثقافي والعمل على ترويجه على نطاق واسع).

فإن العولمة والكونية تبدوان وكأنهما على النقيض من ذات السلوك. فهي لا تقتصر على اعتبار مسألة التنوع الثقافي مسألة ثانوية لا أولوية لها في صياغة النظام الكوني بل وتعتبر الثقافة "سلعة خالصة" لا تختلف في إنتاجها وإعادة إنتاجها واستهلاكها عن باقي السلع الرائجة... تماما كما هو الحال مع التعليم والتربية والصحة وما سواها.

قد يكون من المبالغ فيه اعتبار العولمة نقيضا مباشرا للتنوع الثقافي، فهي عملية اقتصادية تحتكم إلى منظومة في القيم خاص بها لكنها تتمرس على النقيض منه بحكم توازي المجالين والتعارض الطبيعي الذي يميز مسار كل منها، إذ ما دامت العولمة تكريسا للسوق والثقافة السوق ومنطقه، فغن ما سوى ذلك بالنسبة لها لا يعد غير كونه عاملا خارجيا طارئا من الواجب صهره وفي تعذر ذلك تدميره، بالتالي فبا أن السوق أضحى هو السيد ومنطقه هو السائد أو المراد له أن يسود فإن الحاصل أن كل ما يتعارض وتوجهه إنما يبدو حالة نشاز سرعان ما ستتبدد، بل هي مطالبة بتحديد علاقتها بالسوق لفائدة هذا الأخير لا بغاية خلق توازن بينهما من نوع ما.[403]

ولا يمكن الجزم بأن تقدم العولمة يفضي حتما إلى انقراض جزء كبير من لغات العالم أو يؤدي إلى وأد التنوع والتعدد الملازمين بيولوجيا لثقافات الشعوب وهوياتها. وبالقدر ذاته لا يمكن القطع أن لثورة التكنولوجيا المعلوماتية والشبكات الإلكترونية أثر مباشر في اندثار ذات اللغات أو تقويض ذات التنوع والواقع أن هيمنة اللغة و"الثقافة"، الإنجليزية على معظم التيارات المادية واللامادية العالمية إنما يشي بحقيقة اختلال موازين القوة لفائدتها والمبني على المال والأعمال والاقتصاد لا على اللغة والثقافة.

فمكامن التهديد إنما تأتي من "مجتمع السوق" المتزايد التصاعد من لدن فاعلي العولمة والشبكات لا من قوة ذات الثقافة أو اللغة.

ولقد أضحى من الثابت اليوم أن فضاء السوق (زمن الكونية وانفجار المعلومات والمعارف) هو الذي حول صلاحيات ضبط عمليات إنتاج وإعادة إنتاج واستهلاك الثقافة

---

[403] يحي اليحياوي : **كونية الاتصال عولمة الثقافية شبكات الارتباط والممانعة**، مرجع سبق ذكره، ص143.

والرموز. فإنه في الآن ذاته الفاعل الأساسي الذي عبره تتحدد معظم معابر التنوع والتعدد الثقافي، ففضاء السوق دعم بصلب مجاله باقي المجالات بما فيها تلك التي لم تكن تعمل إلا على هامشه كالثقافة والبيئة والصحة وما سواها، والتي لم تكن الاعتبارات الإقتصادية بداخلها ذات أهمية كبرى تذكر.

من هنا فلو سلم المرء جدلا بأن لا ميزة اليوم "للسوق الثقافي" قياسا إلى ما سواه من أسواق، فإنه سيسلم جدلا أيضا، بأنه لن يكون بالتأكيد ضمانا للتنوع.

ومعنى هذا أنه إذا لم يعد من مستقبل كبير يذكر للسياسات الثقافية الوطنية. بحكم (إندغامها) في السياسات الإقتصادية (أو ما تبقى منها)، فإن ذات السياسات أضحت مركزية على الأقل في جانب الحفاظ على التنوع الثقافي بين أضلع البلد الواحد وفيما بين مختلف البلدان الأخرى.

وصيانة التنوع الثقافي في ظل العولمة وتزايد تيارات السلع المادية واللامادية العابرة للحدود لا ينحصر فقط في المحافظة على التنوع الطبيعي للثقافة بين مجتمع وآخر أو بين مجموعة بشرية وأخرى. بل يجب أن يتعدى ذلك للمحافظة على البنى التحتية الأساسية التي هي حامل ذات التنوع ورافعة الموضوعي.[404]

تقف الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى في العالم وراء ازدهار الصناعات الثقافية وتعد هذه المؤسسات البوابات الرئيسية نحو تسويق هذه الصناعة في جميع أنحاء العالم وتبقى مجموعة " آيه أو إل تايم وارنر الأمريكية AOL Timewarner " من أكبر المؤسسات المسيطرة على عالم الصناعات الإبداعية الموجهة خاصة إلى الترقية والتسلية بعد أن ازداد حجمها على خلفية الاندماج بي "أمريكا أو نلاين" و"تايم وارنر"حيث بلغت قيمة هذا الاندماج 350 مليون دولار، بينما تصل الطاقة التشغيلية لشركات المجموعة إلى نحو 85 ألف شخص حول العالم.

وتعتبر "AOL" المزود الرئيسي لخدمات الانترنت في العالم إذ يبلغ عدد مشتركيها أما يزيد عن 35 مليونا، منهم 20 مليونا في الولايات المتحدة الأمريكية، وينمو عدد جمهورها بمعدل خمسة ملايين كل عام. وتدير "AOL" قطاع الانترنت في العالم من خلال شركة "نينسكيب" Netscape التي تملك "مجموعة من المشروعات تتضمن منتجات برامج الكمبيوتر، وخدمات

---

[404] المرجع نفسه، صص148-151.

الدعم التقني، وخدمات الاستشارات والتدريب وشركتي كمبيوسوفCompuserve" و"صنميكروسيستيمز Sun Microsystems وخدمات أمريكا أونلاين اللاسلكية "والمدينة الرقمية "Digitql" ضمن الممتلكات التفاعلية لـ AOL "

وتمتلك المجموعة – أيضا قنوات تلفزيونية، وشركات إنتاج في مجالات السينما، والتلفزيون، والموسيقى ....الخ، على غرار شبكة (HBO) الدولية التي يتجاوز عدد مشتركيها المليون حول العالم، وشبكة "TNT" ومجموعة "turnerEntertainmentgeiup"، وشركة الإنتاج السينمائية الشهيرة "New Line Cinema" وشبكة "Cartoon Network" ومجموعة وارنر للموسيقى "Warner Music Group" ...الخ والإمبراطورية "AOL" متاجر عديدة لتسويق منتجاتها الضخمة تتضمن 150 متجرا للبيع بالتجزئة في الولايات المتحدة، و30 محلا عبر آسيا، وأكثر من 12 محلا في أوروبا.

أما مجموعة فياكم الأمريكية (Viacom) فتعد ثاني أكبر مجموعة فيالعالم متخصصة في الصناعات الإبداعية الموجهة إلى التؤرقية والتسلية، "لها اتفاقات عالمية مع 26 دولة، وتعمل في مجالات الأفلام السينمائية، والتلفزيون، والنشر، ومنتجعات الاستجمام ، وتوزيع الفيديو، والموسيقى، والشبكات والإذاعات، والملاهي ...الخ "وتمتلك المجموعة المئات من قاعات العرض السينمائية في كندا، أوروبا، أمريكا الجنوبية .كما تسيطر على أكثر من 30% من السوق الإذاعي في الولايات المتحدة الأمريكية، ولها أكثر من 6000 متجر للفيديو، والموسيقى. ويتأتى المصدر الرئيسي لأرباح المجموعة من عائدات الإعلان في شبكتي "CBS" و"MTV"، ومبيعات الكتب وحصيلة إيجار أشرطة الفيديو، وعائدات بيع تذاكر قاعات العرض السينمائي.

بالإضافة إلى العائدات المتأتية من مراقبة المجموعة لـ 38 محطة تلفزيونية، إذاعية عبر العالم، وإرادتها، من بينها "شوتايمShowtime" و"CBS" و"MTV" وشركة InfiityBroadcastingCorporaton التي تدير 163 محطة راديو ومجموعة "فياكم للتسلية Viacom Entertainment Group " وشركة " ment–SpellingEnterta ".

وتحتل مجموعة ديزني الأمريكية (Disney)المرتبة الثالثة في العالم من حيث قيمة استثماراتها في الترقية، والتسلية ، وتعمل المجموعة في مجالات الإذاعة، والتلفزيون، وإنتاج السينمائي، والانترنت ومدى الألعاب، والمنتجات ....الخ. وتقدر عائدات المجموعة السنوية بنحو

25 مليون دولار، مزودا عالميا لخدمات الانترنت حيث تجذب "مواقع المجموعة شهريا 25 مليون من زوار الانترنت.

أوروبيا، تتزعم مجموعة برتلزمان الألمانية " Bertelsman " – التي أسسها كارل برتلمزمان في عام 1835 – مجال صناعة الترقية والتسلية، ولها وجود إعلامي قوي في أكثر من 60 دولة في العالم، وتتوزع مجالات عمل المجموعة بين الموسيقى، والنشر، والصحف، والمحلات، والطباعة، والإذاعة، والسينما والتلفزيون حيث تمتلك المجموعة 50% من شبكة "CTTUFA" التلفيزيونية التي تعد أكثر شبكة إذاعية وتلفزيونية في أوروبا، وتستثمر المجموعة في أكثر من 100 نشاط على شبكة الانترنت، ولعل أهم استثمار قامت به المجموعة هو إنتشاؤها لشركة برتازمان لوسائل الإعلام الجديد "Bertelsmann New Media" التي تشمل بوابات الانترنت، وقناة الألعاب "Games Channel" ثاني أكبر قناة للألعاب على شبكة الانترنت.

وتتمركز مجموعة نيوز كوربريشن الأسترالية "News corportion" التي أسسها روبرت مردوخ "Rupert Murdoch" الأسترالي المولد، والأمريكي الجنسية في المرتبة الثانية أوروبيا، من حيث قيمة استثماراتها في صناعة الترقية، والتسلية، وتعمل هذه المجموعة في مجالات متنوعة كالإعلام، والتكنولوجيا، والرياضة، والتلفيزيون، والسينما، والكتب، والصحف، والمجلات، والأقمار الصناعية (إذ تمتلك المجموعة شبكة ستار "Star" للبث الفضائي حول العالم)، وانظمو التلفزيون السلكي "الكايبل" في مجالي السينما، والتلفزيون، (إذ تدير المجموعة 22 محطة تلفزيونية) .وتعد نيوز كوربريشن الموزع الرئيسي لخدمات التلفزية المدفوع في بريطانيا " _ Pay TV".

أوروبيا دائما، تتمتع فرنسا بمكانة هامة في مجال الصناعات الإبداعية الموجهة إلى الترقية والتسلية من خلال مجموعتي "فيفاندي – يونيفيرسال "Vivendi Universal" و"باثي" Pathé" "وتمتلك فيفاندي – يونيفيرسال _ ستوديوهاتUniversaStoudios" "للإنتاج السينمائي، وشركة التسجيلات "UMG Records" كما تدير إحدى وعشرون (21) قناة تلفزيونية يبلغ عدد المشتركين فيها 14 مليون مشتركا عبر أوروبا، وتنتج أكثر من 300 فيلم سنويا، كما تمتلك المجموعة شركة سياجرام الكندية "Seagram Company" التي اشترتها عام 2000، حيث بلغت قيمة الإنتاج بين الشركتين 55 مليون دولار.

أما مجموعة "باثي" فتعتبر – هي الأخرى – من أكبر شركات إنتاج الأفلام السينمائية وبرامج التسلية في العالم، وتمتلك سلسلة من قاعات العرض السينمائي، حيث تدير – بالاشتراك مع مؤسسات أخرى – أكثر من 300 قاعة عرض سينمائي في فرنسا، وهولند. كما تمتلك 17% من مجموعة البريطانية و20% من مجموعة قناة + الفرنسية "Canal Plus" و51% من قناة "AB Sports Channel" و65% من صحيفة ليبراسون "Libération" اليومية الفرنسية.

وبالتوازي مع المنافسة الشرسة بين كبريات الشركات في العالم على صناعة المضامين الإبداعية الموجهة إلى الترقية، والتسلية، يتنافس على سوق العتاد العالمي لهكذا صناعة كل من سوني "Sony" اليابانية وجنرال إلكتريك الأمريكية وتشغل سوني 163 ألف شخص في أنحاء متفرقة من العالم وتعمل في مجالات الأجهزة السمعية، والبصرية وتمتلك شركة كولومبيا للإنتاج السينمائي "ColumdiaPictures" و"Television Sony Entertainment" وهي شبكة ناطقة بالإسبانية – وتغطي دول أمريكا اللاتينية وتنتج سوني أكثر من 500 ساعة من البرامج الناطقة بالإسبانية لسبع محطات دولية ، وتساهم مع مايكروسوفت "Microsoft" في تقديم الإنتاج المسموع والمرئي والكتب الدراسية على شبكة الانترنت كما تربطها علاقة شراكة مع مؤسسة سيجا "Sega" في مشروع لتطوير ألعاب على أقراص مدمجة "DVD Game".

أما "جنرال إلكتريك" الأمريكية فتعد هي الأخرى من الشركات العلاقة التي تعمل في أكثر من 100 دولة ويبلغ عدد موظفيها أكثر من 300 ألف نصفهم يعملون في الولايات المتحدة الأمريكية، والنصف الأخر يعمل خارج الولايات المتحدة في أنحاء متفرقة من العالم، ويقدر معدل نمو جنرال لإلكتريك السنوي في الولايات المتحدة ب 6% وفي السوق العالمي ب 15%. وتمتلك "جنرال إلكتريك" مجموعة شبكات "NBC" وتدير قنوات "CNBC" الكابيل على مدار الساعة، كما تدير قنوات شبكة "MSNBC" التي تم تأسيسها بالاشتراك مع شركة مايكروسوفت "Microsoft" وشركة "داوجونز Dow Jones".

أما بالنسبة لعالم مشغلات الموسيقى، والفيديو والصورة الرقمية فقد شهدت سنة 2006 طرح جهاز "أي بود نانو Ipod Nano"من قبل شركة "أبل Apple" بسعة 8 غيغابايت GB8، و16 غيغاتبايت GB 16 بعد خمس سنوات من طرح أول جهاز "أي بود" في العالم وسيطرته على أكثر من 70% من مبيعات أسواق مشغلات الموسيقى الرقمية ، كما بدأت التلفزيونات

عالية الجودة "High Definition TV" وخاصة أجهزة "البلازما" والـ "إل س يدي" من اكتساب منازل في العالم بعد تراجع ثمنها بنسبة كبيرة، وملفتة للانتباه.[405]

[405] المعز بن مسعود : **ظهور الاقتصاد اللامادي وازدهار صناعة الإدمان:** أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة، العالم جديد، منشورات جامعية البحرين، 2009، ص ص 483، 486 .

الباب الرابع

إشكالية الدفاع عن الهوية الثقافية في زمن العولمة

الفصل الأول : الثقافة بين الخصوصية والكونية .

يحوي ثلاث مباحث :

- **المبحث الأول** : مفهوم الهوية الثقافية
- **المبحث الثاني** : العلاقة بين المحلي والكوني في الثقافة العربية

-**المبحث الثالث** : نماذج من التعامل مع العولمة الثقافية

- الصين
- إيرلاندا

الفصل الثاني : إشكالية الدفاع عن الثقافة العربية في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والإعلام

يحوي ثلاث مباحث :

- **المبحث الاول** : واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المجتمعات العربية
- **المبحث الثاني** : الواقع الإعلامي والمشهد الثقافي – المعلوماتي العربي
- **المبحث الثالث**: الفكر الثقافي العربي ومنطق الدفاع عن الهوية الثقافية

الفصل الاول

المبحث الأول

-مفهوم الهوية الثقافية

استعمل لفظ الهوية في المعجم الفلسفي العربي ليعني "الذاتية" من حيث هي مقولة ميقافيزيقية"، أما من حيث الاستعمال الفرنسي كما وردت عند "فرناند برودل"، فقد جاءت بحسب عزيز العظمة بصيغة "Identité de la France" لتحمل معنى مزدوجا يتعلق بالاندماج في الجماعة وإكساب الفرد خصائصها في الوقت الذي تعني فيه أيضا مقابل ذلك التميز عن الآخرين والابتعاد عنهم والإقصاء[406]

فكون الذات تحمل الأنساق المعرفية والرمزية مما ييسر لها حالة الاندماج والتكيف فهي أيضا تشكل له ما يميزه عن غيره من حيث الأنماط الإدراكية الشخصية والسلوكية وتبعده بذلك عن حالة الانصهار والاندماج مع الآخرين.

ووردت في معجم العلوم الاجتماعية، لتعني تحديد مميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية[407]، وتسرد الهوية التحليل النفسي بمعنى "الأنا" عندما تكون في حالة "إيروس" أي حالة التجرد من الطاقة الجنسية، كما يعبر عنها "فرويد" أو الوعي أو الشعور بالعالم والواقع.

والأنا هو أحد مفردات الجهاز النفسي المتكون من (الأنا، الهو، الأنا الأعلى).

إن عبارة "هوية" من أصل لاتيني (idem) وأنتج هذا الأصل الصفة النعتية "Identicus" التي تفيد الشبيه والمماثل وتعارض ما هو مختلف ومتنوع، "فالهوية" -إيستمولوجيا- تحتكم إلى الغيرية بصفتها شرط إمكان تصورها ووجودها وفلسفيا لا يمكن أن يوجد تفكير في الهوية إذا لم تعين عبارات المساواة أو التكافؤ في الآن نفسه موقفين مختلفين أو اتجاهين خالصين يكون لهما

---

[406] عزيز العظمة وآخرون : **مفاهيم عالمية (الهوية)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب ، 2005، ص 18.

[407] عبد المنعم الحنفي: **المعجم الموضوعي للتحليل النفسي**، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1995، ص 58.

تأثير متماثل وإلا أصبح كل تفكير تكرارا مماثلا للمماثل بمعنى أننا نصبح أمام "مثلية مطلقة" إذا استعرنا عبارة فولتير من قاموسه الفلسفي...[408]

إذا كانت المفاهيم المعجمية حاولت الحسم من الناحية التكوينية في هوية الإنسان من خلال بعدين (نفسي وجسمي)؛ إلا أن المقاربات السيكولوجية والسوسيولوجية والفلسفية على الخصوص عقدت مفهوم الهوية وولدت بخصوصها معاني متباينة ومتناقضة، حيث خضعت للبحث في كل الحقول العلمية فتراكمت حولها معرفة ضخمة متعددة المرجعيات.[409]

- البعد المنطقي والميثافيزيقي للهوية:

يكمن أن تعرف الهوية بأنها "وحدة الكائن المطلقة مع ذاته" وهي تعبر بهذا المعنى عن استحالة الفصل منطقيا وميثافيزيقيا بين الوجود والماهية الكائن هو الوجود، إن هذا الامتياز لم يعط في الواقع إلا للوجود بما هو وجود وللإله الذي لا يمكن أن يتصور إلا بما هو وحدة لا تكون قابلة للانقسام إلى ماهية ووجود غير أن الهوية هي أيضا ضرب من التجلي لعمق موحد في الكائن خلف ظواهر متغيرة، و"المماثل لذاته ثابت لذاته ينتفي في إطاره كل اختلاف واستمرار الأضداد".

ويمكن أن نقرر على المستوى المنطقي أن مبدأ الهوية (أ:أ) يفيد المساواة والمماثل للهو عينه، إنه في المنطق الكلاسيكي مبدأ أساسي ينبثق منه بالإضافة إلى ذلك المبدآن الآخران وهما مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، وفي الواقع فإن هذه المساواة هي معاودة معايدة لـ (أ) بما هو (أ)، كل (أ) هو عينه مع ذاته عينها، وفي هذه الحالة فإن المساواة القائمة تصبح ثابتة ووحدة أصلية وتعبر بوضوح عن وحدة الكائن والفكر.

---

[408] فتحي التريكي: ترجمة نور الدين السافي، **الهوية ورهاناتها**، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2010، تونس، ص 36.

[409] فرحات العرمي: **هوية الإنسان في فضاء التثاقف المعلوماتي، التواصل والتثاقف**، مرجع سابق، ص 87.

- البعد الأنطولوجي –التاريخي للهوية:

تكف الهوية في هذا المستوى عن أن تفسر بواسطة التماثل المطلق وبواسطة المساواة المنطقية من نوع (أ:أ) وتصبح الهوية في الأصل والطبيعة تجانسا وتشابها في العلاقات.

يجعل "ستارتر" في كتابه "الوجود والعدم" من مبدأ الهوية ليس فقط خصيصة مقولية "كما هو للذات"، بصفته حضورا للذات بل إن الهوية –انطلوجيا– (وجوديا)، ما هي إلا انسجام مطلق لا أثر للتنوع فيه وما هي إلا وحدة تتألف فيها الكثرة إن هذا التوازن غير المستقر باستمرار بين الذات والآخر، وبين الواحد والكثير هو علامة التجانس التي تعطي الوجود "إنيته"ن في حين أن هذه الهوية تاريخية في عمقها أولا وأصالة (وجود –كل– واحد) ثانيا، لا يمكن أن تدرك كلية الوجود إلا بواسطة التحليل الوجودي أو كما يسميه "فتحي التريكي" البعد الأنطلوجي التاريخي للهوية.

يعرف "جون لوك" هوية الشخص كما يلي: "يستطيع شخص أن يعتبر ذاته عينها ذاتا والشيء المفكر هو نفسه في أزمنة وأمكنة مختلفة وهو أمر لا يتحقق إلا بفضل الوعي الذي لا ينفصل عن الفكر، وهو عندي (ضروري) للوعي...

وبقدر ما يمتد هذا الوعي بعيدا إلى الخلف باتجاه فعل أو فكر ماض تتبعه هوية الشخص أيضا إلى هذا البعد ... الذات هي هذا الشيء المفكر والواعي أيا كان الجوهر الذي قدمت منه روحيا أو ماديا بسيطا أو مركبا".[410]

أما "هيغل" فقد أعطى بعدا جديدا لحضور الذات في كتابه "فينومينولوجيا الروح" وينبغي القول: أن هذا الوصف الفينومينولوجي للوجود بما هو كينونة وللإنسان على النحو الذي يتجلى من خلاله بعناصره التكوينية، يضيء مفهوم الهوية بفكرة الاعتراف الكوني، وتبين جدلية السيد والعبد في نهاية المطاف أنه داخل الصراع وبواسطته ينتزع الإنسان هويته وحريته.

وعلى عكس ما فكر فيه "لوك" و"هيغل" ليست الهوية ماضوية أو بالأحرى ليست حصريا ذكرى ولا يمكن أن تتجذر فقط في تاريخ تاريخاني "إن الآثار والخراب والبقايا ليست لها معنى إلا

---

[410] فتحي التريكي، ترجمة نور الدين السافي، مرجع سابق، ص 41.

بالنظر إلى الحاضر" إن الهوية على مستوى التاريخانية على حد تعبير ماديغر "مكونة من ثلاث أفكار مركزية تتمثل في:

1- امتداد الوجود بين الحياة والموت.

2- الثبات للذات.

3- التحول.

ليست الهوية في هذه الحالة انكماشا حول الذات وإنما هي بالأحرى انفتاح وفهم وتواصل وفعل حيث يصبح تواصل الإنسان مع الطبيعة أو مع شبيهه عنصر هويته المركزي.[411]

- البعد السيكولوجي للهوية:

إن الهوية نتاج تطور الفرد في مسار وجوده، لأنها تأخذ في الحسبان منذ الطفولة نسقا منتظما ومندرجا لمجموعة من الثوابت المعرفية والعاطفية، وهذا النسق الخاص بالهوية يعطي للفرد إمكان تكونه في وحدة تقييمية بالنسبة إلى ذاته أولا، وفي صورة صراع مع الأشياء التي تحيط به ثانيا، وفي علاقته بالآخر الذي سيشاركه الوجود ثالثا، ويميز "جون ماتونا" أربع وظائف يضمنها هذا النسق الخاص بالهوية.[412]

أ- وظيفة تنموية ودفاعية للشخص: إنها إستراتيجيا تقويم داخل الفردية من ناحية ومقاومة لكل اختلال يأتي على توازن الشخص من ناحية ثانية.

ب-وظيفة تصرف في العلاقات بين تميز ولا تميز داخل الفردية وبين الأفراد.

ج- ينتج الشخص ويضفي معلومات حول السياقات وأنماط علاقته بالآخر.

د- وظيفة انتظام النسق الخاص بالهوية انتظاما ذاتيا.

هذا التعريف للهوية الشخصية بواسطة الوظائف يأذن بتقدير أفضل لدور الشخصية ووظيفتها في المجتمع بصفة عامة، وتمكن هذه الوظيفة بالفعل من المراقبة الداخلية لشخصية الفرد ولآلية الدفاع عن الهوية، وتسمح أيضا بانتظام معين للسلوك في رده على عوامل التغير في

---

[411] المرجع نفسه، ص 43.

[412] المرجع نفسه، ص 44.

الأنظمة العاطفية والمعرفية والنشيطة، فالهوية بهذا المعنى تكون طريقة في التعرف على الذات عن طريق الذات، وفي تقويم الذات لذاتها، وفي امتلاك الشعور بوحدة بنيوية للشخصية، وباستمرارية في الزمن دون ترك مجال للشك في تنوع داخلي محدد يرتبط بإحساس داخلي بالاغتناء.[413]

- البعد السياسي للهوية:

من الواضح أن حقيقة الكائن الذي نفكر في هويته واختلافه لا يمكن البث فيها فقط في الإطار الأنطولوجي والسيكولوجي والتحليل الوجودي، لأن هناك عدم انفصالية وعلاقة شائكة بين الهوية والغيرية وبين الذات والآخر وتستنتج هذه العلاقة بالضرورة تنظيما رسميا لسياقات التطابق الذي يضمن في نهاية المطاف لمفهومي الهوية والاختلاف وظائفها الخالصة ضمن نسق السلطة[*] عموما.

إن الهوية في هذا الحقل المزدوج للسلطة هي بالأساس حقل ثقافي بما أنها نتيجة مسار توحيدي لعلامة وذات (الاسم واللقب المسندين إلى فرد، والحالة المدنية وأرقام الهوية والضمان الاجتماعي والبنوك وبصمات الأصابع ...) وفي هذا المعنى تكون الهوية رهان الجدلية الصعب لتضامن الفاعلين الاجتماعيين السياسيين ولصراعاتهم المستمرة في مختلف الممارسات الفردية والجماعية.

إن عقلانية الهوية على المستوى السياسي تتوزع إلى مقتضيين إثنين في علاقتهما بالحداثة:

- الهوية بما هي مسار للفرد في دواليب السلطة.

---

[413] المرجع نفسه، ص 48.

*يمكن تحديد كل سلطة بالقدرة على الفعل في العالم الطبيعي وفي حقل العلاقات البين إنساني في آن واحد، بهدف الحصول –في مجتمع توصل إلى نضجه– على إرضاء للحاجات والهيئات التي تؤمن انتظام بنياتها وخضوع مصالح أعضائه الخالصة إلى ما يحدد أهداف الجسم الاجتماعي ومقتضياته".

- الهوية بما هي شكل "تذييتي" وبما هي تكوين للذات واتهام لها كما يقول "ميشال فوكو".

ويؤكد "ميشال فوكو" أنه "لم نجد قط في تاريخ المجتمعات الإنسانية داخل البيانات السياسية نفسها تنسيقا أكثر تعقيدا لتقنيات التفرد، وللإجراءات التشميلية"، إن التماثل يعني في آن واحد شرط الحياة في المجتمعات الحديثة وبيانا مباشرا لكل فرد أمام أجهزة الدولة.

والأفضل أيضا أن التكنولوجيا الحالية تسمح بتشابك دقيق بين الفردي والجماعي، وبين الجسمي والعمومي "إنها تدعو إلى إنتاج الماضي في عاداته تلقائيا، وإلى تقليد طرائق التفكير والمقاصد والشغور وتوريثها، إنها تدعو إذن إلى ضرب من العصبية الجديدة القادرة على تغذية الكراهية وعلى نسف العصبيات الجماعية السابقة نسفا.[414]

لقد دأب منظور العلوم الاجتماعية على تأكيد حقيقة أن الهويات لا تتشكل ولا تكتسب صلاحياتها وصحتها إلا من خلال سلسلة متواصلة من التفاعلات، وبما أن عملية اكتساب الهوية تنطوي دائما على البناء فإنها تظل تتكشف عن سمات مميزة إضافية إنها **في المقام الأول**، عملية لا تعرف معنى الاكتمال قط – دائمة السيرورة ... مشروطة متكونة بالصدف، وبالمثل فإن الهوية ليست معطى دائما كما يشير إلى ذلك "ميلوتشي"، فتشكل الهوية ينطوي على عمليات البناء وإعادة البناء على امتداد مسيرة حياة الأفراد والجماعات وعبر أوجههم وأدوارهم وظروفهم المختلفة، لا تحرص الهوية على الإصغاء إلى أصداء ماض محدد بوضوح بمقدار ما تتوق إلى النظر حول مستقبل يلفه ضباب الغموض واللايقين.

في المقام الثاني:

مع احتمال بقاء الهوية منطوية على بعض التباين في داخلها فإنها مشتملة أيضا على جملة التخوم الرمزية الملزمة والمعلمة على إنتاج تأثيرات حدودية وحقيقية، ما من بناء هوية إلا ويتطلب وجود الآخر، متصورا منفصلا، خارجا، بل وربما هامشيا متخلفا وخطرا أيضا، لقد بين

---

[414] المرجع نفسه، ص ص 46-47.

"إدوارد سعيد" أن الشرق أصبح مرآة مكنت أوروبا من رؤية صورتها المنعكسة الخاصة ومن الكشف عن أوجه اختلافها الموضوعية ولكن المتصورة أيضا.

في المقام الثالث:

يتطلب جعل الهويات الجماعية ذات معنى وصالحة ألوانا من تمثيل المعنى أو أبنائه، وفي قصة الدولة القومية كانت مقاربة "أندرسون" ذات نفوذ استثنائي.[415]

فالدولة الحديثة لم تبدع فقط من خلال فكرة "الجماعة المتخيلة" بل أن هذه كانت هي الأداة الوحيدة القادرة على توحيد أعداد كبيرة من المواطنين المبعثرين الممزقين بفعل سلسلة من المصالح الطبقية وغير الطبقية، وإذابتهم في بوتقة الانتماء التي نطلق عليها اسم الأمة، لذا فإن العنصر الأولي الذي يضفي صفة الصلاحية على أي جماعة قومية أو غير قومية هو "الفكرة التي لدينا عنها ... هو المعاني التي نعلقها عليها، هو شعور التآلف مع الآخرين الذي يعتمل في صدورنا.

ومن أشكال التمثيل الحاسمة على صعيد نفخ الروح في الشعور القومي بوصفه محور استنفار لولاء المواطنين يمكن الإتيان على ذكر ما يلي:القدرة على سرد حكاية الأمة"، منعطفات مسيرتها، سماتها المميزة وأمجادها الغابرة من خلال الفن، الثقافة الشعبية أو وسائل الإعلام بتأكيد استمراريتها منذ أزمان سحيقة في القدم، مدعومة بجملة من التقاليد والطقوس المتحدثة عن نسب عريق وقديم بوجود أسطورة أساسية عن جذر قومي وفكرة وجود شعب أزلي نقي تحدر منه الجميع.[416]

في المقام الرابع:

يؤكد معظم المراقبين أن علاقات القوة والسلطة تبقى مركزية على نحو مطلق في عملية بناء أشكال تمثيل الهوية بأن جماعات محددة وأفرادا معينين يمارسون نفوذا أكبر من غيرهم في

---

[415] بول كندي وآخرون، ترجمة فاضل جتكر: **العولمة والهويات القومية**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص ص 20-21.

[416] المرجع نفسه، ص 21.

هذه السيرورة، يرى كل من Gupta و Ferguson أن المسألة المفتاحية تتمثل حيننكون بصدد بناء مثل هذه الأشكال من التمثيل، بطرح سؤال من ذا الذي حدد الـ "نحن" الذي لا يكف عن التكرر في عبارات مثل "نحن أنفسنا" ومجتمعنا نحن" لابد لنا كذلك من أن نشكك بقرار الفصل الحاسم جدا بين وحدة الـ "نحن" من جهة وآخرية"الآخر" من جهة ثانية، غير أن "غوبتا" و "فيرغسون" يشيران أيضا إلى أن "السياسة الآخرية" ليست فقط عن التحكم بصياغة سلسلة من أشكال التمثيل فالقدرة على تحديد أوجه التباين في الهوية بين البشر والأمكنة كامنة أيضا في التحكم بالوارد العسكرية الاقتصادية والحقوقية.

إن الهوية ليست مسألة شخصية فقط إذ يجب أن تعاش في العالم عبر حوار مع الآخرين، وطبقا لوجهة الشارحين فإنه من خلال هذا الحوار تولد الهوية لكنها ليست الوسيلة التي نخبر بها الهوية، فمن وجهة نظر ذاتية تكتشف الهوية داخل الشخص نفسه، وهي تعبر عن الهوية في وجود الآخرين وتعبر الذات الداخلية على موطنها في العالم من خلال المشاركة في الهوية الجمعية (على سبيل المثال أمة أقلية عرقية، طبقة اجتماعية حركة سياسية أو دينية وغالبا ما يعبر عن هذا التوقد بعبارات رفيعة وغامضة وتنضم نفسي الحقيقية (روحي) كما يقول البعض.

وتمضي الهوية الثقافية جنبا إلى جنب مع السياسات الثقافية ولا يستطيع أي شخص أن يصبح حرا إلا في المحفل الثقافي المناسب حيث تحترم قيمه.[417]

إن الثقافة هي العنصر الجوهري في تعريف الهوية بما هي انتماء الفرد إلى الجماعة، في هذا المعنى فإن الثقافة هي الأخرى تصبح ذات وظيفة استراتيجية تأخذ بعين الاعتبار الجغرافيا السياسية العالمية الحالية.[418]

إن الموضة الهوياتية الحديثة هي استمرار لظاهرة الاختلاف التي ظهرت خلال السبعينيات، والتي كانت من فعل مدارات إيديولوجية كثيرة التنوع ومتناقضة في أحيان كثيرة،

---

[417] أدم كوبر: ترجمة، تراجي فتحي: **الثقافة: التفسير الإنثربلوجي**، سلسلة عالم المعرفة، مارس 2008، الكويت، ص 255.

[418] فتحي التريكي:مرجع سبق ذكره، ص 99.

سواء أكانت تمجد المجتمع المتعدد الثقافات من ناحية أم كانت على عكس من ذلك من باب "ليلزم كل منزله حتى يبقى هو هو ذاته"، من الناحية الأخرى.

غير أنه، ولئن كان لمفهومي "ثقافة"، و"هوية ثقافية" وإلى حد كبير مصير مترابط، فإنه لا يمكن المطابقة بينهما بلا قيد ولا شرط، يمكن للثقافة عند الاقتضاء أن تكون من دون وعي هوياتي في حين يمكن للاستراتيجيات الهوياتية أن تعالج بل أن تعدل ثقافة ما بحيث لا يبقى لها الشيء الكثير مما تشترك فيه مع ما كانت عليه من قبل، إن الثقافة تخضع إلى حد كبير لصيرورات لا واعية، أما الهوية فتحيل على معيار انتماء واع ضرورة إذ هو ينبني على تعارضات رمزية.

وتحيل مسألة الهوية الثقافية منطقيا وأولا على مسألة أكثر اتساعا هي مسألة الهوية الاجتماعية، حيث أن هوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي: الانتماء إلى صنف جنسي وإلى صنف عمري وإلى طبقة اجتماعية وإلى أمة ... الخ

الهوية تمكن الفرد من ان يحدد لذاته موضعا ضمن النسق الاجتماعي وأن يحدد الآخرون موضعه اجتماعيا.على أن الهوية الاجتماعية لا تتعلق بالأفراد وحسب ذلك أن الكل مجموعة هوية تتناسب مع تعريفها الاجتماعي، ذلك التعريف الذي يمكن من تحديد موقعها ضمن الكل الاجتماعي، وهي –الهوية الاجتماعية– استماع وإقصاء في آن معا.[419]

الهوية بحسب "فريدريك بارث" بناء يبنى في علاقة تقابل فيها مجموعة مجموعات أخرى تكون في تماس معها، والهوية نمط تصنيف تستعمله المجموعات لتنظيم مبادلاتها، وعليه فإن ما يهم لتحديد هوية مجموعة ليس جرد مجموع سماتها الثقافية المميزة بل أن نرصد من بينها تلك التي يستعملها أفراد المجموعة ليثبتوا تمايزا ثقافيا ويحافظوا عليه.

ليست هناك هوية في ذاتها ولا حتى لذاتها وحسب، الهوية هي دوما علاقة بالآخر، ويعتبر آخر الهوية والآخرية متصلتان، الواحدة بالأخرى وتجمعهما علاقة جدلية.[420]

---

[419] دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مرجع سبق ذكره، ص ص 148–149.

[420] المرجع نفسه، صص 153–154.

ومع تشييد الدول الأمم الحديثة أصبحت الهوية شأنا للدولة لقد أصبحت الدولة متصرفا في الهوية تسن لها الترتيبات وتضع لها الرقابات، تنزع الدولة الحديثة نحو التعريف الأحادي للهوية، وذلك إما بألا تعترف إلا بهوية ثقافية واحدة لتحديد الهوية القومية (حالة فرنسا) وإما مع قبولها بتعددية ثقافية ما داخل الأمة، بأن تحدد هوية مرجعية تكون وحدها شرعية بحق (حال الولايات المتحدة الأمريكية) إن الإيديولوجية القومية هي إيديولوجيا إقصائية تجاه الاختلافات الثقافية ومنطقها الأقصى هو منطق "التطهير الإثني".

تتبدى الدولة –الأمة الحديثة في تصورها للهوية ومراقبتها إياها أكثر صرامة بكثير مما كانت عليه المجتمعات التقليدية، وعلى عكس فكرة موروثة لم تكن الهويات الإثنية الثقافية في هذه المجتمعات محددة بصفة نهائية ولهذا أمكن وصف هذه المجتمعات بالمجتمعات "ذات الهوية المرنة"، فلهذه المجتمعات مجالا للجديد وللتجديد الاجتماعي، كما أن ظواهر الانصهار والانقسام الإثنية معتادة فيها ولا تؤدي بالضرورة إلى نزاعات حادة.[421]

وإذا كانت الدولة تدعي أنها تجسيد للهوية وحافظة لها، فإن مفهوم نفسه قد تعرض للخلخلة والزحزحة على اعتبار أنه لا وجود لهوية نقية وخالصة، وإنما يوجد استراتيجيات للهوية لأن الهوية تتمظهر في الحقل السياسي، فالهوية هي محصلة بنية ما، فوراء كل تأكيد للهوية توجد استراتيجية سياسية كما ذكرنا، ولعبة يمارسها لاعبون تثير أعمالا للتعبئة السياسية وتعززها وتصبغ الهويات وتغيرها كما تعيد تعريف أبعادها وطبيعتها ولا تنفصل الهوية بذلك عن الممارسة السياسية.

وعلى ذلك يحدد "برتران بادي" ثلاثة عوامل تساعد على تفجر الخصوصيات وانبثاق الهويات وهي ارتداد الإيديولوجيات السياسية التعبوية، والأزمة التي تؤثر على أشكال التكامل المجتمعية، وتلك التي تؤثر على النظم الإمبريالية، ذلك أن بنية النظام العالمي الجديد تتجه إلى الحد من إنتاج الإقليمية، وإلى تعقيد هذه العملية إلى ما لا نهاية.[422]

---

[421] المرجع نفسه، ص 160.

[422] رضوان جودت زيادة،مرجع سبق ذكره، ص 159.

يساهم الإقرار بالحوار (التبادل) الثقافي كتجربة تأويلية في بلورة وعي ثقافي يأخذ بعين الاعتبار التعاطي مع مفهوم الهوية الثقافية كشكل من "الندوات" وبناء للذات، و"اهتمام بها" الأمر الذي سيخرج مفهوم الهوية ذاته من الأسر الاستعمال التقليدي الجاهز الذي يقضي ببساطة التطابق والتماهي مع الذات بشكل يمنع اختراق بنية المفهومية باعتبارها تستند إلى قرار ميثافيزيقي لا يطاله أدنى تحوير أو تعديل.

أما في المقاربة التأويلية، فإن مفهوم الهوية الثقافية ينبثق من "قرار استراتيجي" هو قرار "فعل الفهم" ذاته المتمثل في قدرة المؤول على "امتلاك" ما هو "أجنبي غريب" وفي فعل الإستملاك هذا تنتفي الحدود الصارمة بين ما هو من صميم الهوية (الانتماء إلى تراث ثقافي ما) وبين ما هو من قبيل الإختلاف والغيرية.[423]

وبالتالي فإن فعل الفهم هو فعل الوعي الثقافي باعتباره فعلا تأويليا بامتياز حيث من خلاله تتشكل القاعدة التي تتأسس عليها مهمة فن التأويل وهي: "الجمع بين قطبي الألفة والغرابة، كما يقول "غادامير".

فن التأويل عند "شلايرمافر": "هو فن تفادي سوء الفهم؛ وبذلك عن طريق إقصاء، بتفكير منهجي منضبط، كل ما هو أجنبي غريب، أي كل ما يؤدي إلى ضروب سوء الفهم المتأتية من التباعد في الزمن ومن تغير العادات اللسانية ومن التحولات في معنى الكلمات وفي أنماط التفكير".

[423] بلعالية دومة ميلود: **التثاقف والهوية الثقافية، التواصل والتثاقف**، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص 243.

المبحث الثاني

الخصوصية والكونية في الثقافة العربية

مع أن الجدل حول العلاقة بين الخاص والعام، بين الخصوصية والكونية، في الثقافة كان إلى السجال وإلى المهاترات اللفظية أحيانا. أقرب منه إلى المناظرات الفكرية إلا أن شرعية التساؤل عن العلاقة بين هذين الحدين مما لا يمكن الشك فيها وذلك بسبب الكثير من الالتباسات التي تنطوي عليها الثقافة أية ثقافة في طبيعتها ، ومنها التباس التداخل فيها بين العام والخاص ، بين الكوني والمحلي .

تقع الثقافة بين حدينيطبعانها: المجال الاجتماعي، والتجربة الإنسانية المشتركة.إنها حصيلة فعل بالغ التميز والتمايز مصدره الكيان الذاتي لجماعة اجتماعية مستقلة، مثلما هي حصيلة فعل تتكرر ملامحه من جماعة اجتماعية إلى أخرى في صورة فعل اجتماعي جامح

هذه الثنائية في تكوين الثقافة هي ما يشيع الانطباع بوجود التباس في شخصيتها ، وهو ما يحمل على ذلك الجدل العقيم حول طبيعتها ، فوعي الثقافة لا يستقيم دون رؤية ذلك التوتر فيما بين خاص ينتمي إلى المجتمع ، وعام ينتمي إلى الإنسانية ، فلكل ثقافة شخصيتها التي تتميز وتتمايز بها عن سواها . أما مصدر ذلك التميز . أو تلك الخصوصية فهو البيئة الاجتماعية الخاصة التي تنشأ في كنفها وتعبر عنها . ويقع ضمن تلك البيئة واقع التراكم الحضاري والقيمي المتباين من مجتمع لآخر كما أن الثقافات تتداخل فيما بينها تداخلا وثيقا يوحد – إلى حد كبير– قواعدها وقيمها ، ويوسع من دائرة المشترك فيما بينها إلى الحد الذي قد تبدو فيه وكأنها ثقافة واحدة . أو تنويعات مختلفة في ثقافة واحدة ومن النافل القول أن التثاقف الحوار والتبادل الثقافي بين المجتمعات هو الذي ينتج شروط ذلك التداخل ويسمح بتوسيع مساحة المشترك بين الثقافات تماما مثلما أن الانغلاق على الذات يكرس الميل نحو تعظيم الهوية والتشديد على بعض الخصوصية في الثقافات [424].

[424] عبد الإله بلعيز : **العولمة والممانعة . دراسات في المسألة الثقافية** .، منتدى المعارف للنشر ، بيروت ، ص ص66-67.

ومع تسليمنا بالطبيعة الكونية بالثقافة . نحتاج إلى تعيين تلك الكونية تعيينا دقيقا . فالكونية التي نعني ليست المطابقة الكاملة في الشخصية الثقافية أو التماهي التام بين الثقافات . إن مجتمعا ما قد يتداول ثقافيا القيم عينها التي يتداولها مجتمعا آخر أو مجتمعات أخرى ، غير أنه يفعل ذلك على نحو بالغ التميز عنها بسبب فعل عوامل الاجتماع والتاريخ التي لا تخضع لقانون المماثلة إلا في وعي يفتقر إلى الحس التاريخي .

الكونية بهذا المعنى لا توجد في الثقافة بل توجد في العلم ، والثقافة غير العلم لأنها المجتمع والناس والإرادات والمشاعر . وهذه جميعها ليست مادة صماء قابلة للتكميم والقوننةوالترييض .

ولا تعود الخصوصية – بهذا المعنى – ذهابا بالثقافة إلى منطقة الانزواء عن العالم والتشرنق المرضي على الذات ، بل تصبح الشكل الاجتماعي الخاص للتعبير عن الكونية الإنسانية بوصفها كونية متعينة . أي متحققة في حقل تاريخي مادي هو المجتمع وإذا كان من طبائع كل ثقافة أن تدافع عن خصوصيتها ، وتميزها ، فإن هذا الدفاع يصبح أقوى وأشد كلما تعرض مركز قوة هذه الثقافة لهزة من الخارج أي ثقافة زاحفة أو من تغلب ثقافي واهم يتراجع البعد الكوني فيها ليطفح بعدها المحلي على نحو غالب ، فيتحول الدفاع إلى ممانعة مقاتلة [425] .

في محاولة إلى رسم إطار عام بين العولمة والهوية الثقافية في الوطن العربي، حاول محمد عابد الجابري تقديم مقاربة إبستملوجية معرفية لهذه العلاقة القائمة بالفعل أو كما يمكن أن تقوم في المستقبل، وقدم عشر أطروحات لتوضيح هذه المسألة:

❖ الأطروحة الأولى:

ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات.....ويقصد بالثقافة هنا "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات، والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها ، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية، وقابليتها للتواصل، والأخذ والعطاء، بعبارة أخرى إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده و ما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل".

---

[425] المرجع نفسه ،صص 67-68 .

تلزم عن هذا التعريف، لزوما ضروريا، النتيجة التالية وهي تشكل جوهر هذه الأطروحة وهي أنه "ليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام وإنما وجدت، وتوجد وستوجد، ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إداري من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة، من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما ينعزل حينا وينتشر حينا آخر.

❖ الأطروحة الثانية:

إن الهوية الثقافية كيان يصير، يتطور، وليست معطى جاهز ونهائي، وهي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها، ومعاناتهم انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكهم سلبا و إيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما.

وعلى العموم، تتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد.

_ فالفرد داخل الجماعة الواحدة: قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن "أنا" "بها آخر" داخل الجماعة نفسها.

_ والجماعات داخل الأمة: هي كالأفراد داخل الجماعة لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها، و "آخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست أياه.

والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريدا وأوسع نطاقا وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

هناك إذن ثلاثة مستويات في الهوية الثقافية لشعب من الشعوب، الهوية الفردية والهوية الجمعوية والهوية الوطنية (أو القومية)، والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمينيتغير مدى كل منهما اتساعا وضيقا، بحسب الظروف وأنواع الصراع و اللاصراع والتضامن و اللاتضامن التي تحركها المصالح الوطنية والقومية.[426]

---

[426] محمد عابد الجابري : **العولمة والهوية الثقافية**، مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة، ص ص 297 ، 299 .

بعبارة أخرى، إن العلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساسا بنوع "الآخر" بموقعه وطموحاته،فإن كان داخليا، ويقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها ك "أنا"، وإذا كان يقع في دائرة الأمة، فالهوية الجمعوية (القبلية، الطائفية، الحزبية.....) هي التي تحل محل "الأنا" الفردي أما إن كان "الآخر" خارجيا أي يقع خارج الأمة (الدولة والوطن، فإن الهوية الوطنية _أو القومية_ هي التي تملأ مجال "الأنا".

❖ الأطروحة الثالثة:

لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصياتها الحضارية، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر الوطن والأمة والدولة.

الوطن: بوصفه الجغرافيا والتاريخ، وقد أصبحنا كيانا روحيا واحدا: الجغرافيا وقد أصبحت معطى تاريخيا، والتاريخ وقد صار موقعا جغرافيا.

الأمة:بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة: وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإدارة الجماعية التي يصنعها حب الوطن.

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتها ووحدتها، وحماية مصالحها، وتمثيلها إزاء الدول الأخرى في زمن السلم كما في زمن الحرب.

❖ الأطروحة الرابعة:

العولمة ليست مجرد آلية للتطور الرأسمالي، بل هي بالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم.

العولمة التي يجري الحديث عنها الآن: نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد العولمة الآن نظام عالمي، أو يراد لها أن تكون كذلك، يشمل مجال المال والمبادلات والاتصال كما يشمل مجال السياسة والفكر و الاديلوجيا والعولمة تعني في معناها اللغوي: تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، وهي تعني الآن في المجال السياسي منظورا إليه من زاوية الجغرافيا (الجيوبوليتيك)، العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه هو الو.م.أ بالذات على بلدان العالم أجمع، ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي.

بل إنها، وبالدرجة الأولى دعوة إلى تبني نموذج معين، هي إديلوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته، وقد حددت وسائلها لتحقيق ذلك في الأمور التالية:

أ- استعمال السوق العالمي أداة للإحلال بالتوازن في الدول القومية، في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية، اتخاذ السوق والمنافسة التي تجري فيها مجالا "للإصطفاء" بالمعنى الداروينى للكلمة، أي وفقا لنظرية داروين في إصطفاء الأنواع والبقاء للأصلح وهذا يعني أن الدول والأمم والشعوب التي لا تقدر على "المنافسة"، سيكون مصيرها بل يجب أن يكون "الإنقراض".

ب-إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لإحداث التغيرات المطلوبة على الصعيدين المحلي والعالمي باعتبار أن "الجيوبوليتيك" أو السياسة منظور إليها من زاوية الجغرافيا وبالتالي الهيمنة العالمية، أصبحت تعني اليوم مراقبة "السلطة اللامادية" سلطة تكنولوجيا الإعلام التي ترسم اليوم الحدود في الفضاء "السيبرنيتي"، حدود المجال الاقتصادي السياسي التي ترسمها وسائل الاتصال الإلكترونية المتطورة، وهكذا فبدلا من الحدود الثقافية الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة "حدودا" أخرى غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد، والأذواق والفكر والسلوك. [427]

الأطروحة الخامسة:

العولمة شيء والعالمية شيء آخر، العالمية تفتح على الثقافات الأخرى واحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي، أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي العولمة globalization إدارة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي، أما العالمية "universulité" فهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي.

العولمة احتواء للعالم، والعالمية تفتح على ما هو عالمي، وكوني، نشدان العالمية في المجال الثقافي، كما في غيره من المجالات، طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء، في التعارف والحوار والتلاقح، إنها طريقة الآن للتعامل مع الآخر بوصفه "أنا ثانية"، أما العولمة فهي إرادة لاختراق "الآخر" وسلبه خصوصياته، وبالتالي نفيه من "العالم"، العالمية إغناء للهوية "الخصوصية" الثقافية، أما العولمة فهي اختراق لها.

---

[1] المرجع نفسه،ص 300.

والاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة يريد إلغاء الصراع الإيديولوجي والحلول محله الصراع الإيديولوجي صراع حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي وتسريع للمستقبل، أما الاختراق الثقافي فيستهدف الأداة التي يتم بها ذلك التأويل والتفسير والتشريع، يستهدف العقل والنفس ووسيلتها في التعامل مع العالم: "الإدراك".[428]

لقد حل هذا اللفظ اليوم "الإدراك" محل لفظ آخر كان كثير الاستعمال بالأمس في عصر الصراع الإيديولوجي، لفظ "الوعي" (الوعي الطبقي، الوعي القومي، الوعي الديني.....) كان الصراع الإيديولوجي ومازال يستهدف تشكيل الوعي، تزييفه أو تصحيحه ..... أما الاختراق الثقافي فهو يستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب الوعي والهيمنة على الثقافة الفردية والجماعية، ووسيلته في ذلك "الصورة السمعية البصرية التي تسعى إلى "تسطيح الوعي"، إلى جعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري، منير للإدراك، مستفز للانفعال حاجب للعقل.....

الأطروحة السادسة:

ثقافة الاختراق تقوم على جملة أوهام هدفها "التطبيع" مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري:

تتولى القيام بعملية تسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم ثقافة جديدة تماما لم يشهد التاريخ من قبل لها مثيلا: ثقافة إشهارية إعلامية سمعية وبصرية تصنع الذوق الاستهلاكي (الإشهار التجاري)، والرأي السياسي (الدعاية الانتخابية) وتشير رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ، إنها ثقافة الاختراق التي تقدمها العولمة بديلا من الصراع الإيديولوجي.

ولا يعني حلول الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديلوجيا موت الإديلوجيا، بل بالعكس من ذلك، فهو محمل بإديلوجيا جديدة، تختلف عن الإيديولوجيات المتصارعة كالرأسمالية والاشتراكية في كونها لا تقدم مشروعا للمستقبل، لا تقدم نفسها كخصم لبديل آخر تسميه وتقاومه، وإنما تعمل على اختراق الرغبة في البديل، وشل نشدان التغيير لدى الأفراد والجماعات.

---

[2] المرجع نفسه،ص 301.

إديلوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس جملة أوهام هي نفسها "مكونات الثقافة الإعلامية الجماهرية في الو.م.أ" وقد حصرها باحث أمريكي في الأوهام الخمس التالية وهم الفردية، وهم الخيار الشخصي، وهم الحياد، وهم الطبيعة البشرية التي لا تتغير، وهم غياب الصراع الاجتماعي.

الأطروحة السابعة:

نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطنواللاأمةواللادولة، أو يفرقهم في أتون الحرب الأهلية.

العولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن: نظام يريد رفع الحواجز والحدود أمام الشبكات والمؤسسات والشركات المتعددة الجنسيات، وبالتالي إذابة الدولة الوطنية وجعل دورها يقتصر على القيام بدور الدركي لشبكات الهيمنة العالمية، والعولمة تقوم على الخوصصة، أي نزع ملكية الوطن والدولة والأمة ونقلها إلى الخواص في الداخل والخارج وهكذا تتحول الدولة إلى جهاز لا يملك، ولا يراقب ولا يوجه، وإضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان إلى استيقاظ وإيقاظ أطر للإنتماء سابقة على الأمة والدولة، أعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي.....والدفع بها جميعا إلى التقاتل والتناحر والإفناء المتبادل إلى تمزيق الهوية الثقافية الوطنية القومية.....إلى الحرب الأهلية.

ولا بد من التأكيد هنا على أن مفهوم "الهوية الثقافية القومية" الذي نستعمله هنا، بمعنى الهوية المشتركة لجميع أبناء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لا يعني قط إلغاء أو إقصاء الهويات الوطنية القطرية، ولا الهويات الجمعوية، الإثنية والطائفية، إنه لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى المتعددة والمتعايشة عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي الكبير، كلا إن التعدد الثقافي في الوطن العربي واقعة أساسية لا يجوز القفز عليها، بل بلا عكس لابد من توظيفها بوعي في إغناء وإخصاب الثقافة العربية القومية وتوسيع مجالها الحيوي، ولكن تبقى مع ذلك كله الوظيفة التاريخية لهذه الثقافة (وظيفة التوحيد المعنوي، الروحي والعقلي) وظيفة الارتفاع بالوطن العربي من مجرد رقعة جغرافية إلى وعاء للأمة العربية، لا تكون إلا به ولا يكون إلا بها.

الأطروحة الثامنة:

العولمة وتكريس الثنائية والإنشطار في الهوية الثقافية العربية:

كلنا تعرف أن الثقافة العربية تعاني منذ ما يقرب من قرنين وضعا متوترا نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية، بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية التي هي نتيجة تطور خاص قوامه التحديث والحداثة، تطور لم تعشه الثقافة العربية، بل بقيت بمعزل عنه تجتر وضعا قديما توقف عن النمو منذ قرون.....

ومن هنا تلك الثنائية التي تطبع الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية ثنائية التقليدي والعصري، وهي ثنائية تكرس الازدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية بمستوياتها الثلاثة: الفردي والجمعوي والوطني القومي: أحد طرفي هذه الثنائية يعكس الهوية الثقافية على صورة "صمود على التقليد" ضمن قولب ومفاهيم وآليات دفاعية ستعصي على الاختراق وتقاوم التجديد.

والآخر: يجسم الاختراق الثقافي وقد اكتسح الساحة ليتحول إلى ثقافة الاختراق أي الثقافة المبشرة به المكرسة له.[429]

الأطروحة التاسعة:

إن تجديد الثقافة لا يمكن أن يتم إلا من داخلها: بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها والتماس وجوه من الفهم والتأويل لمسارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل.

ما العمل إزاء هذه السلبيات والأخطار التي تطبع علاقة العولمة بالعرب على صعيد الثقافة (الهوية الثقافية).؟

هناك موقفان سائدان: موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي وما يتبع ذلك من ردود فعل محاربة سلبية، وموقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري شعاره "الانفتاح على العصر" و "المراهنة على الحداثة".

---

[1] المرجع نفسه،ص ص 304، 305.

ولا مفر من تصنيف هذين الموقفين ضمن المواقف اللاتاريخية التي تواجه المشاكل لا يعقل واثق بنفسه متمكن من قدراته، وإنما تستقبلها بعقل "مستقيل" لا يرى صاحبه مخرجا من المشاكل إلا بالهروب منها، إما إلى الوراء وإما إلى الأمام.

إن الانغلاق موقف سلبي غير فاعل، ذلك أن فعله الموجه ضد الاختراق الثقافي _أي محاربته له_ لا ينال الاختراق ولا يمسه، ولا يفعل فيه أي فعل بل فعله موجه كله إلى "الذات" قصد "تحصينها"، والتحصين يكون مفيدا عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى والقدرات أما عندما يتعلق الأمر بظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت وتفعل فعلها بالإغراء والعدوى والحاجة، ويفرضها أصحابها فرضا بتخطيط وإستراتيجيا، فإن الانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطيء، قد تتخلله بطولات مدهشة ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخناق.

والشيء نفسه مع الاغتراب أي من اللاهوية وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبني هوية ولا كيانا، يقول أصحاب هذا الموقف "إنه لا فائدة من المقاومة، ولا في الالتجاء إلى التراث، بل يجب الانخراط في العولمة من دون تردد ومن دون حدود، لأنها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا تحقيق التقدم خارجها، إن الأمر يتعلق بـ "قطار يجب أن نزكيه"، وهو ماض في طريقه بنا أو من دوننا".

ويرى محمد عابد الجابري بأن الجواب الصحيح عن السؤال "ما العمل؟" إزاء الثنائية والانشطار اللذين تعانيهما الثقافة العربية أو إزاء الاختراق الثقافي و إيديولوجية العولمة.

يجب أن ينطلق أولا من العمل داخل الثقافة العربية نفسها ذلك لأنه سواء تعلق الأمر بالمجال الثقافي أو غيره، فمن المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطرا على الكيان والهوية.

الأطروحة العاشرة:

إن حاجتنا إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية بمستوياتها الثلاثة، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لدخول عصر العلم والتكنولوجيا.

نحن في حاجة إلى التحديث أي الانخراط في عصر العلم والتكنولوجيا كفاعلين مساهمين ولكننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا القومية وخصوصياتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتكنولوجيا وليست هاتان الحاجتان الضروريتان متعارضتين بل هما متكاملتان ومتلازمتان،

ومن الحقائق البديهية في عالم اليوم أن نجاح أي بلد من البلدان النامية منها أو التي هي في طريق النمو نجاحها في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية مشروط أكثر من أي وقت مضى بمدى عمق عملية التحديث الجارية في هذا البلد، عملية الانخراط الواعي النامي والمتجذر في عصر العلم والتكنولوجيا.

وهذا على سبيل المثال ما نلمسه بوضوح في تخطيطات الدول الأوروبية التي يدق في كثير منها ناقوس خطر "الغزو الأمريكي" الإعلامي الثقافي الذي يتهددها في لغتها وسلوك أبنائها وتصوراتهم الجمعية، والذي يوظف أرقى وسائل العلم والتكنولوجيا ومنها الأقمار الصناعية في اكتساح مختلف الحقول المعرفية والخصوصيات الثقافية.

إن أوروبا اليوم تتحدث حديث الخصوصية والأصالة وتتحدث عن "الهوية الأوروبية" تعزيزا لسيرها الجدي عن طريق تشييد الوحدة بين شعوبها وأقطارها بخطوات عقلانية محسوبة في إطار الممارسة الديمقراطية الحقة وفي ذلك تقدم لمستعمراتها القديمة، نموذجا صالحا للإقتداء به بعد ملاءمته مع الخصوصيات الثقافية المحلية.[430]

تتعرض الثقافة العربية إلى تغيير عميق لا علاقة له بالإدارة الواعية، وذلك نتيجة التطور في أسلوب الإنتاج ساهمت في تفتيت البنى الاجتماعية التقليدية، فضلا عن التحول الذي حدث للثقافة، والتي تحولت بفعل الرأسمالية ذات الصبغة العالمية إلى ثقافة قادرة على الانتقال العفوي.

في الوقت الراهن أفرزت المجتمعات العربية الكثير من العادات، والتقاليد التي هي أبعد عما يمكن أن يقال عنها أنها تعبر عن رؤية المجتمع العربي وتطلعاته، وقد استطاعت بقدر ما، الصمود أمام الهيمنة الثقافية والمحافظة على البنى الاجتماعية، مما أوجد تناقضا كبيرا بين الثقافة الغازية وثقافة المجتمع الحقيقية، وأثار أيضا قضية الازدواجية بين الوافد والمحلي، وبين القديم والحديث.

إن الدور الذي تعتمد عليه العولمة للهيمنة على الثقافة العربية، والعقل يمكن اعتباره تطبيقا عصريا للمنهج والوسائل التي اعتمدتها الدول الأوروبية الاستعمارية في السابق، فقد اعتمدت هذه الدول على الثقافة كوسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية وترسيخها وكانت البعثات

---

[1] السيد ياسين وآخرون: **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، ص 208.

التبشيرية، والرحلات الاستكشافية هي من أهم الآليات الثقافية التي اعتمدت عليها الدول الأوروبية للتعرف على الدول المراد استعمارها واستعمار ثقافتها.[431]

إن أخطر التحديات التي قد تتعرض لها المكونات الأساسية للثقافة العربية يمكن حصرها في الدين واللغة والوعي التاريخي بالآخرين، فصور العرب والمسلمين في الإعلام الغربي هي صور لا تعبر عن الواقع، بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي يتعامل مع العرب من منظور الاستعمار والتبعية، كما يرى البعض أن إعلاء شأن الثقافة الأمريكية لا يعود إلى الاختلاف الثقافي، بدليل أن هناك حالات احتجاج جماعي عبرت عنها دول أوروبا، وخاصة فرنسا، وموقفها الدفاع عن "الاستثناء الثقافي"، ذلك أن جميع هذه الثقافات تنتمي إلى الحضارة الغربية سواء في أصولها الأوروبية أو جذورها الأمريكية، لذلك فإن مصدر التباين ليس اختلاف الثقافات وإنما اختلاف الموقع على هرم الرأسمالية العالمية.

إن من أهم التحولات الاجتماعية للمجتمعات العربية هو الحول من الوحدة إلى التعدد الذي أصبح الهدف العالمي الجديد، وبالتالي لم يعد هناك سعي وراء المبادئ ذات التطبيقات والاستخدامات الكونية، فقد أصبح الاختلاف المعترف به هو الوحدة التي يعترف بها إما من خلال النظر إلى الاختلافات، أو من خلال وضع التمايزات في الاعتبار، والسبب الوحيد في هذا التحول هو ما خلفته الهوية من أهمية متنامية دائما على الساحة العالمية، وبالتالي فإن كل ما يمس الأمة أو الدولة فهو يمس الهوية الثقافية وتجسيدها التاريخي.[432]

إن مفهوم الهوية الثقافية القومية هو الهوية المشتركة لجميع أبناء الوطن العربي، ولا يعني هذا قط إلغاء أو إقصاء الهويات الوطنية الجماعية، ولا يعني أيضا فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية المتعددة الأخرى عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي، فالتعدد الثقافي في الوطن العربي واقعة أساسية لا يجوز القفز عنها، ولا بد من توظيفها بوعي في إغناء وإخصاب الثقافة العربية وتوسيع مجالها الحيوي، ولكن تبقى مع ذلك الوظيفة التاريخية لهذه الثقافة، وظيفة

---

[431] جيهان سليم وآخرون: **عولمة الثقافة واستراتيجية التعامل معها في ظل العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ديسمبر 2003 ، ص ص234 ، 235.

[432] المرجع نفسه ،ص 236.

التوحد المعنوي، الروحي والعقلي، وظيفة الارتفاع بالوطن من مجرد رقعة جغرافية إلى وعاء للأمة العربية لا تكون إلا به، ولا يكون إلا بها.[433]

فالبلدان العربية في حاجة إلى آليات للسيطرة الاجتماعية اللازمة لإدارة العلاقات الاجتماعية وإعادة إنتاجها، وهذا يمكن أن يساعد في خروجها من مأزق اللاتاريخية التي لازمتها في العصر الحديث، فالقول بوجود خصوصية في هوية مجتمع ما في مسار تطور هذا المجتمع لا بد أن تنطلق من معاينة وبرهان دقيقين، لا من مجرد الرغبة في التمايز.

والتمسك بالهوية العربية أمر طبيعي، وهو وصف للمخزون النفسي المتراكم من الموروث وتفاعله مع الواقع، وهو في الوقت نفسه تحليل لعقليتنا المعاصرة، وبيان لأسباب معوقاتها وكلما توغلنا في التقدم تمكننا من رؤية القضايا المعاصرة والقضاء على المعوقات القديمة، وإبراز مواطن القوة والأصالة لتأسيس نهضة معاصرة، ولا يعني انتقال مجتمع ما من مرحلة إلى أخرى أنه أحدث قطيعة أو انفصالا عن الماضي، بل يعني استمرار الحضارة، ولكن على أساس جديد من احتياجات العصر، وبالتالي فإن قضية الحفاظ على الهوية هي قضية كفيلة بإظهار البعد التاريخي والاجتماعي في وجداننا المعاصر واكتشاف جذورنا في التمسك بهويتنا الثقافية والتاريخية.

تتصرف العولمة الثقافية إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية والترويج للقيم الفردية، والاستهلاكية الغربية، واعتبار تلك المفاهيم هي وحدها المقبولة كأساس لتعاون الدول في ظل العولمة، ويمكن الاستشارة في هذا الصدد إلى الوثيقة المسماة "الإستراتيجية المشتركة للإتحاد الأوروبي في المتوسط"، والتي أصدرها مؤتمر قمة الإتحاد الأوروبي عام 2000، وهي تشير إلى سعي الإتحاد لتغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البخر المتوسط، بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية ويرتبط بذلك سعي بعض القوى المحافظة في الغرب إلى استهداف الإسلام والوطن العربي كعدو جديد للغرب، وافتعال صراع حضاري جديد بينهما يتمكن بموجبه الغرب من فرض قيمة الثقافة نهائيا.

إن أهم سمات التأثير الغربي في الثقافة العربية تتلخص في نقل الأفكار الغربية المزاحمة للثقافة القومية، مما يسبب نوعا من الازدواجية في الثقافة بين الموروث والوافد وخلق صراع بين

---

[433] السيدياسين: **العولمة والطريق الثالث**، ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، 1999، ص 23.

ثقافتين، أضف إلى ذلك الترويج لفكرة الثقافة الغربية باعتبارها مرادفة لكل الثقافات المحلية، وأنه على كل المجتمعات التعامل معها والتخلي عن خصوصياتها الثقافية والانفصال عن التراث.

ويمكن حصر الإستراتيجيات المطروحة للتعامل مع العولمة الثقافية فيما يلي:

1_ الانعزال: والاعتماد على الذات والاعتماد الجماعي على الذات.

2_ الاندماج الكلي مع العولمة الثقافية.

3_ التفاعل الإيجابي الرشيد.

ويقصد بالإيستيراتيجية الأولى الفكاك من قبضة النظام الرأسمالي العالمي بالتركيز على تنمية الموارد الذاتية لكل دولة مع تطوير أشكال التعاون الإقليمي بين الدول وينتمي إلى هذه الرؤية عدد من المدارس الفكرية والتيارات الشعبية غير المتجانسة ولكنها تشترك في قاسم واحد من انتقاء التعامل مع العولمة بوجه عام، والعولمة في المجال الثقافي بشكل خاص والتركيز على آثارها السلبية، وبالتالي الدعوة إلى الانعزال عنها.

أما الإستراتيجية الثانية فهي تشير إلى القبول بشروط هذا النظام ومحاولة الحصول على المكاسب التي يطرحها مع النظر إلى المسائل المحتملة على أنها مكاسب في المدى البعيد ومن ذلك فإن جوهر هذه الإستراتيجية هو الاعتراف بأن ظاهرة العولمة الثقافية هي ظاهرة إيجابية يجب التعامل معها واللحاق بها لأنها عملية حتمية لا فكاك منها.

وأنها نظام دولي جديد يعتمد على التكامل بين رأس المال والتكنولوجيا والمعلومات التي تتخطى الحدود القومية للدول، وبالتالي فإن قوة الدول تقاس بعدد خطوط شبكة الإنترنت التي تستخدم في هذه الدولة، وكيفية استخدام وفهم وتوجيه المعلومات، ومن ثم فكلما زادت سرعة هذا الاندماج زادت المكاسب المحتملة أمام الدول.

والإستراتيجية الثالثة تطرح نظرة تركيبية للعولمة الثقافية وتؤكد أنه من المهم إتباع إستراتيجيات متعددة المستويات تقوم على التفاعل مع العولمة لتحسيس الشروط وتحقيق التكامل الإقليمي بين الدول لتقوية مركزها التفاوضي وبالتالي فهي تؤيد فكرة التعامل، وليس قبول الفكرة بكافة عناصرها، ويقصد بالتعامل في هذا السياق الدخول في حوار حقيقي بهدف الإقلال من الخسائر، وتعظيم المكاسب والدعوة إلى أهمية التعامل المتوازن والإيجابي مع القضايا الثقافية من خلال دعم الإستراتيجيات التي تقوم على التعامل التدريجي، والتركيز على صياغة أجندة جديدة للنظام الدولي من خلال إيجاد الحوار الإيجابي المتوازن مع الدول الأخرى.

ولعل أهم نقطة للبدء في التعامل مع قوى العولمة الثقافية هو بناء النموذج الثقافي الوطني في المجتمعات العربية، الذي يشمل محو الأمية في هذه المجتمعات، والارتقاء بمستوى التعليم في كافة مستوياته، وإجراء حوار عام يسفر عن إجماع وطني حول المشروع الثقافي الوطني، وتفعيل دور منظمات المجتمع المدني في حماية الثقافة الوطنية والدعوة إلى الاندماج في الهوية الوطنية العربية مع الحفاظ على خصوصياتها، وهي النقطة المحورية التي تسعى من خلالها قوى العولمة إلى تحطيم وحدة الدول العربية.

كيف نفهم الغرب؟ هو السؤال الدي يطرحه هشام شرابي لمحاولة الاجابة و تفسير علاقتنا مع الثقافة الغربية ويقول كيف نفهم الآخر الخارجي الغريب؟ وحسبه ،فهم الآخر يعتمد على فهم الذات لذاتها (هويتها، تاريخها، واقعها، مستقبلها)،و بالتالي يصبح السؤال الجوهري في هده المسألة هو كيف نفهم أنفسنا،و ما هي "النحن في قولنا" "نحن العرب"

نحن المسلمون وكيف يمكن التحدث عن ذاتنا وكأنها ذات واحدة موحدة؟ ألا تتكون الذات من ذوات مختلفة؟

وماذا نفعل ب "الآخر" الداخلي في محاولتنا فهم "الآخر" الخارجي؟ وكيف نفهم ذاتنا؟

إننا نفهم أنفسنا مباشرة وليس من خلال "رؤية فلسفية للتاريخ" أو "وعي بصورة تاريخية"،نفهم أنفسنا من خلال الواقع الذي نعيشه ونعمل بداخله.،واقع السياسة والاقتصاد.،وواقع المصالح والتناقضات بيننا وبين الآخر (الغربي) المهيمن؛و هذه النقطة التي تفرز الوعي الاجتماعي الذي يتبلور فيه فهمنا التلقائي المباشر للذات والآخر في الوقت نفسه.بهذا نرى العالم، وأنفسنا ونفهمهما، لا موضوعياً، كما هما في ماهيتها بل كما يحددهما (محتوى وعينا)وفهم الذات والآخر من خلال تحليل هذا الوعي يرتكز علىثلاث نماذج معرفية للوعي:

1- النموذج التقليدي (البطركي، الأبوي).

2- النموذج البطركي الحديث (النيوبطركي).

3- النموذج النقدي (الجذري الحديث).[434]

---

[1] هشام شرابي : **النقد الحضاري لواقع المجتمع العربي المعاصر**،دار نلسن ، بيروت، ط3، 2000، ص 150.

النموذج الأول:

- يتميز بمفاهيمه الوصفية، والسردية التي لا تهدف إلى معرفة فكرية جديدة بقدر ما ترمي إلى تأكيد العقائد والقيم الموروثة والحفاظ عليها.
- تعرف الذات الجماعية نفسها من خلال مقولات الدين، والتراث.
- تعرف الآخر من حيث اختلافه، من حيث هو نفي لها، أو تهديد لوجودها. (مثال: الوعي الطائفي).
- جهدا يستمد الوعي البطركي(الأصولي، الديني، الطائفي) رمزه ومعناه من التناقض الكلي مع الآخر ورفضه المطلق للإختلاف لا يرى إلا الذات الواحدة الشاملة.
- والحقيقة الواحدة اللامتغيرة، وكل ما هو مختلف عنها هو ناقص وخاطئ، ولا يمكن قبوله.

وبهذا لا يفهم الغرب من هذا المنظور إلا سلبيا، أي بنفيه المسبق.....

فالذات البطركية لا يمكن لها أن تؤمن هيمنتها إلا بنفيها للآخر، (الخارجي، الأجنبي، والداخلي).

فالوعي البطركي في مرحلة الاستقلال عادي الآخر الداخلي: الليبرالي والعلماني، اليساري، النقدي، عداءا مريرا.

خطر أكبر من الخطر الذي يمثله الآخر الأجنبي.(تقفل جميع الأبواب بوجه تغيير الذات)[435]

النموذج الثاني:

_ وعي يسعى للتوفيق بين التراث والحداثة، بين التاريخ والواقع لا بتثبيت الواحد على حساب الآخر، بل في الجمع بينهما (التوفيق).

_ منهجيتها تقوم على ميثافيزيقا لا تختلف كثيرا عن عيبية التقليدية فالحقيقة العلمية هي الحقيقة الدينية ذاتها، كلية وشاملة ولا تقبل الشك.

_ يتميز الوعي بنزعته المتقربة إلى الغرب، فهو لا يرى الغرب عدوا ينبغي رفضه كليا، بل مصدرا لكثير مما يثير إعجابه لكنه يرهبه، ويخاف شره.

---

[435]المرجع نفسه، ص 152.

_ نظرة ترى الآخر الغربي من زاوية المقارنة بالذات فالحضارة الغربية في هذا الوعي (مثلا) لا قائمة لها دون ما قدمه العرب لأوربا من علم، وفن في العصور الوسطى.

_ الآخر الغربي لا يعرف، ولا يفهم من حيث هو كيان مستقل قائم بحد ذاته، بل فقط من حيث هو انعكاس، أو اختلاف لما هو إسلامي أو عربي.

_ مصدر هذه النزعة (النرجسية) في موقف البطركية الحديثة هو الشعور بالنقص، والرغبة في الظهور بمظهر التساوي بالنسبة للآخر الغربي، من هذا المنظور لا داعي لرفض الآخر كليا، كما في الموقف التقليدي، فحل التناقض يأتي بمجرد قبول "الصالح ورفض الطالح".

_ ويستدعي وضع الثقافتين الذاتية والأخرى، على الصعيد نفسه من هنا نفهم التشديد(الهستيري أحيانا) على الماضي وإنجازاته الحضارية.

_ الشعور بالنقص، والنرجسية المرافقة له تدفع الوعي البطركي الحديث للظهور بمظهر المساواة الآخر الأوروبي، والتقليل من قيمته وتقديمه عن "إفلاس" الحضارة الأوروبية المادية ومقارنتها "بالشرق" الغني بروحانيته، وقيمه الإنسانية.

سبب الإفلاس هو الإدعاء بأن المرض يكمن في صميم الحضارة الغربية (علم) علومها.....

الرد على هذه الأقوال:

"جان بول شارني": التبادل الحضاري.

"يجب أن نصل إلى تبادل الحضارات.

ما الذي يمكن أن يمر من الحضارة العربية؟ ما الذي سيجدب الأوروبيين الغربيين، الكسكس؟، المستوى.....؟

_ إن الهرب من الواقع، والتراجع نحو طفولة مستحيلة ضرب من ضروب الخلل النفسي لدى الأفراد، أما في المجتمعات فهو ظاهرة تخفي فوضى فكرية واجتماعية تهدد المجتمع بأسره.

_ إننا مازلنا نتابع الثرثرة بلا حياء حول استعادة الهوية، وحول الولادة العربية الثانية، ولادة عربية ثانية لأي شيء؟.

معرفة الغرب قائمة على الثرثرة:

الخطاب البطركي الحديث لا يملك الأطر، والمفاهيم التي من شأنها أن تنشئ فهما للغرب يقوم على علاقة واقعية، واعية للذات حامية لها، قادرة على النقد الذاتي.[436]

النموذج الثالث:

- الوعي النقدي (الجذري الحديث).
- يتميز بنزعته نحو الاستقلال، والعلمانية، وانفتاحه للآخر الغربي على الصعيد الفكري، والثقافي، ومحاولته إيجاد أسس للتفاعل المعرفي مع المعرفة الغربية، واستيعاب مفاهيمها' ونماذجها، وأنماطها.
- يحكم هذا الوعي ثلاث اتجاهات:

1- الاتجاه المنبثق عن العلوم الاجتماعية الأنجلو_أمريكية.

2- الاتجاه القائم على الفكر الماركسي في تطوره في الغرب.

3- الاتجاه المستمد من النظرية البنيوية والتفكيكية الفرنسية.

فالفكر النقدي لفهم الآخر الغربي، ويفهم ذاته من خلال الأنماط والمفاهيم الغربية ذاتها، ولا يتساءل عن نسبية هاته المفاهيم والنماذج، أي حول تاريخية سياقها فلا يراها كما هي في الواقع، مفاهيم ونماذج محددة تاريخيا، لا يعبر بالضرورة عن كلية إنسانية، أو تاريخية شاملة، بل عن فكر وتجربة معينة.

- رغم تجاوز الفكر النقدي للخطاب البطركي، والحديث، إلا أنه مازال عاجزا عن التنظير النقدي المستقل، وطرح مقاله الأصيل.
- لا يمكن مجابهة الغرب لا بالميل التوفيقية، ولا بالانغلاق على الذات فإن ما ندعوه بالثقافة الغربية، أصبح ثقافة عالمي، لا يمكن العيش خارجه دون السقوط خارج التاريخ، بهذا المعنى تصبح الثقافة الغربية ثقافة القوة، والقدرة على فرض الهيمنة التي يمارسها الغرب علينا.
- الغرب يعرفنا معرفة عميقة، ولكنه يعرفنا كما يشاء، وهو بقدرته على تسمية الأشياء، إذ يسمينا، يحدد ماهيتنا (من نحن وما نحن) وبالتالي يقرر موقفه منا، وأسلوب معاملته لنا

---

[436] المرجع نفسه، ص 130.

إرهابيون إذا لم نتنازل عن مطالبنا، معتدلون إذا قبلنا بالمساومة ورضينا بالأمر الواقع.[437]

[437] المرجع نفسه، ص 132.

المبحث الثالث

نمادجمن التعامل مع العولمة الثقافية

يمكن أن نرصد في هذا الجانب نماذج لبعض الدول والثقافات التي تعاملت بشكل إيجابي مع العولمة الثقافية ، وأثبتت وجودها بفضل استخدامها لتكنولوجيا المعلومات والإعلام .

1- الصين:

تم طرح العولمة الثقافي أولا كقضية مهمة في ثمانينيات القرن العشرين، في أثناء مناقشة مكانةالصين في العالم المعاصر، بدأت المسألة بمقالة نشرت سنة 1987 محذرة من خطر احتمال تخلف البلاد مرة أخرى في الحقبة ما بعد الصناعية الجديدة ما لم تبادر الصين إلى زيادة سرعة عملية الإصلاح فيها، وإذا لم تفعل فإن الصين سوف تخسر في النهاية عضويتها في القرية الكوبية الناشئة، وشدت المقالة أنظار وسائل الإعلام الجماهيرية وأفضت إلى مناقشة مسألة العضوية الكوبية في الدوائر الأكاديمية والأوساط النخبوية الأخرى، كانت تكمن وراء المناقشة دعوة ملحة غلى اعتماد إصلاح أكثر جذرية مع قدر أكبر من الانفتاح في المجتمع الصيني، جنبا إلى جنب مع توجه قوى موال للغرب، يطالب بتمكين الثقافة الغربية من اقتحام المجتمع الصيني بزخم أكبر.

منذ أوائل تسعينات القرن العشرين كانت مسألة العولمة قد عادت لتصبح ثانية، بؤرة الجدل بين جماعتين متعارضتين: برأي المثقفين الليبراليين والإصلاحيين في الأوساط الرسمية، لم تكن العولمة إلا مرحلة جديدة من مراحل سيرورة التحديث وفرصة تطورية أو تنموية لا تستطيع الصين أن تفوتها، ويزعم البعض أن من شأن العولمة أن تجلب السلام الدائم إلى العالم، وتقود إلى المزيد من الازدهار والنمو والتطور، ويقول آخرون أن العولمة الثقافية سوف تنشر قيما كونية شاملة، مثل الحرية الديمقراطية حقوق الإنسان في المجتمع الصيني وهو بالتالي مفيدة سياسيا، لكن النزعة القومية كانت دائما أحد الهواجس المركزية لدى المثقفين الصينيين، ويصب أحد الكتب القومية الذي أصدره عدد من الكتاب الثوريين الشباب في هذا الإطار: عنوانه "الصين التي تستطيع آن تقول لا 1996" يدعي فيه "هونفووكيشوبو" وأصدقائه أنهم استفاقوا من أوهامهم الموالية للغرب ومن حالة انبهارهم العبودي بالثقافة الأمريكية، وقد بيعت من هذا الكتاب مليون

نسخة لما تصاعدت حينها الموجة المتحدبة لهيمنة الغرب والداعية إلى التمسك بالنزعة القومية.[438]

لكن الكثير من المثقفين الصينيين يجمعون على ضرورة بقاء الصين منفتحة على العالم مع دفعها إلى المشاركة النشيطة في عملية العولمة الجارية، ولم يتردد هؤلاء المثقفين في رفض النزعة القومية المتطرفة لأنها تنطوي حسب رأيهم على خطر عرقلة مشاركة الصين النشيطة في سيرورة العولمة وأطروحة التنمية والتحديث.

في دراسة للعلاقة الاقتصادية بين الصين والولايات المتحدة حاول "فيليب ساوندرز" حل أحد الألغاز التجريبية على الرغم من خوف الصين من الهشاشة الاقتصادية ومن مخاطر الهيمنة الغربية، فقد تزايدت تبعية الصين الاقتصادية للولايات المتحدة بصورة ملحوظة خلال العقد الماضي بعد دراسة جملة الإستراتيجيات التي اعتمدتها الدولة الصينية في التسعينيات بتوصل "ساوندرز" إلى استنتاج أن "قادة الصين سلموا بضرورة الاندماج المتزايد بالاقتصاد الدولي، غير أنهم ظلوا يحاولون إدارة هذه العملية وفقا لشروطهم الخاصة بهدف تعظيم الإيجابيات وتقليص السلبيات إلى الحدود الدنيا"

ويمكن تطبيق هذه الملاحظة أيضا على دور الدولة الحزبية في الميدان الثقافي، فمما قاله "الزعيم الأكبر" الراحل "دنغ هسياوبينغ" إن أسراب الذباب والبعوض تتدفق عليك حيث تفتح نافذتك"، وأسراب الذباب والبعوض التي كان "دنغ" يلمح غليها هي الموهبة الحتمية من الأفكار والقيم الثقافية الغربية المصاحبة للاستثمارات التكنولوجيا، ومهارات الإدارة الأجنبية، التي من شأنها أن تشكل تحديات جدية للنظام الشيوعي عبر "التطور السلمي" غير أن قادة الحزب الشيوعي الصيني ظلوا رغم خوفهم من الأفكار والقيم الثقافية الغربية ومحاولاتهم المتكررة للتحصن ضدها، حريصين على مواصلة سياسة الأبواب المفتوحة، وما لبثت الدولة الحزبية أن انسحبت تدريجيا من العديد من مجالات الحياة الاجتماعية، مما أذى إلى اكتساب نفوذ الثقافات الأجنبية قدرا أكبر من القوة والاتساع بصورة مضطرة على امتداد العقدين الماضيين.

يكمن مفتاح استراتيجيات الدولة الصينية في فهم حقيقة أن البقاء السياسي للنظام الشيوعي متوقف على قدرة الدولة على المحافظة على النمو الاقتصادي السريع وعلى إيجاد المزيد من

---

[1] المرجع نفسه، صص 65، 66.

فرص العمل للكتلة السكانية الكبيرة الشباب العاطلين عن العمل، وليس صدفة على الإطلاق أن تكون الصين قد شاركت وبقدر كبير من النشاط في عمليتي التكامل الاقتصادي والعولمة الثقافية، وأفضل أمثلة تصميم الدولة على اللحاق بركب العولمة هي تلك المساعي المبذولة دون توقف بهدف دخول منظمة التجارة العالمية.

فيما يخص الأوجه الأربعة للعولمة الثقافي، بادرت الدولة الحزبية إلى اعتماد مجموعة من المقاربات والإستراتيجيات المختلفة الرامية إلى الحفاظ على التحكم مع تسيير عملية النمو في الوقت نفسه تبقى ثقافة الأعمال النخبوية هي الأقل إثارة للقلق لدى قادة الحزب الشيوعي الصيني، وقد اضطلعت وسائل الإعلام الجماهيرية بدور حاسم في ترسيخ نظام إدارة وثقافة مشتركة على النمط الغربي.

تشكل الثقافة الشعبية ساحة أخرى قررت الدولة تركها جانبا لأنها قابلة للاستخدام من أجل التخفيف من حدة التوترات الاجتماعية في حقبة ما بعد 1989، غير أن الدولة ظلت شديدة الحرص على فرض الرقابة المتشددة والتحكم المحكم في ميدان التطور الفكري والحراك الاجتماعي، لان من شأن الأول أن ينطوي على تحد مباشر للإيديولوجية الشيوعية في حين قد يفضي الثاني إلى الفعل الجماعي على نطاق واسع، وهو مصدر خوف كبير بالنسبة إلى الدولة الحزبية.[439]

الاستراتيجيات التي استخدمتها الصين لإدارة حقبة العولمة الثقافية:

1- لم تبادر الدولة الحزبية قط إلى التخفيف من قبضتها على جملة المنظمات المفتاحية في الشؤون الثقافية كما على قطاعات مهمة من السوق الثقافية مثل: النشر، الصناعات السينمائية والتلفزيونية والصناعات الثقافية، والوسائل الإخبارية، خلال فترة قصيرة من إشاعة الروح التجارية من التسليع أول التسعينيات مثلا حاولت مجموعة من الصحف النافذة في تايوان وهونغكونغ أن تتوغل إلى أسواق البر الصيني غير أنها قوبلت بالرفض من جانب الدولة الحزبية، وحسب إفادة أحد كبار المحررين تمكنت مجموعة صحفية "هونغكونغية" واحدة على الأقل من شراء عدد من المجلات في الصين، غير أن هذه

---

[2] المرجع نفسه، صص67، 68.

المجلات تعرضت للإغلاق الفوري لحظة وصول النبأ إلى مسامع السلطات الحكومية المركزية.

في منال آخر شكلت مجلة "دونغفانغ" (الشرق) منبرا رئيسيا للمثقفين الليبيراليين ناشرة مناقشات وحوارات حول جميع القضايا الاجتماعية، بما فيها العولمة منذ سنة 1993، أتاحت الدولة فرصة الازدهار للمجلة حتى سنة 1996، حين حاولت مجموعة من الباحثين نشر إعادة تقييم ومعاينة للثورة الثقافية في ذكراها السوية الثلاثين رأت الدولة أن المجلة تجاوزت الحدود والخطوط الحمراء فأمرت بإغلاقها هناك على الدوام دور لنشر الكتب، مجلات، أستوديوهات تصوير أو عرض أفلام سينمائية، وسائر ميادين الصناعة الثقافية تتعرض للإغلاق على يد الدولة لأسباب إيديولوجية أو سياسية.[440]

2- تظل الحملات الإيديولوجية المضادة لنفوذ الثقافة الأضية (الغربية) سلاح الدولة الحزبية الأول فالهجمات السياسية الإيديولوجية مثل حملة الدولة ضد "التلوث الروحي" في الثمامينيات ظلت تشن بصورة متكررة ضد المثقفين والننجا الليبيرالية.

4- الإستراتيجية الثالثة التي تلوذ بها الدولة للتحكم بالقطاع الثقافي هي تلك التي أطلق عليها "لي داوكسيانغ" "السير على خط المصالح"، وهو يعني أن الدولة تكافئ أولئك الذين يدافعون عن خط الحزب بينهم اقتصادية أو سياسية وتعاقب أولئك الذين يتحدون الحزب بحرمانهم من الفرص الزاخرة بالمكاسب.

وسائل الإعلام الجماهيرية تعد مثالا على ذلك: نتيجة التعلم من نظريراتها في الغرب، اعتمدت وسائل الإعلام الصينية جملة من الإصلاحات الإدارية المنهجية، فمع حلول أواخر التسعينيات من القرن العشرين باتت أكثرية الصحف والمحطات التلفزيونية معتمدة اعتمادا رئيسيا على الموارد المتحققة من الإعلانات التجارية وصار عدد كبير من الإعلاميين يعملون بموجب عقود مؤقتة، أو مستندة إلى مشاريع معينة، خلافا لنمط الاستخدام كوظيفين حكوميين دائمين، بحلول سنة 1998 كان ثلثا مستخدمي محطة التلفزيون المركزية في الصين، يعملون بموجب

---

[440] المرجع نفسه،ص 70.

عقود فضلا عن أن أكثرية برامج المحطة كانت تنتج من قبل مدراء مشاريع لم يكونوا ملزمين بتقديم تقارير عن نشاطات الإنتاج اليومية إلى قادة الحزب.

على الرغم من الإيستيراتيجيات قد تتباين بين وقت وآخر تبعا للتغيرات الحاصلة في الأجواء الداخلية والدولية، فإن قادة الحزب الشيوعي الصيني ظلوا على الدوام متمسكين بهدف كابت: أن يبقوا هيئة القيادة الغدارة الوحيدة لمشروع التحديث مع الحفاظ من خلال المشروع، على نفوذهم وحكمهم الشاملين في الصين، وهذا معلن في وثيقة المبادئ الأساسية الأربعة " الاشتراكية، دكتاتورية البروليتاريا قيادة الحزب الشيوعي، الفكر الماركسي– اللينيلي– الماوستيكونغي" (1979)، وأي محاولة لتحدي قيادة الدولة الحزبية وسلطتها ظلت على الدوام تعاقب بقسوة، ومن منظور الدولة الحزبية، ليست العولمة الثقافية استثناءا، ويتضح هذا الأمر بجلاء عندما فرضت الحكومة الصينية قيودا على استيراد الأفلام الأجنبية كما على مجال الشر الخاص في المفاوضات مع منظمة التجارة العالمي.[441]

وتريد الدولة الحزبية أيضا أن توفر الحماية للصناعات الثقافية القومية والمحلية من التأثيرات الجبارة للشركات الأجنبية والدولية فاستعدادا لمواجهة تحدي وسائل الإعلام الأجنبية بعد التحاق الصين بركب منظمة التجارة العالمية، مثلا بادرت الحكومة المركزية إلى تشجيع تشكيل مجمعات مشتركة كبيرة في قطاع الإعلام المطبوع عبر دمج العديد من الصحف في 1998، كما جرى تبني استراتيجيات مشابهة في صناعات الشر السينما التلفزيوني والوجبات السريعة سنتي 1998 و 1999.[442]

ويمكن أن نستنتج أن التعامل الصيني مع "العولمة الثقافية" وفق آليات التحدي والاستجابة وفق منطق الصراع من أجل الحفاظ على الثقافة المحلية وعدم ترك المجال للقوى الثقافية العالمية التي تريد الهيمنة وفي مقدمتها الولايات المتحدة.

1– تمت إعادة تفسير العولمة بوضعها جزءا من مسعى التحديث، وهو أحد المكونات المهمة لأهداف الدولة الحزبية.

---

[1] المرجع نفسه، صص 71، 72.

[442] المرجع نفسه،ص 74.

2- تعبر أكثرية النخب الثقافية عن تأييدها للسير باتجاه الالتحاق بركب العولمة وقد اضطلعت بدور مفتاحي على صعيد الترجمة والأقلمة الثقافيتين.

3- ظلت الدولة الصينية تلعب دورا قياديا فعالا في حل مناحي العملية، وهي ترمي من وراء ذلك إلى ضمان مشروعيتها وسلطتها.

2- ايرلندا

تمخضت الهبّة الحديثة للاهتمام بما عرف باسم " النمر السلني " عن شيء من الثقة الثقافية المتزايدة كثيرا في ايرلندا تسعينات القرن العشرين فثمة على ما يبدو نوع من الترابط بين الأداء الاقتصادي المتنامي والثقة الثقافية الأكبر بالذات .

ما لبثت الشعبية الدولية الراهنة للموسيقى ، الرقص ، الأفلام وحانات الشرب الشعبية الايرلندية أن دفعت بعض المراقبين إلى تحري نوع من البعث الثقافي السلني الجديد ، ومن الواضح أن هذا يتناقض مع فكرة أن العولمة الثقافية إن هي إلا صيغة جديدة من صيغ الامبريالية الثقافية التي تضعف الهوية القومية[443].

يندهش المراقبون المعاصرون للمشهد الثقافي في ايرلندا بحيوية هذا المشهد ،فالكاتبة " غيما هوسي" مثلا : تشير في كتابها " ايرلندا اليوم " إلى هبّة تعبير ذاتي جديدة لم يسبق للبلد أن رأى مثيلا من قبل .وتقول أيضا " الشعبية الايرلندية الخاصة محيطة بمشكلتين كبيرتين : مشكلة ضغط وسائل الإعلام انجليزية الأمريكية ومشكلة الإضعاف الحتمي الذي يتعذر التصدي له للغة الايرلندية من جهة ثانية .

وبالمثل يشير "دنيس أوهيرن" إلى صحوة ايرلندا الثقافية عبر العالم الغربي ويعترف بعلاقة صريحة بين اقتصاد مفعم بالحيوية الصارفة وثقافة واثقة باتت تعرف باسم " النمر السلني" وكما ترى " غيما هوسي" أيضا : أنه لا يتم جعل الأمة مشكلة ، وثمة قبول بسيط بصناعة هوية ثقافية جديدة غير مشوبة عمليا بأي قدر من نزعة الشك .

---

[443] جي أنور فاغان : **العولمة ،الهوية، وايرلندا ، العولمة والهويات القومية**، الهيئة العامة السورية للكتاب،ص ص 200، 206 .

ويكتب "دانييل دالش " : "من غير الجائز النظر إلى العولمة على أنها الرواية الكبرى الأخيرة للقرن العشرين كما لا يجوز عدها بلسما سحريا شافيا أو قوة مؤبلسة كما يميل تيار يساري لأن يفعل . العولمة ليست ظاهرة غير مسبوقة وهي تجارة اعتيادية ببساطة في عالم قائم على دول قومية مستقلة" .

من المؤكد أن مفاهيم مثل " موت الدولة القومية " ، وإلباس العالم ثوب ماكدونالد وصورة أسراب ، شركات ، العابرة للحدود ، القومية ، الطاغية هي مفاهيم مبالغ فيها . ومع ذلك فإن الثورة المعلوماتية هي ثورة فعلية ومن منطلق العولمة ، الثقافة قد نتمكن من إدراك التغيرات الجارية التي ستحدث انقلابات جذرية في الطريقة التي تنظر بها إلى العالم ونعيش فيه . [444]

لعل أحد المفاهيم المحورية الخارجة من رحم ، النقاشات الدائرة حول ما بعد الاستعمار ، إيلرلاندا بوصفها حالة منتسبة إلى ما بعد الاستعمار هو مفهوم الهجنة .إن جملة التشكيلات الاجتماعية والثقافات الهجينة تتكشف عن نوع من تجاور والاختلاط بين سلسلة سمات تنتمي إلى ما قبل الحداثة أخرى حديثة وثالثة منتسبة إلى عالم ما بعد الحداثة ، بهذا المعنى يمكن النظر إلى ايرلندا على أنها هجين مثل المكسيك أو البرازيل أو ربما حدودية أيضا نظرا لموقعها بين أوروبا والعالم النائي.

من المتعذر رؤية الثقافة أو الهوية الايرلندية المكتفية ذاتيا غير قابلة للتغيير ومنغلقة ، هناك حالة جديدة من التدفق والانسياب ، حالة مميزة لما بعد الاستعمار والعولمة تدشين حقبة حقيقية جديدة لعملية تشكيل هوية ثقافية مميزة بقدر أكبر من المرونة وقدر أقل من اليقين. ليست التيارات الثقافية الكوكبية المتدفقة مجرد نتاج أشكال من الترافد بين أعداد من الدول القومية بل هي متجردة في سيرورات ذوات نطاق كوكبي ، ومن الخطأ التوهم بأن هذا ينطوي بالضرورة على إضعاف الثقافات القومية المحلية أو يفضي إلى فوضى التجانس الكوكبي ، ثمة بدلا من ذلك جسد من الثقافات الشعبية المحلية المختلفة المتنوعة والغنية الدائبة على مقاومة الثقافة الكوكبية ورفدها في الوقت عينه ، ذلك هو المكان الذي ينبغي لايرلندا أن توضع فيه اليوم ، فبدلا من قيام الثقافة الكوكبية بإضعاف (الثقافة الايرلندية) . أو بدلا إصرار الأخيرة على

[444] المرجع نفسه، ص 207 .

مقاومة الأولى، يتم إنتاج الثقافة الايرلندية بوتيرة مدهشة لرفد وتغذية عملية إنتاج الثقافة الكوكبية [445].

المرجع نفسه،ص ص 212 ، 214 ، 217..

الفصل الثانـي

المبحث الأول

الواقع المعلوماتي في المجتمعات العربية:

إن القضية التي تواجه العالم اليوم تتصل بمدى التعامل مع ظاهرة المعلوماتية المعاصرة، والتجاوب معها، والنهوض بتبعات ذلك التعامل لإيقاظ المجتمع ككل، لكي يتجاوب مع هذه التقنية المتطورة، وتحويلها إلى عناصر يمكن استثمارها في التطور والتقدم.

وهناك تأثير متبادل وعكسي بين كل من المعلوماتية، والبحث وباقي أنشطة المجتمع المعاصر، فعلى سبيل المثال تعتبر المعلوماتية ضرورة أساسية للبحث العلمي، بدونها يتأثر البحث بالسلبية والجمود، وعدم التأثير فالمضمون الأساسي للبحث العلمي هو المعلومة، وما يتصل بها من أساليب وتقنيات، تسهم في تجميعها، وتحليلها، وتخزينها، ونقلها، واستخدامها.

وعلى الصعيد العربي، والإسلامي عملت بعض المشاريع الهادفة نحو التحكم في المعلوماتية وتوصيلها إلى الباحث العربي، والإسلامي لخدمته، وقد كان لجامعة الدول العربي، والمنظمة العربية للتربية والثقافة، والعلوم وبمساندة علمية، وفنية ومالية من منظمة (اليونسكو)وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية "UNDP" الريادة في الدعوة إلى إنشاء شبكة المعلومات العربية بين الدول العربية، ولكن هذا المشروع لم يكتمل حتى الآن.

كما أن المنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية التابعة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، ومقرها الرئيسي مدينة جدة بالسعودية، تبنت أحد المشاريع في إنشاء شبكة لنظام معلومات علمي وتقني بين البلاد الإسلامية، ولكنها لقيت صعابا مالية من حيث التمويل كما أن مشروع القمر الصناعي العربي الذي أطلق حديثا ما زال قاصرا، ويلاقي صعابا جمة في الاستفادة منه.

أما على الصعيد القطري، أو الوطني، فهناك محاولات هادفة على مستوى الأقطار العربية لإنشاء شبكات، وضم معلومات وطنية لخدمتها، ففي المملكة العربية السعودية، وتحت ريادة المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا، أنجزت بعض الجهود نحو التنسيق في مجالات المعلومات وخدمتها وتقنياتها على مستوى المملكة، كما أن المركز يتصل بقواعد البيانات الخارجية، ويوفر

احتياجات المملكة من معلومات الخارجية، ويسهم في هذا الاتجاه أيضا المركز الوطني للمعلومات المالية، والاقتصادية التابع لوزارة المالية في توفير احتياجات المملكة من المعلومات الاقتصادية والمالية النابعة من الخارج عن طريق الوصول المباشر بشبكات وقواعد وخدمات هذه المعلومات. [446]

أما على المستوى الوطني لجمهورية مصر فيوجد عدد من المشروعات اتجاه الاستفادة من المعلومات لخدمة البحث العلمي، والإدارة والتعليم.

ففي مجال البحث العلمين وبمعاونة "وكالة المعونة الأمريكية للتنمية" "USAID" أنشئت شبكة للمعلومات العلمية والتكنولوجية ESTINET للحصول على المعلومات من قواعد البيانات وشبكتها في الولايات المتحدة الأمريكية بالقطاعات السبعة التي تضمها هذه الشبكة، وهي قطاع الزراعة، وقطاع الصحة من خلال مركز التعليم الطبي، ومستشفى جامعة عين شمس التخصصي، وقطاع الصناعة من خلال مركز تنمية التصميمات الهندسية والصناعية.

وقطاع الطاقة من خلال جهاز تخطيط الطاقة، وقاع التعمير من خلال مركز البحوث والدراسات بوزارة الإسكان، وقطاع العلم والتكنولوجيا من خلال المركز القومي للإعلام، والتوثيق، وقطاع البحوث الاجتماعية والجنائية من خلال المركز القومي للبحوث الاجتماعية، والجنائية، بالإضافة إلى هذه القطاعات يوجد فرعان للشبكة بمعهد الدراسات العليا، والبحوث بجامعة الإسكندرية وجامعة قناة السويس بالإسماعيلية، إلا أن البحث في هذه الشبكة، وتوصيل المعلومات لا يزال يتم بطريقة بطيئة بسبب عدم بناء قواعد المعلومات المحلية، كما أن مدى ارتباط هذه الشبكة بما هو متوفر بالفعل في البيئة المصرية يعتبر منفصلا إلى حد كبير. [447]

ومن المشكلات التي تحد من تطور ونمو الشبكة العربية للمعلومات نذكر على سبيل المثال:

1- قصور السياسة الوطنية والعربية للمعلومات:

---

[446] محمد محمد الهادي: **التطورات الحديثة لنظم المعلومات المبنية على الكمبيوتر**، مرجع سبق ذكره، ص 31.

[447] المرجع نفسه، ص 32.

بحيث يعتبر التنظيم الوطني للمعلومات، بما يشمله هذا التنظيم من وضع السياسة القومية للمعلومات ركيزة أساسية لوجود شبكة عربية للمعلومات وإذا كانت هناك في الوقت الحاضر، بعض الأنشطة المعلوماتية البارزة في عدد من الدول العربية، كنظام معلومات للعلوم والتكنولوجيا بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بمصر، أو نظام معلومات علمي وتقني مرتبط بهيئات التخطيط بأعلى مستويات الدولة في المغرب، أو استخدام قواعد المعلومات الأجنبية على أقراص الليزر أو على الخط المباشر بجامعة قطر، فمعظم هذه الأنشطة لا تتم داخل إطار سياسة وطنية للمعلومات تعمل على تحقيق أهداف وطنية أو قومية واضحة، كما أنها لا تتم لخدمة أولويات واحتياجات التنمية المتوازنة بين القطاعات الاقتصادية داخل الدولة أو بين الدول في إطار الوطن العربي.

2- الفجوة بين التخطيط والتطبيق:

هناك عاملان يتعلقان بالزمن الذي يستغرقه تطبيق الشبكة، أولها الفجوة الزمنية بين استيعاب مفهوم الشبكة وأهميتها، وبين أول نشاط إجرائي يتم على أساس منتظم، أما العامل الثاني فهو يتمثل في الفجوة الزمنية أيضا بين بداية الشبكة وبين اكتمالها.

والشبكة العربية للمعلومات مازالت في مرحلة الاستيعاب والتخطيط، وهاته المرحلة مرت ذاتها بثلاث مراحل أولها قامت به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إدارة التوثيق والمعلومات) في منتصف السبعينات حين نشرت دراسات عن توفير المعلومات بأجهزة التوثيق بالوطن العربي.

والمرحلة الثانية تمثلت في استيعاب مفهوم الشبكة، وتمت في منتصف الثمانينات، وجاءت بمبادرة من الأمانة العامة للجامعة العربية بإنشائها لمركز التوثيق والمعلومات والمرحلة الثالثة نشهدها في منتصف التسعينات على يد إدارة التوثيق، والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية، والثقافة والعلوم بتنظيمها لندوة إستراتيجية التوثيق، والمعلومات في الوطن العربي.

3- ضعف الصناعة العربية للمعلومات و الاتصالات:

ليس هناك مشروعات اقتصادية عربية عملاقة مشتركة، كما هو الحال بالنسبة للتكتلات الاقتصادية المعاصرة في العالم، التي تتطلب خدمات معلومات على مستوى عالي من الكفاءة، ويصبح الأمر أكثر خطورة عند الحديث عن الصناعات المعلوماتية التي تشكل اقتصاد المعلومات في النظام الاقتصادي العالمي، ذلك لأن معظم الدول العربية تعتمد في هذا المجال الحيوي على الدول الأجنبية، في استيراد تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات ويتم ذلك دون الاختيار السليم للتكنولوجيا الملائمة ودون تطويعها لاحتياجات وأهداف الأقطار العربية، وذلك يؤدي إلى تبعية دائمة لمصدر التكنولوجيا الذي وقع عليه الاختيار.

4- تناقص الدعم المالي لمشروعات البنية الأساسية المعلوماتية القطرية والعربية:

وهذه هي المشكلة الأساسية التي تتبع منها معظم المشكلات الأخرى، ومع زيادة تكاليف منتجات وخدمات المعلومات (الدوريات العلمية، الكتب، خدمات البحث الآلي، والحصول على المعلومات ...) لجأت معظم المكتبات الجامعية، والبحثية العربية إلى تقليص ميزانياتها وإلغاء الكثير من اشتراكاتها في الدوريات العالمية، ومعلوم أن الهدف الأساسي الذي يوضح لأي شبكة معلومات وطنية، أو إقليمية هو المشاركة في المصادر والخدمات.

هذا إضافة إلى عدة صعوبات تتعلق بعدم تحقيق الاستخدام الفعال لخدمات وقواعد البيانات وكذا عدم تهيئة البنية الداعمة لتطبيق سياسة وطنية للمعلومات، وصعوبات تتعلق بأزمة اللغة العربية، والحاجز اللغوي مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وبالنسبة للقدرات الاتصالية المعلوماتية للدول العربية فتحتل هذه الدول 8.1% من مساحة العالم الاتصالية (المرتبة السادسة) عام 1987، بينما احتلت أوروبا المرتبة الأولى بنسبة 25.9% وأمريكا الشمالية المرتبة الثانية بنسبة 21.1% وأمريكا الجنوبية لمرتبة الرابعة بنسبة 14.9% والأوقيانوس المرتبة الخامسة 8.6% وآسيا المرتبة الثالثة 18.9%.[448]

---

[448] أحمد بدر و آخرون : **السياسة المعلوماتية وإستراتيجية التنمية**، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص ص 185، 190.

أما فيما يخص ويتصل بخلق وإنتاج التكنولوجيا المتقدمة في مجال المعلوماتية، فإن الجهود التي تبذل في هذا الإطار على الصعيد العربي تعتبر محدودة إلى حد كبير، وفي إطار أجهزة الكمبيوتر فهناك بعض الدراسات، والمشروعات المبدئية نحو جميع الأجهزة، وخاصة الميكروكمبيوتر، أو تصنيع بعض النماذج التي تتفاعل مع اللغة العربية، أما فيما يتصل بتطوير البرامج أو البرمجيات، ومنها قواعد البيانات، ونظم المعلومات الإدارية المتكاملة فإنها تعتبر نادرة وفي حكم المعدومة حتى الآن. [449]

إن الإنتاج الدولي من صناعة المعلومات، أو صناعة المعرفة في السوق الدولي يقدر حاليا بأكثر من 200 بليون دولار سنويا، ويمثل ذلك حوالي 40% من إجمالي القيمة الصناعية، أو الناتج الصناعي القومي، وهذا الواقع الملموس يمثل الفجوة التي تزيد اتساعا بين الشمال المتسم بالصناعة والمعلوماتية والجنوب ودول العالم الثالث التي لم تأخذ بعد بثورة المعلوماتية المعاصرة، بل إن حصة الدول الإفريقية كلها في سوق المعلوماتية، يمثل جزءا هامشيا في مجال المعلوماتية والبحث العلمي اتجاه تطوير أساليب ونظم المعلوماتية يمثل أقل من 0.5% من الناتج القومي لدول إفريقيا وبينما ما تخصصه الدول المتقدمة لذلك يقرب من 5% من ناتجها القومي.

هذه الحقيقة تدعو الدول النامية ومن بينها الدول العربية أن تراجع أولويتها المتعلقة بمجال المعلوماتية، وتطويرها لخدمة جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية. [450]

وربما يكون استعراض مظاهر هذا التخلف المعلوماتي في المجتمعات العربية ليس من قبيل اضطهاد الذات ولكن تحفيزا لروح التحدي، ونلخصها فيما يلي:

1- **غياب الروح العلمية:** والذي ينعكس في مظاهر اجتماعية كانعدام الثقة في البحث العلمي وجدوى الحلول العلمية، وعدم تقدير العلميين وانقطاع معظم المتعلمين عن تحصيل العلم، ومن الشواهد الثانوية، بدائية الحوار، وعدم احترام حدود التخصص

---

[449] المرجع نفسه، ص 41.

[450] محمد محمد الهادي: **التطورات الحديثة لنظم المعلومات المبنية على الكمبيوتر**، مرجع سبق ذكره، ص 35.

العلمي، والمهني، وتفشي الانتهازية العلمية خاصة في حقل المعلومات الذي يمثل مجالا خصبا لها.

2- قتل الروح الانتهازية لدى النشئ وتكسير صمم المبتكرين والمبدعين وسيطرة متوسطي الأداء وإنصاف الموهوبين على المراكز الحساسة.

3- قصور خدمات المعلومات، وضمور الطلب على المتاح منها من قبل الطلاب، والباحثين، وعدم استغلال المعلومات المتوافرة في عملية اتخاذ القرارات التي يسودها الحدس والعفوية.

4- تضخم البيروقراطية، وبرودة تجاوبها مع المشاكل الاجتماعية، وتقديس الإجراءات على حساب الأهداف.

5- استخدام الواجهات العلمية، والثقافة لإضفاء المشروعية على الممارسات، والهياكل الاجتماعية وتفشي ظاهرة النفاق الاجتماعي.

6- عدم وجود صناعة عربية للبرمجيات وعدم الاهتمام بالتشريعات الخاصة بحماية الملكية الفكرية.

7- ضعف البنى الأساسية لنظم المعلومات المتمثل في غياب السياسات الوطنية، وضعف التكامل العربي، وعدم تجاوب نظم التعليم الرسمي مع مطالب إعداد الأجيال القادمة.

8- ضعف النشر عموما، والنشر العلمي خاصة، وبطئ حركة الترجمة، وانخفاض معدلات إصدار الكتب، والمجلات العلمية والمهنية.

9- تحول كثير من علمائنا للعلم إلى رواة عنه وعن إنجازاته في مجال الكومبيوتر والمعلومات التي تسير لدى الكثير من نزعة القص أو الحكى.

10-الاعتماد على الخبرة الأجنبية في كثير من مشاريع نظم المعلومات العربية سواء في التصميم أو التصوير أو التشغيل. [451]

---

[451] نبيل علي: العرب وعصر العولمة، مرجع سبق ذكره، ص ص 277،279.

معوقات البنى التحتية لتكنولوجيات الاتصالات:

وقد تبين ضعف وهشاشة البنية التحتية الاتصالية في الدول العربية بوجه عام، مع بعض الاستثناءات الجيدة في الإمارات، والبحرين، وقطر، وعمان، وهناك دول في سبيلها إلى الانتهاء من تحديث وتحسين بنيتها التحتية الاتصالية مثل الأردن، والسعودية ومصر.

ويعرف المكتب الأمريكي لتقسيم التكنولوجيا "أن البنية التحتية للاتصالات هي التركيبة التي تشمل التسهيلات التكنولوجية، والإجراءات الدستورية التي تساند الاتصالات من خلال استخدام الإذاعة والأفلام وتسجيلات الفيديو ... والكوابل، والبريد ... الخ.

والمشكلة أن البنية التحتية للاتصالات في البلدان العربية أعمق من مجرد التحديث، إذ أن سعة الاتصال مثلا بالأنترنت المتوفرة حاليا في أحسن الأحوال كما في حالة مصر، والإمارات العربية 128 كيلوبايت kb، لكن المتاح عالميا سرعة اتصال تبلغ 1.54 ميجابيت mb، و mb54 مع ملاحظة أن الميجابيت الواحد يساوي kb1000، وبذلك يتضح التفاوت الشديد في البنية التحتية الاتصالية في الدول العربية، والدول المتقدمة.

علاوة على الانخفاض الشديد لأعداد المستخدمين العرب للانترنت فالإحصائيات تشير إلى أن 151 مليون مستخدم انترنيت في العالم، بزيادة قدرها 51% مقارنة بعام 1997، و800 ألف مستخدم في الدول العربية، وصل عددهم إلى حوالي 2 مليون و400 ألف مستخدم مع منتصف عام 2000، مع الفرق في الحجم الساعي بين مستخدمي الدول المتقدمة، ومستخدمي الإنترنت في الدول العربية، لعدة أسباب منها:

انخفاض تكلفة الاتصال في الدول المتقدمة، بالمقارنة مع الدول العربية، وضعف البنية التحتية الاتصالية، وعدم انتشار الكمبيوتر في قطاع التعليم وانتشار الأمة الهجائية بالكمبيوتر وانخفاض نسبة الوعي بأهمية الإنترنت التعليمية، والثقافية والعلمية والاقتصادية والسياحية وندرة المواقع العربية.

وإضافة إلى هذه المعايير التي توضح التخلف المعلوماتي في المجموعات العربية، نضيف إليها مميزات، وواقع البحث في المجتمعات العربية التي نلخصه في النقاط التالية:

1- ضعف التمويل: إذ لا يحضى لهذا الميدان إلا القليل لا يتعدى نسبة 0.3%.

2- قلة الأجهزة داخل مراكز، ومؤسسات البحث.

3- قلة المعلومات وانعدام أو نقص في نظم المعلومات داخل مؤسسات البحث، مما يدفع بالباحث إلى الاعتماد على نفسه في الوصول إلى المعلومة، وهذا ما يزيد من أعباءه، وكثيرا ما يجعله في اتصال أكبر مع ما يحدث بالخارج، ويتركه يهتم أكثر بمشاكل لا تهم مجتمعه.

4- الباحث يعاني من نقص حرية الإعلام، وإمكانيات الوصول إلى المعلومات، وبيروقراطية التسيير، بالرغم من أن الوسائل الحديثة للمعلومات قد تمكنت نوعا ما من تكسير هذه الحواجز في هذه البلدان.

5- صعوبة نشر البحوث وقلة عددها.

6- ضعف العلاقة بين البحوث، وقطاعات التنمية لغياب إستراتيجية واضحة مما لا يسمح بانتقال المنتجات المبدعة للاستغلال الصناعي، أو تكون هذه المنتجات غير موافقة تماما للواقع الاجتماعي لهذه البلدان.

7- غياب إستراتيجيات عمل وسياسات محددة للبحوث بخطط ممولة إلى جانب تجاهل أهمية التعاون، وتبادل الخبرات بين الباحثين مما يتسبب في تشتت الجهود، وإهدار الطاقات، والأموال وضعف في الإنتاجية الإبداعية. [452]

والبحث العلمي سواء كان بحثا، أو تطبيقا، ما هو إلا تفاعل مع المعلومات وبلورة لها، من حيث التجمع، والتحليل والاستقراء والنشر، فيستمد من حصيلة المعلومات المتاحة للباحث، ويضيف إليها إنتاجها، المتمثل في تقارير البحوث، والدراسات وخلافه، ومن هنا يمكن النظر إلى البحث العلمي، سواء كان على مستوى الباحث، أو فريق البحث، أو منظمة الأبحاث، بأنه يمثل إدارة واعية رشيدة للمعلومات.

ويوضح الجدول(11) إسهام الدول العشرين الأوائل في الإنتاج الفكري العلمي (1990-1994)

---

[452] مجلة المستقبل العربي، ص 21

Country	N° of papers	%Of world contributions
1- U.S.A	999.835	31.53
2- U.K	240.882	7.36
3- Japan	199.565	6.32
4- Germany	169.859	5.38
5- France	136.779	4.33
6- Canada	118.572	3.75
7- Russia	118.114	3,74
8- Italy	81.869	2.59
9- Netherlands	58.058	1.84
10- Australia	55.973	1.77
11- India	52.376	1.66
12- Spain	46.790	1.48
13- Sweden	44.228	1.40
14- Swizerland	39.618	1.25
Muslim countries	**36.908**	**1.17**
15- China	29.955	0.94
16- Israel	28.109	0.89
17- Belgium	25.873	0.82
18- Denmark	23.150	0.73

19- Poland	21.426	0.68
20- Finaland	18.018	0.57
21-arab countries	**17.432**	**0.55**

المصدر: جلال الغندور، أحمد بدر، ناريمان إسماعيل متولي، السياسة المعلوماتية وإستراتيجية التنمية، ص 17.

مازالت البلدان العربية تسجل تأخرا في المشهد الثقافي العالمي الجديد على رغم المجهودات المبذولة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولعل مؤشر ارتفاع نسبة الأمية ذو دلالة خاصة هنا، إذ هي تقع بين 13% و 56% من إجمالي سكان المنطقة العربية وإذا ما نظرنا إلى موقع الوطن العربي في "السوق العالمية للثقافة" فإننا نلاحظ أن بونا شاسعا مازال يفصلنا عن غيرنا من التجمعات الإقليمية الأخرى.

_جدول رقم (12) يوضح موقع الوطن العربي في مجال الصناعة السينمائية: (مقارنة بين الدول العربية وبلدان أخرى في مجال السينما).

البلـد	السنــة	عدد قاعات السينما	عـدد الكراسي	الإرتياد السنوي بالمليون	المداخيل بالمليون دولار
مصر	1994	137	160000	9,12	37
المغرب	1995	185	1310000	17,3	103
سوريا	1993	55	238000	3,9	12
تركيا	1993	320	_	15	392135
المكسيك	1995	1495	7740000	63	888
فرنسا	1995	4365	9192000	130	4523
السويد	1995	1176	_	15,2	905
و. م. أ	1994	26586	_	1210	5250

– المصدر نفسه.

–جدول رقم (13) يوضح استيراد الأفلام في بعض الدول العربية والأوروبية:

البلـد	السنــة	عدد الأفلام	من و.م.أ نسبة مؤوية
مصر	1994	220	%70 ,9
المغرب	1995	393	%47 ,1
الأردن	1995	271	%65 ,7
لبنان	1993	277	%83
بلجيكا	1995	477	%42 ,8
فرنسا	1995	235	%57
إيطاليا	1995	247	%64

المصدر نفسه.

و يصنف التقرير العالمي للتنمية البشرية العالم إلى ثلاث مجموعات في مجال التقدم التكنولوجي المجموعة الأولى التي تتحكم بشكل مطلق في هذا المجال تسمى بـ "مجموعة القادة" وتصدرها و.م.أ التي يبلغ حجم صادراتها في المواد ذات المحتوى التكنولوجي المرتفع 206 مليار دولار تليها اليابان بـ 126 مليار دولار، أما المجموعة الثانية فتضم البلدان القادرة على

القيادة وتضم 19 بلدا من أوروبا وأمريكا اللاتينية، والمجموعة الثالثة هي مجموعة المستعملين الدينامكيين وتضم أربع دول عربية فقط هي تونس وسوريا ومصر والجزائر، وتشمل المجموعة الأخيرة البلدان التي تقع في الهامش وأغلبها دول إفريقية، ومازال الكثير ينتظر البلدان العربية في مجال تكنولوجيا الاتصالات فهي تقع في آخر ترتيب الدول المستعملة للأنترنات كما يوضح الجدول التالي رقم(14):

المنطقـــــــــــة	1998 (نسبة مؤوية)	2000 (نسبة مؤوية)
و . م. أ	%26 ,3	%54 ,3
بلدان (OCDE) ذات الدخل المرتفع خارج و.م.أ	%6 ,9	%28 ,2
أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي	%0 ,8	%3 ,2
آسيا والمحيط الهادي	%0 ,5	%2 ,3
مجموعة البلدان المستقلة (أوروبا الشرقية)	%0 ,8	%3 ,9
البلدان العربية	%0 ,2	%0 ,6
إفريقيا وجنوب الصحراء	%0 ,1	%0 ,4
آسيا الجنوبية	%0 ,04	%0 ,4
العالم	%2 ,4	%6 ,7

المصدر: Rapport mondial sur le développement humain 2001, paris programme des nation unies pour le développement 2001

الجدول رقم (15):يوضح عدد مستخدمي الأنترنت حسب الجهات (تشرين الثاني/نوفمبر 2000)

البلد	تاريخ الارتباط بالانترنت	نسبة ولوج الانترنت (بالنسبة المؤوية)	عدد السكان (بالملايين)
الجزائر	1994	% 1.52	32.82
العربية السعودية	1999	% 6.00	23.34
البحرين	1996	% 23.6	0.69
مصر	1993	% 0.80	74.72
الإمارات المتحدة	1993	% 35.00	3.34
العراق	1997	% 0.05	27.14
الأردن	1994	% 5.00	5.70

الكويت	1992	% 11.00	2.18
لبنان	1993	% 9.00	4.43
ليبيا	1997	% 0.36	5.50
المغرب	1994	% 1.58	31.69
موريتانيا	1996	% 0.34	2.91
عمان	1996	% 5.00	3.23
فلسطين	1999	% 3.00	3.40
قطر	1996	% 9.18	0.65
السودان	1997	% 0.22	38.11
سوريا	1996	% 1.00	19.23
تونس	1991	% 5.55	9.92
اليمن	1992	% 0.59	16.68
المجموع		% 1.78	314.90

المبحث الثاني

الواقع الإعلامي، والمشهد الثقافي_ المعلوماتي العربي:

عندما تتأمل الخريطة العربية الراهنة للإعلام العربي بكل ما تزخر به من تباينات، وما تعكسه من تناقضات اجتماعية وصراعات سياسية وايديولوجية، تطالعنا حقيقتين، تشير الأولى إلى وجود عدة أنظمة إعلامية قطرية، تتشابه في أنماط ملكيتها، إذ غلب عليها الطابع الحكومي، وبالتالي تحكمها قوانين وتشريعات إعلامية متقاربة إلى حد التطابق، وإن كانت تختلف هذه النظم في توجهاتها السياسية ومنطلقاتها الايديولوجية، التي تتجسد في سياسات إعلامية متباينة.

أما الحقيقة الثانية فتتعلق بالإعلام العربي المشترك وظائفه ومنجزاته وقصوره ومشاكله، ومستويات أدائه عبر أجهزة الجامعة العربية، ومؤسسات التعاون الإعلامي بين الدول العربية، وسوف نعلرض لكل منهما بالتفصيل، وذلك على النحو التالي:

أ). نظم الإعلام القطرية:

أولا: يسود نمط الملكية الحكومية لجميع وسائل الإعلام المرئي والمسموع، ووكالات الأنباء في الوطن العربي، إلا أن الخريطة الصحفية في العالم العربي لا تخلو من بعض الصحف المستقلة، والعديد من الصحف الحزبية التي تعتمد في تمويلها على الموارد الفردية والحزبية، مثال مصر وتونس والمغرب والكويت ولبنان والإمارات.

ثانيا: فيما يتعلق بالقوانين المنظمة للعمل الإعلامي في الوطن العربي، يلاحظ أن الحكومات العربية تحتكر الحق في منح التراخيص للمؤسسات الإعلامية، كالصحف ومؤسسات الطباعة والنشر، مما يضع تحت يدها سلطات كبيرة، تتمثل في تعيين رؤساء المؤسسات الإعلامية، ورسم السياسات الإعلامية، وتحديد الميزانيات.

وقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام العربية إلى هيمنة الطابع الرسمي على الممارسات الإعلامية، ويتجلى ذلك في الصحف التي لا تتسع أغلبها إلا لوجهات النظر التي ترضي الحكومات العربية وتدعم نفوذها السياسي وسلطتها الإيديولوجية، ونفس الشيء يحدث بالنسبة للإعلام المرئي والمسموع، إذ نادرا ما يسمح بإذاعة برامج خاصة بأحزاب المعارضة، أو تحمل روية نقدية للحكومات.

ثالثا: باستقراء قوانين الصحافة والمطبوعات في 15 دولة عربية، اتضح أن هناك ثلاث مجموعات رئيسية، الأولى وتشمل ليبيا والعراق والسودان، وتمارس رقابة كاملة على وسائل الإعلام، وليس لها الحق بحكم القانون أن تعبر عن آراء تتعارض مع وجهات النظر الرسمية، والمجموعة الثانية تشمل دول الخليج وتونس وسوريا، وإلى حد ما الكويت، ورغم اختلاف نظمها السياسية إلا أنها تتقاسم موقفا مشتركا تجاه وسائل الإعلام ، التي يغلب عليها التوجهات الحكومية، وإن كانت توجد بهذه الدول بعض الصحف الخاصة التي تتمتع بالاستقلال القانوني ، ولكنها تعمل على تحقيق أهداف ومصالح مالكيها ، دون أن تسهم بصورة جادة وفعالة في خلق تعدد فكري أو ثقافي، وتتألف المجموعة الثالثة من الدول التي تستفيد من هامش الحرية النسبية ، بما فيها حرية الصحافة، وتشمل مصر ولبنان واليمن، وبدرجة أقل الكويت والمغرب والجزائر، وهناك أربع دول فقط تتضمن قوانينها ودساتيرها نصوصا تحمي حق الصحفيين في الحصول على المعلومات ، تشمل مصر والأردن واليمن والجزائر، ولكن جميع الدول العربية بما فيها هذه الدول الأربعة تفرض السرية على الكثير من المعلومات، التي يمكن تلخصها في 9 أنواع، تشمل المعلومات التي تتعلق بالأمن القومي(المخابرات ووزارات الدفاع)، والمعلومات الخاصة بالمصالح العليا للدولة (وهي مصطلحات مطاطة غير محددة)، وتلك التي تتعلق بملوك ورؤساء الدول العربية والدول الأجنبية، والاتفاقات والمعاهدات والجلسات المغلقة للبرلمانات،

وأنباء التحقيقات والمحاكمات والمعلومات التي تمس الحياة الخاصة للمواطنين، وكل ما يتعلق بالاقتصاد الوطني من ناحية السياسات وإفلاس البنوك، والمعلومات التي تمس المنظومة القيمية والأخلاق السائدة في الوطن العربي.

رابعا: يلاحظ على السياسات الإعلامية في الوطن العربي تركيزها على الجوانب السياسية والدعائية، والتحرك في دائرة الحكام وتسليط الأضواء على أنشطتهم وخطبهم السياسية، وتنقلاتهم، مما أدى إلى إهمال الوظائف الأخرى للإعلام العربي، على الأخص التثقيف والتوعية القومية والاجتماعية.

خامسا: يغلب على أسلوب الخطاب الصحفي في الوطن العربي الطابع الدعائي الإقناعي الانفعالي التقليدي، علاوة على استمرار أنماط الكتابة الصحفية، التي تميل إلى الإثارة والمبالغة والمعالجة الجزئية ذات الطابع السطحي للقضايا والأحداث، هذا في الوقت التي تشهد فيه الصحافة كمهنة وكمهارة نوعية، نقلة عالمية، بحيث أصبحت تعتمد بشكل أساسي على المعلومات والتحليل، والإستقصاءات والحوارات الموسعة وسائر السمات التي لا تزال مفتقدة وغائبة عن الصحافة العربية.

سادسا: شهدت مرحلة ما بعد الاستقلال سقوط النظام الإعلامي العربي في أسر التبعية الإعلامية للغرب (أروبا وأمريكا)، والتي شملت مصادر الأخبار (وكالات الأنباء)، وتكنولوجيا الاتصال المطبوع (الورق والأحبار والمطابع)، أو تكنولوجيا الأقمار الصناعية والحواسب وبذوك المعلومات، كذلك تجلت مظاهر التبعية في اسوأ، صورها في البرامج الاخبارية والدراما والمنوعات، والأفلام، والمسلسلات، والتي استهدفت، ترويض العقل الجمعي وقولبة أنماط السلوك والقيم، مما أسهم في النهاية في تزييف الوعي لدى الرأي العام العربي تجاه القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية والثقافية، علاوة على تشويه الصورة الذهنية عن العالم العربي وقضاياه

وثقافته، حيث قام الإعلام الغربي بترويجها في جميع أنحاء العالم في إطار سلمي مغرض، وقد أظهرت التغطية الإعلامية الدولية لحرب الخليج خصوصا من خلال شبكة CNN مدى اعتماد العالم العربي بصورة شبه مطلقة على التكنولوجيا الغربية في مجال الإعلام والاتصال.

سابعا: لا تزال وكالات الأنباء الغربية تمارس تأثيرها الملحوظ على الإعلام العربي، ويعزى ذلك إلى أنها قد تأسست وتوطد نفوذها في العالم العربي قبل ظهور وكالات الأنباء الوطنية، لذلك خلقت أنماطا لسريان الأنباء، وأرست تقاليد للعمل الإعلامي جعلتها تتمكن من فرض سيطرتها غير المباشرة، حتى على أساليب العمل داخل الوكالات العربية ذاتها، ورغم وجود 23 وكالة أنباء عربية، إلا أن وكالات الأنباء الغربية لا تزال تستأثر بالساحة العربية، بسبب انشغال الوكالات العربية بالترويج للحكومات العربية، والانشغال بمعاركها اليومية ضد قوى المعارضة، المحلية، وضد الحكومات العربية الأخرى، ومما يجدر ذكره أن معظم الوكالات العربية ليس لها مراسلين في معظم أنحاء الوطن العربي والعالم الخارجي، مما يجعلها في حالة اعتمادية كبيرة على وكالات الأنباء العالمية في في متابعة الأحداث الدولية والإقليمية، ومما يجدر ذكره أن جميع المحاولات التي قامت بها اليونسكو فشلت لإقامة وكالة الأنباء العربية " قانا"، أسوة بوكالة الأنباء الإفريقية " بانا"، والوكالة الأسيوية ووكالة أمريكا اللاتينية والكاريبي، وجميعها تعمل على مستوى إقليمي، وقد تعددت صور العجز والقصور الذي تعاني منه وكالة الأنباء العربية، خصوصا أثناء الكوارث والنكبات التي شهدها الوطن العربي في السنوات الأخيرة، ولعل أبرزها حربي الخليج الأولى والثانية، والحرب الأهلية في لبنان.

ثامنا: تسود المركزية في الأنشطة الإعلامية في الوطن العربي، حيث يتركز الإنتاج الإعلامي في العواصم، مما أدى إلى حرمان وعزل سكان الريف الذين يشكلون 80 بالمئة من سكان الوطن العربي، وجاءت الثورة التكنولوجية في الاتصال والمعلومات كي تخلق فجوة جديدة بين

المستفيدين من الخدمات الإعلامية الحديثة، وبين هؤلاء المحرومين منها، حيث أصبح استخدام القنوات الفضائية المحلية والدولية وشبكات المعلومات مقصورا على الأغنياء والقادرين، وأصبحت تكنولوجيا الاتصال القديمة من نصيب الفقراء، مما أدى إلى تعميق فجوة المعلومات بين الذين يملكونها ويستخدمونها (بما يعني ذلك من قدرة للوصول إلى المعلومات والمعرفة) وبين أولئك الذين لا يستطيعون امتلاكها واستخدامها، ويمكن القول بأن الثورة التكنولوجية قد أضافت تصنيفا جدي الوطن العربيإ فأصبح هناك إعلام الاغنياء وإعلام الفقراءن سواء كانوا من المتعلمين أو الأميين في الريف أو الحضر، علاوة على الإعلام المقروء، وأعني به الصحافة العربية، التي تخص المتعلمين فقط.

تاسعا: لقد أدى احتكار الحكومات لصناعة الإعلام والمعلومات في الوطن العربي إلى إعاقة نمو تكنولوجيا اتصالية ومعلوماتية قادرة على تلبية الاحتياجات الإعلامية للجماهير العربية، مما أدى إلى حرمان المواطن العربي من حقوقه في المعرفة والاتصال، وفقدان الإعلام العربي للمصداقية، مما أعطى ميزة تنافسية كبرى لوسائل الإعلام الغربية، التي أصبحت تحتكر الساحة بوكالاتها وأقمارها الصناعية، وأجهزة الكمبيوتر، في غياب أي مواجهة جماعية جادة من جانب الإعلام العربي، وقد كان لذلك تأثيراته السلبية على الأداء المهني للإعلاميين والصحفيين العرب، الذين استلموا للقيود الحكومية، إذ أصبحوا يشكلون جزءا عضويا من أجهزة الخدمة المدنية الرسمية.[453]

إن المشكلات المطروحة اليوم في العالم العربي تتمثل في النقائص التي تميز الوضع الإعلامي السائد والصورة المشوهة الراسخة بذهن المواطن العربي عن الواقع العربي، وذلك نتيجة

[453] عواطف عبد الرحمان:**الاعلام العربي و قضايا العولمة**، سلسلة كتب عربية ،الاردن،2011،ص ص104، 107.

الاحتكارات الإعلامية العالمية، فأول ما يميز الواقع الإعلام عربيا هو اختلال التوازن في تدفق المعلومات على صعيد القطر الواح كجزء ثم على الصعيد القومي ككل، ثم انعدام البنية الأساسية للإتصال بمختلف أشكالها وقلة الموارد البشرية من صحفيين ومنتجين ومخططين وموثقين...الخ، يضاف إلى كل ذلك تعدد الموانع القانونية وسوء تأويل مفاهيم الحرية والمسؤولية الإعلامية، وهذا مرتبط أساسا بطبيعة الأنظمة السياسية.

إن علم التوازن يأخذ صورة هزلية في بعض الأحيان وبخاصة إذا ما تمت مقارنة سريعة بين البلدان ذات الفائض المالي (مثل مجموعة الخليج) وبلدان عربية أخرى مدرجة في قائمة الأمم المتحدة للبلدان الأكثر فقرا (الصومال واليمن)، والموارد الملية الجديدة المتاحة لبلدان العربية لا تفسر وحدها هذا الخلل، فالتقييم التقليدي للبلدان العربية بين بلدان منتجة للنفط غنية وبلدان فقيرة لا ينطبق في الميدان الإعلامي، إذ بجانب العنصر المالي يلزم توفر عناصر أخرى مثل سياسة إعلامية واضحة المعالم وانتشار القراءة والكتابة، ووجود تقاليد صحافية.

إن نسبة تطور وسائل الإعلام في بعض البلاد العربية هي أقل من نسبة النمو البشري، أو حتى الدخل القومي مما يدل على أن مصالح التخطيط العربية لم تعر دائما هذا الموضوع الأهمية التي يستحقها وهو ما يشكل الصناعات العربية لوسائل الإعلام والاصال تكاد تكون معدومة في العالم العربي فنحن نستورد كميات كبيرة من أجهزة الالتقاط الإذاعي والتلفزي وورق الصحافة وغيرها من الموارد الاستراتيجية التي لها مساس بأمن الوطن العربي، وزيادة على الاختلالات المذكورة أعلاه نجد اختلالات بين قطاعات الإعلام المختلفة حيث يتطور انتشار التلفزة بسرعة أكثر من الصحافة المكتوبة أو الكتاب، كما أن هناك جملة من المعوقات الأساسية التي تواجه وسائل الاتصال في الدول العربية، وقد حصرها عبد الله الكحلاوي في أربع نقاط وهي:

أ. الافتقار إلى الموارد البشرية المدربة تدريبا فنيا متلائما مع اتجاهات التنمية وظروف التطور السريع .

ب . الارتفاع في نسبة الأمية، ولعل الأمر الذي يزيده من خطورة هذه المشكلة أن البعض من شبه الأميين هم من العاملين في قطاع الانتاج، وأمام هذه النسبة المخيفة يصبح الاتصال بجميع وسائله عقيما.

ج . فقدان الاهتمام – عند بعضهم– بالتنسيق بين الأجهزة المختلفة المنتجة والتي تساعد على تضافر الجهود للقضاء على الازدواجية والتكرار، وتمكن خطط التنمية من تحقيق أهدافها تحقيقا أكثر جدوى وفاعلية.[454]

من الناقل القول إن حال التردي على المستوى التكنولوجي الذي تعرفه البلدان العربية التكنولوجي الذي تعلرفه البلدان العربية إنما هو نتاج سياسات عمومية إرتكزت في خلفياتها ومرتكزاتها على الخطاب المتبني " للنقل التكنولوجي" الدافع إلى مداه الأقصى، والحقيقة أنه منذ أكثر من نصف قرن والوطن العربي يستجلب شتى مستجدات التكنولوجيا من تقنيات الاستخدام المنزلي إلى الإنترنيت على السرعة مرورا بالتكنولوجيا الحيوية من دون أن يترتب عن ذلك إفراز للبنية تذكر على مستوى المنظومة العلمية التكنولوجية بما فيها منظومة تكنولوجيا والاتصالات.

إن السياسات التكنولوجية في معظم الدول العربية محكومة بعاملين أساسيين: الامل الأول: ينبني على تصور التكنولوجيا بالمحصلة إنما على جمع" ملك كوني مشترك" أسهمت في تصميمه وصياغته وتصنيفه العديد من الحضارات ومن ضمنها الحضارة العربية الإسلامية بنصيب كبير من المعارف الأولية، أو على مستوى الاكتشافات ذات التبعات التقنية المباشرة، أو على مستوى

[454] مصطفى المصمودي :**النظام الاعلامي الجديد**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 94،اكتوبر 1985،ص ص208 ،209.

البحوث النظرية، وبالتالي فإذا كان الغرب اليوم صاحب السبق في هذا الميدان، فإن ما بلغه بحسب هذا الخطاب لم يكن ليتسنى له البلوغ لولا الروافد الحضارية الأخرى التي طعمته منذ البدء وفسحت له المجال للتطور والتقدم .

العامل الثاني ينطلق من مسلمة ما يسمى " استحالة البدء من الصفر"، ومعناه انه نظرا للهوة العلمية والتكنولوجية العميقة التي تفصل الدول المتقدمة عن الدول العربية الحديثة النشأة، فإنه من قبيل إهدار المال والجهد والوقت البحث في تصميم مستجدات تكنولوجية أو تصنيع مستحدثات تقنية إذا كانت متوفرة في السوق العالمي، وبالإمكان اقتناؤها دونما عسر كبير.

و الثابت اليوم هو أن هذه السياسات أضحت في مأزق كبير لاسيما بعدما تحولت التكنولوجيا، وتحديدا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى أداة منافسة كبرى وعنصر تضييق على الدول والمجتمعات.[455]

في خضم مشاكلنا الراهنة نحن في حاجة ماسة لهدي من ثقافتنا، لكننا لا نتورع في وضع الثقافة في ذيل قائمة أولوياتنا باعتبارها أقل أهمية من العوامل السياسية والاقتصادية والأمنية، وطغيان السياسة على الساحة الثقافية العربية كان لابد أن ينجم عنه، نشوء علاقة شاذة بين السلطة والمتفق، فلا زال الكثير من مثقفينا يركزون على الثقافة بمفهومها النخبوي، وغاب عن بعضهم التناقض بين حماستهم للديمقراطية السياسية والبعد الاجتماعي وعدم " دمقرطة" الثقافة، وكم هي متواضعة تلك الجهود المبذولة لنقل الجدل بين الصالونات إلى الساحات، إن مصانع الفكر لدينا متوقفة عن انتاجه، وما ينتج عنه لا يلبي حاجاتنا الملحة، ومؤسساتنا لا تظهر طلبا حقيقيا

---

[3] يحيى اليحياوي :**العرب و شبكات المعرفة،دراسة في الموقع و الواقع** ، مرجع سبق ذكره ،ص ص 99، 100

للمتاح منه، ومخزوننا الفكري مهدد، وعندما يعقدنا عجز معرفتنا وخبراتنا عن استيعاب هذا الفكر الوافد ، أو إقامة حوار متكافئ معه، تتطاول ألسنتا عليه خطأ وإلا فالقطعية الكاملة.

وإذا نظرنا لهذا المشهد القائم من منظور تكنولوجيا المعلومات بدا لنا أكثر تتامة وتأزما، فما أشدها تلك الهوة التي تفصل بين واقعنا الثقافي ومطالب تهيئة مجتمعاتنا العربية لعصر المعلومات والمعرفة، وما أكثر تلك القضايا الثقافية التي لها علاقة بتكنولوجيا المعلومات التي يجب التصدي لها ويمكن أن نحدد أهم هذه القضايا في ضرورة استعادة الثقة الثقافية.

فالقيادات الثقافية العربية لا يمكن أن تحقق دورها المنوط بها دون أن تستعيد ثقتها بنفسها، وذلك لن يكون حسب . بيل علي . إلا بفهم الأهمية البالغة لدور الثقافة في مجتمع المعلومات، حيث ضاقت الحلقة بين السياسة والعلم والأخلاق، وتقاربت مناهج الانسانيات مع العلوم الطبيعية، وطغت على الاقتصاد صناعة المعلومات، وأصبحت المعرفة الثقافية، من أهم مواردها الاقتصادية والخدمات الثقافية هي أهم منتجاتها.

وخير دليل على الأهمية الاقتصادية للمنتجات الفكرية والخدمات الثقافية هو ما أولته لها اتفاقية التجارة الدولية من اهتمام بالغ وردود الفعل العنيفة من قبل المؤسسات الثقافية والسياسية في أروبا ضد محاولات و.م.أ للهيمنة على صناعة الثقافة عالميا.

ومن الجيد توضيح الوسائل التي توفرها تكنولوجيا المعلومات لخدمة الجهد الثقافي الذي يمكن من استعادة الثقة للإدارة والقيادة الثقافية في المصنفات العربية:

1) لكي يدرك المثقف العربي المغزى الحضاري لتكنولوجيا المعلومات بعمق لا بد أن يكون هو نفسه مستخدما لهذه التكنولوجيا ومستهلكا حقيقيا لمنتجاتها وخدماتها، وتختلف تكنولوجيا المعلومات عن سوابقها في أمر أساسي، وهو إمكان تعامل المثقف والمبدع

معها بصورة مباشرة، وهذه العلاقة المباشرة تضفي على الخطاب الثقافي في مجال التنمية المعلوماتية واقعية وعمقا.

2) توفير نظم آلية عربية وثنائية اللغة لزيادة انتاجية المبدع العربي والتي تعرف باسم نظم دعم المؤلف حيث تسهل عليه هذه النظم عملية الرجوع إلى القواميس والمعاجم ودوائر المعارف.

3) أن تقدم شبكات ومراكز خدمات المعلومات، خدمات متخصصة للقيادات الثقافية كل حسب اهتمامه مثل أكاديمية البحث العلمي بالقاهرة، ومؤسسة الملك سعود بالرياض.

4) إقامة قاعة بيانات للطاقة البشرية في مجال الثقافة على مستوى الوطن العربي وكذلك لحصر المؤتمرات والندوات والبحوث التي تناولت الجوانب المختلفة للثقافة العربية.

وسواء كان هدفنا ترسيخ المعرفة أو تأسيسها أو القناعة بتوطينها، لا بد أن يسبق أو يتوازى معه صب هذه المعرفة في لغتنا العربية على حد قول زكي نجيب محمود، إن المثقف والمفكر العربي في حاجة إلى حد أدنى من الخلفية المعرفية، ورغم ضرورة اختلاف مكوناتها مع مجالات اهتماماته، فإن ثمة قاسما مشتركا بين كل التخصصات بدأت تتضح معالمه مع تزايد الاتجاه نحو التلاقح العلمي وافتراض المناهج ما بين العلوم وتأتي المعلوماتية على رأس قائمة بنود هذا القاسم المشترك وعن معوقات تنمية العدة المعرفية ومطالب تحديثها يمكن أن نوجز بعض الوسائل التي يمكن أن تقدمها تكنولوجيا المعلومات في هذا الشأن.

1. إعداد خريطة للمعرفة العربية في وضعها الراهن عن طريق أسلوب تحليل من المراجع المعروفة في علم المكتبات، وكذلك من واقع موضوعات المؤتمرات العربية العلمية والثقافية وعناوين الكتب.

2. استخدام البرمجيات التعليمية لتقديم الخلفية المعرفية الواجبة لفئات المفكرين.

3. استخدام الكمبيوتر في بناء معاجم موضوعية متخصصة تحدد التصنيفات الفرعية الدقيقة لفروع المعرفة المختلفة.

4. استخدام نظم المعلومات لبناء بنوك المصطلحات العربية ودفع الجهد المصطلحي.

5. الاهتمام بما يجري حاليا في الترجمة الآلية خاصة في مجال ترجمة النصوص العلمية وذلك لدفع حركة التعريب.

6. إقامة عدة نماذج لتوضيح كيفية تطبيق المعلومات في توصيف بعض المشاكل ذات الطابع الثقافي.[456]

[456] نبيل علي **: الثقافة العربية و عصر المعلومات**، مرجع سبق ذكره ،ص 304.

المبحث الثالث

الفكر الثقافي العربي و منطق الدفاع عن الهوية الثقافية:

إذا ما فحصنا ممارساتنا الفكرية نجد في الأعم والأغلب، أننا نفكر بمنطق المحافظة والمدافعة، لا بلغة المفهوم ومنطق الحدث، بمعنى أن أفكارنا هي أداة فعل تمليها العقلية الإيديولوجية والمواقف النضالية، أكثر مما هي تحليل للواقع من اجل الانخراط في صناعة الحاضر، والمراهنة على ما يمكن أن يحدث في المستقبل هذه الآلية الفكرية الدفاعية، التي فرضتها المواجهة مع الحضارة الغربية، مازالت تتحكم بالفكر منذ الأفغاني ومحمد عبده، وهي تقوم إما على إنكار ما حققه الغربيون من الانجازات الفكرية، بضرب من التجنيس للأفكار والمفاهيم تمليه المحافظة على التراث والاعتصام بالأصول، أو تقوم على الاستيلاء على الأفكار المنتجة في الغرب ونسبتها إلى الذات بنوع من الإسقاط الفكري تمليه النرجسية الثقافية والعقائدية.

هذا ما حصل فعلا لدى غالبية المفكرين والباحثين الإسلاميين منذ عصر النهضة حتى هذا العصر، عصر الإعلام والعولمة، فإذا قيل بأن الحضارة الغربية تقوم على العقل أو تتصف بالعقلانية كانت ردة فعلنا بأن الإسلام هو دين عقل، مع أن المبدأ والأصل في الإسلام هو الحي لا العقل، وإذا قيل بأن الديمقراطية هي سمة المجتمعات الغربية، جاء الرد بأن الديمقراطية ليست شيئا آخر سوى الشورى الإسلامية، وإذا تحدث الغربيون عن مسألة حقوق الإنسان، نرفع الصوت عاليا، بأن هذه الحقوق هي من صميم الإسلام، وإذا طرحت مسألة حرية المرأة كان الرد أن هذه القضية ليست ذات موضوع، لأن الإسلام قد أعطى المرأة حريتها مع أن مصطلح "الحرية" كمقولة مركزية، أو كمفهوم إجرائي هو من عناوين الحداثة الفكرية، فضلا عن كون المرأة هي كائن اجتماعي من الدرجة الثانية في النظام الحقوقي الإسلامي.

وهكذا فنحن نفتش لكل مقولة ابتكرها الغربيون، عن بديل معادل لها أو سابق عليها أساس لها، ومآل ذلك نفي الصالة والجدة، في المبتكرات الحديثة، وبردها إلى أصول قديمة، أو بالبحث عن أشكالها السابقة وصورها الماضية، وهو في وجهه الآخر تغطية للعجز عن الابتكار، ذلك أن الذي يشغل بعقلية التأصيل، بحثا عن أصل أول، أو شكل سابق لكل فكرة أو صيغة إنما يقيس الأمور على الأصل، أي على ما سبق معرفته أو تقديره، لأخذ ما يتطابق معه أو لرد ما لا يتطابق.

ومن هذا شأنه يهتم بالمحافظة أكثر مما يهتم بالمعرفة، أي لا يهتم بقراءة الحدث، وتشخيص الواقع، لسبر المجهول ومعرفة الجديد، الأمر الذي يجعل من التفكير مجرد ردات فعل غير منتجة، لا تسهم في صناعة المشهد على الصعيد الفكري. [457]

إن شان العامل في ميدان الفكر، أي من يسمى مفكرا أو فيلسوفا على وجه لتحديد، هو صاحب مهنة كغيره من الناس، ومهنته هي الاشتغال بالأفكار، أو في فهم المشكلات والأزمات فالمفكر المبدع تخترنا مفاهيمه، ولو كان ينتمي إلى بلد تقوم بينه وبين بلداننا علاقات صراع وتحديات، فنحن بالرغم من نضالاتنا ضد هيمنة الدول الغربية، ما نزال نعيش على ما ينتجه علماؤهم، ومفكروهم من المعارف والأفكار، فإننا (العرب) نحتاج إليهم بوصفهم منتجين للأفكار، لا بوصفهم مناضلين.

إن أحوج ما نحتاج إليه هو أن نكون منتجين في علوم اللغة، وفروع المعرفة وأن نتخلى عن عملية تجنيس الأفكار التي يلجأ إليها المثقفون العرب في محاولاتهم الفكرية، على ما تنبئنا بذلك عناوين الكتب، والمشاريع القائلة بتجديد الفكر العربي، أو بنقد العقل الإسلامي (أو الغربي)، أو الرامية إلى تأسيس علم اجتماع عربي، أو الباحثة عن طريق للاستقلال الفلسفي، مثل هذه المحاولات بما تحمله من محاولات إيديولوجية، قومية أو دينية، على الأفكار، والعلوم والفلسفات إنما تعرقل عملية الخلق، والفتح، والكشف بقدر ما تغلب على الفكر إرادة الدفاع أو النضال، أو أوهام الهوية والعقيدة. [458]

فالمطلوب هو تحديد أسئلة الفكر، وحقوله أو أدواته وأنظمته أيا كانت التجارب، والمعطيات، وأيا كانت الخصوصيات والانتماءات، المطلوب هو أن تقدم قراءة للعالم تكون على مستوى الحدث.

والحدث هو ما تشهده البشرية اليوم من التحولات الكبرى على غير صعيد وفي غير مجال خصوصا في مجال الإعلام ودنيا الاتصال، حيث تتاح للإنسان إمكانية صنع العالم عن طريق العدد والصرة المفترضة، ولاشك أن هذه التحولات الهائلة تطال الثقافة بقدر ما تغير رؤيتنا إلى

---

[457] علي حرب: **حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية** ، مرجع سبق ذكره، صص 65،66.

[458] علي حرب: **أوهام النخبة: أو نقد المثقف**، المركز الثقافي العربي، الرباط ، 2001، ص ص 159،161.

الفعل الثقافي نفسه، فإذا كان ثمة عالم جديد يتشكل ويصنع بطريقة مغايرة، فذلك يعني من جهة أولى أن هناك ثقافة جديدة ومختلفة يجري إنتاجها، هي الأكثر فاعلية في صوغ ما يصنعه البشر بأنفسهم، وبمحيطهم الكوني، ويعني من جهة أخرى أن علاقتنا بالعالم والأشياء تتغير بقدر ما تتغير أنظمة الثقافة ورموزها، وهكذا فالمسألة الثقافية برمتها باتت موضعا لإعادة النظر، وذلك لإعادة التفكير في دور الفاعل الثقافي، أو لإعادة ترتيب العلاقة بين الفاعل وسائر الفاعلين الاجتماعيين. [459]

أو أن نثير مشكلة وجودية تستأثر باهتمام كل من يقلقه أمر وجوده، أو أن ننشئ علاقة جديدة مع الحقيقة تتيح ممارسة الوجود على سبيل الاستحقاق والازدهار.

إن تعيين المهمة هو الذي يملي صوغ المشكلة: فمن يشتغل في ميدان التفكير، وتكون مهمته إنتاج الأفكار، ومشروعيته تمثيل سلطة أهل الفكر، فإن اشكاليته تكمن في أفكاره بالدرجة الأولى، أي تتجسد في مأزق الأفكار نفسها أو عجز المقولات عن تفسير ما يحدث.

ولهذا فالذي يمارس علاقته بفكره بصورة حية وخلاقة، ليس هو الذي يحرس أفكاره من الوقائع المباغتة، بل هو الذي يدخل على مقولاته بطرح أسئلة الواقع والحقيقة، لكي يفهم ما يحدث مما لم يكن بالحسبان.

إن مشكلة المفكر ليست مع الواقع، ولا مع السلطات السياسية أو الدينية، بل مع الممتنعات من داخل الفكر، أن المشكلات التي يواجهها أهل الفكر مع السلطات والأنظمة هي مشكلات خارجة، سطحية من وجهة نظر فكرية –وتنتصب هنا مشكلة حرية التفكير من سقراط إلى سبينوزا، أو من ابن رشد إلى نصر حامد أبو زيد– وهذه المشكلة هي مشكلة نضالية تتعلق بالجرأة الفكرية أكثر مما يتعلق بالجدة الفلسفية أو الفكرية.

وإذا كانت مشكلة المفكر هي مع أفكاره، فالحلول ينبغي أن تكون فكرية، والمعالجات تتم على مستوى الفكر بالذات، بمعنى أن من يشتغل على الأفكار، وبالأفكار لا يفسر فشل فكرة أو انهيار مقولة، أو تراجع عقيدة من خارجها، بردها مثلا إلى الظرف التاريخي، كالوضع

---

[459] علي حرب، المرجع نفسه، ص 161.

الاجتماعي، أو الحالة الاقتصادية، فيجب أن يعيد النظر في الفكرة ذاتها، أو في طريقة إدارتها، وكيفية التعامل معها في ضوء الوقائع المستجدة على أرض الممارسة. [460]

وهذا شأننا مع فكرة الوحدة على سبيل المثال: لأن فشل مشاريع التوحيد لا يعود إلى الرجعية والامبريالية، بل إلى تعاملنا مع مقولة الوحدة بعقل دغمائي متعلق ضد الأحداث والمتغيرات، أو بفكر أحادي تبسيطي يقوم على نفي الاختلاف والتعدد، في حين أن عمل التوحيد يحتاج إلى عقل تواصلي مفتوح على الآخر، وإلى فكر تركيبي بأخذ بعين الاعتبار تعقيد الواقع، وملابساته، كما يحتاج إلى منطق تحويلي يقوم على الاعتراف بواقع الاختلاف، والاشتغال عليه لإنتاج صيغ وحدودية مركبة من مجموعات، أو مجاميع تنشأ بينها صلات التفاهم والتعارف، أو روابط التبادل والتفاعل.

الفكر الثقافي العربي:

ويعاني الفكر الثقافي العربي من أزمات طاحنة على جميع الجهات، أزمات في فكر اللغة، وفكر التربية، وفكر الإعلام، وفكر الإبداع، والفكر الديني، وفكر القيم، وفكر معالجة التراث، والأدهى هو ذلك الفقر الشديد الذي يعاني منه الفكر الفلسفي العربي، والتنظير الثقافي بالتالي.

وقد استهلك المحللون في وصف راهن الفكر الثقافي العربي مصطلحات التقاعس والسلبية، من تلقين وترديد، وردة ثقافية، وعزلة معرفية، وجمود فكري وانكماش حضاري، وغيبوبة أكاديمية، وغيبية الحوار، وغربة الأصالة وإجهاض الإبداع، وفوضى الساحة الثقافية، لقد تفاقم الوضع حتى بدا في نظر البعض، وكأن الفكر العربي قد فقد الرغبة في إنتاج المعرفة، وكأنه بذلك يؤكد ما زعمه "ماكس فيبر" في تجنيه من أنه لن تقوم للحداثة الإسلامية قائمة، نتيجة لما أسماه بالاستبداد الشرقي، ناهيك عما يشيع في خطاب الإستشراق من مزاعم باطلة عن عجز فكري متأصل في صلب ثقافتنا، متهمين إياها بالسلبية و الآخوية، والانغلاق على الذات، ورفض مبدأ الحوار.

---

[460] المرجع نفسه، ص ص164، 166.

ويرى حسن حنفي "أن الفكر العربي سيظل عاجزا عن الدخول في التحديات الرئيسية في الواقع العربي ما لم يتحول إلى فكر جذري قادر على صياغة مفاهيم جذرية للواقع المأساوي الذي يتفاعل معه، ويعيش فيه ويتطلب ذلك إعادة تأسيس جذوره الثلاث في التراث القديم، وفي التراث المعاصر، وفي الواقع العربي المعاصر ذاته. [461]

ولا يمكن أن تنجح عملية التأسيس تلك إلا بدعم هائل من تكنولوجيا المعلومات، يتعذر من دونه احتواء الكم الهائل من البيانات اللازمة لمتابعة مسارات هذه الجذور تاريخيا واجتماعيا ومعرفيا، مما يجعل هذا الجهد التأسيسي الطموح أكثر طلبا للمعلومات، هو ضرورة قيامه بالعديد من الدراسات المقارنة والتقابلية مع فكر الآخرين، وبخاصة مع الفكر الغربي، وإلا أصبح كما ترى يمنى الخولي: نوعا من التأسيس السلبي لهوية الذات عن طريق نفي الآخر.

إن ما يزيد هذا الوضع البائس لفكرنا الثقافي العربي تهالكا، وتشردا ما يتردد على ساحته من اتهامات متبادلة، فهناك من يتهم الفكر المصري بالشوفينية، وما يتبعها من نزاعات الفرعونية، والبحر أوسطية، إلى حد التشكيك في أصالته العربية، وهناك من يتهم الفكر الخليجي بالقطرية، وشبه الإقليمية، ويصفه بفكر النفط، أو بفكر الرمال والخيام، وذلك لأن أهل المشرق يجهلون فكر المغرب، فبحين يحرص مفكرو المغرب بشدة على متابعة فكر المشرق ولا شك أن لقاء رافدي الفكر العربي المشرقي والمغربي، بكونه واجب قومي وضرورة ايستيمولوجية، هام جدا.

ففكر المشرق ينحو نحو الإبداع والروحانية، في حين فكر المغرب يركز على الدراسات الجادة في مجال الإنسانيات تأثرا بالفكر الفرنسي. [462]

إذا ما اجتهد الفكر العربي الحديث في أيامنا هذه فاجتهاده لا يتعدى البحث في كيفية الإنخراط في دائرة النظام العالمي الجديد أو التفكير في مجابهة بعض مشاكل الواقع الجديد

---

[461] نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص 180.

[462] المرجع نفسه، ص 178.

اليومية وتحدياته الطارئة، بكيفية عملية (برغماتية) تفتقر إلى أبسط أسس التفكير النظرية والتطورات الفكرية المتكاملة. [463]

إن العمل الفكري يأخذ أهميته من جرأته المعرفية النادرة، ولا لأنه يتكلم بطريقة استفزازية على المسائل، أو لأنه يتطرق إلى قضايا حساسة وقوى سلطانية يخشى الناس من التطرق إليها، إن أهميته تكمن في قوة أفكاره بالذات أي فيما ينطوي عليه من الجدة والمغايرة، سواء في الطرح والإشكالية أو في الحقل والرؤية، أو في المدخل والمعالجة.

إن ما يهب العمل الفكري أهميته أن يطرح أسئلة حقيقية، أو يثير مشكلات هامة، أو يجدد في حقل النظر والتفكير، أو يستخدم طريقة فعالة في السبر والمعالجة، أو يتكشف عن ممارسة فكرية مبتكرة، أما أنماط الاستدلال، وسلاسل الأسباب، وبناء الأنساق، وأعمال التنقيب وسواها من التقنيات، فإنها ينبغي أ تقود إلى هذه النتيجة، بحيث يجسد حيوية التفكير، وتنم عن القدرة على الخلق والتوليد للأفكار والمفاهيم، ولقد استخدم أهل الفكر في العالم العربي المناهج الصارمة في بحوثهم ودراساتهم، ولم يتمكن أغلبهم من التوصل إلى اقتراح طريقة جديدة في التفكير، أو استثمار المناهج المقتبسة بافتتاح فرع من فروع المعرفة، مما يشهد على أن خطاباتهم غير منتجة، لا في الحقول والموضوعات، ولا في المناهج والمفاهيم، وآيتهم في ذلك أنهم يعتقدون أن المعرفة هي إنتاج تصورات مطابقة للموضوعات باستخدام مناهج جاهزة للتطبيق.

والحقيقة أننا في تحديات الفكر العربي نواجه جملة من الثنائيات: الأولى هي ثنائية الحاضر والماضي، والثانية هي ثنائية الفكر والواقع، والثالثة هي ثنائية الفرد والمؤسسة.

---

[463] لطفي دبايشي: **الفكر السياسي العربي الحديث: من وهم النهضة إلى زيف الحداثة: الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 191.

1- ثنائية الحاضر والماضي:

إن احد أسباب المعضلة العربية العامة يتمثل في عدم القدرة على ضبط علاقة الواقع الراهن مع التاريخ، وهذه الظاهرة مطردة تتكرر مع كل توتر حضاري يصيب الأمة، فكثيرا ما يتعسف الفكر العربي على الماضي، فيجره إلى الحاضر جرا، وذلك بإسقاط إفرازاتنا الحضارية على المادة التاريخية ولكن يحدث أيضا أن يجنح الفكر المعاصر إلى أن يجر واقعه الراهن باتجاه الماضي، فتختلط عليه السبل، ويحتد الصراع النظري بما لا يخدم مكوناته المعرفية إطلاقا، فتتعقد المسألة الثقافية.

2- ثنائية الفكر والواقع:

تتمثل بصفة خاصة في أن علاقة العلماء والمثقفين بواقعهم العيني علاقة غير متوازنة، فرجل الفكر كثيرا ما ينظر إلى محيطه نظرة يحركها النقض والاستعلاء، فهو لا يرى واقعه إلا سلسلة من خيبات الأمل، ولذلك ينفصم عنه، ومن جهة أخرى كثيرا ما ينظر الناس –من خلال الواقع التاريخي– إلى رجل الفكر نظرة مبنية على المغالاة، وعلى عدم فهم الوظيفة الحقيقية، فهم يضخمونها بحسب مقاصدهم، ولذلك يقسون حيالهم قسوة عاتية فيحكمون عليها حكما قاطعا لأنها لم تحقق لهم المعجزة المرتقبة.

3- ثنائية الفرد والمؤسسة:

وهي التي تؤدي إلى تقابل بين قمة الهرم المكون للمجتمع وقاعدته، وكثيرا ما تنعكس هذه الثنائية سلبا على العلاقة القائمة بين السلطة وشرائح المجتمع: والذي يجعل من هذين الطرفين ثنائية ضدية هو أن واقعنا العربي لم يفرز إلى حد الآن صورة واضحة لتبادل الأدوار بينهما، فلم يعد كل طرف على وجه التحديد ما ينتظره من الآخر، ونتيجة لذلك لم يحصل في أغلب الأوطان العربية أي عقد بين قمة الهرم الاجتماعي وقاعدته، وإذا ترجمنا هذا إلى العبارات المتداولة قلن إن قواعد اللعبة الحضارية في جل مجتمعاتنا لم يكتب لها إلى حد الآن أن تتضح عند كل هياكل المجتمع بنفس المقاييس، وفي نفس اللحظة التاريخية، لا بإتفاق صريح، ولا حتى باصطلاح ضمني، فالأزمة –إن تعين الحديث بهذا اللفظ المتداول– تكمن في أن كل هذه الثنائيات في الواقع العربي عموما هي ثنائيات فاصمة، لأنها على الماضي، ومولدة له باستمرار،

فالحاضر غير متصالح مع الماضي سواء في وعينا الجماعي أو في اللاوي الفردي والفكر غير متصالح مع الواقع سواء في اجتهاداته النظرية أو في إسقاطاته الإجرائية، والفرد غير متصالح مع المؤسسة لأنه لا يسلم تلقائيا بسلطاتها عليه ولأنها لا تقر من جهتها بثقله عليها.[464]

لا تكاد تخلو صحيفة أو دورية عربية من مقالات أو أبحاث تتناول ظاهرة العولمة وانعكاساتها على الهوية القومية والحضارية، في حين انعقدت عشرات الندوات في الساحة العربية تناولت الظاهرة نفسها من ذات المنطلق والمرجعية، وكما يتضح من هذه الموضوعات فإن الهم المهيمن على اهتمامات المفكرين العرب يتعلق في مجمله بما تطرحه الظاهرة من إشكاليات ثقافية وأنماط استجابة في السياق القومي، تحسبا لما تقتضيه العولمة من اختراق للحواجز والحدود، في المستويات المختلفة بما لها من آليات تنميط وتقريب ناجحة وباعتبار تداخلها ومؤشرات الوضع الجديد المنطبع بالأحادية القطبية والأمركة المعممة.

ودون الخوض في هذه الأبعاد الفسيحة المتداخلة نشير إلى ثلاثة من الانزياحات التي ترتبط بظاهرة العولمة وتستوقف اهتمام المفكر العربي.

1- الانزياح: المتزايد بين وشائج الانتماء القومي والثقافي وطبيعة الأوامر وأوجه الارتباط المنجرة عن توحد السوق الرأسمالية وتوظيفها للتقنيات الاتصالية الراهنة، وينعكس هذا الانزياح في مستويات عديدة، من بينها ما يتعلق بمنزلة الدولة.

الأمة التي ظهرت في سياق حركية العصور الحديثة وأرست مفهوم المواطنة السياسية وبلورت آليات الدمج الاجتماعي الفاعلة، كما أبدعت النظم التمثيلية الديمقراطية.

وبطبيعة الأمر يتعرض نموذج الدولة- الأمة للوهن والتراجع لأسباب موضوعية تحصر عادة في ما تقضي إليه ظاهرة العولمة من تفويض للخصوصيات الوطنية ومحو للهويات القومية، والواقع أن تراجع هذا النموذج قد انعكس في ديناميتين مترابطين: الأولى الاتجاه نحو التكتل الإقليمي، والثانية الاتجاه نحو القولية الشمولية، مما يطرح في الحالتين سؤال العلاقة بين المنطق القومي للدولة المدنية والأساس الوظيفي النفعي (الاقتصادي) لاتجاهي التكتل الإقليمي والعالمي.

---

[464] عبد السلام المسدي: **العولمة والعولمة المضادة**، شركة مطابع تونس، يناير، 1999، ص ص28،29.

ومن آثار هذه الإشكالية عجز الدولة الوطنية المتزايد عن التعبير عن هوية قومية وثقافية جامعة، مما يفسر ظواهر انفجار الخصوصيات الضيقة حتى في البلدان الغربية الكبرى التي تعرف تناميا للتيارات القومية المتطرفة والطوائف الدينية الغربية المنغلقة.[465]

في الوقت الذي تحول خط الصراع الإديولوجي من قسمة اليمين واليسار إلى خط التمايز بين الدعوة إلى "القيم الجمهورية" (التعلق بالأمة في حدودها السياسية والقومية) وتبني النظرة الكونية الشمولية (تعويض القيم القومية بقيم عالمية جماعية تتناسب وعصر العولمة) إن هذا الإشكال بات ينعكس في الساحة العربية بحدة مضاعفة حيث تتزايد الخشية من تأثيرات القولبة الشاملة على واقع الكيانات القطرية الهشة في غياب نظام إقليمي عربي فعال، وتتأرجح الكتابات القائمة على التبشير بالخطاب الكوني الجديد من منظور القيم الذي يسعى إلى تعميمها (الليبرالية، الاقتصادية، الاندماج في الدورة الاقتصادية العالمية، احترام التعددية والاختلاف.....) ورفض هذا الخطاب ومحاربته من منظور الاحتماء بالهوية الثقافية والحضارية. [466]

2- الانزياح بين الثورتين التقنية الأولى والثانية: أي ما تفضي إليه الثورة التقنية الجديدة المرتكزة على التقنيات الاتصالية والتصرف في الميراث الجيني، وعلى الرغم من اختلاف المجالين، فإنهما يلتقيان من حيث الدلالة الإبستملوجية في الانتقال من حقل الطبيعة مادة للتجريب والاختبار(أرضية العلوم الفيزيائية الحديثة) إلى حقل الإنسان سواء من حيث توظيف المعلومة والذكاء الاصطناعي أو استخدام الجينات البشرية مادة للبحث والتصرف الانتقائي (مؤشرات الاستنساخ).

إن ما تقضي إليه هذه الظاهرة يتجاوز ما كان ألمح إليه فلاسفة "مدرسة فرانكفورت" من تمديد مشروع غزو الطبعة والسيطرة عليها إلى الأرضية المجتمعية بتكريس "الهيمنة الرخوة" و "استعمار المعيش" حسب إصلاحات "يورغن هابرماس، ويرتبط بهذا التحدي كل ما يتصل بالأبعاد الإيكولوجية والصناعة العسكرية التي تحولت من وظيفتها الحربية التقليدية (التغلب على العدو) إلى وظيفة ردعية مستقلة عن الرهان العسكري العيني (الحرب التكنولوجية الصماء التي تستهدف البنية التحتية والمدشين العزل لفرض إرادة القوى المتحكمة دوليا).

---

[1] السيد ولد أباه: **اتجاهات العولمة وإشكالية الألفية الجديدة**، المركز الثقافي العربي، ص ص172، 173.

[466] المرجع نفسه، ص 173.

هذه الإشكالية التي تتصل بثنائية المعرفة والسلطة في حقبة العولمة لم تتجاوز في الحيز الفكري العربي ردة الفعل الإيديولوجية المتسرعة، إما بالتستر السطحي بأفاق الثورة التقنية ورفع شعار اللحاق بها والانجراف وراءها على نمط بعض الأدبيات المستقبلية الرائية التي تستند إلى مستنسفات مألوفة دون التفكير المتمعن في الأسس الإبستمولوجية والنظرية للتحولات التقنية، أو بحصر الاهتمام في خلفياتها وآثارها السلبية الآنية، بالتركيز على أبعاد المعايير والقيم المختلفة عبر خطاب أخلاقي يستند إلى كتابات المفكرين الغربيين أنفسهم في نقدهم لتجاوزات واختلافات الحضارة التقنية إرضاء لغرور الذات وتعويضها عن الهزيمة والوهن. [467]

3- الانزياح المتزايد بين طرفي المعمورة: الشمال الغني بثرواته المالية والعلمية والعسكرية والجنوب المنكوب الذي يمثل ثلاثة أرباع سكان العالم، بما فيهم العرب وتبدو خطوط التمايز بين العالمين في مختلف المستويات، فتبرز اقتصاديا في النمو المطرد للمنظومة الرأسمالية الموحدة التي تكاد تنحصر في الفضاء الغربي، في الآن الذي انتكست تجارب النمو في شرق آسيا وسقوط نموذج "النمور" الواعدة، وأخفقت أشد الإخفاق خطط النمو في البلدان الإفريقية والأمريكية اللاتينية، وتزايدت فيها وتيرة الفقر والمجاعة والأمية والأوبئة.

وفي المستوى الإستراتيجي، في حين توصل الفضاء الغربي إلى إقامة تكتلات إقليمية ناجعة وطدت السلم والاستقرار والرفاهية داخل بلدان العالم الشمالي، يشهد المجال الجنوبي مزيدا من التفكك الداخلي والإقليمي وشللا واضحا لمختلف التنظيمات الاندماجية التي نشأت فيه خلال العقود الماضية، ومن أبرز مؤشرات هذا الانزياح التقلص الفادح للقيمة الإستراتيجية لبلدان الجنوب بعد انحسار الصراع الطبقي السابق بحيث غدت متروكة لمصيرها البائس، باستثناء عدد محدود من القوى الإقليمية التي ترشح مناطق عازلة بين العالم الغني المتقدم وعيوب "الفكر والتخلف" ولا شك أن هذا الجانب قد استأثر باهتمام المفكرين العرب، خصوصا بعض الاقتصاديين البارزين من المدافعين عن نهج "التنمية المستقلة"، وفك الارتباط مع مراكز المنظومة الرأسمالية، بيد أن أعمال هؤلاء المفكرين ومقارباتهم قد طغت عليها الهموم الإيديولوجية الآنية التي لا طعن في شرعيتها.

---

[467] المرجع نفسه، ص 175.

فسؤال العولمة لم يتجاوز في الفكر العربي لم يتجاوز قيود الأرضية الصراعية (الدفاعية) بالنظر إلى هذه الظاهرة الجديدة كعقيدة أو رؤية تبشيرية، في حين أنها مؤشرات من مؤشرات تركيبة العالم الحديث، سواء عنينا مقوماتها الموضوعية أو نمط تمثلها، واستنباطها الإيديولوجي، ولا يزال هذا الفكر بعيدا عن مقتضى الإسهام الإيجابي الفعال في صياغة عالم يتشكل بوتائر واتجاهات متمايزة ومتعارضة، أي بعبارة أخرى إن الشرط الأول لبناء موقف قومي من ظاهرة العولمة، وهو استيعابها فكريا ومؤسسيا، وهو المجهود الذي مازال غائبا إلى حد بعيد. [468]

يفترض التعامل الناجح والمتوازن مع العولمة والتحديات التي تطلقها تبدلا أساسيا في توجهاتنا، ومواقفنا النفسية التقليدية، وفي مقدمة ذلك التخلي عن المواقف الدفاعية التقليدية لصالح مواقف تقوم على الثقة بالنفس والمستقبل، وتبني مبادرات إيجابية بناءة، بهدف تعديل النظام العام الذي نعيش فيه، وتطوير التعاون الجماعي الذي يمكننا من تحقيق هذا التعديل، وهذا يستدعي أن نعترف بقصور أنظمتنا الاجتماعية والثقافية والانطلاق من هذا القصور نفسه من أجل احتلال مواقع العالمية، واختراق الهامشية وكسر آليات التبعية، نحو المشاركة الفعلية والفعالة في الجهود الحضارية الإنسانية.

إن هدفنا العلمي والواقعي ينبغي أن يكون الخروج من الهامشية نحو الفعل والمشاركة بقية الثقافات الإنسانية الحية، والعاملة من أجل العمل على تفويض أسس السيطرة الثقافية الأحادية، وتعزيز إطار التعددية الثقافية، الكونية في إطار الاحترام والتعاون والتفاعل المثري.

إن موقف رفض السيطرة الثقافية، والكشف عن آليات التبعية، وتشديد الصراع ضدها، هو المنبع الرئيسي لإرادة الاستقلال والمشاركة الحضارية الفعالة، ومن دونه لن يكون في مقدورنا بناء أي ذاتية فاعلة، أي مشروع خاص يقتضي الوعي والإرادة والموارد الثقافية الخاصة للمشاركة في الحضارة.

لكن وضع هذا الصراع في إطار الاعتراف بقصور ثقافتنا وتنظيماتنا، هو الذي يدفعنا إلى توجيه القسم الأكبر من نشاطنا ضد الهيمنة الثقافية، نحو بلورة حلول مبدعة وجديدة لمشاكلنا الثقافية، أي لا عادة بناء الذات، لا الدفاع عنها والتغزل بمزاياها، والاعتزاز لماضيها، والتشهير بخصومها.

---

[1] السيد ولد أباه، مرجع سبق ذكره، ص177.

إذا استبد بنا هوس الدفاع، والممانعة والمصارعة نسينا أنفسنا، وبقينا كما نحن، سعداء بجهلنا، وتخلفنا، وإذا دوخنا سحر الثقافة المسيطرة، ذبنا في غيرنا وفقدنا هويتنا و لا يمكن أن نربح الصراع ضد السيطرة الخارجية إلا بقدر ما ننجح في أن نمنع هذه السيطرة من أن تكون هاجسنا أي أن تسيطر علينا كليا– فهذه المسافة النفسية التي ينبغي أن تضعها بيننا وبين السيطرة الخارجية هي التي تمكننا من إدراك نسبة الصراع وتحقيق الحد الأدنى من الاستقلال عن الذات، وعن الآخر معا.

كما لأن الدفاع عن هويتنا لا يتحقق من خلال الحفاظ عليها كما هي، أي عن هوية الماضي، ولكن من خلال إعادة بناءها من أفق المستقبل، وفي إطار العولمة أو الثورة العلمية والتقنية، أي بناء العالمية فيها، فإن ربح الصراع مع الآخر، والرد الإيجابي على الهامشية، والاستبعاد من العالمية يحتم الانتقال من موضوع السيطرة الخارجية من إستراتيجية التصدي والمقاومة والاحتجاج إلى إستراتيجية العمل مع القوى الأخرى في النظام العالمي على تفكيك بنية السيطرة العالمية وإعادة بناء العالمية من أفق التعددية الثقافية. [469]

هل يرجع هذا الاختلاف إلى (خصوصيات ثقافية) أي إلى قدرة الثقافات (غير العربية) على الصمود؟ أم يرجع إلى أشكال التوسع الرأسمالي الذي أنتج تفرقة أساسية جديدة....وتضادا بين مراكز وأطراف المنظومة (النظرة الثانية).

لقد أدى التوسع الرأسمالي إلى ظهور تناقص جديد بين طموحات إيديولوجيا النظام وإعلانها بالعالمية من جانب وواقع الاستقطاب الذي ينتجه هذا التوسع من الجانب الآخر فيفرغ هذا التناقض القيم التي تدو إليها الرأسمالية الحديثة وهي (الفردية– الديمقراطية– الحرية– المساواة– العلمانية– ودولة الحقوق...) من كل مضمون ملموس حقيقي، حتى تصبح في عيون الشعوب ضحايا النظام، أكاذيب أو على الأقل قيما خاصة بالغرب، لهذا التناقض طابع دائم يصاحب تاريخ التوسع الرأسمالي منذ نشأته.

وفي هذا الإطار يصبح مبدأ تفخيم (الاختلاف) مفيدا، طالما أن الاعتراف بالاختلاف يرافق تنازل ضحايا النظام عن طموحاتهم في مجالات الديمقراطية والحرية والمساواة والفردية وإحلال قيم خصوصية مزعومة محلها، تؤدي دائما إلى أن تكون مضادة للأولى فالنزعة الثقافوية

---

[1] برهان غليون، سمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص ص 56،58.

تخدم أهداف الاستعمار، الخطابان الاستعماري والثقافوي يسيران جنبا إلى جنب دون تناقض بينهما– من جانب يعلن خطاب الاستعمار بغطرسة كون المعادلة التي اكتشفها الغرب(فالاستعمار يفتخر فعلا بغربيته) من أجل إدارة الاقتصاد من خلال السوق، والسياسة من خلال الديمقراطية والمجتمع من خلال الحرية الفردية)، معادلة نهائية حتى يتعذر تجاوز حدودها.

ويجهل هذا الخطاب التناقضات التي يمكن ملاحظتها في كل مكان أو ينسبها إلى قوى "غير عقلانية" لأنها ترفض العقلانية الرأسمالية، وفي هذا السياق تصبح الشعوب غير الغربية أمام خيار ثنائي الأطراف، لا احتمال ثالث لهما.

فإما أن تقبل "القيم الغربية" كما هي في الرأسمالية القائمة بالفعل– أو أن تنغلق في خصوصياتها الثقافية الموروثة من تاريخها السابق (إذ أن انغلاق الشعوب غير الغربية على خصوصياتها الثابتة المزعومة يجعلها غير قادرة على مواجهة تحدي العصر). [470]

إذا تأملنا اليوم ملامح هذا الحاضر الثقافي العربي– لتبينا بعدين أساسيين يسيطران على هذا المفهوم، وإن اختلف الأمر من مستوى إلى آخر بين هذا البلد العربي أو ذاك.

البعد الأول:

هو استمرار التراث العربي الإسلامي القديم متمثلا في الدين واللغة، والإحساس بوحدة الهوية التاريخية، وهي وحدة يمتزج فيها الوجدان القطري بالوجدان العربي، بالوجدان الروحي والديني، كما تتنوع فيها مستويات التحديث السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي والثقافي مع بقايا العشائرية، والقبلية والتسلطية الأبوية، والتخلف شبه الإقطاعي مع سيادة التخلف الإنتاجي واستشراء الهشاشة الفكرية التي تتراوح بين الفكر السلفي الجامد، والرؤية التجزيئية الإنتقائية النفعية، وروح المتاجرة والربحية السريعة، فضلا عن الفساد المؤسساتي الذي يضاعف من تخلف مؤسسات السلطة نفسها.

في إطار أنظمة حكم تسلطية تشكلت جميعا من أعلى، تحكم وتتحكم باسم منظومة إيديلوجية تتألف من رؤية دينية طقوسية، ورؤية قومية دعائية، تضمر خلاف ما تصرح به، فضلا عن سيادة نمط إنتاجي رأسمالي رث، يغلب عليه الطابع التجاري والربيعي التابع، وبالتالي انعدام أي خطة لتنمية شاملة سواء داخل البلد العربي الواحد، أو بين البلدان العربية جميعا،

---

[1] سمير أمين، ص 98.

وذلك اكتفاءا بعمليات متناثرة مبعثرة من النمو البذخي، أو التي تعبر عن المصالح الذاتية الخالصة، هذا مع المفارقة الصارخة، بين أكثر البلدان العربية ثروة، وأقلها حداثة وتحديثا من الناحية الإجتماعية والثقافية من ناحية– وبين أقل البلدان العربية ثقافة وأكثرها حداثة وتحديثا من ناحية أخرى في أغلب الأحيان.

البعد الثاني:

يتمثل في استمرار، وتفاقم هيمنة رأس المال المعولم، سواء من حيث الهيمنة المعنوية لم يتضمن ذلك من مفاهيم، وقيم ورؤى وأساليب حياة وتكتلات تجارية واقتصادية واجتماعية، وأنماط إعلامية وتعليمية وفكرية وعلمية وتكنلوجية وفنية وقيمية، إلى جانب الهيمنة السياسية، والاقتصادية، بل الوجود العسكري المكثف –المدفوع الأجر– باسم حماية البلدان العربية بعضها مع بعض، في الوقت الذي يتم فيه محاصرة بعض البلدان العربية، عن طريق البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، هذه السياسات التي تضاعف من تبعية البلدان العربية وتوقف إمكانيات نموها المستقل وتواجدها –أو على الأقل تناسقها وتكاملها اقتصاديا وتجاريا. [471]

قد يكون مقبولا في البداية، القول إنه من غير الممكن تبني الأشكال والتعبيرات والهيكل العام للاتصالات الرأسمالية الغربية دون المساس بها بوصفها نموذجا ملائما للمجتمعات التي تنشد التحرر الثقافي برغم أن هذا النموذج يطرحه باستمرار المحللون والباحثون ولا يعد من اليسير تجاهل نظام الاتصالات الغربي وما ينتجه فهذا النظام قوي ويحوز الوسائل التي تمكنه من تقديم ذاته ومنتجاته على نطاق شامل، وفضلا عن ذلك فإن المهارة الفائقة للآلات مقرونة بالمواد المكلفة والمصنوعة بمهارة تجعل العملية بأسرها تكتسب جوهر الحداثة والقوة والجاذبية بحيث تبدو أشكال الاتصال الأخرى، ولو قورنت بغيرها بدائية وتخطاها الزمن بصورة لا أمل فيها، ويدرك أولائك الملمون بالتسويق الأمريكي مدى الاهتمام الكبير الذي يولي للمظهر الخارجي: التغليف، التصميم، اللون، الحجم، الطباعة، الشكل وكثيرا ما يتفوق أسلوب المحتويات على المضمون ولا يمكن تجاهل التميز بين المضمون والشكل في نظام الاتصالات أيضا،

---

[1] محمود أمين العالم: **المشهد الفكري والثقافي العربي: الثقافة العربية: أسئلة التطور والمستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت ،2003، ص ص 13، 14.

ويجب أن يتركز الانتباه على المحتوى والوسيلة التي حقق بها نجاحه، وإذا ما أمكن إدراك هذا الأمر وفهمه، فإن المقدرة على تقيم النموذج الغربي للاتصالات سوف تشحذ بدرجة هائلة.

ويزعم البعض أن إظهار أية إمارة تساند التكامل الثقافي إنما يعد بمثابة دفاع عن الموروثات وتدعيم أكثر العناصر محافظة وقمعا في المجتمعات الفقيرة، وطبقا لما يراه الفريق المؤثر للغاية من علماء الإعلام والاتصال الأمريكية فإن وسائل الإعلام الغربية هي أدوات الحداثة والتغيير الاجتماعي، وتعني مقاومتها معارضة العصرية والمصادقة على النزعات التقليدية والأمية والتخلف.

وقد لاحظ "فانون" منذ سنوات مضت أنه لا يمكن أن تعد الثقافة أثرا متخلفا من الزمن الغابر أو قطعة من متحف، شيئا سيخرجه المتعبد من المقابر ويحفظه في صندوق زجاجي، ويرى "فانون" وغيره من الكتاب الثوريين أن تنمية وحماية ثقافة الشعب إنما يتحققان أثناء عملية النضال، وهذه الثقافة لم تحفظ وتقدس، وإنما صهرتها المواجهات والمعارك اليومية التي تدور رحاها مع المسيطرين المحليين الأجانب.

واختبارها إذا كان الدفاع عن السيادة الثقافية يتيح تدعيم الموروث الرجعي أمر بسيط للغاية، فعملية التحرر الثقافي الاتصالي تتعارض مع السلطة القمعية والهيمنة بغض النظر عن ممارستها من خارج البلاد أو من داخلها، ويتحدى المدافعون عن الوضع الثقافي الراهن أحيانا السلطة الخارجية من أجل الإبقاء عن وضعهم المتميز، غير أنهم يكفون عن المقاومة عندما ينتقل النضال إلى داخل البلاد ويتم تحدي امتيازاتهم. [472]

يستحيل الاستبعاد التام للموضوعات الإعلامية الاتصالية المحلية في العصر الراهن الذي يتسم بالاقتصاديات المتشابكة والأجهزة الإلكترونية القوية التي تبث على نطاق المعمورة والأمثلة القليلة الفعلية على الاكتفاء الذاتي في الخمسينيات والستينيات حالة استثنائية ولعلها لن تتكرر، لقد ظلت الصين في عزلة تامة لمدة 25 عام عن المعلومات الغربية وقد تحقق لها ذلك بفضل وضعها الجغرافي ولغتها والعداوة المتواصلة للولايات المتحدة الأمريكية كما أن كوبا رغم أنها لم تكن معزولة تماما عن تحرش الرسائل التي تبثها أمريكا الشمالية في الفترة التي أعقبت الثورة

---

[1] هربرت شيلر، ترجمة وجية سمعان عبد السميع: **الاتصال والهيمنة الثقافية**، مكتبة الأسرة الهيمنة المصرية العامة للكتاب، ط1 2007، ص ص 114، 115.

الكوبية، قد توفر لها مجال (حيز) ثقافي غير عادي لمدة 15 سنة بسبب الخطر الذي فرضه عليها جارها القوي الذي لا يبعد أكثر من 90 ميلا.

ومع ذلك فإن الاكتفاء الذاتي الشامل كسياسة ثقافية أمر غير واقعي وينطوي على إنكار الذات، ولا تكمن بدائل الهيمنة الثقافية الخارجية في هذا الاتجاه، ولا ينبغي أن يعتبر هذا القول بوصفة مصادقة غير معلنة على مبدأ الاحتكار الإعلامي المتمثل في التدفق الحر للمعلومات، وإنما ينأى عن ذلك، وهو يعني على وجه الدقة ضرورة الوعي بالوقائع التكنولوجية الجارية والحرص على مستوى رفيع من الانتقائية الواعية، ومواصلة الجهود المبذولة في سبيل التعبئة الشعبية للأنشطة المحلية الثقافية والإعلامية.

في تقرير قدم إلى مؤتمر ثقافي عقد في هافانا سنة 1971، شدد على سياسة الاعتماد على الذات في ممارسة الأنشطة الثقافية الوطنية، بوصفها الأساس الذي يقوم عليه الاستيعاب الانتقائي للثقافة العالمية، وضح أن "التقدم التكنولوجي المطرد الذي تحوزه وسائل الاتصال الجماهيري وإمكانياتها اللامتناهية، يضطر مجتمعنا الثوري إلى مكافحة تلويث الجو بالأيديولوجية الإمبريالية عن طريق إيجاد الموارد الإيديولوجية المضادة، وما يسمح به الواقع البديل هو النضال وليس التطهير من الجراثيم، ومن هنا تبرز الحاجة الماسة للانخراط بصفة منتظمة في سلسلة من النقاشات والتحليلات والدراسات والتقديرات على النطاق العام بحيث تصبح قادرة على أن تواجه بصورة تقدير كل شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية".

ولا يعد الاكتفاء الذاتي سياسة عملية (باستثناء عدة دول قليلة تتمتع بما يكفيها من الموارد الطبيعية واللغوية والجغرافية)، وفي ذات الوقت تتضاعف الضغوط النابعة من التغلغل الثقافي الإعلامي المتعمر وغير المنتظم أيضا، وأن النضال الثقافي الذي يتسم بدرجة كبيرة من الوعي والشمول هو الذي يستطيع وحده أن تستبعد التحريب الإيديولوجي والهيمنة الثقافية، وهو ما يتضمن مع ذلك أحد المبادئ الأساسية للمقاومة ألا وهو إعادة تفسير التاريخ الذي أصبح متاحا للشعب من زاوية طبيعية. [473]

ويمكن أن تشكل كيفية النظر إلى التكنولوجيا مشكلة من أهم المشكلات التي تواجه أولئك الذين يهتمون بخلق سياسة اتصالية عاملة على التحرر، لأن التكنولوجيا تتفاعل مع كل جانب

---

[1] هربرت شيلر، ص ص 116، 117.

من جوانب الوعي المعاصر، فالتكنولوجيا منذ بداية نشأتها حتى استخدامها تقع في معظم الأحيان في قبضة قطاع أو آخر من قطاعات الطبقة المسيطرة حاليا على النظام الاجتماعي، وتؤثر هذه السيطرة تأثيرا مباشرا على طبيعة المعدات أو العمليات الجديدة وتطبيقها واستخدامها، وما يدخل عليها من تعديلات مبكرة وتطورها، ولا يعني هذا الإصرار على ضرورة تفادي التكنولوجيا الجديدة أو رفضها أو الحط من شأنها عند إعداد السياسات الاتصالية التي تستهدف المعاونة في تشكيل الوعي النقدي، وكما أن الاكتفاء الذاتي لا يمكن أن يكون مثمرا في حد ذاته، فإن الرفض الجزافي للتكنولوجيا هو إقرار بالعجز والتقاعس، وما هو مطلوب هو أن ينتشر الوعي عبر قطاع واضعي القرارات بأسره بأن التكنولوجيا تركيب اجتماعي، فهي ليست محايدة إنما تحمل سمات النظام الاجتماعي الذي أنتجها، وإن أقل ما يمكن أن تفعله الشعوب التي تتوجه نحو إقامة علاقات اجتماعية جديدة هو أن تفحص وتقدر وتناقش بتأن بالغ جدوى تبني أو إدخال أو تعديل هذه الأداة أو العملية أو الوسيلة أو التكنولوجيا التي تستمدها من مجتمع "متقدم".

لكن مما يدل على قوة الهيمنة المعاصرة أن معارضة تسلطها توصف بالرجعية ويعدم مسايرة التقدم، وإذا ما جرى مثلا تحدي عملية التدفق الحر للمعلومات الذي تعالجه وتنقله حفنة من الشركات الثقافية التي تتبع قلة من الدول الغربية، فإنه يزعم أن الحرية نفسها عرضة للأخطار والمهالك. [474]

ومن تم فإنه من المفيد لأولئك الذين يقاومون نظام الهيمنة أن يسلمو بالقوة التي تضفيها السيطرة على عملية التعريف والتحديد، ومما يثير اللبس وسوء التوجيه، وإن كان أمرا محتما أن أولئك الذين يناضلون في سبيل الوعي النقدي يصنفون دوما في أدوار معينة وتلصق بهم مفاهيم، هي على النقيض مما يأملون في تحقيقه فعلا، والتسميات الزائفة ونسبة أهداف مشوهة غليهم هي دوما من صنع أجهزة المهيمنين المشكلين للوعي.

كل حديث عن فعل الممانعة الثقافية حديث عن مسائل ثلاث في العلاقة بين المحلي – الذي تدافع عنه الممانعة تلك – والكوني الذي تفترض فيه مغايرة تهددها .

---

[18] المرجع نفسه ، ص ص 119، 120.

وفي الأساليب المختلفة التي تسلكها عملية الممانعة الثقافية أو الأشكال التي تتمظهر فيها ، ثم في التقوم الذي قد تصل إليه (الممانعة) فتحددها كفعل ثقافي تاريخي مشروع أو كفعل سلبي انتحاري .

إن الممانعة الثقافية – بهذا المعنى – محكومة بآليتين : الدفاع الذاتي المتحرك والدفاع السلبي المنكفئ ، الأول شرعي لأن طبيعة أي ثقافة تخوض المنافسة وما يزيد من شرعيته أنه لا يتحذق وراء تحصينات ماضوية بل يتحرك إلى مناطق الخصم ويتعلم من أساليبه ومن الأسباب التي صنعت قوته .

أما الدفاع الثاني فشرعيته انتقالية واضطرارية وهو يحكم على نفسه بالهزيمة بسبب اقتصاره على مصادر ضعيفة الطاقة في المواجهة يقيم الأول جدلية متوازية بين الأنا والآخر بين المحلي والكوني فيحفظ ذاتيته من التبديد ويزودها بحاجات جديدة تنمي قدرتها على البقاء ، أما الثاني فيقيم العوازل بين الحدين فينتصر الأنا على الآخر والخصوصية على الكونية مغامرا بتعويض ذاتيته إلى التضحية الخارجة من ثقافات أخرى وإلى التآكل والضمور الداخليين [475].

ولما يتعلق الأمر بالأساليب التي تستخدمها الممانعة الثقافية يجب فهم المنطق الدفاعي الذي تقوم به وهو بالتعريف منطق – عربي – إذ أن الثقافة كائن محارب قد تحمله أوضاع المنافسة الصعبة إلى التوسل بالأدوات والوسائل والخطط نفسها التي تستعمل في الحرب . فهي – أ الثقافة – تشبه الحرب في أجه عدة أخصت هذه الأوجه قوة التشابه في نمط الآليات التي تشتغل بها كلتاهما : تستعمل الحرب أساليب الحيلة والمخادعة قصد مفاجئة الخصم وإلحاق الضربة غير المتوقعة به ، وكذلك تفعل الثقافة إذ تعمد إلى الإيديولوجيا لممارسة التضليل ضد الخصم وتحقيق هدف الإخضاع المعنوي له.

وتعبر الحرب عن درجة عالية من ممارسة العنف المجرد مثلما لا تتورع الثقافة في نهج أساليب العنف الرمزي أو المعنوي وتقدم الحرب نفسها على أنها شرعية لتحصيل حقوق مشروعة أو الدفاع عن مبدأ متعال أو قضية مقدسة (الوطن ، الحرية ، الله ....) ولا تختلف الثقافة عن

---

[475] عبد الإله بلقيز : **العولمة والممانعة دراسات في المسألة الثقافية** ، منتدى المعارف للنشر ، ط 1 ، بيروت ،ص 65.

ذلك حين تعرض نفسها من حيث السبيل الأمثل للدفاع عن المثال الإنساني أو عن الثوابت الجوهرية للمصنع والأمة (الهوية ، الخصوصية ، الشخصية الوطنية .....) .

غير أن أهم ملا يجمع بين الحرب والثقافة لاتخاذهما الاستراتيجيات والاختيارات التكنيكية نفسها ويبدو ذلك على نحو أوضح في حالات الهزيمة أو الدفاع التي تعقب نكسة عسكرية أو ثقافية ويمكن أن نحصي ثلاث حالات من التشابه بينهما .

يعيش المهزوم في المنافسة العسكرية غير متكافئة مع عدو أقوى أوضاعا ثلاث أما وضع المستسلم المعترف بهزيمته ، وإما وضع المنكفئ إلى بناه التقليدية (القبيلة ، الطائفة والإقليم ....) أو وضع المتكيف مع الهزيمة تكيفا إيجابيا يتحاشى السقوط في الاستسلام أو الانجرار إلى الانتحار [476].

وتعيش الثقافة المهزومة في المنافسة الحضارية الأوضاع عينها من وجه تقريبي إنها ترتد إلى ثلاث مواقع : الإذعان والاستسلام أو موقع الرفض والنكوص أو موقع التكيف الايجابي مع الغلبة المادية والرمزية الثقافة الآخر في الموقع الأول تتراجع عن الشعور بأهليتها المعرفية والاجتماعية لتكتثر بشعور الانبهار بثقافة الآخر ومنظومة القيم لديه فتعيش – في داخلها – حركة مزدوجة الاتجاه : جلد الذات والهجوم على السائد والموروث ثم التماهي مع ثقافة الغالب والإذعان الكامل لمنظومة القيم الرمزية لديه وغي الموقع الثاني تنسحب من زمنها المعرفي المعاصر لتتكفئ في شكل احتجاجي سلبي إلى مدونتها التقليدية الموروثة متخذة إياها مرجعيتها الوحيدة في وعي العالم غير عابثة بالفجوة الكبيرة الفاصلة بين الإنسانية المعاصرة وبين رصيدها الفكري التقليدي أما في الموقع الثالث فتتجه إلى اختيار سبيل التثاقف وهو كناية عن انفتاح إيجابي عن الثقافة الإنسانية وانتهال من ثمراتها على قاعدة شعور واثق بالأنا وبقدرتها على الاعتناء والعطاء وفي النتيجة تعيش الثقافة ثلاث حالات من الشعور متباينة هي حسب ترتيب الأوضاع الثلاثة السابقة حالة الشعور بالدونية وحالة الشعور بالفوبيا أو الخوف الدائم وحالة الشعور بالندّية [477].

---

[476] المرجع نفسه ، ص ص 68 ،69 .

[477] المرجع نفسه ، ص 70 .

هناك ثلاث تحديات تفرض نفسها على الثقافة العربية وتمكن الجماعة إلى إنجاز حلقات مركزية ثلاث في سلسلة التغيير المطلوب وهي من طبيعة فكرية إيديولوجية ومعرفية إيبستملوجية وإجرائية عملية :

1 التحدي الفكري:

التغيرات الهائلة التي يشكل العالم المعاصر مسرحا لها تتحرك بوتيرة غير اعتيادية وتطيح بكل النظم والمؤسسات والثوابت والقيم والعلاقات الموروثة كي تعيد تشكيل مشهد الصراعات العالمية ونسق العلاقات دولية جديد ، لم يعد مقبولا الاستمرار في تأمل لوحة معطيات العالم المعاصر بنفس العدة النظرية التقليدية الموروثة أي بتشغيل نفس منظومة المفاهيم التي جرى تشغيلها في السابق لتحليل حقائق العالم المعاصر . لابد من تغيير أو تعديل الفرضيات السياسة التي بني عليها – في ما مضى – نظام كامل من التحليل ومن الاعتقادات السياسية حول تناقضات النظام العالمي وصراعات قواه والعوامل الرئيسية والفاعلة في تكوين تلك التناقضات وتبريرها ومصالحنا نحن وسط كل ذلك الخليط من المعطيات وفي امتداد ذلك لا مناص من إعادة بناء وعينا على قاعدة فرضيات جديدة تلتقط وتتمثل المعطيات السياسية الجديدة المتكررة في العلاقات الدولية لتصوغها صياغة نظرية تتجاوز بها لحظة الملاحظة الفكرية المجردة .

2 تحدي معرفي :

من باب أولى الاعتراف بالحاجة إلى بذل مجهود ابتدائي – تأسيسي– شرطي قبل بلوغ الهدف المنوّه به أي (إعادة بناء فرضيات التحليل ومنظومات التصور) وليس ذلك الجهد إلا جهدا معرفيا أي ابستملوجيا لتصحيح آلة اشتغال النظر وتطوير جهاز إنتاج المعرفة ، ويتعلق الأمر هنا بالحاجة إلى القيام ببرنامج عمل نظري مزدوج نقدي وبنائي تحتاجها الثقافة العربية حيث يستقيم أمرها ويتصلب موقعها في مواجهة ما يتعرض لها من تحديات [478].

يتمثل العمل النقدي المطلوب في مشروع غير متكامل للمراجعة الفكرية ولإعادة النظر في النظام المعرفي الذي ينتج الثقافة السياسية وثقافة حركة التحرر على وجه التعيين أما البناء فهو

[478] المرجع نفسه ، ص ص 81،83 .

اللحظة النظرية الثانية التي تحتاجها تلك الثقافة كي تنتهض الانتهاض الذي يصالح بينها وبين تاريخها ، وليس البناء ذلك سوى إحلال نزعات معرفية بديل من النزعات الأولى : هناك حاجة إلى تجاوز النزعة الرومانسية الثورية من أجل التفكير بالممكنات الواقعية بدل الرغبة الذهنية وهناك حاجة إلى تخطي النزعة النصية الميتافيزيقية من أجل التفكير انطلاقا من مرجع الواقع بدل من مرجع النص هناك حاجة إلى التحرر من النزعة التجزيئية الانتقائية السطحية والتفكير بعقل تركيبي شمولي .

تحدي إجرائي :

ليست الثقافة مجرد معطيات ذهنية ورمزية يجري إنتاجها من قبل نخبة أو مجتمع ، إنها رصيد قابل للتوزيع والتداول بل إن التداول هو سبيلها إلى ممارسة وظيفة التأثير في المحيط الاجتماعي وسبيلها إلى تطوير نفسها ، وكما الإنتاج المادي للإنتاج الثقافي شبكة هائلة للتوزيع مؤلفة من أجهزة ومؤسسات تتمفصل ممارستها على إنجاز وظيفة مركزية : تشكيل وعي المتلقي وتكييف القيم والأذواق مع نموذج مرجعي يجري تقديمه والدفاع عنه ومن أهم هذه الأجهزة والقطاعات الإعلام المكتوب والسمعي البصري والإلكتروني .

الـخـــــــــــاتـمـة

الخاتمة:

إن الأسباب الكامنة للخلاف والمعارضة موجودة في طبيعة الإنسان، ونظرا لصعوبة إزالة أسباب الصراع، فإنه من الأفضل التفكير في وسائل للتحكم في آثارها.

لابد من الإقرار أن أحد التوجهات الرئيسية للنظام العالمي، هو انفجار العامل الثقافي عبر الصراعات القومية، والطائفية، والدينية، والحضارية التي أجتاحت العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، والتحول إلى العولمة لم يحقق الوفاق بين الدول والمجتمعات، فقد تزايدت حدة الصراعات الثقافية، واشتدت المنافسة الاقتصادية والإعلامية والثقافية، والتي أفضت إلى إحياء المخاوف الإنسانية القديمة، وأنتجت هيمنة وسيطرة بآليات ووسائل جديدة.

لقد دخلت الثقافة عصر العولمة، وأدت العمليات الاتصالية والإعلامية ومنظومات تكنولوجيا المعلومات، ووسائل نشر وتوزيع البيانات والصور والمعرفة والقيم إلى خلق ثقافة كونية، وتشكيل مظاهر العولمة الثقافية.

وفي الوقت الذي يختلف فيه منظرو العولمة الثقافية حول طبيعتها وتاريخها وتعريفها، فهم يتفقون على أن الرأسمالية هي القوة الرئيسية المحركة لها، ويعترفون بأن الرأسمالية الثقافية حلت محل الرأسمالية الصناعية، والثورة المعلوماتية والتكنولوجية والإعلامية عوضت الثورة الصناعية، وخلقت بالتالي أنماط جديدة من العلاقات، والعمليات، والمنظومات الثقافية.

لقد انتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية الرأسمالية، ومن طور الأنظمة الاقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي والأمريكي بوصفه–أي التعميم– آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي على الصعيد العالمي وأبرز ما يطبع النظام العالمي الراهن على مستوى إنتاج وتوزيع الثقافة هو احتكار الرموز والقيم، والموارد والخدمات الثقافية، بالإضافة إلى احتكار السوق العالمية للصناعة الثقافية، وكذا السوق العالمية لتكنولوجيات وسائل الإعلام والاتصالات الذي بلغ حجمه 3068 مليار يورو عام 2004 تتمركز مجملها في مناطق جغرافية معينة هي الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا الغربية، وشرق آسيا.

لقد استفاد النظام الرأسمالي من الثورة التكنولوجية الاتصالية والإعلامية المعلوماتية ووظفها في سبيل تعميم الثقافة الأمريكية والغربية، وتوحيد المعايير والأذواق والرموز وأنماط الحياة، فالتلفزيون والسينما والصحافة، وشبكة الإنترنت وبنوك المعلومات وبرامج المعلوماتية، والخدمات الإعلامية والالكترونية تتجمع داخل وحدات عملاقة تمتلكها حفنة من الشركات لا تعير اهتماما كبيرا للتميز بين عالم الأعمال وأعمال العالم، فهي تمهد وتأسس للعولمة، وتعمل وفق منطق ومعايير حددتها بنفسها لسوق عالمي يتحكم فيه منطق رأس المال متعدد الجنسيات، وتتكرس في عمقه أطروحة الأحادية الثقافية .

إن ضرورات السوق العالمية للشركات متعددة الجنسيات والخاضعة لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا هي التي تبعث الحيوية في النظام العالمي، وتعمل على تنظيمه، وما يشكل الوعي ويحدد تكوينه اليوم عبر العولمة هي المنظومات الفكرية والثقافية لمركز هذا النظام، الذي جعل الثقافة الأمريكية علامة محورية للتفاعل الثقافي العالمي.

وبالانتقال من الثورة الصناعية إلى ثورة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات، ومن الرأسمالية الصناعية إلى الرأسمالية الثقافية، أصبحت القيمة السوقية للسلع والخدمات الثقافية هي التي تحدد حجم إنتاجها، وطبيعتها، ومناطق تدفقها، وليس" من غريب الصدف أن يكون التقدم التكنولوجي الأخير والثورة المعلوماتية، بفضل العقول الإلكترونية والاتصالات قد انطلق من العالم الديمقراطي الولايات المتحدة الأمريكية حيث تنتقل تيارات الأفكار والمعلومات بحرية وحيث لا تعترض المبادرة الخاصة حواجز تذكر"، كما يقول "كون باول" وزير الخارجية الأمريكي السابق والذي يقصد بالديمقراطية ديمقراطية السوق، الذي تتحول فيه الثقافة إلى سلعة تخضع لمنطق العرض والطلب.

في واقع أصبح يرزخ تحت عالم ضخم من الرموز والمعلومات والمعارف والخبرات والسلع والخدمات الثقافية، وارتبط فيه الاقتصاد برأس المال الرمزي حتى أصبح تابعا للثقافة، يمكن التأكيد على حقيقة أن الهيمنة الثقافية هي هيمنة على آليات، ووسائل إنتاج، وتوزيع وتسويق الخدمات والموارد، والمواد والسلع الثقافية وأن اعتبارات القوة هي التي تحدد اليوم حجم الإنتاج الثقافي وخارطة توزيعه وتدفقه، وأن ظاهرة صراع الثقافات في زمن العولمة هي في أهم

أساسياتها وأقوى أبعادها، تعبير عن صراع القوى الاقتصادية المنتجة،والموزعة للثقافة بكل أشكالها.

الهيمنة الثقافية لا تعني في كل الحالات، وعند كل الثقافات الخاضعة، سلب الثقافات الأخرى اتساقها الداخلي، وقدراتها الإبداعية فبإمكان الكثير من الثقافات بلورة استراتيجيات فعالة للحد من هذه السيطرة، أو الالتفاف عليها، أو التعامل معها بطريقة تسمح لها بالاستمرار في البقاء والصراع كما هو الحال اليوم بالنسبة للثقافات الأوروبية في مواجهة الثقافة الأمريكية، فالثقافات منظومات شديدة التركيب، وقادرة على الحركة والتكيف والتأقلم والتجدد باستمرار بقدر ما هي قادرة على التوليف والترقيع أيضا.

والسيطرة الثقافية هي سيطرة تاريخية ؛أي أنها تخضع لصراعات وتوازنات متغيرة، ومن الصعب أن تكون حاسمة وثابتة ونهائية، فأي تغيير في موازين القوى يفتح فرص إعادة بناء الثقافة على أسس جديدة، ويتيح في الوقت نفسه إمكانية رسم خارطة جديدة للتدفقات الثقافية.

لقد اكتسى الحوار الذي دار حول العلاقة بين النماذج الاقتصادية والقيم الثقافية انطلاقا من إمكانية بناء نموذج تحديثي ناجح، –خارج السياق الحضاري الغربي– بعدا خاصا في المجال الآسيوي الذي شهد عملية نمو اقتصادي خارق، بدون أن يواكبها احتذاء للمسالك الثقافية والقيمية الغربية.

وتمثل اليابان، والصين، والهند أهم مظاهر التمايز الحضاري والثقافي وأهم الثقافات التي استطاعت أن تفرض وجودها وتواجدها في زمن الصراعات الثقافية العالمية.

ونحن لا نتجاوز الحقيقة عندما نؤكد اعتماد هذه الثقافات على منظومة متطورة لتكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصالات واعتمادها على مؤسسات اقتصادية قوية للإنتاج والصناعة الثقافية سمحت لها بالتنافس وإثبات الذات، والبقاء على الخارطة الثقافية العالمية.

والتأسيس لعلاقة بين الحضارات والثقافات قائمة على مبدأ الحوار يبدو مستبعدا أمام منطق الصدام والتنافس الذي يعتبره البعض أبديا، ولا تعدو مسألة التبادل بين الثقافات، وحوار الحضارات إلا دعوات، وخطابات "يائسة" من قبل بعض المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية،

وكذا من قبل بعض الرؤساء والملوك، أو من قبل بعض الجمعيات، وحتى البعض من الباحثين والأكاديميين؛

فمن طهران إلى "تبليسي" عاصمة جورجيا، ومن جامعة "برن ستون" في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جامعة باريس، ومن خطاب" محمد خاتمي" إلى كلمة "كوفي عنان" ومن مداخلة "الأمير تشارلز" إلى خطاب الرئيس" بيل كلينتون" وصولا إلى إعلان عام 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات.

يعتقد الكثير أن الحوار بين الثقافات هو أحد الأساليب المضادة لعولمة الليبرالية الثقافية ومحاولة تقديم عولمة بديلة للعولمة الثقافية، التي تكتسي طابع الهيمنة والسيطرة وهم يعتقدون في الوقت نفسه أن حوار الثقافات والجماعات التي يفترض أنها متساوية وتقبل مبدأ الاختلافات الموجودة بينها وتسعى للمحافظة عليها.

إلا أن هذه الدراسة تؤكد على حقيقة أن هذه النداءات القادمة من مختلف الجهات والمنظمات تبقى مجرد مطالب غير مجسدة في الواقع، وغير مدرجة في المشهد الثقافي العالمي، ذلك أن توازن القوى والمصالح هو الذي يفرض قيام الحوار ونوعه وأشكاله، ولأن القوة ارتبطت بالمعرفة وبتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبآليات إنتاج الثقافة، ومؤسسات صناعتها واحتكارها وتوحيد أنماطها، فالدعوة إلى حوار الثقافات والحضارات تتطلب القفز على منطق التنافس، وصراعالقوى الاقتصادية المنتجة لمكونات الوجود الثقافي.

ما يمكن الإشارة إليه، أن الحديث عن حوار الثقافات، هو في أصله الحديث عن وجود ثقافات متعددة تتفاعل فيما بينها، وهو في جوهره مطلب بضرورة الحفاظ على التنوع الثقافي في عالم يسوده تعميم القيم ،والأنماط،والسلوكات، والعلاقات، وتطغى عليه الثقافة الكونية الواحدة.

والمحافظة على التنوع الثقافي يمثل ضرورة من ضرورات الحياة، يجب على المجتمع الإنساني العمل من أجل تجسيد هذه الفكرة،التي جاء مضمونها في نص المادة الأولى من إعلان اليونسكو سنة 1966 "لكل ثقافة كرامة، وقيمة يجب احترامها، ومن حق كل شعب ومن واجبه أن ينتمي إليها، وتشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع، وما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا

من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا، فالتنوع الثقافي مصدر من مصادر قوة الإنسانية".

صحيحأن الاختلاف، والتنوع يميزان العوالم الطبيعية والفيزيائية والثقافية، وصحيح أيضا أن أفكار التنوع والتعدد، والكثرة هي أفكار ذات جاذبية، وليست محل اعتراض كما أن المطالبة بالحفاظ على التنوع الثقافي أفضل من محاربة الأحادية الثقافية.

لكن العولمة تعتبر مسألة التنوع الثقافي مسألة ثانوية، لا أولوية لها في صياغة النظام الكوني بل وتعتبر الثقافة سلعة خالصة لا تختلف في إنتاجها وتسويقها واستهلاكها، وإعادة إنتاجها عن باقي السلع الرائجة والمربحة.

إن مسألة حوار الثقافات في زمن العولمة لا تتجاوز في حقيقتها كونها تعبيرا عن حوار حول التنوع الثقافي، وخطابا حول التعددية الثقافية، يأخذ هذا الخطاب مقاربات إيديولوجية تارة، ويستخدم تارة أخرى لغة عاطفية، ويعبر في كثير من الأحيان عن آمال،وأمنيات لمنظمات دولية وإقليمية وجماعات ثقافية وحضارية ترى أن التهديد بالانقراض قد طالها.

لقد أصبحت الثقافة هي ما تريد جماعة أن تكون، ولا أحد يجادل في أن أي جماعة من الناس تشكل ثقافة مستقلة. في الوقت ذاته،فالرطانة حول التنوع الثقافي تؤدي إلى تعتيم الحقائق، والقائلون بالتعددية الثقافية ينظرون إلى الثقافة وحدها، ولا يلقون بالا لارتباطها الوثيق بتكنولوجيا وسائل الإعلام ونظم المعلومات، وآليات إنتاج الخدمات، والمواد الثقافية، ولا يمكن فهم الثقافة من دون أن نضع في الاعتبار تشابكها مع الحقائق الاقتصادية، الذي يزداد تعقيدا يوما بعد يوم بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

لقد أضحى من الثابت اليوم أن فضاء السوق في زمن العولمة هو الذي حول صلاحيات ضبط عمليات إنتاج، وإعادة إنتاج واستهلاك، وتدفق الثقافة والرموز، وهو في الآن ذاته الفاعل الأساسي الذي عبره تتحدد معظم معابر التنوع والتعدد الثقافي.

والحقيقة أن ردود الفعل اتجاه العولمة الثقافية، كثيرا ما تأخذ المنطق الدفاعي كإستراتيجية للحفاظ على الخصوصيات، والهويات والثقافات المحلية، وإتباع سياسة الانغلاق على الذات والعزلة على الثقافات الأخرى، وتمجيد الماضي والتراث، لكن الثقافة ليست مجرد معطيات ذهنية

أو رمزية يجري إنتاجها، ولكنها أيضا رصيد قابل للتداول والتوزيع، بل أن التداول هو سبيلها إلى ممارسة وظيفة التأثير وطريقها إلى البقاء.

والتعامل الناجح مع العولمة الثقافية يتطلب التخلي عن المواقف الدفاعية التقليدية، وتبني مواقف تقوم على الثقة بالنفس، وبالمستقبل لمغادرة مواقع الهامشية والغثائية الحضارية، كما يصفها مالك بن نبي، لأن الدفاع عن الثقافة لا يتحقق من خلال المحافظة عليها كما هي – باعتبارها قطع أثرية مكانها المتحف– ولكن من خلال إعادة بناءها من اجل المستقبل، وتوزيعها وتداولها ونشرها لتبلغ العالم بأسره.

إن الاكتفاء الذاتي الشامل كسياسة ثقافية تنتجها المجتمعات العربية خاصة أمر غير واقعي وينطوي على إنكار الذات، ويضع هذه المجتمعات في عزلة ثقافية قد تؤدي أيضا إلى عزلة اقتصادية تكون نتائجها سلبية على الرصيد الثقافي الكبير للمجتمع العربي.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1- أحمد محمد الصالح: **الأنثرنات والمعلومات بين الأغنياء والفقراء**، دار الأمين للنشر والتوزيعالأردن، 2001.

2- أرنوددوفور: ترجمة منى ملحسن:**زدني علما إنترنت**، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1 1998.

3- ألفين طوفلر: ترجمة البنى الريدي: **تحول السلطة، الهيئة المصرية العامة للكتاب**، مصر 1990.

4- آمنة تشيكو: **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، وآنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989.

5- آدم كوبر، ترجمة تراجي فتحي: **الثقافة التفسير الأنثربولوجي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت مارس 2008، عدد 349.

6- السيد ولد أباه: **اتجاهات العولمة، إشكالية الألفية الجديدة**، المركز الثقافي العربي، الرباط.

7- السيد ياسين: **الحوار الحضاري في عصر العولمة**، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2002.

8- السيد ياسين وآخرون: **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ط3، 2000.

9- إبراهيم بعزيز: **تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية الثقافية**،دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2011.

10- بول كندي: ترجمة محمد عبد القادر، غازي مسعود، **الاستعداد للقرن الواحد والعشرين**، دار الشروق، 1993، عمان.

11- برتران بادي: ماري كلود سموتس: ترجمة: سوزان خليل، **انقلاب العالم بسوسيولوجيا المسرح الدولي**، دار العالم الثالث، القاهرة، 1998.

12- برهان غليون، سمير أمين: **ثقافة العولمة، وعولمة الثقافة**، دار الفكر، الطبعة الثانية، سورية، ط2، 2002.

13- باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي، ط1، الكويت، 2001.

14- برتران بادي: ترجمة: لطيف فرج، **الدولة المستوردة: تغريب النظام السياسي**، دار العالم الثالث، القاهرة، 1996.

15- بيل غيتس: ترجمة: عبد السلام رضوان، **المعلوماتية بعد الأنترنيث سلسلة عالم المعرفة**، عدد 231، الكويت، مارس 1998.

16- بهاء شامين: **شبكة الإنترنيت، العربية لعلوم الحاسوب**، كمبيو ساينس، السنة الثالثة، عدد 144، القاهرة، 1996.

17- بول هوبر: ترجمة طلعة الشايب، **نحو فهم للعولمة الثقافية**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، عدد 1811، 2011.

18- بيترال بيرغر، ساموبل بي هنغتون: ترجمة: فاضل جتكر: **عولمات كثيرة: التنوع الثقافي في العالم المعاصر**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2004.

19- جون هارتلي: ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي: **الصناعات الإبداعية**، سلسلة عالم المعرفة، ج2، عدد 339، ماي 2002، الكويت.

20- جيرار ليكلرك: ترجمة جورج كتورة: **العولمة الثقافية، الحضارات على المحك**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

21- جان بيار فارني: ترجمة عبد الجليل الأزدي: **عولمة الثقافة**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003.

22- جيرمي ريفكن: ترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، **عصر الفرص مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية**، ط1، 2003، أبو ظبي.

23- حسن عماد مكاوي- محمود سليمان علم الدين: **تكنولوجيا المعلومات والاتصال**، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ط1، القاهرة، 2000.

24- حسين عبد الحميد رشوان: **في مناهج العلوم**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2003.

25- حميد جاعد محسن الدليمي: **علم اجتماع المعرفة**، جامعة بغداد، دار الشروق للنشر والتوزيع، بنغازي، ط1، 2002.

26- خليل محمد الراتب: **التصوير الصحفي:** دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012.

27- دنيس كوش:ترجمة منير سعيداني **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية.** المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت ،2007 .

28- دييترسنغاس: ترجمة: شوقي جلال: **الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشأن الصراعات الثقافية**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة.

29- راسل جاكوبي: ترجمة فاروق عبد القادر: **نهاية اليوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 269، ماي 2001.

30- رحيمة الطيب عيساني: **العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية**، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2001.

31- رضوان جودت زيادة: **صدى الحداثة**، المركز الثقافي العربي، ط 1، المغرب، 2003.

32- ريتشارد نيكسون: ترجمة: عبد الحكيم أبو غزالة، **نصر بلا حرب**، مؤسسة الأهرام للنشر القاهرة، 1998.

33- رولان روبرشون: ترجمة أحمد محمود، ونوار أمين: **العولمة، النظرية الاجتماعية، والثقافة الكونية**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998.

34- سهير جاد، سامية أحمد علي: **البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 2000.

35- شريف درويش اللبان: **تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية**، المكتبة الإعلامية، القاهرة، 2000.

36- صامويل هيتنتغتون: ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة، ومحمود محمد خلف، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1999.

37- عبد الكريم غريب وآخرون: **التواصل والتثاقف**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 2010.

38- علي عزت بيقوفيتش: ترجمة محمد يوسف عدس، **الإسلام بين الشرق والغرب**، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ميونخ، ط1، 1994.

39- عبد السلام المسدي: **العولمة والعولمة المضادة**، شركة مطابع تونس،ط1 ، 1999.

40- عماد محمد محمد الهادي: **التطورات الحديثة لنظم المعلومات المبنية على الكمبيوتر**، دار الشروق، ط1، 1993، القاهرة.

41- علي حرب: حديث النهايات: **فتوحات العولمة ومآزق الهوية**، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 2000.

42- علي حرب: **أوهام النخبة أو نقد المثقف**، المركز الثقافي العربي، لبنان ،2001.

43- عزام أبو الحمام: **الإعلام الثقافي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، الأردن، 2010.

44- عبد الرحمان عزي: **قراءة ايستملوجيا الاتصال**، مركز دراسات الوحدة العربية.

45- عبد الوهاب الصباغ: **المجلة العربية للمعلومات**، مجلد 23، عدد 2، تونس، 2002.

46- غازي الصوراني وآخرون: **المجتمع والاقتصاد أمام العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان.

47- فرانسوا نيكلي- نيكول ماركيز: **وسائط الاتصال المتعددة**، عويدات للنشر والطباعة، ط1، بيروت، 2001.

48- فاطمة دبوسي: **ورقة عمل مقدمة من خلال الملتقى الدولي حول حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية**، الجزائر، ماي، 2004.

49- فاروق حسين: **الإنترنيت الشبكة الدولية للمعلومات**، دار الراتب الجامعية، ط1 ، بيروت، 1997.

50- محمود أمين العالم وآخرون: **الثقافة العربية: أسئلة التطور والمستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط1، عدد 29، 2003.

51- محمد سعدي: **حول صراع الحضارات**، إفريقيا للشرق، المغرب، 2006.

52- مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984.

53- منى أبو الفضل وآخرون: **الحوار مع الغرب، آلياته وأهدافه ودوافعه**، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

54- مراد زعيمي: **علم الاجتماع رؤية نقدية**، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004.

55- ورويك موراي: ترجمة سعيد منتاق: **جغرافيات العولمة، قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 397، فيفري 2013.

56- ممدوح محمود منصور: **العولمة (دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد)**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2003.

57- محمد شومان: **عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي**، سلسلة عالم الفكر مجلد 28، عدد 2، ديسمبر 1999.

58- .محمد محفوظ: **الحضور والمثاقفة: المثقف العربي وتحديات العولمة**، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 2000.

59- محمد عابد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 2003.

60- معن النقدي: **المعلوماتية والمجتمع، مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2001، الطبعة الأولى.

61- محمد مصطفى القباج: **مقاربات في الحوار والمواطنة ومجتمع المعرفة**، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، المغرب، ط1، 2006.

62- محمد فتحي عبد الهادي: **المعلومات وتكنولوجيا المعلومات، على أعتاب قرن جديد**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000.

63- مجد الهاشم: **الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل**، دار المستقبل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2001.

64- منشورات منظمة اليونسكو: ترجمة علال الإدريسي: **التنوع الثقافي واللغوي في مجتمع المعلومات**، 2005.

65- محمد علي حوات: **العرب والعولمة، شبحون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، ط 2، القاهرة، 2004.

66- **محسن أحمد الخضري: اقتصاد المعرفة.** مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2004 .

67- محمد عابد الجابري، **مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

68- مارسالميرل: ترجمة: حسن نافعة، **العلاقات الدولية المعاصرة**، دار العالم الثالث، القاهرة، 1999.

69- محمد سعدي: **حول صراع الحضارات**، حوارات ومقالات مختارة الصامريل هنتنغتون، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

70- منى أبو الفضل وآخرون: **الحوار مع الغرب**، آلياته وأهدافه ودوافعه، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

71- محمد محمود ذهيبة: **الإعلام المعاصر**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2007.

72- مؤيد عبد الجبار الحديثي: **العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2002

73- نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1، جانفي 2001.

74- نبيل علي: **العرب وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 184، الكويت، جانفي 1990.

75- نجاح كاظم: **العرب وعصر العولمة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002.

76- هربرتماركوز: ترجمة: مي جبران، نسيم خوري: **غزو الوعي البائس اللاتسامي المكتوب** الفكر العربي المعاصر، عدد 35، أوت 1985.

77- هانس بيتر ملرتين، هارلد شومان: ترجمة، عدنان عباس علي، **فخ العولمة**، سلسلة عالم المعرفة، ط1، 1998، الكويت.

78- هارلان كليفلاند: ترجمة: جمال على زهران، محمود إسماعيل محمد: **ميلاد عالم جديد (فرصة متاحة لقيادة عالمية)**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000.

79- والدن بيلو: ترجمة فريدة النقاش: **من أجل عولمة بديلة، أفكار حول اقتصاد عالمي جديد** المركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، 2010.

80- يوسف حسن يوسف: **الاقتصاد الإلكتروني**، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط1، القاهرة، 2012.

81- يحيى اليحياوي: كونية الاتصال، **عولمة الثقافة شبكات الارتباط والممانعة**، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 2011.

82- يحي اليحياوي: **في العولمة والتكنولوجيا والثقافة: مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.

83- يحيى اليحياوي: **العولمة الموجودة: قضايا إشكالية في العولمة والسوق والتكنولوجيا**، منشورات عكاظ، الرباط، ط2، 2002.

84- يحي اليحياوي: **العرب و شبكات المعرفة: دراسة في الموقع و الواقع**، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 2011 .

ثانيا: المجـلات

1- أحمد أبو زيد: **المعرفة،صناعة المستقبل:** مجلة العربي الكويتية، عدد 540، نوفمبر 2004.

2- إبراهيم قندلجي: **شبكة الإنترنيت وتطبيقاتها في المكتبات ومراكز المعلومات**، المجلة العراقية للمعلومات، مجلد3، عدد1، بغداد، 1997.

3- الإمام الحبيب: **صناعة الثقافة والاحتكار العالمي**، مجلة العربي، عدد 434، الكويت، جانفي 1995.

4- آسيا الميهي: **الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية**، مجلة السياسة الدولية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، عدد 127، جانفي 1997.

5- برهان غليون: **حوار الحضارات، أو في أصل التفاهم بين الأجناس**، مجلة الاتحاد، عدد، 1999.

6- عبد الخالق عبد الله: **العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، سلسلة عالم الفكر المجلد 28، عدد 2، 1999.

7- عبد الخالق عبد الله: **عولمة السياسة والعولمة السياسية**، مجلة المستقبل العربي، عدد 278أفريل 2002.

8- عبد الإله بلقيز:**الثقافة العربية أمام تحدي البقاء،** مجلة شؤون عربية، عدد 79، 1994.

9- عبد الستار الهيتي، **الحوار... الذات والآخر**، سلسلة كتاب الأمة، عدد99، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، 2004.

10- محمد ذياب: **اقتصاد المعرفة أين نحن منه؟**، مجلة العربي الكويتية، عدد 546، ماي 2004، الكويت.

11- محمود علم الدين: **ثورة المعلومات ووسائل الاتصال: التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال،** مجلة السياسة الدولية، ديسمبر، 1996.

12- نايف علي عبيد: **العولمة والعرب،** مجلة المستقبل العربي، عدد 221، جوان 1997.

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية

1- Dominique foray : **L' economie de la connaissance**, casbah edition ; alger , 2004.

2- Hintington(Samuel) **,Le choc des civilisation ,**odilejacob,Paris,1997.

3- MalekBennabi ;**Les GrandsThems** Edition El Borhan .Alger .2005

.

Le réveil des civilisation, sur le choc des "**4-**Servoise Olivier, .,futuribles, N 198, Janvier 1995" **civilisations**